مجلة المجمع العلمي العراقي

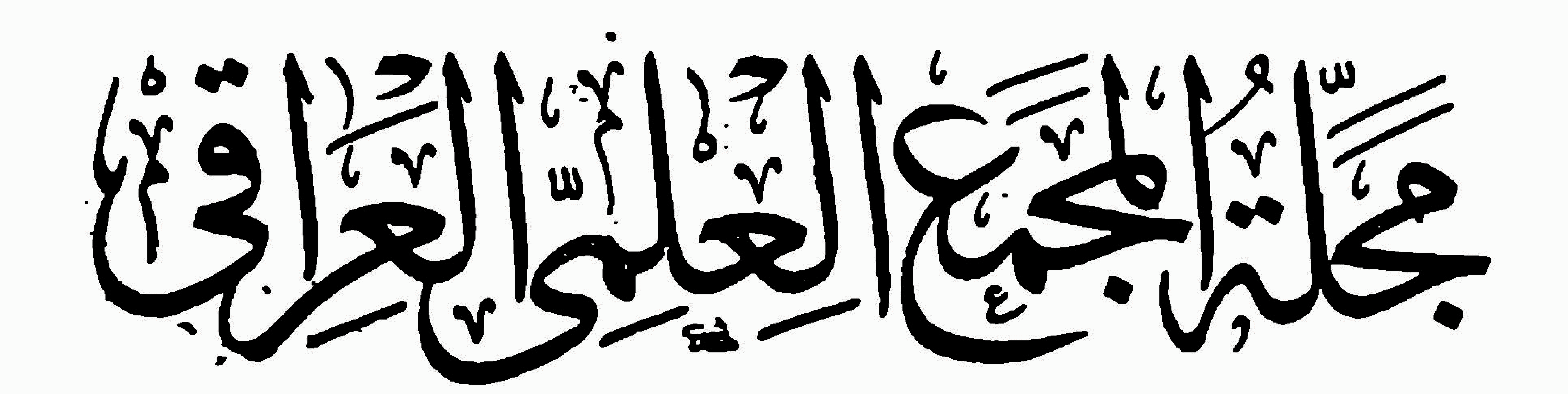
المجلد الثالث عشر

(١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م)



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م



المجلد الثالث عشر

(١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م)



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

كلمة الافتتاح

بسم الله وبتوفيق منه

يصدر العدد الثالث عشر من مجلتنا في أعقاب حدثين مهمين لا بدّ من التنويه بهما والتعقيب عليهما لما لذلك من ارتباط بكيان المجمع العلمي العراقي وكيان المجامع اللغويه والعلمية في الاقطار العربية

١ — لقد افتقد مجمعنا في السادس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٦٥ عضوه العامل ورئيسه الجليل العلامة الناثر ، الشاعر المؤرخ الشيخ محمد رضا الشبيبي بعد عمر عامر بجليل الخدمات كتب فيه ونظم وعقب وحرّر ما يؤلف سفراً خالداً بين الاسفار والصحائف الخالدات ، وما يضعه في مكان الخالدين من رجال العلم واللغة

والمجمع العلمي العراقي إذ يودعه ، ويطوي صحيفة كريمة من صفحات اعضائه ليستشعر بالغ الحزن وفادح الاسى ان انطوى علم من أعلام العراق ، وسكت لسان من السنة الأدب وانطفأ مصباح من مصابيح الفكر

٢ — وثانياً انعقاد الدورة الثانية والثلاثين لمجمع اللغة العربية في القاهرة بدعوة من المجمع العلمي العراقي وكانت ظاهرة تعاون عبرت ابلغ تعبير عن التجاوب الروحي بين المجمعين وعن التقائهما على خدمة اللغة العربية في مشاركة جادة مخلصة ، يمدها قلب يؤمن بقداسة هذه اللغة وبحقها في البقاء والنماء ، ومعرفة تحيط بدقيقها وجليلها ورأى متفتح ميسّر يملك من وسائل التيسير والتطوير ما يدفع باللغة العربية الى ان تكون في مقدمة

لغات الامم الحية قدرة على الوفاء بشؤون الحياة ، واستيعابا لدقائق المعاني ، ومصطلحات العلوم والفنون والاداب

ولقد كشف هذا الاجتماع عن طاقات ومواهب وجهود في كلا المجمعين لو اطردت بينهما فرص اللقاء لآتت افضل الثمرات ، ووفرت كثيراً من الجهود

وإذا كان علينا ان نشكر لمجمع اللغة العربية فضله في استجابة دعوتنا ، وقبوله في ان يَنتَقل باعضائه الكرام الى بغداد ، فاننا نعتز أيضاً بما وهَبَتْ به امانته العامة من الفوائد الجليلة التي اتاحتها هذه الفرصة ، لأعضائه من وقوف على النشاط الذي يبذله المجمع العلمي العراقي في خدمة اللغة العربية

كما يحسن بنا أن ننوه بالرغبة الصادقة التي أعلنها المجمعان من العزم على مواصلة الجهد المشترك والتعاون المتبادل ، والعمل على تقريب اليوم الذي تتوحد فيه المجامع اللغوية في كل الاقطار الناطقة بالضاد

الجغرافيون العرب وروسيا

الدكتور عبد العزيز الدوري

ان المعلومات التي تقدمها المصادر العربية عن بداية الدولة الروسية تعتبر في طليعة الآثار عن روسيا وتسبق التواريخ الروسية زمنياً

ولكننا لن نتناول جميع الشعوب التي تسكن روسيا ، بل سنقصر ملاحظاتنا على (الروس) ولا يخفى ان الشعب هو الاساس في تحديد الدولة لدى الكتاب العرب ، وأما رقعة الارض فتالية وكذا الحدود

ومن المفيد هنا ان نقدم مدخلا للموضوع لتكون معلومات الجغرافيين او المؤرخين العرب مفهومة في نطاقها .

لنبدأ بكلمة روس Rus ، والخلاف حولها إذ ينسبها البعض الى اصل سلافي ويقولون انها من الصفة Rusyi وتشير إلى الحمرة في الشعر أو الجلد ، وهذا هو رأي المدرسة السلافية وينسبها غيرهم الى اصل اسكندنافي ، وان الكلمة انتقلت الى السلاف من الفنلنديين إذ تعني كلمتهم Rösti (الآن Ruosti) المهاجرين من وراء البحر ، ويفترضون ان الكلمة سويدية الاصل وينظرون الى السويدية القديمة ليجدوا فيها Rosti و Rüs وهذا هو رأي المدرسة النورمانية

تبقى هـذه المشكلة قائمة كغيرها عن البدايات الروسية ، مثل اصلهم واساس لغتهم وموطنهم الاصلي ومحل دولتهم الاولى « الخاقانية الروسية »

يرى البعض ان بدايات التكوين السياسي في روسيا مرتبطة بنشاط الشماليين ، او النورمان (Norsemen , Varangians) ويرى باسكفيج [1] ان الموطن الاول للروس على بحر البلطيق ويسند رأيه بتفاسير للنصوص العربية (في المسعودي، والبيروني ، ومسكويه وابن حوقل اضافة الى المصادر الاخرى) وانهم انطلقوا من شبه جزيرة اسكندنافية وتوسعوا في شرق اوربا وخاصة في حوض نهر الفولجا وبين ان مراكزهم الثلاث التي يذكرها الاصطخري لا علاقة لها بالدنيبر بل بالفولجا وان العرب ليست لديهم معلومات عن الدنيبر ولم يصل احد منهم إلى(روس كييف)في القرن التاسع أو العاشر ثم يبين ان مجموعات النقود الاسلامية التي وجدت من القرنين الثامن والتاسع وجدت في مناطق الفولجا وغربي دوينا w. Dwina وحول بحيرة المن ilmen وفي منطقة بحيرة Ladoga لادوكا نعم وجدت نقود في حوض الدنيبر ولكنها ليست كبيرة وهي من القرن العاشر وينتهي إلى أن الروس اصلهم نورمان ، وهذا يؤيده اصل الوفـــد الروسي الذي مر بانكلهايم سنة ٨٣٩ م لانه سويدي [2]

ويرى ان هؤلاء الروس (النورمان) هم جماعات جنود وحكام وبدأوا يتأثرون بالسلاف المحيطين بهم في القرنين العاشر والحادي عشر بصورة تدريجية حتى ذابوا فيهم [3]

ثم يتحدث عن أول دولة روسية في (كييف) ويبين انها قامت نتيجة تحالف قبائل سلافية تتباين في اللهجة والعادات والثقافة ، لاسباب متعددة ، وان بداية استعمال الاسم

---

(١) Paszkiewicz The Making of the Rassian Nation P. 119-120

(٢) ibid 155—159 (٣) ibid P 183-7

Rūs كانت في كييف ثم استعمل لشرق اوربا السلافي [1]

ويعطي فرنادسكي Vernadsky تفسيراً آخر ، فهو يرى ان الشماليين (النورمان) تخللوا مجرى نهر دوينا الغربي W. Dvina منذ القرنين السادس والسابع للميلاد ولم يمض زمن طويل حتى وصلوا القسم الاعلى من نهر الفولجا ونهر اوكا Oka ويحتمل انهم اكتشفوا (حوالي ٧٣٧ م) منابع الدونتز ومن هناك انهوا الى بحر آزوف والى شمالي قوقاسيا وهـــذا يعني انهم سيطروا على طريق الدونتز — الدون فترة طويلة قبل طرق الفولجا والدنيبر وعبر الشماليون في تقـدمهم مدينة نوفكرود Novgorod ثم احتلوهـا فيما بعد

وهو يرى ان الروس كونوا خاقانية قبل سنة ٨٣٩ م ، ويشير الى اختلاف الرأي في مكانها بين نوفكرود (رأي P. P. Smirnov) ، أو حول روستوف في اعالي الفولجا ، او كييف (برأي A. A. Vasiliev) ، او Tmutorokan ، في شبه جزيرة تمان Taman (برأي E E. Golubinsky و V. A. Mosin ثم يعرب عن تفضيله للرأي الاخير فهو حين يعترف بوجود مستعمرة شمالية كبيرة في نوفكرود بعد منتصف القرن التاسع ويقر أن موقعها قرب بحيرة (المن) يجعلها قريبة من وصف ابن رسته ، يعود ليبين انها اكتسبت اهمية وصارت مركزاً مهماً بعد مجيء (Rurik) روريك واما (كييف) فاصبحت عاصمة الدولة الروسية بعد اخذهـا من قبل اوليك Oleg سنة ٨٧٨م ، وهو إذ يعترف باحتمال اهميتها قبله بمدة طويلة إلا أنها كانت بيد البلغار حوالي منتصف القرن التاسع للميلاد اما مدينة Tmutorokan تموتوروكان الواقعة على مصب نهر كوبان Kuban River في شبه جزيرة (تمان) فيرى انها تنطبق عليها اوصاف ابن رسته عن مركز الخاقانية الروسية ، وهي تمس بحر آزوف من الشمال والبحر الاسود من الجنوب ،

---

(١) ibid P 189 off

وتناسبها اشارات غرديزي ، كما انها يشار اليها في القرن السابع بـ The Bog of the Rus

ويرى فرنادسكي ان (تموتوروكان) كانت مقر الخاقانية الروسية الاولى وهي دولة عسكرية وتجارية قوية ويحكمها خاقان ومجلس والتجارة اساس اقتصادياتها ، كما ان القبائل السلافية تجهزها بالحبوب والمواد الغذائية وكانت وسيطة في التجارة بين شمال اوربا وشرقها والبلاد الاسلامية وهؤلاء الروس كانوا مبدئياً تحت حماية مملكة الخزر ويعتمدون عليهم لتسيير تجارتهم ولكن الخزر تضعضعوا نتيجة الهجمات العربية خاصة بعد سنة ٧٧٩ م ، ثم ضعفوا بعد الهجوم العربي عام ٨٢٥ م ، فاعتمد هؤلاء الروس على انفسهم واستعانوا بقوات من الشماليين واعلنوا استقلالهم واتخذ اميرهم لقب (خاقان روس) وسيطروا على التجارة

واحس الخزر بالخطر فاستعانوا بالبيزنطيين لبناء حصون على الدون والدونتز وفعلاً انشأوا قلعة بعمونتهم على الدون باسم ساركل Sarkel ، وبهذه الطريقة سيطر الخزر على طرق التجارة الى الشرق وهددوا المواصلات بين روس الآزوف وشمال روسيا وفي خلال عدة سنوات استولى الخزر على سلاف منطقة (اوكا) وسيطر المجر اتباعهم على منطقة كييف. واضطرب وضع الروس وحاولوا التفاهم مع القسطنطينية ، فلقيت سفارتهم سنة ٨٣٨م معاملة جافية واثر نشاط الخزر على الحياة الاقتصادية للروس ، وفشى الخلاف بين القبائل السلافية ثم عقد حلف بين الروس حول Rusa والـ Chud والفنلنديين في استونيا والسلوفين حول نوفكرود والـ Krivichi حول سمولنسك والـ Vcz وهم قبيلة فنلندية ، ووجهوا دعوة الى الشماليين لينجدوهم وكانت هذه الدعوة سنة ٨٦٢ م حسب الروايات ، وهي في الواقع سنة ٨٥٦ م ، وجاء Rurik واستقر في نوفكرود ، ولكن جماعة من الروس (من السويديين) استولوا على كييف واتصلوا بروس (تمان) على الازوف وقاموا بحملة على القسطنطينية سنة ٨٦٠ م .

وتوفي روريك سنة ٨٧٣م وخلفه اوليك Oleg (وهو نرويجي) فاتجه للجنوب واستولى على كييف وبدأت مملكة كييف المشهورة وقد استندت كييف اقتصادياً الى السيطرة على طريق الدنيبر بدل بحر الازوف ، واصبحت الوسيطة بين الشمال والجنوب وبين بيزنطية وحاولت فتح طريق التجارة مع العرب وشنت هجومين على القوقاس في النصف الاول من القرن العاشر كما هاجمت السواحل الجنوبية لبحر قزوين

ان هذا العرض الموجز يبين صعوبة موضوع البدايات واختلاف الآراء ويكفي ان اضيف الرأي الثاني وهو ان البعض يرى ان الروس هم سلاف، وان الجماعات الشمالية تسمت باسمهم وذابت فيهم ، وان الروس اكثر ثقافة ولهم لغة موحدة ، وان أول دولة تكونت في كييف بدافع اللغة الواحدة والمصالح الواحدة وان الدولة كانت تحكم بروح الشورى(١)

٢ ـ وقد جاءتنا المعلومات العربية عن الروس من ثلاثة مصادر :

أولا من شهود عيان مطلعين ، وثانياً من تجار ، وثالثاً من بحوث قام بها جغرافيون (مثل صاحب حدود العالم) في مناطق لها صلة مباشرة بالروس

وتجدر الاشارة في الصنف الاول الى شخصين أولهما مسلم بن أبي مسلم الجرمي الذي اسره البيزنطيون وقضى في الاسر ثمان سنوات ثم اطلق سراحه في ايلول سنة ٨٤٥ م وثانيهما محمد بن فضلان وهو قاض ارسله المقتدر بسفارة الى البلغار على الفولجا في ٢١ حزيران سنة ٩٢١ م ووصل عاصمتهم في ١٢ مايس سنة ٩٢٢ م وهو رجل مثقف واسع

---

(١) انظر Vernadsky : Origins of Russia P. 193 off, Ancient Russia P. 261 P. 268 P. 274;, P. 283 History of Russia (3rd ed. 1951) P. 23 off.
وانظر V. Minorsky E I. (١) art. Rus
و Hudūd al- Alam P 432-3

الافق دقيق الملاحظة كثير السؤال [ويمكن ان نشير الى ابراهيم بن يعقوب وهو يهودي اندلسي يعطي (عام ٩٦٥ م) أوفر المعلومات التي وصلتنا عن السلاف في اوربا وترد بعض رواياته في البكري] (١)

وقد التفت الجغرافيون العرب الى النواحي الاقتصادية والاجتماعية اضافة الى الجغرافية الطبيعية. ويبدو انهم لديهم معلومات عن الروس منذ بدء ظهورهم في شرقي اوربا. وسنورد معلوماتهم حسب تسلسلها الزمني (لان ذلك يساعد على فهم تطور شؤون الروس) ملاحظين ان البعض يكتفي بايراد معلومات سابقة او يشترك مع غيره في الاخذ من نفس المصدر.

يشير ابن خرداذبه (٢٣٢هـ / ٩٤٨م) وهو اقدم جغرافي في هذا المجال، الى الروس، ويعتبرهم صنفاً من الصقالبة ويتحدث عن فعالياتهم التجارية الواسعة فيذكر انهم يتاجرون بالفراء من جلود الثعالب السود وجلود الخز والسيوف، ويبين انهم يأتون من اقاصي اراضي الصقالبة الى البحر الرومي (الاسود) حيث يدفعون ضريبة العشر ويذكر انهم يأتون في نهر تنيس (الدون) ويسميه نهر الصقالبة، ثم يعبرون الى الفولجا ويصلون الى خمليج (مدينة الخزر) ومنها الى بحر قزوين وقد ينقلون بضائعهم على الابل الى بغداد حيث يترجم لهم بعض الخدم الصقالبة، وكانوا يدعون بانهم نصارى ويدفعون الجزية

واحياناً يسلكون سبيل البر من الاندلس أو أرض الفرنجة باحد طريقين ـ أولهما الى شمال افريقية ومصر وفلسطين (الرملة) ثم الى دمشق فالكوفة فبغداد فالبصرة ومنها الى الاهواز وفارس وكرمان الى السند ثم الهند ثم الصين. وثانيهما عبر الاراضي السلافية وراء روما (الشرقية) الى خمليج مدينة الخزر ثم في بحر جرجان ثم بلخ الى ما وراء النهر

---

(١) كراتشكوفسكي تاريخ الادب الجغرافي العربي تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ج١ ص ١٣٤، المسعودي — التنبيه ص ١٩٠ — ١ وانظر سركيس — معجم المطبوعات العربية ج١ عمود ١١.

وأواسط آسيا إلى الصين ويبدو أن الطريق الثاني هو طريق التجار من اليهود (الرادانية) [1]

نلاحظ ان ابن خرداذبه يميز بين الصقالبة والروس ، ويبين ان موطن الروس في اقاصي أرض الصقالبة وراء نهر الدون ، أو أنهم يأتون عن طريق الاندلس ، وهذه المعلومات تشير بوضوح إلى الشماليين

ويبدو أن ابن الفقيه (٢٨٩هـ/٩٠٢م) أخذ من مصدر ابن خرداذبه ويكاد يورد نفس النص ، الا انه يتحدث عن تجار الصقالبة بدل تجار الروس [2] ولكننا نلاحظ أنه يدخل الروس وحتى الشماليين ضمن الصقالبة في نص آخر [3] ان معلومات ابن الفقيه لاتبرر رأي باسكفيج بان ما ورد في ابن خرداذبه بان الروس « جنس من الصقالبة » اضافة مدخولة عليه بل يؤخذ هذا بالمفهوم العام للفظ الصقالبة [4] ويبدو لي ان رأي لفجكي Lewicki أقرب للقبول هنا حين يرى ان كلمة « صقالبة » تعني السلاف أو الذين يتكلمون بالسلافية [5]

وبعد هذا نلاحظ أن ابن خرداذبة لا يشير إلى أرض روسية ، ويسمى نهر تنيس

---

(١) المسالك والممالك ص ١٥٤

(٢) يقول ابن الفقيه « فاما تجار الصقالبة فيجمعون جلود الثعالب وجلود الخزر من اقصى صقابة فيجيئون الى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم ، ثم يجيئون في البحر الى سمكوش (لعله سمكرس Kerch) ليهود ، ثم يتحولون إلى الصقالبة »

(٣) يقول « أرض الروم .. من انطاكية الى صقابة ومن القسطنطينية الى تولية والغالب عليهم رومي وصقلبي والاندلس صقالبة » ص ١٢٦ .

(٤) يرى Gerkov ان ابن خرداذبة يقصد بالروس، منطقة كييف وبالصقالبة اهالي منطقة نوفكرود
Kiev Rus P. 597 8

H. Paszkiewicz, the making of the Russion Nation P. 148-150 (٥)
(London 1963)

« نهر الصقالبة [1] » ويبدو لي أنه يصف الوضع في الفترة التي سبقت تكوين أي كيان سياسي للروس في شرق اوربا

ولكن ابن الفقيه يورد ملاحظة أخرى حين يقول « أو يأخذون (أي تجار الصقالبة) من بحر الصقالبة في هذا النهر الذي يقال له نهر الصقالبة حتى يجيئون إلى خليج الخزر (خميلج مدينة الخزر — في ابن خرداذبة) فيعشرهم صاحب الخزر ثم يصيرون إلى البحر الخراساني (أي بحر قزوين) فربما خرجوا بجرجان فباعوا جميع ما معهم فيقع جميع ذلك إلى الري » [2] فهو يذكر نهر الصقالبة أي نهر تنيس أو الدون ويبين أنهم يخرجون من بحر الصقالبة إلى هذا النهر ، وهذا يعني بوضوح انهم يخرجون من بحر آزوف الذي يصب نهر الدون فيه . وهذه أول اشارة إلى أن التجار كانوا يأتون من بحر آزوف .

ويورد ابن رسته (حوالي ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) بعض المعلومات الجديدة عن الروس ، ولعله أخذها عن مسلم بن أبي مسلم الجرمي [3] . فهو يميز بين الروس والصقالبة ويذكر أن الروسية يعيشون في جزيرة وسط بحيرة وتبلغ سعة الجزيرة مسيرة ثلاثة أيام « مشاجر وغياض » ، وهي غير صحية ومرطبة

وهنا تجابهنا مشكلة تحديد محل اقامتهم فيرى مينورسكي Minorsky ان نص ابن رسته يشير إلى اقامة شيوخ النورمان (الشماليين) في منطقة البحيرات الروسية الكبرى وان

---

(١) يشير ابن حوقل (صورة الارض ' ص ٣٨٦ الى نهر الروس ، وكذا مؤلف (حدود العالم) ولعل ألاشارة الى نفس النهر انظر E. I (١) IV P. 1182 . ويسمى الادريسي نهر الدون نهر الروسية ، وان كان معنى كلمة (الروسية) قد توسع في زمنه ليشمل سلاف روسيا

(٢) ابن الفقيه ص ٢٧١ .

(٣) انظر Minorsky E I . (١) art Rus, IV P. 1182 ويرى مينورسكي انه مصدر (حدود العالم) و (غرديزي) و (عوفي)

مدينتهم هي نوفكرود ، وان كلمة Novgorod تعني في الاسكندنافية « مدينة البحيرة »[١]

ويبين فرنادسكي ان أوصاف ابن رسته تنطبق على مدينة (Tmutorokan) تموتوروكان في شبه جزيرة (Taman) تمان في القرم إذ يحفها البحر الاسود من الجنوب ومضيق (Kerch) كرج من الغرب وبحر آزوف من الشمال ، وهي في الواقع جزيرة لانها مفصولة عن البحر باذرع دلتا نهر كوبان كما ان المشاجر والغياض التي يذكرها ابن رسته تكثر على صفاف الاقسام السفلى من نهر كوبان[٢]

ويبدو لي ان الرأي الثاني أقرب للقبول فغرديزي (الذي أخذ من مصدر ابن رسته) يبين ان روس جزيرة تقع في البحر ، ويبين أن ملكهم يأخذ العشر من التجار[٣] ويقول البيروني في حديثه عن بحر نيطس « وحوله الارمن وطوايف من الاتراك والروس والصقلب[٤] » ويذكر الوطواط (محمد بن ابراهيم الوراق) أن الروس يعيشون في جزيرة في بحر ميوطس ، أي الازوف ، وهو انما ينقل من مصادر سابقة . ويعطي مباركشاه (فخر الدين) في تاريخه معلومات مماثلة[٥] .

ويذكر ابن رسته أن الروس لهم مدن كثيرة ، ويلقب ملكهم بـ « خاقان » ، ويبدو أن هذا يشير إلى مطلع القرن التاسع للميلاد حين اصبحت لديهم دولة هي « خاقانية آزوف »[٦]

---

(١) انظر مقاله في E. I. (1) IV P. 1182 وفي Hudud al'Alam P. 432 off

(٢) ويضيف فرنادسكي ان تموتوروكان كانت تسمى في القرن السابع الميلادي، the Bog of the Rus انظر كتابه Origins of Russia P. 194 off وكذا كتابه Ancient Russia P. 284

(٣) Vernadsky, Origins P. 190

(٤) البيروني — صفة المعمورة ص ٤

(٥) انظر R. Frye, Muslim World 1951 P. 21, P. 24-5

(٦) انظر Vernadsky, Ancient Russia P. 284

وكان الروس يقومون بغارات في قواربهم على الصقالبة ويسبون بعضهم ليبيعوهم للخزر والبلغار ولم تكن لديهم زراعة بل كانوا يأكلون مما يحملونه من اراضي السلاف [1] وهم يعتمدون على سيوفهم ، « واذا ولد لرجل منهم مولود قدم إلى المولود سيفاً مسلولاً فالقاه بين يديه وقال له : لا أورثك مالاً وليس لك إلا ما تكسبه لنفسك بسيفك [2] » . ويضيف إلى ذلك بانهم ليس لهم عقار ولا قرى ولا مزارع بل ان مهنتهم المتاجرة بالسمور والسنجاب وأنواع أخرى من الفراء يبيعونها نقداً بالدنانير والدراهم ولا بد أن نلاحظ التضارب بين اشارته إلى أنهم لهم مدن كثيرة وبين قوله أنهم لا قرى لهم وهذا يعني ان معلوماته تشير إلى فترتين مختلفتين

ويبين ابن رسته ان للروس سيوفاً ممتازة هي السيوف السليمانية وقد تحدث البيروني عن طريقة معالجة حديد السيوف الروسية وعن مصدرها [3] وأشار مسكويه إلى روعة هذه السيوف وإلى « مضائها وجودها [4] »

ويحدث ابن رسته عن تماسكهم ، فاذا استنفرت طائفة منهم خرجوا جميعاً وقاتلوا متحدين ضد العدو وإذا اختصم اثنان ولم يوافق احدهما على حكم الملك في الخلاف احتكما إلى السيف ولجأت قبيلتاهما إلى القتال وهم يكرمون ضيوفهم ويحسنون إلى من يلوذ بهم . ولا يسمحون لاحد ان يسيء معاملتهم أو يعتدي عليهم وإذا استغاث بهم أحد في مكروه أو ظلم أعانوه ودفعوا عنه

وهم يحملون سيوفهم دائماً لان أحداً لا يثق بالآخر وقد عرفوا ببسالتهم وبقسوتهم المتناهية في الحرب وكانت غزواتهم عادة في القوارب والسفن .

---

(١) انظر Vernadsky, Origins p 191-2 عن طبيعة تكوين خاقانية آزوف

(٢) الاعلاق النفسية ص ١٤٥ (٣) صفة المعمورة ص ٦٨ و ص ١٠

(٤) مسكويه — تجارب الامم ج ٢ ص ٦٦

وإذا مات أحد كبرائهم حفروا له قبراً كبيراً مثل البيت الواسع ووضعوا فيه ملابسه وأسورته وكثيراً من الطعام والشراب وقدراً من النقود الذهبية والفضية وجعلوا امرأته المفضلة معه في القبر وهي حية ثم يرد عليها القبر فتموت هناك ويورد مسكويه معلومات مباشرة عنهم في سنة ٣٣٢ هـ في معرض حديثه عن حملتهم على سراغة ويقول « فكان إذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحه وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلامه ان كان يحبه على سنة لهم [١] »

ويذكر ابن رسته ان الروس كانوا يرتدون الثياب النظيفة ويتأنقون بملابسهم ويتزينون بالاسورة الذهبية ولهم سراويلات واسعة يتخذ الواحد منها في مائة ذراع « إذا لبسها اللابس منهم جمعها على ركبتيه وشدها عندها [٢] »

ويتحدث عن دور الاطباء بينهم فيقول « ولهم اطباء منهم يحكمون على ملكهم شبه أرباب لهم .. وإذا حكمت الاطباء لم يجدوا بداً من الانتهاء إلى امرهم » وهؤلاء يأمرونهم بتقديم الضحايا من البشر والكراع [٣] ويرى البعض في هذا النص اشارة إلى مجلس الحكم Volkhoy لدى الروس [٤]

نلاحظ ان ابن رسته يميز بين الروس والصقالبة (السلاف) . ويشير إلى أول دولة لهم « الخاقانية » ، التي تبدو دولة عسكرية وتجارية وهم يتاجرون بانتظام مع شعوب الفولجا ، وكانت سمكرز Samakars محطة لهم على دلتا نهر كوبان [٥] وليس لهؤلاء الروس زرع بل تجهزهم القبائل السلافية التابعة لهم بالحبوب والمواد الغذائية الاخرى ويفهم من غرديزي

(١) مسكويه — تجارب ج ٢ ص ٦٦ (٢) انظر الاعلاق النفسية ص ١٤٦

(٣) نفس المصدر ص ١٤٥ — ١٤٧ و ص ١٤٩

(٤) Vernadsky, Origins P. 19! 2

(٥) ابن رسته ص ١٤١ ، Vernadsky : Ancient Russia P. 283

أنهم كانوا يجمعون الضريبة من السلاف بصورة منتظمة وترد الاشارة إلى عاداتهم وبعضها غريب مثل تقديم الضحايا البشرية ودفن المؤن مع الموتى

وفي ابن رسته بعض التناقض . فهو يذكر أن الروس ليست لهم قرى ، ثم يرجع ويقول إنهم « لهم مدائن كثيرة » ، ولعل ذلك ناشيء عن اتصال المعلومات بفترتين مختلفتين ، بداية وتوسع[1] ويبدو أن المقدسي (٣٥٠هـ/٩٦٦م) ، صاحب البدء والتاريخ، أخذ من المصدر الرئيسي لابن رسته وأورد معلومات متسقة ، إذ يقول « وأما روس فانهم في جزيرة وبيئة تحيط بها بحيرة ، وهي حصن لهم ممن أرادهم وجملتهم في التقدير زهاء مائة الف انسان ، وليس لهم زرع ولا ضرع ، يتاخم بلادهم الصقالبة فيغيرون عليهم ويأكلون اموالهم ويسبونهم . قالوا وإذا ولد لاحد منهم مولود القى اليه سيف وقيل له ليس لك إلا ما تكسبه بسيفك ولهم ملك إذا حكم بين الخصمين بشيء فلم يرضيا به قال تحاكما بسيفكما فاي السيفين كان أحد كانت الغلبه له[2] »

هنا يعتبر المقدسي الجزيرة حصناً للروس من الطامعين ، ويبين أنهم يغيرون على جيرانهم الصقالبة فيأخذون منهم المواد الغذائية والسبي وهو يجعل عددهم مائة الف[3] ليس لهم زرع ولا ضرع ، واعتمادهم على السيف . ونحن لا نرى هنا اشارة إلى جباية ضريبة أو إلى مدن ومع كل هذا فانهم لهم كياسي

ويورد الاصطخري (٣١٨ ـ ٣٢١هـ/٩٣٠ ـ ٩٣٣م) في الاساس معلومات البلخي (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠ م) الذي كتب قبل ابن فضلان بقليل .

---

(١) الاعلاق النفسية ص ١٤٥

(٢) البدء والتاريخ ج ٤ ص ٦٦ وقد اقتبس ياقوت هذا النص وجاء فيه : « والصقالبة يغيرون عليهم ويأخذون اموالهم » مجعم البلدان ج٢ ص ٨٤٤ ويبدو لي ان هذا تحريف من النساخين

(٣) انظر E. I. (1) Rūs Vol. IV P. 1182

وهو يذكر ان الروس يسكنون بين البلغار (على الفولجا) وبين الصقالبة [1]
ويتاجرون مع الخزر والروم (البيزنطيين) ومع البلغار وهم كثيرون جداً بلغ من قوتهم
انهم ضربوا خراجاً على ما يلي بلادهم من بلاد الروم وعلى بلاد بلغار الداخل [2] ويميز
الاصطخري ثلاثة أصناف من الروس ، فيبدأ بالقريبين من البلغار ومقر ملكهم في كويابة
Kuyava (كييف) وهي مدينة اكبر من بلغار ويليهم الصلاوية وأقصى هذه الجماعات
هم الارثانية وعاصمتهم ارثا او أرتاب او اربا [3]

ويصل التجار (من المسلمين كما يبدو) الى مدينة كويابة ، ولكن لم يذكر ان أحداً
دخل أرثا لأن أهلها يقتلون كل من وطيء ارضهم من الغرباء ويتزل الارثانية بتجاراتهم
في قوارب ولا يخبرون أحداً بشيء من امورهم ومتاجرهم ولا يسمحون لأحد ان يصاحبهم
او يدخل بلادهم ويحمل من ارثا فرو السمور الاسود والرصاص [4] هذا وتجلب جلود
الخز والشمع والعسل من الاراضي الروسية [5]

ويتحدث الاصطخري عن بعض عوائدهم فيذكر ان الروس يحرقون الموتى ، ومتى
كانوا من المياسير أحرقوا معهم الجواري بمحض اختيارهن ويحلق البعض لحيته بينما
يسرح البعض الآخر لحيته فيمشطها ويجدلها في ذوائب [6] ولباسهم قصير وهو القراطق
القصار [7]

---

(1) مسالك الممالك ص ١٠

(2) ن م ص ٢٢٧ أنظر طبعة القاهرة نشر محمد جابر عبد العال الحيني ١٩٦١ ص ١٣٢

(3) الاصطخري ص ٢٥٥ — ٦

(4) ن م ص ٢٢٦

(5) ن م ص ٢٢١

(6) ن م ص ٢٢٧

(7) القراطق سراويل معروفة عند الشماليين وتسمى بلغتهم Kyrtil أنظر R. Frye Muslim World, Jan 1951 P. 32

ويلاحظ الاصطخري ان (روس) اسم للمملكة لا للمدينة ولا للناس ، وانلهم لسان خاص يختلف عن لسان الخزر وبرطاس [١]

ويتابع ابن حوقل الاصطخري مع اضافات محدودة فيذكر ان الصلاوية اتخذوا (صلا) عاصمة لهم[٢] ، وان ارثا تقع على نهر الروس (الدون) [٣] . ويؤكد ابن حوقل ان التجارة الروسية تأتي دوماً الى الخزر حيث يدفع التجار العشر ، كما ان التجار الروس يواصلون تجارتهم مع الروم [٣]

ان الاشارة الى الاصناف الثلاثة انما هي الى كيانات قبلية سبقت تكوين دولة روسيا القديمة Ancient Rus وهي دولة كييف فالاصطخري يذكر الاتحاد القبلي لـ Kuyavia ومركزه Kuyava أو كييف ويبدو ان القبلية الرئيسية هي بوليانه Polyane ، والمجموعة القبلية الثانية هي Slavia والسكانهم السلوفين Slovene في ارض نوفكرود والمركز مدينة نوفكرود . والمجموعة الثالثة Artania ارثانية وهي كما يبدو تشير الى الروس حول بحر آزوف والبحر الأسود[٥] وقد سبق ان اشرنا الى أقوال الجغرافيين العرب عن وجود الروس على البحر الاسود

---

(١) الاصطخري ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢

(٢) صورة الارض ص ٣٩٧

(٣) ن م ص ٣٨٦

(٤) ن م. ص ٣٩٧ — ٣٩٨

(٥) انظر A. Gerkov - Kiev Rus P. 597-8 هنـاك آراء أخرى حول أرثا فيرى (فرين) Fraehn ان الارثانيين هم الفنلنديون (Mordvan) والمدينة هي ارزيا Erzya . مينورسكي يرفض هذا ويرى أنهم ur (à) man أو Northmen (الشماليين) وفي الروسية Marman أو النرويجيين بالدرجة الاولى أنظر Minorsky A History of Shervan and Darband P. 110-111 ويرى V. A Mosin ان المدينـة هي تموتوروكان في شـبه جزيرة تمان على الازوف أنظر Vernadsky - origins P. 196 ff

ويبين ابن حوقل ان التجارة الروسية تأتي دوماً الى الخزر ، وكان على التجار فيما يوردونه نحو العشر من أموالهم ويبين ان الذي يحمل من الخزر من العسل والشمع والوبر (الفرو) انما يحمل اليهم من ناحية الروس وبلغار ، وكذلك جلود الخزر [1] .

كما ان الروس يتجرون مع الروم وبلغار الأعظم ويحمل من ارثا السمور السود والثعالب السود والرصاص وبعض الزيبق [2]

ويشير ابن حوقل الى مآثرهم الحربية في زمنه ، وسنرجع الى ذلك . ويبين انهم اخربوا بلغار والخزر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨م ومن دلائل توسعهم في زمنه انه يذكر الأراضي التي توسعوا اليها ويسميها بلاد الروس ثم يذكر من عوائدهم ولباسهم ما أورده الاصطخري [3] (وكان ابن حوقل معاصراً لسفياتوسلاف Svyatoslav (ت ٩٧٢م) ملك مملكة كييف).

ومن المفيد أن نذكر كلمة عن طرق التجارة فقد كان التجار يأتون إلى البلطيق بطريق المجرى الأعلى للفولجا وفروعه ، وآخر نقطة للتجار غرباً هي جزيرة جتلندة في البلطيق حيث وجدت كميات كبيرة من النقود العربية تعود إلى ما بين القرنين التاسع والحادي عشر وتأتي التجارة الى الخزر على الأكثر بطريق الفولجا الى مدينة سمندر واتل (قرب استراخان) في أرض الخزر . وأصبح الطريق من البلطيق الى البحر الاسود في القرن التاسع مهماً للتجارة وهو طريق طويل من البلطيق الى النيفا Niva إلى بحيرة لادوجا ومنها في نهر فولخوف إلى بحيرة المن ولوفات Lovat ومن أعالي الدنيبر الذي يجري الى البحر الاسود [4]

لننظر الآن إلى ابن فضلان (٣٠٩-٣١٠هـ/٩٢١ - ٩٢٢م) فهو يعطي معلومات مباشرة

---

(١) صورة الارض ص ٣٩٢

(٢) ن م ص ٣٩٧

(٣) ن م ص ٣٨٦ ، وص ٣٩٧ .

(٤) Gerkov - Kiev Rus P. 589

عن التجار الروس الذين رآهم لدى بلغار الفولجا وهو يبين أن مدينة البلغار على بعد فرسخ من اتل [١] ثم يتبين بعدئذ انه يقصد باتل النهر العظيم الذي يصب إلى بلاد الخزر وهو نهر (الفولجا) إذ انه وجد ملك البلغار في منطقة قريبة من النهر المذكور على بعد فرسخ [٢] وكان البلغار في أعالي الفولجا قرب خط عرض ٥٣ [٣]

تحدث ابن فضلان عن الروس ، وجلب انتباهه صحة ابدانهم إذ يقول : « فلم ار اتم ابداناً كأنهم النخل شقر حمر » وهم لا يلبسون القراطق ولا الخفاتين « ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على احدى شقيه ويخرج احدى يديه منه [٤] » ويحمل كل رجل سيفاً وسكيناً وفأساً (وهي الفأس النورسية) وسيوفهم عريضة « صفائح مشطبة افرنجية » وهم يزينون اجسامهم بالوشم من العنق إلى اظفار القدمين فيرسمون الاشجار والصور وغير ذلك [٥]

وتحمل كل امرأة حُقّة (للعطور) مشدودة على ثديها ، وتصنع من حديد أو نحاس أو فضة أو ذهب « على قدر مال زوجها ومقداره » ، وفي كل حقة حلقة تربط اليها سكينة وتشد على الثدي أيضاً وهن يزين اعناقهن باطواق من الفضة والذهب ، وعددها يتناسب مع ثروة الزوج ، فكل عشرة آلاف درهم يملكها الرجل يقابلها طوق يصوغه لامرأته ، ولذا فربما كان في عنق المرأة الواحدة أطواق كثيرة .

وينتقد ابن فضلان التجار الروس لقلة نظافتهم ولعدم اعتنائهم بالاغتسال وهم يكثرون

---

(١) رحلة ابن فضلان (ط . طوغان) ص ٢٦

(٢) ن . م ص ٣١

(٣) انظر P. Kovalevsky - Atlas Historique et culturelle de la Russie et du Monde Slave, Paris 1961 plate IV

(٤) يبدو ان الكلمة القديمة هي Nottalor SIKKIA انظر R. Frye opt. cit p. 32

(٥) الرحلة (ط سامي الدهان) ص ١٤٩ — ١٥٠ ، و ط طوغان ص ٣٦

من شرب النبيذ صباح مساء [1]

ويأتي هؤلاء التجار في سفنهم ويرسون في نهر (اتل) ويبنون على شطه بيوتاً كبيرة من الخشب ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والاقل والاكثر ومعهم الجواري (للبيع) ولكل منهم سرير

ثم يصف احترامهم للصور الخشبية وتقديسهم لها وتقديمهم الهدايا لتيسر لهم بيع تجاراتهم ، ومتى باعوها ضحوا الاضحيات لهذه الصور [2] ومن الواضح أن هؤلاء وثنيون. واذا تمرض احدهم اقاموا له خيمة في ناحية ووضعوا معه شيئاً من الطعام من خبز وماء ويتركونه لوحده وخاصة اذا كان فقيراً أو عبداً ، فاذا شفي عاد اليهم واذا مات أحرقوه ، واما العبد فيترك للكلاب والجوارح [3]

ويشير إلى كرههم للسرقة ، فاذا امسكوا بلص أو سارق شدوا حبلاً في عنقه وعلقوه على شجرة وتركوه عليها حتى يتلف [4]

ويسهب ابن فضلان في وصف مراسيم حرق الموتى وما يترك من مؤنة ومتاع مع الميت وإذا مات احد رؤسائهم أحرقوه مع من يرغب من عبيده رجالاً ونساء وا كثر ما يفعل ذلك الجواري ويصف مشهد سفينة أحرق عليها ميت مع الاضاحي حوله وطريقة قتل من يرغب أن يحرق معه بالخنق والطعن وكانت العادة ان يشعل النار أقرب الناس إلى الميت ، فاذا تعالى الدخان فان مصير الميت أسعد ، والجنة بنظرهم « حسنة خضراء [5] » .

ويعتقد الروس أن أرواح أعدائهم الموتى تلاحقهم إلى العالم الآخر ولذا فانهم يقتلون انفسهم

---

(١) الرحلة (ط الدهان) ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ وكذا ط طوغان ص ٣٦

(٢) ن م (ط الدهان) ص ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ وكذا ط طوغان ص ٣٦ — ٣٨

(٣) ن . م (ط الدهان) ص ١٥٤ — ١٥٥ وكذا ط طوغان ص ٣٨

(٤) ن م (ط الدهان) ص ١٥٥ وط طوغان ص ٣٨

(٥) ن م (ط الدهان) ص ١٥٦ — ١٦٥ وكذا ط طوغان ص ٣٨ — ٤٢

حين يحسون بخطر تعرضهم للأسر ويؤيد ذلك مسكويه [1]

ويحيط بملك الروس اربعمائة رجل من « صناديد اصحابه » وهم يموتون بموته ويقتلون دونه ولكل منهم جاريتان واحدة للخدمة والاخرى للفراش وهم يحيطون بسرير الملك وهو سرير عظيم مرصع بنفيس الجواهر وللملك خليفة « يسوس الجيوش ويدافع الاعداء ويخلفه في رعيته [2] »

ونلاحظ أن ابن فضلان يتحدث عن « ملك » الروس ، ويبدو أن هذا يتصل بانتهاء فترة الخاقانية ككيان متميز بعد قيام دولة كييف وبهذه المناسبة نذكر أن ابن فضلان يسمى ملك البلغار « ملك الصقالبة » وهو محق في ذلك فالمسعودي يقول عن البلغار « وهم نوع من الصقالبة [3] »

ويعطي المسعودي ، وهو مؤرخ وجغرافي في « مروج الذهب » (٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م) وفي « التنبيه والاشراف » (٣٤٥ هـ / ٩٦٥ م) معلومات جديدة مستقلة

يبين المسعودي ان « بحر نيطس هو بحر البرغر والروس وغيرهم من الامم » ثم يقول في محل آخر « ان .. بحر مايطس (الآزوف) ونيطس (الاسود) .. هو بحر البرغر والروس [4] » ولكن فكرته عن مايطس غير دقيقة إذ يقول « ويتصل (نيطس) ببحيرة مايطس وطولها ثلاثمائة ميل وهي في طرف العمارة من الشمال وبعضها تحت القطب الشمالي » ان فكرته ليست واضحة عن مايطس (الآزوف) من ناحية السعة أو الامتداد فهو

---

(١) تجارب الامم ج ٢ ص ٦٧

(٢) الرحلة (ط الدهان) ص ١٦٥ وكذا ط طوغان ص ٤٢

(٣) حاول كل من مينورسكي في كتابه History of Shervan P. 109-110 وزكي وليدي طوغان في ZDMG 1936 P. 22 اعطاء تفاسير اخرى بعيدة انظر المسعودي التنبيه ص ١٤١

(٤) المسعودي — مروج الذهب ج ٢ ص ٢٤ — ٥

يسميه مرة بحراً ومرة بحيرة ويراه يمتد إلى تحت القطب الشمالي ولعل هـــذا الغموض يساعد على فهم نص آخر له يبدو عليه الارتباك يقول المسعودي « وفي اعالي نهر الخزر (الفولجا) مصب يتصل بخليج من بحر نيطس وهو بحر الروس لا يسكنه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحله [١] » . فلا يمكن أن يكون بحر الروس هو بحر نيطس لان المسعودي نفسه أوضح أنه بحر لهم ولغيرهم ثم أن نهر الخزر يصب في بحر الخزر (بحر قزوين) فلا بد أن تكون الاشارة لنهر آخر ، والعرب يعرفون نهر تنيس (الدون) الذي يقرب في اعاليه من نهر الفولجا كل هذا يعني ان المسعودي يقصد نهر الدون الذي يصب في بحر آزوف ويمكنه أن يسميه بحر الروس ، والذي سماه ابن الفقيه بحر الصقالبة ، اشارة لفترة أسبق واذن فبحر الروس عند المسعودي هو بحر آزوف وليس بحر البلطيق كما ظن بعض الباحثين [٢]

ويعطي المسعودي تفسيراً لـكلمة روس ، فيقول « والروم تسميهم روسيا يعني الحمر » وهـــذه اشارة طريفة ينفرد بها [٣] ويبين أن الروس « امة عظيمة لا تنقاد إلى ملك ولا شريعة » ، ثم يوضح بانهم « امم كثيرة ذات انواع شتى فيهم جنس يقال لهم اللوذعانة (الـكوذكانه في التنبيه) وهم الاكثر يختلفون بالتجارة إلى بلاد الاندلس ورومية والقسطنطينية والخزر [٤] » وهذه اشارات شاملة للروس وللشماليين ، والى ان هؤلاء لهم شيوخ وامارات لا تنتظمها دولة واحدة

---

(١) ن م ج ٢ ص ١٥

(٢) انظر البيروني ـ صفة المعمورة ص ٨٣ و ص ٤ ، وانظر مينورسكي في E. I (1) IV 1183

(٣) التنبيه والاشراف ص ١٤١ : قارن برأي المدرسة السلافية، الصفحة الاولى من هذا المقال

(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ١٥ ، ص ١٨ : التنبيه والاشراف ص ١٤١ يرى مينورسكي احتمال كون الاسم (الـكوذكانه) هو نفس الاردمان أو Nordman لدى عرب الاندلس ويبدو انهم الشماليون (أو النورمان) .

ويذكر المسعودي ان الروس يتاجرون مع بلاد البرغر (البلغار) وان معدن الصفة كثير في بلاد الروس [1] ويظهر من اخباره أن تجارة الروس كانت نشطة عبر بحر ما يطس ونيطس الى خليج القسطنطينية ، أو إلى بلاد الخزر ، وبالعكس عبر مايطس ونيطس الى بلاد الروس كما أنه يشير الى شعور البيزنطيين بخطرهم ، فيبين انه يوجد في اعالي خليج القسطنطينية (بحر مرمرة) « عمائر ومدينة للروم تدعى مسناة تمنع من يرد من ذلك البحر (آزوف والاسود) من مراكب الروس وغيرها » أو في نص آخر « من مراكب الكوذكانة وغيرهم من اجناس الروس » [2] ويبدو انه يشير الى ما بعد القرن التاسع للميلاد .

ثم يتحدث المسعودي بتفصيل عن حملة الروس على الاراضي المجاورة لبحر قزوين بعد الثلثمائة وما سببوه من رعب وخراب [3]

ويبين المسعودي انه يوجد سلاف وروس في مملكة الخزر ، وانهم « جند الملك وعبيده » وهم يسكنون في أحد جانبي مدينة (اتل) ولهم قاض من بينهم « يحكم بحكم الجاهلية » ثم يتحدث عن عاداتهم في احراق الموتى ويقول « ويحرقون موتاهم ودوابهم والآلة وحلية . واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة واذا ماتت المرأة لم يحرق الرجل واذا مات منهم عزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن في تحريق انفسهن لدخولهن عند انفسهم الجنة [4] » والمسعودي هنا يتحدث عن الروس قبل تنصرهم

ولا بد أن نبين أن المسعودي يجمع في اخباره بين معلومات مباشرة استقاها من

---

(١) المروج ج ٢ ص ١٥

(٢) المروج ج ٢ ص ٢١٧ ، التنبيه ص ١٤٠ — ١٤١

(٣) المروج ج ٢ ص ١٨ وما بعدها

(٤) المروج ج ٢ ص ٩ ، ١١ ، ١٢

التجار والمسافرين الذين يعرفون الاراضي السلافية والذين قابلهم في بغداد أو في الاراضى المجاورة لبحر قزوين [١] وبين معلومات قديمة ، وجل معلوماته جديدة ومتينة

ويورد مؤلف (حدود العالم) (٣٧٢هـ / ٩٨٢م) معلومات أخذها في الأساس من المصادرالسابقة (ابن خرداذبة ، ابن رسته، الاصطخري، ابن فضلان) منسقة بشكل جديد . فهو يذكر أن بلادالروس واسعة جداً وان الطبيعة حبتها بكل ضرورات الحياة . ويبين أن الروس جفاة بطبعهم وفيهم عناد وغطرسة ، يميلون للشجار ، وهم محاربون اشداء يقاتلون جميع الكفار حولهم وينتصرون عليهم ، وبينهم جماعة تمارس الفروسية ، وللاطباء حرمة بينهم . وهم يدفعون عشر غنائمهم وارباح تجارهم سنوياً للسلطان ويدعى ملكهم خاقان الروس وتعيش وسطهم جماعة من السلاف يخدمونهم

والروس يخيطون من نسيج القطن سراويل يستهلك الواحد منها حوالي مائة ذراع وحين يرتدونها يزررونها فوق الركبة ويرتدون قلانس صوفية لها ذيول تتدلى وراء الرقبة

وأورد المؤلف معلومات عن مدنهم هي عين معلومات الاصطخري ولكنه يعطي صورة أخاذة لسيوفهم فيذكر ان (ارتاب) تصنع سيوفاً وحراباً نفيسة يمكن ان تطوى تماماً ثم تعود إلى وضعها عند رفع اليد عنها [٢]

ويحاول المؤلف أن يصف الدون والفولجا ، كما يحاول أن يعطي حدود البلاد الروسية بالاشارة إلى العوارض الطبيعية من جبال وانهار وبالاشارة إلى الاقوام المجاورة ولكنه مضطرب في ذلك [٣]

ويعطي الادريسى معلومات جديدة عن الروس ، وقد وضع المعلومات القديمة جنب

---

(١) يقول المسعودي : « فلم ار فيمن دخل بلاد الخزر من التجار ومن ركب منهم في بحر مايطس ونيطس الى بلاد الروس» ج٢ص ٢١٧ وانظر al-Mas'ùdI : Millenery Commemoration Volume (Aligrah Muslim univ) 1960 P. 11 off, p 14 off

(٢) Hndûd al-'Alam P. 159

(٣) ibid p. 432 off, esp. P. 436-7

الجديدة كما فعل غيره فهو يكرر المعلومات المألوفة عن حرق الموتى بين الروس ، وعن ملابسهم واشكال لحامم ، وعن تقسيمهم إلى ثلاثة اصناف

ويبين أن روسيا تقع في الاقليم السابع ، في القسمين الرابع والعاشر ولكن الجزء الاهم منها يقع في القسم الثاني وهو يشير إلى اراضى المراعي وإلى قرى مهجورة وإلى الثلج ويتحدث عن مدن روسية مثل هلمجارد ، Novgorod) وهي مدينة كثيرةالسكان تقع على جبل صعب المرتقى واهلها يتسلحون خوفاً من اللصوص (من الروسية) . ويذكر (مولينشقطة Smolensk) وهي على نهر ديسنا Desna ومدينة سنبولي Snovsk وهما مدينتان عامرتان

ثم يبين الادريسى أن بلاد الروس شاسعة ، وان القسم الخامس من الاقليم السابع يحوي القسم الشمالي من بلاد الروس ويشمل الحوض الاعلى لنهر الدنيبر والخط الساحلي لشبه جزيرة كولا (Kola) وهذا الجزء ضيق ومحصور بين جبلين [1]

وإذا استثنينا الادريسي فاننا لا نكاد نجد أية معلومات جديدة بعـــد القرن الحادي عشر للميلاد .

لقد اعتمد عوفي (قبل ٦٢٣ هـ / ١٢٣٦ م) في كتابه (جامع الحكايات) على معلومات المروزي (٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م) واضاف اليها معلومات متأخرة فهو يصف موطن الروس بانه في جزيرة في البحر ، ويبين انهم يعتمدون على السيف ، ويشير إلى عاداتهم في الارث فاذا توفي رجل وخلف ابناً وبنتاً فانهم لا يعطون الابن إلا السيف ، ثم يضيف إلى ذلك بقيــة معلومات ابن رسته

(١) انظر كراتشكوفسكي تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج١ص ٢٧٩ ـــ ٢٩٤ وقد استفدت من مخطوطتي باريس واكسفورد ومن ترجمة Joubert(مجلدان باريس ١٨٣٦ ـــ ١٨٤) ج ٢ ص٢٩٥ـ ٢٩٨ ، ٤ ـــ ٢ ، ٤

ويذكر عوفي أن الروس اعتنقوا المسيحية في سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ويبين أن ملكهم (بلدامير) Vladimir نصرهم ويضيف إلى ذلك أنهم اغمدوا سيوفهم، ثم وجدوا أنهم لا يستطيعون العيش دون حروب، فندموا وأرسلوا إلى الخوارزمشاه وفداً عارضين اعتناق الاسلام لان الجهاد ركن فيه فرحب بهم الخوارزمشاه وأكرمهم وأرسل معهم اماماً يعلمهم مبادىء الاسلام ويذكر أن غزواتهم كانت في سفن، يهاجمون في البحر كل من صادفهم وهم أقوى من الشعوب الأخرى إلا أنهم لا خيل لهم ولو كانت لهم خيول لغلبوا كثيراً من الأمم (١)

ويقدم ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) في معجم البلدان معلومات مقتبسة من اسلافه فيبدأ بفقرة من المسعودي، ويورد ما جاء في كتاب البدء والتاريخ للمقدسي بنصه، ثم يأخذ اقتباساً طويلاً من رحلة ابن فضلان (٢)

ويورد القزويني (ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م) في كتابه (اثار البلاد) بعض المعلومات عن الروس ولكنها مرتبكة لا تجدي عدا ما أورده عن بحر ورنك (البلطيق)، وهو يسمى بحر نيطش بحر الروس (٣)

ويقدم ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦ م) في كتابه (بسط الارض) معلومات قليلة فيبين أن بحر مانيطش (الآزوف) فيه جزائر يسكنها الروس ، « وهم الآن على دين النصرانية » ويبين أن هذا البحر يدعى بحر الروس، ويذكر أن الروس لهم مدن كثيرة على بحر نيطش ومانيطش

ثم يشير ابن سعيد إلى مدينة (روسيا) ويسميها « قاعدة الروس »، ويبين أنها على ضفة

---

(١) R. Frye - Muslim World 1950 P. 21 22

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٨٣٤ وبعدها

(٣) آثار البلاد واخبار العباد (بيروت - ١٩٦٠) ص ٦١٢، ص ٦١٧ .

نهر يخرج من بحيرة طوما الكبيرة ويصب في البحر الاسود ، وهذا ارتباك فهي على مشارف نهر يخرج من بحيرة طوما (بحيرة المن) ، ويخلط بين نهر لوفات Lovat ونهر الدنيبر الذي يبدأ بتلال (فلداى) Valdai القريبة من نهر لوفات ويعطي موقع مدينة روسيا بخطوط الطول والعرض . واخيراً يقول عن الروس « وهم خلق كثير من اشجع خلق الله وفي وجوههم طول [1] »

ويقدم الدمشقي (٧٢٢هـ/١٣٢٦م) معلومات منقولة في الغالب ممن سبق ولكنه نسقها حسب اجهاده فيبين أن الروس ينتسبون إلى مدينة اسمها (روسيا) على شمال بحر الروس. وهو أقل دقة من ابن سعيد في هذا ، إذ أن الاشارة تتجه إلى مدينة Staraya Russa وهي قريبة من بحيرة (المن) Ilmen إلى الجنوب منها [2] ويذكر ان نيطس أو البحر الاسود هو بحر الروس ، ويقول « وبجزايره امة تسمى الروسية » وأنهم نصارى . ولكنه غير واضح بالنسبة لموضع هذا البحر ويعكس الارتباك الحاصل في الروايات فيذكر ، على قول ، ان بحر نيطس « بحر مستقل بنفسه يخرج من خليج القسطنطينية ويصب في بحر الروم » ، وهذا يصدق على البحر الاسود ثم يعود ويورد قولاً آخر هو « ويقال إنه خليج يخرج من البلطيق على ظهر بلاد الصقالبة ، وظهر بلاد البلطيق .. الخ » وهذا يصدق على بحر البلطيق وهو يعترف بانه يردد اقوال « المعنيين بعلم ذلك [3] »

---

(١) ابن سعيد المغربي : بسط الارض في الطول والعرض ص ١٣٦ ، انظر كراتشكوفسكي ج ١ ص ٣٥٨

(٢) الدمشقي — نخبة الدهر ص ٢٦١ ويضيف عن أصل الروس « ويقال أنهم ينتسبون الى روس ابن ترك بن طوج » ، كما قال المسعودي

(٣) المسعودي يقول عن نيطس « وهو بحر الروس لا يسلكه غيرهم » ج ٢ ص ١٥ وانظر ج ٢ ص ٢١٧ وج ١ ص ٢٧٣ البيروني يسمى البلطيق بحر ورنك (صفة المعمورة ص ٨٣) ويشير اليه أيضاً بحر الصقالبة ، ويبين أن الروس على بحر نيطس (الاسود) ن م ص ٤ ابن الفقيه يسمي =

ويبين الدمشقي أن الروس لهم جزائر في بحر مانيطس (الآزوف) يسكنونها ، ولهم مراكب حربية يقاتلون عليها الخزر ، وهذا أقرب للدقة مما أورده عن جزر في البحر الاسود.

ثم يتطرق إلى طريق تجارهم وحملاتهم ، فهم يسيرون في فرع للفولجا يجري إلى البحر الاسود وعند وصولهم إلى النهر الرئيسي (الفولجا) ينزلون إلى بحر قزوين وهذا يحتاج إلى توضيح إذ يبدو أنه يعتبر نهر الدون فرعاً لنهر الفولجا إذ يذهب الروس في الدون من بحر آزوف ثم ينتقلون إلى الفولجا ويسيرون فيه إلى بحر قزوين

ويبين أن الروس كانوا مجوساً ثم تنصروا ، ويورد رواية ابن الأثير عن سبب تنصرهم عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م [(١)] يقول ابن الاثير « وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا ارمانوس وهما باسيل وقسطنطين وضيق عليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه باخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها إلى من يخالفها في الدين فتنصر وكان هذا أول النصرانية بالروس [(٢)] »

من هذا يتضح أن الدمشقى جمع المعلومات المتيسرة بما فيها من اضطراب وقدمها بامانة.

ولم يورد أبو الفداء في تقويم البلدان (٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) من جديد يستحق الذكر ، ولكن وجهته لها دلالتها فهو يبين أن بلاد الروس شمالي العمارة ، وأنهم شمال مدينة (بلغار) ، ويشير إلى قوم شمالي الروس « يبايعون مغايبة » يتصلون بساحل البحر الشمالي وقد أخذ معلوماته عن « بعض من سافر إلى تلك البلاد [(٣)] » ثم يذكر مدينة (روسيا) Staraya Russa ويبين أنها في شمال الاقليم السابع، وقد نقل معلوماته عنها من ابن سعيد.

= الازوف بحر الصقالبة (ص ٢٧٠ — ١) القزويني يسمى بحر آزوف بحر الروس ، وبحر البلطيق بحر ورنك (ص ٦١٧) أبو الفداء يبين ان للروس عمائر كثيرة على بحر نيطس (الاسود) ص ٢٢٢ — ٣ ابن الوردي يرى مبدأ نيطش من البحر الشمالي وانه يتصل ببلاد الروسية ص ٨١

(١) الدمشقي ص ٢٦١ — ٢٦٢

(٢) الكامل ج ٩ ص ٣١ (٣) تقويم البلدان ص ٢٠١

كما اشار إلى (كوتابا) أو كويافه Kuyava (كييف) « مدينة الروسية » ويجلب انتباهنا قوله « ولهم (للروس) على بحر نيطش عمائر كثيرة خاملة الاسماء [1] » . وهـذا يشعر بتحول مركز الفعالية الروسية من البحر الاسود إلى منطقتي كييف ونوفكرود واضاف بان الخزر افناهم الروس [2]

وحين نصل ابن الوردي (ت ٨٥٠هـ/١٤٢٦م) نجد محاولة اخيرة لجمع المعلومات وتنظيمها فهو يتحدث عن أرض الروس ويبين أنها « أرض واسعة الاقطار إلا أن العمارات بها متقطعة لا متصلة وبين البلد والبلد مسافة بعيدة » ثم يصف أرضهم الرئيسية ويقول « وأرضهم بين جبال محيطة بها وتخرج من هذه الجبال عيون كثيرة تقع كلها في بحيرة تعرف بطوهي [3] وهي بحيرة كبيرة في وسطها جبل عال فيه وعول كثيرة ومن طرفها يخرج نهر ديانوس » وهـذا الوصف ينطبق بوضوح على منطقة نوفكرود ، منطقة البحيرات الوسطى ، ويبدو أن البحيرة هي بحيرة (إلمن) Ilmen التي تتصل بها اراض واطئة من المباخس ويبدو أنها تتسع في موسم الامطار وأما النهر المشار اليه فيحتمل أن يكون نهر دوينا الغربي ، ولـكن الارجح بالنسبة لمعلومات الجغرافيين العرب اعتباره نهر الدنيبر [4]

ويذكر ابن الوردي أن بحر نيطش (الاسود) هو بحر الروس ، وأن الروسية على ساحله الشمالي [5] ويبين في محل آخر أن الروس بين بلغار والصقالبة ويشير إلى قصر النهار عند الروس في الشتاء إلى ثلاث ساعات ونصف ويستشهد على ذلك بقول الجواليقي الذي شهد ذلك في بلادهم [6] وهذا يعني أن ابن الوردي يتحدث عن مراكز الروس شمال البلغار في منطقة نوفكرود ، وفي منطقة كييف ، وعلى ساحل البحر الاسود

---

(١) ن م ص ٢٢٢ — ٢٢٣ (٢) ن م ص ٢٠٣

(٣) انظر ابن سعيد ص ١٣٦ حيث يتحدث عن البحيرة ويسميها طوما ، ويتحدث عن النهر ايضاً

(٤) خريدة العجائب ص ٢٢

(٥) ن م ص ٨١ (٦) ن م ص ٨

وفي حين يورد معلومات المسعودي حين يقول عن الروس « وهم امم عظيمة لاينقادون لاحد من الملوك ولا لشريعة من الشرايع » يشير أيضاً إلى الطوائف الثلاثة للروس كما جاء في الاصطخري ويبين أخيراً أن الروس اكتسحوا بلغار واتل (مدن الخزر) سنة ٣٥٨ وفق اشارات ابن حوقل

ان استعراض معلومات الجرافيين العرب ، يعطي فكرة عن بدايات الدولة في روسيا وعن التطور السياسي ، وان كان ذلك لا يخلو من اضطراب . فقد عرف الجغرافيون العرب بدايات الفعاليات التجارية للصقالبة ومنهم الروس ، كما ينعكس ذلك في ابن خرداذبة وابن الفقيـــه والمروزي كما تركزت معلوماتهم الاولى على نشاط الروس التجاري بين البحر الاسود وآزوف إلى الفولجا وبحر قزوين

ويكشف الجغرافيون العرب عن تكوين أول دولة للروس وهي خاقانية آزوف ، وهذا ما لا تذكره المصادر الروسية الاولى ، خاصة وان اقدمها يرجع إلى نهاية القرن الحادي عشر للميلاد

وقد انتبه الجغرافيون العرب إلى الطابع القبلي للروس في الفترة الأولى ، وإلى أنهم يعتمدون على التجارة والحرب في حياتهم العامة

ثم يتحدثون عن الاصناف الثلاثة للروس ، وهم يشيرون بذلك إلى اتحادات قبلية تتركز حول مدينة من المدن ، وسموا ثلاثة مراكز لاتحادات ثلاثة هي نوفكرود وكييف وارتا (قرب آزوف) ويبدو انه كان لـكل من هذه المدن كيانها الذاتي في تلك الفترة ، ولـكل رئيس

ولم يميز العرب بين الشماليين (الورنكيين) وبين الروس ، إذ أن الشماليين كانوا يجهزون المقاتلين الاجراء (المرتزقة) ، ولم يعرفوا كيف توصل بعض هؤلاء إلى السيادة وأصبحوا سادة بعض المدن

وقد أشار العرب إلى ملوك هذه المدن الثلاثة ، ثم أخذوا يتحدثون في القرن الرابع عن ملك الروسية ، والاشارة في ابن الأثير واضحة إلى الملك الذي استنجد به البيزنطيون ، امير كييف الذي وحد منطقتي نوفكرود وكييف وامتد سلطانه إلى البحر الاسود ، وهو Vladimir (٩٧٨ — ١٠١٥) الذي ازدهرت في عصره مملكة كييف [١] .

وقد لاحظ الجغرافيون العرب انتقال الروس من المجوسية (عبادة الصور والاوثان) إلى النصرانية ، واشاروا إلى البدايات في القرن التاسع والى تنصر ملكهم فلاديمير في أواخر القرن العاشر وشيوع النصرانية بينهم .

وقد كان ابن الاثير قريباً من الدقة حين جعل السنة ٩٨٥ م سنة تنصر فلاديمير ، وحين أوضح ظروف التنصر إذ يبدو أنه في سنة ٩٨٧ م وجدت القسطنطينية نفسها مهددة بثورة في آسيا الصغرى اعلنت Vardas Phokas امبراطوراً ، فاستنجد الاخوان باسيل وقسطنطين الامبراطوران بامير كييف Vladimir فوافق على النجدة مقابل يد الاميرة آن اختهما فوافقا على أن ينتصر هو وقد وافق فلاديمير وتنصر في نهاية سنة ٩٨٧ م مع ولده وشعبه [٢]

وانتبه الكتاب العرب ، من جغرافيين ومؤرخين إلى حياتهم العسكرية وخاصة في منطقة بحر قزوين وهذا مكنهم من تقديم معلومات مباشرة عن قابلياتهم وادوات قتالهم ومراكبهم وعاداتهم

ويلاحظ أن الجغرافيين المتأخرين ركزوا معلوماتهم على منطقة نوفكرود وكييف ، دون منطقة بحر آزوف والاسود ، فكثرت اشاراتهم إلى مدينة روسيا ومدينة كويافه (كييف) ، وقد جاءت بعض معلوماتهم من تجار أو مسافرين بعد القرن العاشر وان كانت قليلة

---

(١) انظر J. Blum = Lord and Peasant iu Russia P. 13-'4

(٢) Kovalevsky - Atlas P. 18, p. 31

ويبدو لي أن معلومات الادريسي تحتاج إلى دراسة خاصة وتحليل واف لتحديد دلالتها ولتوضيحها

ويؤخذ على الجغرافيين العرب المتأخرين جمعهم للمعلومات من فترات مختلفة واغفال التدرج التاريخي وان كان ذلك مظهراً لامانتهم العلمية

وقد حاولت في هذه الدراسة أن أعرض مضمون النصوص العربية ودلالتها . وكان ضرورياً أن اشير إلى آراء الباحثين من روس وغيرهم خاصة وأن هذه النصوص لها أهمية خاصة ودور بارز في دراسات الباحثين الغربيين ولكني لم أظفر بجميع تلك الدراسات لعدم توفرها هنا بل اطلعت على خلاصات ونتف منها ، كما ان بعضها بلغات لا أعرفها كالروسية والهولندية ولكني أرجو أن أكون ساهمت في الموضوع باستيفاء النصوص العربية وبتوضيح دلالتها بعد أن وضعت اطاراً عاماً لبدايات تكوين الدولة في روسيا حسب الدراسات الحديثة

ملحق — نشاط الروس العسكري : تنصب بعض معلومات المؤرخين والجغرافيين على فعاليات الروس العسكرية وهي معلومات مهمة ويرد أقدم تقرير اسلامي عن اكتساح الروس للساحل الجنوبي لبحر قزوين في فترة حكم الحسن بن زيد العلوي في طبرستان (٢٥٠ ـ ٢٧٠ هـ / ٨٦٤ـ٨٨٤ م) حين هاجم الروس ابسكون في الزاوية الجنوبية الشرقية لبحر قزوين ، ولكنهم ابيدو

وفي سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م وصل الروس في ست عشرة سفينة وهاجموا نفس الساحل ولكنهم صدوا ثانية وهزموا

وفي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م تقدم الروس بأعداد كبيرة وهاجموا (سارى) ولكنهم هزموا في جيلان إذ أحرقت بعض سفنهم وتراجع الباقون[١] ولا بد وان هذه الحملة كانت بعد مجيء إيغور igor إلى الحكم ويرى البعض إن هذه هي الحملة التي يصفها

(١) ابن أسفنديار — تاريخ طبرستان ـــ المختصر بالانكليزية G. M. S. ص ١٨٩

المسعودي بتفصيل ويبين المسعودي ان الحملة كانت بعد سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م في زمن حكم شيروان شاه علي بن هيثم [1]

ولدينا تفاصيل عن الغزو الروسي في سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣م في زمن المرزبان المسافري حين صعدوا في نهر الكر واستولوا على برذعة وقد جاء التقرير عن هذه الحملة وعن بعض عادات الروس وعن اسلحتهم في مسكويه بشيء من التفصيل [2] ، كما أورد ابن الأثير مختصراً له [3]

وعرف العرب حملة سفياتوسلاف Svyatoslav أمير كييف ضد شعوب شرق أوربا ، من البلغار و برطاس والخزر [4] ويبدو إن هذه الحملة أربكت حياة القبائل المحلية كلياً ، كما ان مملكة الخزر التي كانت يوماً عظيمة لم تنهض بعد هذه الحملة المدمرة ، إذ اكتسح الروس بلغار وخزران وأتل وسمندر

ولدينا تقرير قيم عن أثر هذه الحملة لدى ابن حوقل الذي كان عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م على الساحل الجنوبي لبحر قزوين في جرجان وقد وضع ابن حوقل تاريخ هذه الحملة سنة ٣٥٨هـ ٩٦٩ م بدل ٩٦٥ كما جاء في المصادر الروسية ، ويبدو ان معلوماته مأخوذة من تحرياته في جرجان [5]

ثم وصلتنا معلومات من تاريخ الباب ، الذي يشير الى الحملات الروسية حتى القرن الحادي عشر للميلاد وترد أول إشارة إلى الروس لديه في الفصل عن باب الأبواب في سنة ٣٧٧ هـ

---

(١) أنظر مروج الذهب ج ٢ ص ١٨ — ٢٥

(٢) تجارب الأمم ج ٢ ص ٦٢ — ٦٧

(٣) ابن الأثير ج ٨ ص ٦٨

(٤) E. I. (١) art Rus IV P. 1182

(٥) صورة الارض ص ٢٨٦ وبعدها

٩٨٧ م [١] وترد إشارة إلى مجيء الروس إلى شيروان سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بثمان وثلاثين سفينة، ومقابلة شيروان شاه منوشهر بن يزيد لهم قرب باكو وتكبده بعض الخسائر، وصعود الروس في نهر الكر ومحاولة منوشهر منعهم واغراقهم جماعة من المسلمين. وجرت بعدها أحداث محلية ثم عادوا إلى بلادهم [٢]

وبعد سنتين (سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٢م) عادوا وعاثوا في شيروان ولكنهم تراجعوا عبر بلاد داغستان ويبدو ان غزاة الباب بقيادة اميرهم محمد بن منصور سيطروا على الممرات واعملوا السيف في الروس واستولوا على غنائمهم، ثم عادوا في السنة التالية إلى الباب ليثأروا ولكنهم هزموا في كرخ على يد هيثم بن ميمون [٣]

وفي الأدب الروسي إتجاه لربط حملات الروس على بحر قزوين بنشاط أمراء كييف ضد الامبراطورية البيزنطية ولكن يبدو ان بعضها قامت به جماعات مختلفة من مناطق روسيا الجنوبية [٤]

هذه ملاحظات سريعة عن نشاط الروس العسكري أوردتها إتماماً للمعلومات المتوفرة عنهم وهي حرية بدراسة أوفى

---

(١) Minorsky-History of Shervan P. 114

(٢) مينورسكي — فصول من تاريخ الباب وشروان ص ٨

(٣) Minorsky-History P. 115-116

(٤) ibid P. 112-113

المراجع الحديثة :

١ — W Barthold = E. i (١) arf. Slavs.

٢ — Blum, Jerome = Lord and Peasant in Russia. Princeton University Press 1961

٣ — R. Frye = ibn Fadlan, Muslim World, Jan 1951

٤ — Florinsky, M. T. = Russia, a history and an Jnterpretation 2vols. New york 1953

٥ — B. Gerkov = Kiev Rus, Moscow 1959

٦ — Kovalevsky, p.-Atlas historique et Culturolle de la Russie et du Monde Slave. Paris 1961

٧ — V. Minorsky, = Hudūd al-'Alam G. M. S. N. S. VI London 1937

٨ — = E. i (١) art. Rus

٩ — = A histsry of Shervan and Darband, CAMARIDGE 1951

١٠ — H Paszkiewicz = The Making of the Russian Nation, London 1963

١١ — G. Vernadsky = Ancient Russia New Haven 1943

١٢ — = The origins of Russia, oxford 1959

١٣ — كراتشكوفسكي ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ج ١ ـ ١٩٦٣ ، ج٢ ـ ١٩٦٥

المصادر العربية :

١٤ — الادريسي ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مخطوطات (باريس، اكسفورد) .
وترجمة Joubert في مجلدين باريس ١٨٣٦ ـ ١٨٤٠

١٥ — الاصطخري ـ مسالك الممالك (م ج . ع I) باعتناء دي خويه ليدن ١٩٢٧
وباعتناء محمد جابر عبد العال الحيني ـ القاهرة ١٩٦١ .
١٦ — ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ باعتناء تورنبرج ١٤ جزء ليدن ١٨٥١ـ١٨٧٦
١٧ — ابن حوقل ـ صورة الأرض باعتناء كرامرز جزآن ليدن ١٩٢٩
١٨ — ابن خرداذبه ـ المسالك والممالك ـ (م ج ع IV) باعتناء دي خويه
ليدن ١٨٨٩
١٩ — ابن رسته ـ الأعلاق النفيسة (م ج ع VII) باعتناء دي خوية ـ ليدن
١٨٩٢
٢٠ — ابن سعيد المغربي ـ بسط الأرض في الطول والعرض باعتناء أ ف خينيس ،
تطوان (معهد مولاي الحسن) ١٩٥٨ .
٢١ — ابن فضلان ـ رسالة ابن فضلان باعتناء سامي الدهان ، مطبوعات المجمع العلمي
العربي بدمشق ١٩٦٠ . رحلة ابن فضلان، باعتناء زكي وليدي طوغان، ليبزك ١٩٣٩ .
٢٢ — ابن الفقيه الهمداني ـ مختصر كتاب البلدان باعتناء دي خويه ، ليدن ١٨٨٥ .
٢٣ — ابن النديم ـ الفهرست باعتناء فلوجل جزآن ليبزج ١٨٧١
٢٤ — ابن الوردي ابو حفص عمر ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، المكتبة
التجارية القاهرة
٢٥ — الدمشقي ، شمس الدين ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، باعتناء مهرن .
بطرسبورج ١٨٦٦ .
٢٦ — القزويني ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٠
٢٧ — أبو الفداء ـ تقويم البلدان باعتناء دي سلان ، باريس ١٨٤٠

٤٨ــ المسعودي ـ مروج الذهب، باعتناء دي مينار ودي كورتني، ٩ مجلدات باريس ١٨٦١ ـ ١٨٧٧

٢٩ — التنبيه والاشراف (م ج ع VIII) باعتناء دي خوية، ليدن ١٨٩١ .

٣٠ — مسكويه ـ تجارب الامم، باعتناء آمدروز ومرجليوث ٧ مجلدات، القاهرة واكسفورد ١٩٢٠ ـ ١٩٢١

٣١ — المقدسي ـ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ـ أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم (م ج ع III) باعتناء دي خوية ليدن ١٨٨٥

٣٢ — المقدسي ـ مطهر بن طاهر ـ البدء والتاريخ باعتناء هوار، ٦ مجلدات باريس ١٨٩٩ ـ ١٩١٩

٣٣ — ياقوت ـ معجم البلدان . باعتناء وستنفلد ٦ مجلدات ليبزك ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠

الألبسة العربية في القرن الأول الهجري

دراسة أولية

الدكتور صالح أحمد العلي

لدراســـة الألبسة أهمية كبيرة في تاريخ الحضارة عموماً ، فهي من الأدلة على المستوى الذي وصلته الحضارة المادية ، وعلى الطبقات الاجتماعيـــة وعايزها ، والثروة ومداها ، كما تدل على رقي الصناعات المحلية وازدهار التجارة ، وكذلك على مستوى الاسعار ومستوى المعيشة ، وهي تدل على الأذواق وتطورها

وقد اعتمدت الامبراطورية الاسلامية في أوائل تكوينها على العرب من أهل الحجاز ثم من أهل الجزيرة ، الذين استطاعوا بمدة لا تزيد على الربع قرن من توسيعها حتى أصبحت تشمل الأقاليم الواقعة بين نهر جيحون والمحيط الاطلسي ، واصبحت أراضيها الواسعة تضم شعوباً وأناساً متباينين في أســـاليب حياتهم ومستويات حضارتهم ولا يخفى ان هذا التباين والتنوع كان موجوداً حتى عند العرب الذين كانوا نواة الاسلام والكتلة المسيطرة على ادارة الدولة ذلك ان الجزيرة العربية التي جاء منها العرب لم تكن فيها حضارة واحدة عامة ، بل كانت فيها مجتمعات متباينة في أساليب حياتها ومستوياتها الاجتماعية ، فمع ان أغلب الجزيرة صحراء يجوبها ويستقر في واحاتها البدو ، إلا أن فيها مناطق زراعية واسعة ،

كما ان فيها مراكز صناعية ، وفيها عدد من المدن ، يضاف إلى ذلك أن التكوين الاجتماعي فيها لم يكن واحداً ، فقد كان فيها الاغنياء والمترفون، وفيها متوسطو الحال والفقراء ، كما ان العرب في الجزيرة لم يكونوا منعزلين عن العالم المحيط بهم ، فقد تعرضت الأراضي الواقعة في أطرافها إلى اثر الأجانب ، كالفرس في البحرين ، والروم في فلسطين والأردن ، والاحباش والفرس في اليمن ثم إن التجارة العالمية التي ساهم فيها العرب أدت بهم إلى الاحتكاك والاتصال مع كافة الاقطار المجاورة ، وربما للبعيدة أيضاً

وقد أدى تكوين الامبراطورية الاسلامية إلى ازدياد اتصال العرب بالأقاليم والشعوب الاخرى ، حيث هاجر عدد كبير منهم إلى الاقاليم المفتوحة باعتبارهم جنوداً وقواداً ، أو إداريين ، أو تجاراً ، ومع ان بعضهم استقر في الأقاليم المفتوحة ، إلا أن فريقاً غير قليل منهم كانت هجرته موقتة ، وكان يعود بعد اداء مهمته إلى موطنه الأصلي . ولا يخفى ان الدولة الاسلامية في القرن الأول الهجري اتبعت سياسة الباب المفتوح ، فأباحت تنقل الاشخاص والسلع ، ولم تفرض عليها قيوداً مانعة ، كما لم تفرض على الناس أزياءً خاصة، اللهم الا ما يقال أنها فرضت على أهل الذمة أن يحتفظوا بأزيائهم الخاصة ولا يتزيوا بزي العرب وقد أدت هذه الحرية الى اقتباس الناس ألبسة لم تكن مألوفة عندهم ، وأخذت السلع تأتي إلى الحجاز ، مثلاً ، من مختلف الاقاليم القريبة والنائية ، كهراة ونيسابور والري ، فضلاً عن العراق وبلاد الشام ومصر وأخذ بعض الناس يقلدون الأزياء الاعجمية ، فيقول الجاحظ « وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسان لا تفصل بين من نزل أبوه بفرغانه وبين أهل فرغانه ، ولا ترى بينهم فرقاً في السبال الصهب والجلود القشره والاقفاء العظيمعة والأكسية الفرغانية وكذلك جميع تلك الارباع لا تفصل بين أبناء النازلة وبين أبناء النابتة (مناقب الأتراك في مجموعة رسائل الجاحظ ١/٦٣ـ٦٤)

ويقول مالك ان الخياطة من عمل الموالي (مدونة ٤/٣٩٥) أي من حرف الأعاجم وهو

يشير بذلك الى المدينة في القرن الثاني الهجري ، ولا شـك ان سيطرة الاعاجم على الخياطة جلب معه الاذواق والاساليب الاعجمية أيضاً

ثم ان الفتوح الاسلامية أدت إلى زيادة موارد العرب ، والى رقي مستوى المعيشة ، وازدياد البذخ في الالبسة وخاصة في الامصار الاسلامية ، وربما في المراكز القريبة منها ؛ وقد تجلى هذا البذخ في كمية وأنواع الملبوسات التي استعملها مختلف طبقات الناس

وفي بداية التاريخ الاسلامي يقف الرسول الأعظم ، وهو أعظم شخصية في الاسلام ؛ اهتم المسلمون بتدوين اعماله واخبـاره ومختلف جوانب حياته ، وكان مما تنـاولوه الالبسة التي كان يستعملها الرسول أو كانت في زمنه ، وقـد خص المحدثون وكتاب السير ألبسته بفصول خاصة ويبدو مما كتبوه ان الرسول كان يهم بنظافة ثيابه وبساطتها دون الترف ، فيروي البخاري « إن الرسول (ص) صلى ملتحفاً في ثوب واحد (بخارى : لباس جزيه ٩) ويروي النسائي عن عمر بن أبي سلمة انه رأى رسول الله (ص) يصلي في ثوب واحد في بيت أم سلمة واضعاً طرفيه على عاتقه (النسائي ١/١٢٤ أنظر أيضاً ابن حنبل ٣/١٠/١٥/٤/٢٦) كما يروى عبد الرحمن عمن أخبره انه « رأى النبي (ص) صلى في ثوب واحد متوشحاً بـه »

لقيت الالبسة والثياب اهتماماً من العلماء القدماء وخاصة اهل اللغة واصحاب المعاجم ، فخصص معظم مؤلفي كتب الادب وفقه اللغة فصولاً للثياب وانواعها وانسجتها وزخارفها وتفصيلها . كما ذكر اصحاب المعاجم الالبسة في معـاجمهم ؛ ولعل اعظمهم هو ابن منظور الذي ذكر في معجمه العظيم « لسان العرب » مختلف انواع الالبسة والثياب ، موزعـة حسب امكنتها من الترتيب المعجمي الذي سار عليه واورد عند الكلام عن كل ثوب ولباس ما قاله في تعريفه اللغويون القدماء كالاصمعي وابي عبيد والجوهري وابن سيده ، واشار الى استعمال الرسول له ، معتمداً في ذلك على ابن الاثـير ، وذكر بعض الابيـات التي ورد فيها ؛ ولمعلوماته قيمة كبيرة ، غير ان وصفه نظري ، كما انه لا يشير دائماً الى زمان ومكان

استعمال الثوب الذي يتحدث عنه لذلك فقد اقتصرنا على الثياب التي نصت المصادر الاخرى استعمالها ابان القرن الاول الهجري .

وقد التفت بعض كتاب التراجم والمؤرخين الى الالبسة ، وعنوا بذكر الثياب التي كان يلبسها الرجال الذين تناولهم بالبحث اولئك المؤلفون ويقف ابن سعد في طليعتهم ، حيث انه في كتابه العظيم « الطبقات الكبيره » ذكر الثياب والالبسة التي كان يرتديها كثير من ترجم لهم ، وبذلك مكننا من معرفة كثير من الثيـاب المستعملة في القرنين الاول والثاني اللذين عنى بتدوين اخبـــار رجالهما ، ومن تـكوين فـكرة عن المـكان الذى ساد فيه استعمال ذلك الثوب ولـكن بالرغم من كثرة عـدد من ترجم لهم ابن سعد ، فان تراجمـه كانت اخص بالاتقياء والورعين والبارزين من الصحابة والتابعين واهل الامصار

وفي تاريخ الطبري اشارات الى ثيـاب بعض الخلفاء ورجال الحـكم والادارة ، كما ان في كتاب الاغاني اشارات كثيرة الى ثياب المترفين والارستقراطيـة والمغنين وبعض البـدو ، وهذه المادة تـكمل ما في كتاب ابن سعد من نقص .

غير ان هذه المصادر الثلاثة ، بالرغم من المعلومات القيمة التي فيهـا عن ثيـاب طبقات مختلفة من اهل القرن الاول ، فان اهتمامهم انصب بالدرجة الاولى على العرب المسلمين من اهل الامصار ، فلم يلتفتوا الى ثياب اهل الذمة والاعاجم ، والبسة الفلاحين من اهل الريف او البدو من اهل الصحراء

ويتبين مما تقدم اني اعتمدت في مقالي هذا على مصادر مكتوبة يرد فيها ذكر اسم الثوب مجرداً او مع وصف مقتضب للثوب وطريقـة استعماله وهي لا تـكفي لتـكوين صورة كاملة او واضحـة للالبسة كما لا ادعي اني استوعبت كافة الاشارات الى الالبســـة في المصادر العربية ، غير اني ، بالرغم من ذلك ، اعتقد ان المادة التى سأعرضها تقدم اساساً للباحثين في هذا الموضوع الدقيق

(مساند أبي حنيفة ١/٣٥٠) انظر عن صلاة الرسول في ثوب واحد أبو داود : صلاة ٧٧ ابن حنبل ٣/١٠

غير إن تطور مستوى المعيشة بعد زمن النبي أدى إلى اهتمام الناس بالثياب حتى ان مروان بن ابان بن عثمان طلع مرة « وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني بثمن الفي درهم » (أغاني ١٧/٨٩) ويبدو أن الاكثار من الألبسة لم يقتصر على الارستقراطية بل عم الناس ، حتى ان جابر بن عبد الله « أمهم في قميص ومعه فضل ثيابه يعرفنا سنة النبي » و « انه أمهم في قميص ليس عليه إزار ولا رداء ليعلمنا انه لابأس بالصلاة في ثوب واحد » (مساند أبي حنيفة ١/٣٤٩) ويروي محمد بن المنكدر « صلى جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب ، فقال له قائل تصلي في إزار واحد ؟ فقال إنما صنعت هذا ليراني أحمق مثلك وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله « بخارى : كتاب الصلاة باب ٣) ويروي الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة » إن سائلاً سأل رسول الله (ص) عن الصلاة في الثوب الواحد فقال أو لكلكم ثوبان » (البخارى كتاب الجزيه الباب ٩) ويروى ابن حنبل بعدة مساند « قال أبيّ بن كعب الصلاة في الثوب الواحد سنة كنا نفعله مع رسول الله (ص) ولا يعاب علينا ، فقال ابن مسعود إنما كان ذلك إذا كان في الثياب قلة ، فأما إذا وسع الله فالصلاة في الثوبين أزكى » ابن حنبل ٥/١٤١) .

يذكر ابن منظور صنفين من الألبسة ؛ ما يقطع وما لايقطع » والمقطع من الثوب كل ما يفصل ويخاط من قميص وجباب وسراويلات وغيرها ، وما لايقطع منها كالأردية والأزر والمطارف والريط التي لم تقطع وانما يتعطف بها مرة ويتلفع بها أخرى ، (لسان ١٠/١٥٥) وهذا القول على أهميته مقتضب ، لأنه لا يشمل كافة الثياب ، ولذلك سنبحثها فيما يلي مراعين تشابهها بقدر الامكان

أنواع الألبسة

الرداء :

لقد ذكرت المصادر رداءً سنبلانياً كان على الامام علي (سعد ١٣/ ١٨) ورداءً منتناً كان على القاسم بن محمد (سعد ٥/١٤٢) ورداءاً قرقبيـــاً مفتولاً كان على محمد النفس الزكية عند ما ثار (طبري ٣ / ١٦٩)

وتذكر كثير من النصوص الاردية مصبوغة أما بالعصفر كالرداء الذي كان يستعمله عروة بن الزبير (سعد ٥/١٣٤) أو ممصراً أو بالزعفران كالرداء الذي لبسه القاسم بن محمد حين اعرس (سعد ٥/١٤٢) وكالرداء الذي كان يلبسه الوليد بن يزيد عند ما دخل عليه .. (أغاني ٢/٢١٠، ٦/٧٩)

والغالب ان الرداء يلبس مع الإزار ويلبس الازار مع ألبسة أخرى ، وخاصة مع لرداء كما ذكرنا عند الكلام عن الرداء حيث تردد ذكرهما معاً في احاديث عن الرسول « وهو متزر بازار ليس عليه رداء .. عليه رداءه وازاره ..دخل على رسول الله في ازار ورداء .. صلى جابر في ازار ورداء .. ليحرم أحدكم في ازار ورداء ونعلين على بردتين متزراً باحداهما مرتدياً بالاخرى (أنظر عن مواضع هـذا الحـديث في كتب الصحاح الستة : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي » ويذكر ابن سعد انه كان للرسول برد يمنه وازار من نسيج عمان « فكان يلبسهما يوم الجمعـة ثم يطويان (سعد١ـ١/١٠) ويروي ابن سعد عن رجال قال احـدهم : « ربما رأيت علياً يخطبنا وعليـه ازار ورداء مرتدياً به غير ملتحف وعمـامة فينظر إلى شعر رأسه وبطنـه » (سعد ٣ـ١ / ١٧) و « رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليـه قطريتان : ازار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه » (سعد ٣ـ١/١٨) وقد دخل حماد الراوية على الوليد بن يزيد « فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً » (اغاني ٢/٢١٠ ، ٦/٧٩) .

وقد يلبس الرداء مع القميص فيروى خالد بن اياس « رأيت على سعيد بن المسيب قميصاً الى

نصف ساقيه وكميه طالعة أطراف اصابعه ورداء فوق القميص خمس أذرع وشبراً » (سعد ١٠٣/٥) وكان على محمد النفس الزكية حين ثار « قميص غليظ ورداء قرقبي مفتـــول » (طبري ١٦٩/٣)

وقـد يلبس الرداء مـــع الازار والقميص فتروي أم كثير انهـــا رأت علياً ومعه مخفقة وعليه رداء سنبلاني وقميص كرابيس وازار كرابيس إلى نصف ساقيه الازار والقميص » (سعد ٣ قسم ١٨/١) ويروي الكليني ان الامام علي اشترى ثلاثة أثواب « القميص إلى فوق الكعب ، والإزار الى نصف الساق ، والرداء من بين يديـه الى ثدييه ومن خلفه إلى إليته » ويروي رجل إن علياً عند ما قتل كان عليه قميص « فشبرت بدنـه فاذا هو ثلاثة أشبار وشبرت أسفله فاذا هو اثنا عشـــر شبراً » (الكافي ٤٥٦/٦ ـ ٧) ويقول الأعمش : « رايت ازار ابي وائل الى نصف ساقيه وقميصـه فوق ذلك ورداءه فوق ذلك ومجاهد مثل ذلك » (سعد ٦ / ٦٨) وقد يلبس الرداء مع الثياب فيروي ابن قتيبة عن عبد الله بن جعفر « رأيت رسول الله (ص) عليـــه ثوبان مصبوغان بالزعفران ورداء وعمامة » (عيون ١ / ٢٩٨) ويروي جرير بن عثمان انه رأى عبد الله بن بســـر « مشمراً ورداءه فوق القميص » (ابن سعد ٧ قسم ١٣٣/٢)

الازار :

الازار من الالبسة التي ورد ذكرها في كثير من احاديث الرسول (أنظر مادة أزار في المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي) كما تردد ذكره في كتب التراجم ، الأمر الذي يدل على شيوعه

يختلف طول الازار : فكان للنبي « أزار من نسيج عمان طوله أربع أذرع وشبر في ذراعين وشبر » (سعد ١ قسم ١٠/٠١) وكان « سالم بن عبد الله يأتزر بازار قصير ليس له حاشية (سعد ١٤٦/٥) وكان ازار ابن عمر فوق العرقوبين ودون العضلة (سعد ٤ قسم

١/١٢٨) وكان « ازاره إلى نصف الساق » (ابن حنبل٣/٩٨) وكان «ازار أبي وائل إلى نصف ساقه » (سعد ٦/٦٨) (وأنظر أيضاًعن الازار إلى نصف الساق حنبل (٤/٦٥، ١٨٠ ؛ ٥/٦٤، ٢٧٨) وكان ابن عمر « ازاره إلى نصف قميصه » (سعد ٤ قسم ١/١٢٩) وروي ان الامام علي كان يأتزر فوق السرة (سعد٣ـ١/١٧) ويروى عن الرسول أنه قال : « ما أسفل من الكعبين من الازار ففي النار . و .. ازرة المؤمن إلى نصف الساق ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين (لسان ٥/٧٣ـ٤) .

ويعتبر اسبال الازار وارخاؤه من الخيلاء ، فقد قال رجل لابن اخي خالد بن الوليد : « يا خالد اتدع ابن اثال يفني أوصال ابن عمك بالشام وانت بمكة مسبل ازارك تجره وتخطر فيه متخايلاً » (اغاني ١٥/١٣) وكان ازار الشعبي مسترخياً (ابن سعد ٦/١٧٧) وتروى عن الرسول احاديث في النهي عن اسبال الازار أو جره خيلاء (أنظر المعجم المفهرس مادة ازار) ويبدو أن القرشيين عرفوا بارخاء الازار فقد قال الاخطل :

مشى قرشية لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

(أغاني ٨/٢٩٦)

ويلبس الازار باشكال مختلفة : فيروي الامام علي « قال لي رسول الله (ص) إذا كان ازارك واسعاً فتوشح به ، وإذا كان ضيقاً فأتزر به » (سعد ٣ـ١/١٩) وقد لبس عدد من الصحابة الازار محللاً ، فيروي كثير بن زيد : « رأيت سالم بن عبد الله يصلي في قميص واحد محلل الازار (سعد ٥/١٤٦) ويقول الازرق بن قيس : « ما رأيت ابن عمر إلا وهو محلول الازار » (سعد ٤ـ١/١٢٨)

ويروي الاصفهاني « أول من عقد من النساء في طرف الازار زناراً وخيط ابريسم ثم تجعله في رأسها فيثبت الازار ولا يتحرك ولا يزول ميم » (اغاني ٧/٣٠٢) كما يذكر سرور ابن تيزن المغني وقد أتزر بمئزر على صدره وهي أزرة الشطار عندنا » (الاغاني ١/٤٠٨ ، ٦/٣٣٩)

وقد يلبس الازار مع القميص، فيروي زريق أن الحسين جاء مرة « وعليه قميص قوهي وازار مصبوغ بزعفران » (انساب الاشراف ٤ـ٢/٢٢) وكان « ابن عمر يتزر فوق القميص في السفر » (سعد ٤ـ١/١٢٨) وقد كان « ابن عمر يمشي بين ثوبين كأني انظر إلى عضلة ساقه تحت الازار والقميص فوق الازار » (سعد ٤ـ١/١٢٨) ويروي قدامة أنه رأى علياً يخطب « عليه قميص قهز وازاران قطريان » (سعد ٣ـ١/١٦) ، وكان أبو هريرة يكره أن يأتزر فوق قميصه (سعد ٤ـ٢/٥٩)

وقد يلبس القميص مع البسة أخرى : فقد روى أبو ظبيان « خرج علينا علي في ازار اصفر وخميصة سوداء (سعد ٣ـ١/٢٠) وروي الاعمش « رأيت ازار أبي وائل إلى نصف ساقيه ، وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك ، ومجاهد مثل ذلك » (سعد ٦/٦٨) . ويروي أيوب « أمنا سالم في قميص وجبه وقد اتزر فوقها (سعد ٥/١٤٦) و « لما صار بنو الحسن إلى الربذة دخل محمد بن عبد الله علي بن جعفر وعليه قميص وساج وازار رقيق تحت قميصه » (طبري ٣/١٧٦) كما قد يلبس مع الملحفة كما سنذكر فيما بعد .

وقد منع عمر بن عبد العزيز دخول الحمام بدون ازار (سعد ٤ـ١/١٢٧)

وقد ذكرت ازر من عمان (سعد ١ـ١/١٠) وازر قطرية (سعد٣ـ١/٢٣٧ ، ٧/١٦)

وقد يكون الازار اصفراً كازار عمر يوم أصيب (سعد ٣ـ١ / ٢٥٢) ومثل إزار علي (سعد ٣ـ١/ ٢) أو مورداً أو مصبوغاً بالزعفران مثل إزار الحسين (أنساب ٤ـ٢ / ٢٢٩) وازار الوليد بن يزيد (اغاني ٩/٢٦٣) مثل إزار الشعبي (سعد ٦/١٧٧) أو أحمراً (اغاني ٢/٣١٥)

القميص :

يعتبر القميص من المقطعات عند البعض ، على ما يروي ابن منظور (لسان ١٠/١٥٥)

ويعمل القميص من الثوب ، فيروى عن حجاج الصواف انه قال : « أمرني عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة أن اشتري له ثياباً ، فاشتريت له ثياباً فكان فيها ثوب باربعمائة فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده فقال ما اخشنه واغلظه » (سعد ٥/٢٤٦) .

وللقميص أكمام فكان « كمي القاسم بن محمد قميصه وجبته تجاوز اصابعه باربع اصابع أو شبر أو نحوه » (سعد ٥/١٤٠) وكان قميص الامام علي « إذا مد كمه بلغ الظفر فاذا ارخاه .. بلغ نصف ساعده ، وقال عبد الله بن نمير بلغ نصف الذراع » (سعد٣-١/١٧) أما قميصه السنبلاني فقد جاءه خياط فمد كم القميص فامره أن يقطعه من خلف اصابعه (سعد ٣-١/١٨)

اما طول القميص فيختلف ، فكان : « علي سعيد بن المسيب قميصاً إلى نصف ساقيه : كميه طالعة اطراف اصابعه ورداءً فوق القميص خمس اذرع وشبراً » (سعد ٥/١٠٣) وكان على سالم بن عبد الله » قميص إلى نصف ساقه » (سعد ٥/١٤٦) ، أما عمر بن عبد العزيز فكانت « قمصه وجبابه فيما بين الكعب والشراك » (سعد ٥/٢٩٨)

وقد تبدلت اساليب لبس القميص فيروي ابن قتيبة « قال معمر رأيت قميص ايوب يكاد يمس الارض فكلمته في ذلك فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وأنها اليوم في تشميره » (عيون الاخبار ١/٢٩٨) ويروى أن الرسول قال إن المحرم : « لا يلبس القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ولا الخفين الا لمن لا يجد نعلين » (الأم ٢ / ١٢٥ مسند الشافعي ١ / ١٣٠)

وقد ذكر من الوان القمصان البيضاء والسوداء ، فيروى الطبري ان محمد النفس الزكية جاء عند ثورته « وعليه قميص ابيض محشو وعمامة بيضاء » (طبري ٣ / ٢٢٤) ويروى الاصفهاني ان الفرزدق جاء مرة « وعليه قميص اسود وقد شقه الى سرته » (اغاني ٩ / ٤٠)

وقد تصنع القمصان من الكتان حيث يروى انه « كان لسالم بن عبدالله قميص كتان » (سعد ٥ / ١٤٦) او قد تصنع من الكرابيس : فقد ذكر عطاء « رأيت على علي قميصاً من هــذه الكرابيس غير غسيل » (سعد ٣ ـ ١ / ١٧) كما ذكر القميص المكفف بالديباج (انظر ديوان الهذليين قطعة رقم ١٣٠)

واشهر القمصان التي يردد ذكرها هي القوهية ثم الرازية ثم المروية (انظر عن المصادر التي ذكرتها مقالي عن مراكز الانسجة في القرن الاول الهجري : مجلة الابحاث (ج / ٤ مجلد ١٤ سنة ١٩٦١)

ويلبس القميص مع الرداء كما ذكرنا من قبل او مع الجبة (سعد ٥ / ١٤٦) وقد تلبس فوق القميص الملحفة (سعد ٥ / ١٣٤) والملاءة (اغاني ٨ / ١٥)

الملحفة :

يقول ابن منظور : « اللحاف والملحف والملحفة اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به .. والملحفة عند العرب الملاءة السمط فاذا بطنت ببطانة أو حشيت فهي عند العوام ملحفة (لسان ١٢/٢٢٥) ويقول في مكان آخر « الازار الملحفة » (٥/٧٣)

وتذكر أغلب النصوص الملحفة المعصفرة ؛ فقد كان يلبسها خارجة بن زيد (سعد ٥/١٩٤) وعمر بن أبي ربيعة (اغاني ٨/٢٧٨) والقاسم بن محمد (سعد ٥/١٤٢) كما ذكرت ملحفة صفراء لبسها عمر بن الخطاب (سعد ٣/٢٣٧) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥/٨٤ أنظر أيضاً اغاني ١/١٠٦) ؛ كما ذكرت الملحفة الحمراء وقد استعملها علي بن الحسين (سعد ٥/١٦١) ومحمد بن علي (سعد٥/٢٣٦) وابراهيم النخعي (سعد٦/١٩٦ـ١٩٧)

وابراهيم التيمي (سعد ٦/١٩٩) وقد تكون الملحفة موردة (اغاني ٢/١١١)

وقد تلبس الملحفة مع القميص فقد روى عن عروة بن الزبير « أنه كان يصلي في قميص وملحفة مشتملاً بها على القميص » (سعد ٥/١٣٤) أو تلبس مع الازار ، فيروي سلمة بن كهيل « ما رأيت ابراهيم في صيف قط إلا وعليه ملحفة حمراء وازار اصفر » (سعد ٦/١٩٦-٧)

وقد ورد عن طريقة لبس الملحفه نص : فيروي عيسى بن حفص « رأيت القاسم بن محمد وعدناه في مرضه عليه ملحفة معصفرة قد أخرج نصف فخذه منها (سعد ٥/١٤٢) ويروي موسى بن نافع أن ابن جبير يصلي وعليه ملحفة شقتان ملفقة » (سعد ٦/١٨٦) .

الملاءة :

يذكر ابن منظور أن « الملاءة الريطة وهي الملحفة .. وفي الحديث .. فرأيت السحاب يتمزق كانه الملاءة حين تطوى .. وهي الازار والريطة » (لسان ١ /١٥٥)

لقد ذكرت الملاءة في عدد من النصوص ووصف لونها فمنها : الصفراء فكان « على عثمان ملاءة صفراء » (انساب الاشراف ٥ / ٤)وكان لابراهيم النخعي « ملاءتين صفراوين يخرج فيهما الى المسجد الجامع ويجمع فيهما » (سعد ٦ / ١٩٧) وكانت له ايضاً ملاءة « حمراء يصلي بنا فيها ها هنا » (سعد ٦ / ١٩٧) « وكان سعيد بن المسيب يلبس ملاءة شرقية» (سعد٥/٩٩) وكان على الوليد الثاني « ملاءة مطيبة »(اغاني ١ / ٥٢) .

ويتبين من هذه النصوص ان الملاءة كانت من البسة الرجال في الحجاز والكوفة والشام .

الريطة :

يقول ابن منظور « الريطة الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين وقيل

الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، وقيل هو كل ثوب لين دقيق والجمع ريط ورياط قال :

لا مهل حتى تلحقي بعنس. اهل الرياط البيض والقلنسى

قال الازهري لا تكون الريطة الا بيضاء والرائطة كالريطة ، (لسان ٩ / ١٧٨)

وقد ذكرت الريطة من بعض النصوص فيروى ابو عبيده عن ابيه « دخل علينا كثير يوماً وقد اخذ بطرف ريطته والقى طرفها الآخر وهو يقول . » (اغاني ٨ / ١٢٥) ويقول عمارة بن الوليد :

خلق البيض الحسان لنا وجياد الريط والازر

(اغاني ٩ / ٤٩)

ويذكر ابو نعيم عن عبد الملك بن شداد بن الهاد انه رأى « عثمان يوم الجمعة على المنبر عليه ازار عدني غليظ وريطة كوفية ممشوقة » (حلية ١ / ٦٠) ويذكر مالك « الرائطة من نسج الولائد » (مدونة ٩ / ١٣١ ، ٢٤)

الدراعة :

كانت الدراعة من اهم ثياب النساء زمن الرسول حين كانت الثياب بسيطة وقليلة ، فيروى عن عائشة انها قالت « كان لاحدانا الدرع فيه تحيض وفيه تصيبها الجنابة » (انظر معجم فنسنك مادة درع)

وقد ذكرت الدراعة لباساً للنساء في عدة نصوص (اغاني ٢ / ٢٨١ سعد ٨ / ٣٥٨ — ٩) وللرجال اغاني ١ / ٤٦ ؛ ١١ / ١٧١)

وقد تكون الدراعة صفراء (اغاني ١١ / ١٧١) او موردة (سعد ٨ / ٣٥٨ / ٣٦٣) او مورسة (اغاني ٢ / ٢٨١) او مصبوغة بالزعفران (اغاني ١ / ٤٦)

الخميصة :

يقول الثعـالبي « الخميصة كساء اسود اسود مربع له علمـان ، عن ابي عبيد ، وعن الاصمعي ان الخميصة ملاءة معلمة من خز او صوف » (فقه اللغة ٢٤٦) ويذكر ابن منظور « الخميصة برنـكان اسود معلم من المرعز والصوف ونحوه ، والخميصة كساء اسود مربع له علمان ، فان لم يكن معلمـاً فليس بخميصة .. وفي الحديث جئت اليه وعليه خميصة ، تـكرر ذكرها في الحديث ، وهي ثوب خز او صوف معلم ، قيل لاتسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وكانت من لباس الناس قديماً وجمعها الخمائص ثياب من خز ثخان سود وحمر ولها اعلام ثخان ايضاً » (لسان ٨ / ٢٩٦)

وقد ذكرت الخميصـة في زمن الرسـول ، فيروى انه قال « تعس عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة » (بخارى كتاب الجهاد ٧٠ ابن ماجة : الزهد ٨) مما يدل على انها من البسة المترفين

وقد ذكرت خميصة سوداء لبسها عثمان (سعد ٣ ـ ١ / ٣٩ انساب الاشراف ٥ / ٣) كما لبسها علي مع ازار اصفر (سعد ٣ ـ ١ / ٢٠)

البرنكان :

يقول ابن منظور « البرنـكان ضرب من الثياب عن ابن الاعرابي .. الجوهري البرنـكان ضرب من الاكسية ، قال الفراء البرنـكان كساء من صوف له علمان » (لسان ١٢ / ٢٨١) لقـــد ذكرنا أعلاه قول ابن منظور ان الخميصة برنكان أسود لم يرد ذكر البرنـكان في الحديث ولـكن يذكر الاصبهاني ان رؤبة بن العجاج دخل السوق وعليه برنكان اخضر (اغاني ٢١ / ٦٠) ويذكر ابن قتيبة ان جعفر البرمكي مر على الاصمعي « ورآه على مصلى بال وعليه برنـكان اجرد » (عيون ١ / ٢٩٩)

المرط

يقول الثعالبي « المرط كساء من خز او صوف يؤتزر به » (فقه اللغة ص ٢٤٦)

ويقول ابن منظور « المرط كساء من خز او صوف او كتان وقيل هو الثوب الاخضر .. وفي الحديث انه (ص) كان يصلي في مروط نسائه اي اكسيتهن الواحد مرط يكون من صوف وربما كان من خز او غيره يؤتزر به ، وفي الحديث انه (ص) كان يغلس بالفجر فينصرف النساء ملتفعات عروطهن ما يعرفن من القلس وقال الحكم الخضري :

تساهم ثوباها ففى الدرع رداة   وفي المرط لفاوان ردفهما عبل

قوله تساهم اى تقارع والمرط كل ثوب غير مخيط » (لسان ٩ / ٢٧٨)

لقد ذكر المرط من البسة النساء ، فروى الاصبهانى ان بثينة جاءت « وهي تتعثر في مرطها » (اغاني ٨ / ١٥٤) وقال عمر بن بي ربيعة :

يسحبن اذيال المروط بأسوق   حذال واعجاز مآكمها روا

(اغاني ٩ / ٦٣) ويقول :

وتلبس للجارات إتباً ومئزراً   ومرطاً فبئس الشيخ يرفل في الاتب

(اغاني ١ / ٤٠١)

الغلالة :

يقول ابن منظور « الغلالة شعار يلبس تحت الثوب لانه لا يتغلل فيها اي يدخل .. »

(لسان ١٤ / ١٥)

وقد ذكرت الغلالة في الاغاني حيث يروى خبراً يذكر فيه « ان سليمان بن عبد الملك

وجارية الى جنبه وعليها غلالة ورداء معصفران وعليها وشاحان من ذهب وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت » (اغاني ٤ / ٢٧٥)

الخمار :

يقول ابن منظور « وقيل الخمار ما تغطى المرأة رأسها » (لسان ٥ / ٣٤٢)

وقد ذكر الخمار في عدة نصوص ، فيروى ابن سعد عمن رأى عائشة عليها « خماراً جيشانياً » (سعد ٨/٣٥٨) و« خماراً اسود » (سعد ٨/٣٦٣) و« خمار» (سعد ٨/٣٥٩)

ويبدو ان الخمر السود لم تكن شائعة في بداية الاسلام ، وان العراق كان من البلاد المنتجة لها ، فيروى الاصبهاني « ان تاجراً من اهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق وكان صديقاً للدارمي (ثم نظم له الدارمي قصيدة قل للمليحة في الخمار الاسود) .. فلم تبقى في المدينة ظريفة الا ابتاعت خماراً اسود حتي نفذ ما كان مع العراقي منها » (اغاني ٣ / ٤٥)

ويبدو ان الخمار كان اخص بلبس الحرائر فيروى « احمد بن محمد عن عبدالرحمن بن حسين عن ابيه ان عمر بن عبدالعزيز كتب ان لا تلبس امة خماراً ولا يتشبهن بالحرائر » (سعد ٥/ ٢٨١)

العباءة

لقد ذكرت العباءة في عدة نصوص ، فيذكر ابن سعد » ان سلمان كان اميراً على المدائن وكان يخرج الى الناس في اندرورد وعباءة » (سعد ٤ ـ ١ / ٦٣ / ٦٤)

يذكر ابن قتيبة « نظر معاوية الى النخار العذري في عباءة فازدراه في عباءته » (عيون ١ / ٢٩٧)

ويقول جرير :

يا ذا العباءة ان بشراً قد قضى ... الا تجوز حكومة النشوان

(اغاني ٨ / ١٧)

وقالت امرأة روح بن زنباع تهجوه :

بكى الخز من روح وانكر جلده ... وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم ... واكسية كردية وقطائف

(اغاني ٩ / ٢٢٩)

ويتبين من هذه النصوص ان العباءة تختص بالبسة الرجال ، كما ان النصوص الثلاثة الاخيرة تظهر ان العباءة ليست من لباس الارستقراطية

القباء :

وكان القباء مستعملاً في العراق وفي الحجاز

وهو اما من سندس كقباء زياد ابن ابيه (اغاني ١٦ / ٣ ط ٢ / ١١٥) وكقباء عروة بن الزبير (سعد ٥ / ١٣٤) او من ديباج كقباء اهدي الى الرسول (مسلم ٢ / ١٥٣) وكقباء زياد الاعجم (اغاني ١٤ / ١٠٠)

او من خز كالقباء الذي كساه ابو جعفر ابن عتاب (اغاني ٢٠ / ٤٢)

او من سمور كقباء الشعبي (سعد ٦ / ١٧٦)

او من كتان كالقباء الذي كساه ابو جعفر ابن عتاب (اغاني ٢٠ / ٤٥)

وقد يكون القباء مبطناً بالحرير كقباء عروة (سعد ٥ / ١٣٤)

وقد يلبس مع المطرف كما فعل زياد بن ابيه (اغاني ١٦ / ٣٢٠)

او قد يلبس قباءان احدهما فوق الآخر كما فعل ابن عتاب حيث كساه ابو جعفر قباء خز وكساه تحته قباء كتان مرقوع القب » (اغاني ٢٠ / ٤٢)

يروى أبو الفرج « وكان زياد (الاعجم) يخرج وعليه قباء ديباج تشبهاً بالاعاجم » (اغاني ١٤ / ١٠) مما يدل على ان هذا اللباس هو من لباس الاعاجم

ويقول أيضاً « ولما تولى محمد بن عبدالملك الوزارة اشترط ان لا يلبس القباء وان يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفاً بحمائل فاجيب الى ذلك » (اغاني ٢٠ / ٤٩)

السروال :

ذكر ابن سعد ان سعيد بن المسيب كان يلبس السروال (سعد ٥ / ١٠٣) وقد روى ابن جريج عن عطاء « انه قال من لم يكن له ازار وله تبان او سراويل فليلبسهما » (ام ٢ / ٩٢٦)

ويسمى شداد السروال هميان (لسان ٢٠ / ٢٤١) وكانت توضع فيه الدراهم فقد اخرج ابن جامع « من وسطه همياناً فيه ٣٠٠ درهم » (اغاني ٦ / ٢٩٦)

الجباب :

يقول ابن منظور « الجبة ضرب من مقطعات الثياب تلبس » (لسان ١ / ٢٤٢)

ورد في نصوص كثيرة ذكر الجباب من الخز : وقد ذكر مهاجبة لكل من محمد بن علي (سعد ٥ / ٢٣٦) وعروة بن الزبير (سعد ٥ / ١٣٤) والقاسم بن محمد (سعد ٥ / ١٤١ - ١٤٢) والحكم بن العاص (اليعقوبي ٢ / ١٨٩) وعبيدالله بن عمرو بن عثمان (اغاني ١٩ / ٥١) والعجاج (اغانى ١ / ١٥٢) والاخطل (اغاني ٨ / ٢٩٩) وحماد عجرد (اغانى ٨ / ٧٣)

وقد ذكرت النصوص ايضاً جبة صوف (اغانى ٣/ ٥٧) وجبة وشى (اغانى ٧ / ١٣١ - ٦ / ٢٨١) كما ذكرت الجبة دون ذكر نسيجها (سعد ٥/ ٢١٥ اغانى ٨ / ٤ ٧١ / ٢٥٠)

وكان للنبي « جبة طيالسة عليها لبنة شبر من ديباج كسرواني وفرجاها مكفوفان به » (حنبل ٤ / ٣٤٧)

اما الوان الجباب فمنوعة : منها البيضاء كجبة عكرمة (سعد ٥ / ٢١٥)

والصفراء كجبة القاسم (سعد ٥ / ١٤٢) وجبة محمد النفس الزكية يوم اعلن الثورة (طبري ٣ / ١٩٦)

او خضراء كجبة القاسم (سعد ٥ / ١٤١ ، ١٤٢)

او حمراء كجبة عبيدالله بن عمرو بن عثمان (اغانى ١٩/٥١)

او دكناء كالجبة التى رآها حماد عجرد على بعض الكتاب (اغانى ١٣ / ٨٣)

وقد تلبس الجبة وحدها فيروى عصام بن قدامة « كان عكرمة يؤمنا في جبة بيضاء ليس عليه قميص ولا ازار ولا رداء » (سعد ٥ / ٢١٥)

او مع رداء فيروى العطاء « رأيت القاسم وعليه جبة خز خضراء ورداء مبتت » (سعد٥ / ١٤٢) الوليد بن يزيد عليه جبة وشى ورداء وشى (اغانى ١ / ٢٨١)

او مع كساء فيروى خالد بن الياس : « رأيت على القاسم بن محمد جبة خزوكساء خز وعمامة » (سعد ٥ / ١٤١)

او مع القميص فيروى زيد بن ايوب « امنا سالم في قميص وجبة قد اتزر فوقها » (سعد٥/١٤٦) او مع مطرف : فيروى الاصبهاني ان الفرزدق « مر بعبيد الله بن عمرو ابن عثمان وهو جالس في سقيفة داره عليه مطرف خز احمر وجبة خز احمر » (اغانى ١٩ / ٥١) وكذلك السيد الحميري (اغانى ٧ / ٢٥٠)

او مع طيلسان فيروى اليعقوبى ان الحكم بن ابى العاص خرج من عثمان وعليه جبة خز وطيلسان (٢ / ١٨٩)

او مع حرز فيروى الاصبهانى « لقد كان الاخطل يجيء وعليه جبة خز وحرز خز » (اغانى ٨ / ٢٩٩)

البرنس :

يقول ابن منظور « البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة او ممطراً أو جبة الجوهري البرنس قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الاسلام » (لسان ٧ / ٣٢٨)

وكان يصلي فيه بعض الصحابة مثل سعيد بن المسيب » (ام ١ / ٢٠٦) وسعيد بن جبير (سعد ٦/١٨٦) وعلقمه (سعد ٦ / ٦٢) ومسروق (سعد ٦/٥١) وكان يلبسه ايضاً ابن عون (عيون الاخبار ١ / ٢٩٧) وابو الدرداء (تاريخ البخاري ١ قسم ٢ / ٢٨)

ذكرت برانس من الخز لبسها بعض المسلمين مثل ابن ابي اوفى (سعد ٤ قسم ٢ /٣٦) وابي عبيدة بن عبدالله (سعد ٦ / ١٤٦) وموسى بن طلحة (٥ / ١٢١) وعبدالعزيز بن عبدالملك (اغانى ٨ / ٤٤)

اما الوانه فقد ذكر منها برنس خز ادكن (سعد ٤ قسم ٢/٣٦) وبرنس ارجوان (ام ١ / ٢٠٦)

ان كافة النصوص التي اوردناها اعلاه تبين ان البرانس من البسة الرجال ؛ ولكن توجد نصوص اخرى تبين ان البرانس كانت من البسة النساء ايضاً ، فيروى الاصبهاني « جلست جميلة يوماً ولبست برنساً طويلاً ، والبست من كان عندها برانس دون ذلك . ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم امثالها .. ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها

على رأسها (اغاني ٨ / ٢٢٦)

ويبدو ان البرانس كانت غالية الثمن فيروى الاصمعي ان « ابن عون اشترى برنساً من عمر بن انس بن سيرين فمر على معاذه العدوية ، فقالت امثلك يلبس هذا ؟ قال فذكرت ذلك لابن سيرين فقال الا اخبرها ان تميماً الداري اشترى حلة بالف يصلي بها » (عيون الاخبار ١ / ٢٩٧)

المستقة :

يقول ابن الاعرابي والاصمعي وابو عبيد « المستقة هي فرو طويلة الكم » (لسان ١ / ٢٢٠) انظر ايضاً الجواليقي : المعرب ص ١٣٧) ويقول ابو عبيد ان اصلها بالفارسية مشته فعربت (لسان ١٢ / ١٨)

يذكر شمر « ان النبي كان يلبس البرانس والمساتق ويصلي فيها » ويروى عن أنس ان « ملك الروم اهدى الى النبي مستقه من سندس فلبسها (لسان / ٢٢٠)

وقد كا يصلي في المستقة كل من سعد بن ابي وقاص (سعد ٣ قسم ١ / ١٠١) ويحيي وثاب (سعد ٦ / ٢٠٩) وعلقمة (سعد ٦ / ٦٢) ومسروق (سعد ٦ / ٥١) كما كان يلبس المساتق كل من الشعبي (سعد ٦ / ١٧٦) وابراهيم النخعي (سعد ٦ ١٩٦)

ان كافة هـــذه النصوص من ابن سعد تتعلق باهل العراق ، مما يدل على شيوع استعمال المساتق فيه ، غير ان هذا لا يعني ان استعمالها قصر على أهـله ، فقد رأينا ان بعض النصوص تذكر ان الرسول استعملها كما ان ابن سعد يذكر « اهديت لعلي بن الحسين مستقة من العراق فـكان يلبسها فاذا اراد ان يصلي نزعهـــا » (سعد ٥ / ١٦١) ويذكر ابو الفرج المغـني حنـــين و « عوده في حجره وعليـــه قبـاء خشك سُوى ، وقال اسحق ، خشكون ، ومستقة حمراء وخفان مكعبان » (اغاني ٢ / ٣٥٠)

المطرف :

يقول ابن منظور « المطرف واحد المطارف وهي اردية من خز مربعة لها اعلام ، وقيل ثوب مربع من خز له اعلام الفراء : المطرف من الثياب ما جعل في طرفيه علمان » لـ ان ١١ / ١٢٣) ويقول الثعالبي ان المطرف كساء في طرفيه علمان (فقه اللغة ٢٤٦)

ولم يرد للمطرف ذكر في كتب الحديث سوى ما روى ان عائشة كست عبدالله بن الزبير مطرف خز (حنبل ٤ / ٣٨٣ / ٤٣٨ موطأ لباس ٥ وانظر معجم فنسنك مادة طرف)

وكان المطرف من لباس الارستقراطية فيروى ابن قتيبه ان بعض اشراف البصرة كانوا « اذا اتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف » (عيون الاخبار ١ / ٢٩٧)

واكثر النصوص التي ورد فيها ذكر المطرف كان مقروناً بالخز : وممن ذكر انه لبس مطرف خز : عثمان بن عفان (ابن سعد ٣ قسم ١ / ٤٠) وعبدالله بن عمر (ابن سعد ٤ قسم ١ ـ ١٢٧) ومحمد بن عمر (ابن سعد ٥ ـ ٥٠) وابو سلمة (ابن سعد ٥ / ١١٦) وعبدالرحمن بن ابي ليلى (سعد ٦ / ٧١) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥ / ٨٤) والوليد بن يزيد (اغاني ٧ / ٧)

وكان مطرف الخز يلبس مع الجبه : وممن ذكر انه لبسهما عبدالله بن عمرو بن عثمان (اغاني ١٩ / ٥١) والسيد الحميري (اغاني ٧ / ٢٥٠) ومحمد بن علي بن جعفر (سعد ٥ / ٢٣٦)

كما كان يلبس مع القباء ، فقد ذكر انه لبسه زياد (اغاني (١٦ / ٣) ويلبس ايضاً مع البرنس ، حيث ذكر ان شريح لبسهما (سعد ٦ / ٩٦)

ان الوان المطارف منوعة : منها الاخضر وقد لبسه زياد (اغاني ١٦ / ٣) والشعبي (سعد ٥ / ١٧٦) والاحمر وقد لبسه عبدالله بن عمرو بن عثمان (اغاني ١٩ / ٥١) والاصفر وقد لبسه ابو سلمة (سعد ٥ / ١١٦) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥ / ٧٤ ، عيون الاخبار ١ ـ ٢٩٨) والشعبي (سعد ٦ ـ ١٧٦) والادكن وقد لبسه عروه بن الزبير (سعد ٥ ـ ١٤٣)

— البقيـــة على ص ٤١٨ —

الورق والوارقة في الحضارة الاسلامية

الدكتور محمد طه الحاجري

— ٢ —

قبل أن ننتقل إلى تبين صور هذا الدور من أدوار الوراقة ، وتبين معالم هذه المرحلة من مراحلها ، نحاول أن نؤدي صورة عن المرحلة التي سبقت انفراد الكاغد بالوراقة ، إذ كان يشاركه الرق والقرطاس في أداء حاجات الحضارة وقد استمرت هذه المرحلة وقتاً غير قصير اشتدت فيها المنافسة بينه وبينها ، وظل فيها للرقوق مكانها الظاهر في عالم الكتابة ، وفي بيئات العلماء والمؤلفين ، كما كان للقراطيس كذلك شأنها لدى الوراقين وأصحاب الدواوين.

فأما المهارق فيبدو أنها خرجت من الميدان قبل أن تنشب هذه المنافسة ، لم تشارك فيها ولم تشهدها وقد ظهر أنه لم يعد لها مكان بعد في هذه الناحية من نواحي الحضارة الاسلامية الجديدة وخاصة بعد أن انتقلت إلى البلاد الاسلامية صناعة الكاغد ومن قبل ما كان استعمال المهارق محدوداً في حدوده الضيقة ، مقصوراً على بعض الموضوعات الخاصة ، كما سبق القول

وإذا كانت كلمة المهرق قد بقيت في بعض الصور الشعرية ، كما في هذا البيت من شعر أبي تمام :

مسودّ شطر مثل ما اسود الدجى　　　مبيضّ شطر كابيضاض المهرق[1]

فليس في هـذا ومثله ما يدل على أن المهارق ظلت مستعملة في القرن الثالث ، في أيام أبي تمام ، إذ كان مبلغ ما يدل عليه أن صورة المهرق كانت صورة معروفة في الذهن ، حتى جاز لأبي تمام ان يستخدمها في صنع هذه الصورة الشعرية ونحن لم تنكر أنها كانت معروفة على وجـه ما والتشبيه بها وبأمثالها مما لا تزال له صورة ذهنية أو أدبية معروف جائز لم عنعه أحد ، وما يزال متردداً شائعاً في الصناعة الشعرية والـكتابة الفنية

على أن كلمة المهرق لم تلبث أن فقدت مدلولها الخاص الذي رأيناه في الفصل السابق ، وأصبحت تطلق على الورق عامة ، كما صارت اليه كلمة القرطاس وكلمة الـكاغد ومن ذلك جاز للقلقشنـدي أن يقول حين ذكر المهرق انه القرطاس الذي يـكتب فيه كما نرى الـكلمة ماثلة في الشعر المعاصر ، في مثل قول شوقي في قصيدة النيل :

وعليك تجلى من مصونات النهى　　　خود عرائس خدرهن المهرق[2]

وإذا كان المهرق ، بذلك المدلول الخاص ، قد اختفى من عالم الوراقة ، فقد كان هنالك ما هو قريب منه وشبيه به ، وان لم يطلق عليه اسم المهرق ، بعد أن أصبح اسماً من أسماء الورق عامة ، مثل « الـكرباسة » التي يذكرها المقدسي في مقدمة كتابه « أحسن التقاسيم » ، في سياق كلامه عن الأشكال الجغرافية التي مثلها في كتابه ، وانه رجع فيها إلى عدة من الصور ، فيذكر أن من هذه الصور صورة « على كرباسة عند أبي القاسم ابن الانماطي بنيسابور »[3] والـكرباسة كلمة فارسية تعني ثوبا من القطن أبيض ، كما يقول صاحب القاموس فهي بهذا الوصف قريبة من المهرق ، إلا أنها من قطن وهو من الحرير

---

(١) ديوان أبي تمام ، ص ١٥٩ ، ط القاهرة ، ١٩٤٢

(٢) الشوقيات ٢ : ٨٧ مطبعة مصر ، ١٩٣٩

(٣) أحسن التقاسيم ، ص ١

واكبر الظن أنها كانت تعالج بشيء من الصمغ أو ما اليه لإعدادها لرسم المصورات أو ما نسميه بالخرائط الجغرافية وربما كانت مخصوصة اذ ذاك بهذا الغرض ، كما كانت المهارق مخصوصة من قبل بالوثائق والعهود وكتب الدين

ومن هذا القبيل أيضاً ما ذكره صاحب الحوادث الجامعة ، في حوادث سنة ٦٣٢ ، في سياق كلامه عن تزويج ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل من مجاهد الدين ايبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصغير ، وذلك إذ يقول :

« وكتب كتاب الصداق في ثوب أطلس أبيض » (١)

ولكن مثل هذه الصور ، وان قاربت المهرق ، واتفقت معه في بعض المعنى ، فانها بعيدة فيما نرى عن عالم الوراقة ، فلا يعد وجودها استمراراً للمهرق ، ومنافياً لما ذكرنا قبل ، في أول هذا الفصل ، انه لم يلبث أن خرج من هذا العالم ، مخلياً الميدان للرق والقرطاس والكاغد

اما الرق فشأنه مختلف كل الاختلاف ، فقد ظل أمداً غير قصير في الاسلام ، منذ كتب عليه المسلمون الأول المصحف ، وهو صاحب المكان الأول وبالرغم مما تعرض له من منافسة القرطاس أولا ثم الكاغد بعد ، فقد ظل يكافح كفاحاً قوياً دائباً لم يهن فيه ولم يضعف ، إلى ان قضت نواميس الوجود قضاءها فيه ، فكان ما لا بد منه ، واختفى امام الكاغد ، بعد أن سجل في تاريخ الوراقة فصلا حافلا

كان المسلمون منذ أول أمرهم قد جعلوا اكبر معولهم في الكتابة عليه ، كما ظل ايثارهم له على القرطاس ، وخاصة في تدوين العلم ، دون أن يصرفهم عنه أو يهون من شأنه عندهم أن فتحوا مصر ، وملكوا زمام الأمور فيها ، فلم يعد يعترض سبيل القراطيس اليهم شيء فقد ظلت تحمل بالقياس اليهم طابع الترف ، كما قلنا ، وكانوا ما يزالون موسومين بطابع

---

(١) الحوادث الجامعة ، ص ٧٢

البداوة كما اتخذ الرق بتاريخه في كتابة المصحف وتدوين الحديث طابعاً دينياً رجح كفته ومكن من ايثاره

وإلى جانب ذلك كانت القراطيس ـ فيما يبدو ـ عزيزة بعض الشيء غالية الثمن ، وبذلك كان استعمالهم لها في أضيق حدود حاجتهم اليها ، واكثر ذلك إنما كان في بعض الشؤون الادارية والديوانية التي لم تعد الرقوق تلائمها وبذلك كانت القراطيس مقصورة في العهد الأموي على المترفين من الخلفاء ، وعلى بعض شؤون الديوان أما الخلفاء فكان استعمالهم اياها مظهراً من مظاهر الامتياز والاستعلاء ومن ذلك ما يقول الجهشياري : « وكان الوليد أول من كتب من الخلفاء في الطوامير ، وأمر بأن تعظم كتبه ، ويجلل الخط الذي يكاتب به ، وكان يقول : تكون كتبي والكتب إلى خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض »[1]

وليس يتعارض هذا الذي يورده الجهشياري مع ما نقلناه قبل عن محمد بن عمر المدائني أن الخلفاء منذ عهد معاوية لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها فكلام الجهشياري عن الطوامير خاصة ، وكلام المدائني عن القراطيس والطوامير هي القراطيس في صورها الكاملة وفي قطعها الكبير[2] ، وهي التي كان الوليد أول من أمر أن تكون كتبه فيها أما قبل ذلك فقد كانت القراطيس التي تحمل كتب الخلفاء في صورة منقوصة أو في هيئة جزازات ، وكان ذلك كافياً في بيان الامتياز ، أول العهد بالنظام الملكي ، في أيام معاوية ومن جاء بعده ، أما حين أخذ ذلك النظام يستكمل مميزاته ويستوفي مظاهره وحين أخذت جزازات القراطيس تفقد اختصاصها بالخلفاء ، فقد كان على قصر الخلافة أن

---

(١) الوزراء والكتاب ، ص ٤٧

(٢) يقول القلقشندي ، وان كان كلامه لا يؤدي صورة الطومار القرطاسي : « المراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله ، وهو المعبر عنه في زماننا بالفرخة » صبح الاعشى ٣ : ٤٩ .

يستحدث في ذلك نظاماً جديداً ، يحقق ذلك الامتياز في صورة واضحة قوية ، فكان ذلك الأمر الملكي الذي اصدره الوليد : أن تكون كتب الخلافة في الطوامير ، وان يتخذ خطها صورة مختلفة

وقد كان هذا المظهر الذي يصدر عن روح الاستعلاء من المظاهر التي انكرها عمر ابن عبدالعزيز وغيرها ، فكان - كما يقول الجهشياري - « يأمر كتابه بجمع الخط ، كراهية استعمال الطوامير ، فكانت كتبه اىما هي شبر أو نحوه »[1] وعمر بن عبد العزيز كان - كما نعلم - يمقت كل ما يدل على الاستعلاء والكبرياء ، كما كان يمقت كل مايدعو الى الاسراف في مال الدولة ، والحمل على بيت مال المسلمين وهو في إنكاره الكتابة في الطوامير ، وأمره كتابه بالعدول عن تجليل الخط ، يصدر عن كراهية الاستعلاء والاسراف جميعاً

وكما كان هذا موقفه من الكتب الخلافية ، كذلك كان موقفه من الكتب الديوانية التي تصدر عن عماله في الاقاليم وكان هؤلاء العمال - فيما يظهر - يسرفون في استعمال القراطيس التي تبعث بها الدولة اليهم لاستخدامها في شؤون دواوينهم فحين ولي الخلافة وجد كتاباً كان والي المدينة ، أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، قد وجه به إلى سلفه سليمان بن عبد الملك ، يسأله فيه أن يبعث اليه بقدر من القراطيس ، لحاجة الديوان اليها ، فأثار هذا الكتاب في نفسه نزعة الحرص على مال الدولة وكراهيته للاسراف في غير طائل ، فكتب اليه ، جواباً على كتابه هذا : « أما بعد ، فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر انه قد يجري على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتليت بجوابك فيه ، فاذا جاءك كتابي هذا فأرق القلم ، واجمع الخط ، واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة . فانه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر ببيت مالهم

(١) الوزراء والكتاب ، ص ٥٧ .

والسلام عليك » [١] .

ذلك كان شأن القراطيس في أيام الدولة الأموية : مظهر ترف واستعلاء يكاد يكون مقصوراً على الخلفاء ومن اليهم ، وأداة من أدوات الادارة والتنظيم ، أما فيما عـدا ذلك فكان الشأن ما يزال للرقوق

قال ابن خلدون في الفصل الذي عقـده للـكلام « في صناعة الوراقة » : « وكانت السجلات أولا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد ، لقلة الرفه وقلة التآليف ، صدر الملة ، كما نذكره ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الـكتاب في الرق تشريفاً للمـكتوبات وميلا بها إلى الصحة والاتقان ثم طما بحر التأليف والتدوين ، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك ، فاشار الفضل بن يحيي بصناعة الـكاغد ، وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه ، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمـكتوباتهم السلطانية والعلمية ، وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت » [٢]

فابن خلدون يرى ، اذن ، أن الرق استأثر بوجوه النشاط المختلفة ، ديوانية وعلمية ، حتى نشأت صناعة الـكاغد ، وكأنه إنما يتحدث عن الرق في المغرب ، كما سنرى بعـد ، فهو لا يذكر القرطاس ومبلغ مشاركته في الحياة الديوانية ، على النحو الذي رأينا ، إما غفلة منه عن هذا الجانب من جوانب الوراقة ، أو ميلا إلى التعميم والاجمال ، والاقتصار على الصورة البارزة في هذه المرحلة الأولى من تاريخ الوراقة ، وكان الرق هو الذي يمثلها أما القرطاس فكان بالقياس اليه ضعيف الشأن هين الأثر ، بحيث استجاز أن يتجاوزه ، وان كان له مكانه الذي لا يستطيع المؤرخ أن يتجاهله

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحـكم ، ص ٦٤ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٢٧

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٧ — ٤٧١ .

وا كبر الظن أن ابن خلدون كان متأثراً في هـذا العرض السريع لتاريخ الوراقة في المرحلة الأولى بما كان عليه أمرها في المغرب

أما كتاب المشارقة فقد عرفوا للقراطيس مكانها في هذه المرحلة على النحو الذي رأينا طرفا منه ، وكما رى عند البلاذري ، إذ يقول حكاية عن أبي الحسن المدائني : « وأخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس من البردي ، وكذلك الكتب إلى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك » [1]

وبعد ، فقد كان قيام الدولة الأموية فى الشام مما أتاح للقرطاس أن يسلك إلى الديوان طريقه ، وأن يأخذ فيه مكانه ، إذ كانت الشام قدعة العهد به ، لصلتها بالدولة البيزنطية ، ووقوعها على الطريق التجاري الذي يحمل القراطيس من مصر إلى بلاد الروم وبنمو الحياة الديوانية في عهد الدولة الأموية واتساعها وتعدد وجوهها عظم شأن القراطيس في هـذه الحياة ، واشتدت منذ ذلك الوقت صلتها بالحضارة الاسـلامية فاذا انتهى عهد الدولة الأموية ، وانتقلت الخلافة من الشام إلى العراق ، فقد كان لهذا الانتقال أثره في كثير من وجوه الحياة ، وكان من الطبيعي أن يكون له أثره في بعض النظم الديوانية وكان ان نشأت الرغبة أن يخلى القرطاس مكانه للرق ، وهو ـ كما رأينا قبل ـ فارسي الصناعة ، لولا أن الأمر جرى في دواوين العراق على استعمال القرطاس وذلك ـ فيما نحسب ـ هو تأويل الاضطراب الذي يلاحظه الباحث بين التحول إلى الرق والابقاء على القرطاس في أوائل الحكم العباسي ، فهاهوذا خالد بن برمك لا يكاد يلي الوزارة لابي العباس السفاح حتى يستبدل الرق بالقرطاس [2] ، فاذا جاء أبو جعفر أخذ ينظر في الأمر من وجوهه المختلفة ويخضعه لهذا الاعتبار وذاك ، فهو متردد بين التحول إلى الرق ، وهو ميسور في العراق ،

(١) فتوح البلدان ص ٢٧٠ ط مصر ١٩٠١

(٢) الوزراء والكتاب ، ص ٩

قريب إلى الذوق العام ، وبين الابقاء على القرطاس ، وهو كثير في الديوان ، جار مع عادة اصحابه ، وليس الحفاظ على مثل هذه العادة بالشيء القليل فهاهوذا ، مرة ، يأمر وزيره أبا أيوب المورياني أن تكتب الرسائل بجمل المـال في صحف ، كما يحكى البلاذري [1] وهاهوذا . مرة أخرى ، يهم ببيع القراطيس التي في خزائنه ، ولـكنه لا يلبث حتى يعدل عن ذلك ، كما نرى في هذا الخبر الذي يحكيه الجهشياري :

« وقف أبو جعفر على كثرة القراطيس في خزائنه ، فدعا بصالح صاحب المصلى ، فقال له : اني امرت باخراج حاصل القراطيس في خزائننا ، فوجدته شيئاً كثيراً جداً ، فتولّ بيعه ، وان لم تعط بكل دينار إلا دانقاً فان تحصيل ثمنه أصلح منه قال صالح : وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم فانصرفت من حضرته على هـذا فلما كان الغد دعاني ، فدخلت عليه ، فقال لي : فكرت في كتبنا ، وانها قد جرت في القراطيس وليس يؤمن حادث بمصر ، فتنقطع القراطيس عنا بسببه ، فنحتـاج إلى أن نكتب فيما لم نعوده عمالنا ، فدع القراطيس استظهاراً على حالها » [2]

على أن هذا الخبر ـ إلى جانب دلالته على انهاء فترة الاضطراب والتردد بين القرطاس والرق ـ قاطع الدلالة على ان القراطيس كانت قد أصبحت أداة من أدوات الديوان الضرورية ، لا يملك الاستغناء عنها والاستبدال بها ، حتى آثر المنصور ـ على شدة رغبته في المال وحرصه على توفيره لبناء الدولة وحمايتها ـ الابقاء عليها ، حتى لا يضطر العمال إلى أن يكتبوا فيما لم يتعودوا الـكتابة فيه ، إذا حدث حادث منع ورود القراطيس من مصر

وحين يصـور أبو نواس فتى من فتيان الديوان يصوره وقد نشر الطومار بين يديه في مثل قوله :

---

(١) فتوح البلدان ٢٧٠ ، ط مصر ، ١٩٠١

(٢) الوزراء والـكتاب ، ص ١٣٨

ان الذي تيّمني حبه　　أمرد من نشء الدواوين
قد نشر الطومار في حجره　　مبتدئاً بالباء والسين [1]

كما يذكر ابن النديم رجلا محررا يصفه بأنه من صنائع البرامكة ، يعرف بالأحول المحرر ، وانه عارف بمعاني الخط واشكاله ، وانه تكلم على رسومه وقوانينه ، وجعله أنواعاً ثم يقول : « وكان هذا الرجل يحرر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف في الطوامير » [2]

على أن القراطيس كانت ـ فيما يبدو ـ قد تجاوزت الديوان ، وخرجت إلى الحياة العامة ، فلم تعد مقصورة على كتب الخلفاء أو الأعمال الديوانية للدولة أو دواوين الأمراء والسراة ، بل أصبحت إلى جانب ذلك مادة يحتاج الناس اليها في رسائلهم ومخاطباتهم ، وفيما يريدون تدوينه من أسباب حياتهم ولعل الخبر الذي أوردناه عن الجهشياري يشير إلى شيء من هذا فعرض المنصور القراطيس لبيعها يشير إلى أنها كانت تستعمل أيضاً خارج الديوان

ومن ذلك ما تراه في قول أبي نواس ، وقد أعرب عن حاجته إلى قطعة قرطاس ، وليس هو من أهل الديوان :

أريد قطعة قرطاس فتعجزني　　وجلّ صحبي من أهل الدواوين
لحاهم الله من ود ومعرفة　　ان المياسير منهم كالمفاليس [3]

وفي شعر أبي نواس أيضاً نستطيع أن نرى بعض الوجوه التي كانت تستعمل فيها

---

(١) ديوان ابي نواس ، ص ٣٥٣ ، مطبعة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٣

(٢) الفهرست ، ص ١٢ — ١٣ . ط الرحمانية ، القاهرة وكلمة المحرر كانت تعني مجود الخط وضابطه أو ما يطلق عليه الآن اسم « الخطاط »

(٣) ديوان أبي نواس ، ص ٦٠٤

القراطيس خارج الديوان ، إذ نرى أنها كانت من أدوات الصبيان التي يستعملونها في حياتهم المدرسية ، أو في حاجاتهم الكتابية ، إلى جانب الالواح ، وذلك إذ يضيف القرطاس اليهم ، فيقول : « قرطاس الوليد » ، في هذا البيت من شعره :

واحتازها لون جرى في جلدها يقق كقرطاس الوليد هجان [1]

وهكذا نرى في هذه النصوص والشواهد أن ليس الأمر كما تصوره عبارة ابن خلدون التي أوردنا نصها ، من انفراد الرقوق بالأمر كله إلى أن نشأت في العراق صناعة الكاغد ، في أيام البرامكة كما يزعم ، فقد كان للقرطاس هذا المكان الظاهر إلى جانب الرق ، كما أخذت دائرة استعماله تتسع شيئاً فشيئاً ، تبعاً لاتساع الحضارة وتعقدها وتعدد مظاهرها ، فلم يعد - كما رأينا - مقصوراً على الأعمال الديوانية ، كما كان شأنه قبل بل مضى في وجوه الحياة المختلفة يشارك فيها ، وقوي الشعور العام بالحاجة اليه ، حتى بدا كأن مصر لم تعد تكفي هذه الحاجة ، وان الضرورة تدعو إلى أن تكون صناعة القراطيس صناعة عراقية فتنشأ لها المصانع في العراق ، ويحمل اليها الصناع من مصر يتولونها ويضعون أسس العمل فيها . وقد حاول المعتصم هذه المحاولة ، وان لم تنجح ، كما يذكر ذلك ابن الفقيه ، إذ يقول : « وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس إلى سر من رأى ، مع تربها ومائها ، وأمرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه إلا الخشن الذي يتكسر » [2]

ومن ذلك نرى أن القراطيس احتفظت بمكانها من الوراقة في القرن الثالث والجاحظ يذكرها بين ما تستورده مصر من العراق ، إذ يقول : « و [يجلب] من مصر الحمر المهاليج ، والثياب الرقاق ، والقراطيس » [3] ، كما يذكرها في قصه أبي سعيد المدائني في

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤ ٤ ، وانظر : أدب الكتاب للصولي ص ١٠٦ ، المطبعة السلفية

(٢) البلدان ، ص ٢٥٢ ، ط ليدن

(٣) التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ ، ط الرحمانية ، القاهرة ١٩٠٥

كتابه البخلاء [١] ، في سياق يدل على شيوعها وكذلك يذكرها أبو تمام في شعره ، إذ يمدح محمد بن عبد الملك الزيات ، ويمضي ، في سياق مديحه ، يصف القلم ويصوره ، فكان مما قال في صفته

اذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت   اعاليه في القرطاس وهي أسافل [٢]

كما تذكر في خبر ـ نعرض له بعد ـ لأحمد بن بديل الكوفي مع الخليفة المعتز

وهذا كله في المشرق حيث تتخذ منافسة الكاغد للقرطاس أعنف صورها بطبيعة الحال، وقد أخذ يكابد هذه المنافسة دون أن تمكنه ظروف صناعته أن يصمد طويلا لها ولعل الرغبة في انشاء صناعة القرطاس في العراق ، كما ذكرنا ، تدل على الحالة التي كان يعانيها ، والتي أريد استنقاذه منها دون جدوى ومع ذلك فقد ظل يقاوم مقاومة المستيئس ما امكنته المقاومة

أما في مصر فقد ظلت صناعة القرطاس إلى أواخر هذا القرن ، على الأقل ، ماضية في طريقها ، وظلت مصانعها تعمل وتنتج ، وان كنا لا نعلم مدى هذا الانتاج وقد ذكر اليعقوبي ـ وهو من أهل القرن الثالث في شطره الثاني ـ من هذه المصانع مصنعين كلاهما في شمال دلتا النيل ، حيث يكثر نبات البردي ، احدهما في (بورة) ، وهي ـ كما يقول ـ حصن على ساحل البحر من عمل دمياط ، والآخر في مدينة (اخنو) ، وهي في الجانب الغربي من شمال الدلتا ، عند رشيد وقد ذكر عنها انه « يقال لها وسيمة » [٣] ولا ندري أ كان هذان المصنعان هما كل مصانع القراطيس في مصر في ذلك الوقت ، أم كان هنالك

---

(١) ص ١٤٣ ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨

(٢) ديوان ابي تمام ، ص ١٩٤ ، ط القاهرة وانظر : الحيوان للجاحظ ١ : ٦٧ ، أدب الكتاب ، ص ٧٧

(٣) كتاب البلدان ، ص ٩٠ ، ط النجف ، العراق ، ١٩١٨

غيرها مما لم يعرض اليعقوبي له .

فهذا شأن القرطاس في القرن الثالث ، أما في القرن الرابع فلا ندري - على التحقيق - الحالة التي صار اليها وان كان الذي يغلب على الظن انه انتهى تماماً في المشرق . ولعلنا نستطيع أن نرى هذا المعنى في هذه العبارة من كلام الثعالبي ، في حديثه عن سمرقند : « ومن خصائص سمرقند الكواغيد التي عطلت قراطيس مصر ، والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها ، لأنها أحسن وانعم وأرفق وأوفق »[1] والثعالبي من أهل القرن الرابع

واذا كانت كلمة « القرطاس » ظلت ماثلة في هذا القرن في بعض الآثار الأدبية ، كما في هذا البيت من قصيدة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي التي يمدح بها أبا القاسم الوزير :

ينظم دراً في قراطيسه افدى أبا العباس من ناظم[2]

فقد يكون ذلك في قبيل التوسع في الاستعمال اللغوي ، على النحو الذي جعل هذه الكلمة من اكثر الكلمات شيوعاً على مدى الأيام ، إلى وقتنا هذا .

ولعل مما يدل على هذا المصير الذي صار اليه القرطاس في المشرق ما انتهى اليه أمره في مصر ، إذ كان من الطبيعي أن تكون آخر الاقاليم التي يمكن أن يعيش فيها ، ففي الوقت الذي انتهت فيه منافسة الكاغد له في المشرق باخلائه الميدان له ، كان القرطاس ما يزال محتفظاً بوجوده في مصر وذلك هو تأويل كلمة الثعالبي : « وقراطيس مصر للمغرب ككواغيد سمرقند للمشرق »[3] ، بمعنى أن القرطاس كان في مصر لعهده بمنزلة الكاغد في المشرق . ولكن هذا القرن الرابع إنما كان يشهد الأيام الأخيرة للقرطاس في مصر ، أو على الأقل كان يشهد الحالة التي تؤذن بانتهاء عهده فيها ، كما شهد القرن الثالث ما يؤذن

---

(١) لطائف المعارف ص ١٢٦ ، ط ليدن

(٢) أدب الكتاب ص ٤٧

(٣) لطائف المعارف ، ص ٩٧ .

بانتهاء عهده في العراق يقول ـ كراباتشك ـ فيما ينقل عنه آدم متس ـ : « يمكننا أن نقول مع كثير من الترجيح ان صناعة تجهيز ورق البردي بمصر للكتابة قد أصبحت منتهية بالاجمال حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ، فنجد أن الورق البردي المؤرخ ينتهي في عام ٣٢٣ هـ — ٩٣٥ م انتهاء تاماً ، على حين أن الوثائق المكتوبة على الكاغد يبدأ تاريخها منذ عام ٣٠٠ هـ — ٩١٢ م » [١]

واذن ففي الوقت الذي أخذت فيه القراطيس العراقية تنحسر عن العراق ، لم يكتف الكاغد بأن يحل محله هناك ، بل كان علك من أسباب الانتشار والذيوع ما مكن له من أن يمتد إلى مصر نفسها ، فيغزو القراطيس في موطنها ثم ما زال بها يطاردها ويسد المسالك عليها ، حتى قضت نحبها ، كما نرى فيما ذكره كراباتشك

وفي هذا الخبر الذي يحكيه ياقوت في سياق ترجمته لابن حنزابه ، جعفر بن الفرات ، وزير الاخشيديين في مصر ، ما يدلنا دلالة واضحة على ما صار اليه أمر القراطيس في مصر ازاء منافسة الكاغد لها ، إذ يقول : « كان يعمل للوزير أبي الفضل الكاغد بسمرقند ، ويحمل اليه في مصر في كل سنة وكان في خزائنه عدة من الوراقين » [٢]

وقد لا يكون في هذا الخبر ما يدل دلالة قاطعة على انتهاء عهد القراطيس في مصر ، في ذلك الوقت الذي وزر فيه ابن حنزابة للاخشيديين ، وقد وزر لهم منذ أنوجور بن الأخشيد (٣٣٤ ـ ٣٤٩) إلى أن انتهت دولتهم عام ٣٥٧ . ولكنه يدل ـ على كل حال ـ على انه قد أتيح للقرطاس المصري ، في مصر نفسها ، من الكاغد الخراساني منافس قوي الشكيمة لم يملك بازائه نفسه ، ولم يستطع أن يصمد له وهو في موطنه ، فكان الكاغد يستورد إلى مصر

---

(١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة أبو ريدة ، ٢ : ٢٦٨ — ٢٦٩ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨

(٢) معجم الأدباء ٧ : ١٧٦ ، ط دار المأمون ، القاهرة

من أقصى الأرض وإن لم يكن في هذا ما يدل على النهاية ، ففيه ما يؤذن بهذه النهاية .

على أنا — مع هذا — أقرب إلى القول بأن ذلك كان آخر العهد بالقراطيس ، إذ كنا لا نجد بين أيدينا ما يدلنا على استمرار بقائها .

وإذ فرغنا من أمر القرطاس نعود إلى حديث الرق والمكان الذي قسم له ، وما أتيح له من الكاغد ومنافسته وكنا وقفنا من هذا الحديث عند كلام ابن خلدون ، ورأينا انه جعل الرق وحده أداة الكاتب والعالم ، والمنفرد بوجوه النشاط الإداري والعقلي، فيه تكتب الرسائل والصكوك ، وفيه تدون الكتب والتصانيف ، وعليه وحده تعتمد حلقات الدرس ودواوين الدولة جميعاً ، وأن الأمر بقي على ذلك إلى أيام الرشيد ، حين أشار الفضل بن يحيى البرمكي — فيما يقول — بصناعة الكاغد في العراق واستطاعت الكتابة بذلك أن تتحرر من هذا الرق وقد رأينا مبلغ ما في هذا التعميم وإطلاق القول من مجانبة للدقة وتجنّ على الحقيقة ، إذ أغفل القراطيس ومكانها إلى جانب الرقوق مكان ظاهر أما ما عدا هذا فقد أدى ابن خلدون ـ فيما نرى ـ صورة واضحة صحيحة للدور الذي كانت تقوم به الرقوق إذ ذاك ، في هذه الناحية من الحضارة الاسلامية .

ولقد كان مما ينبغي للرقوق ويستتبع ذلك الدور الكبير الذي تؤديه ، وهذا النشاط الواسع المنوط بها ، أن تنشأ لها في العراق المصانع ، يهيأ فيها الجلود بالدباغة والترقيق وما إلى ذلك ، إذ كان العراق مركز ذلك النشاط ، ولم يعد يكفي في الوفاء بالحاجات التي تؤديها الرقوق أن يعتمد على استيرادها من بلاد الفرس ، كما كان الأمر من قبل . فكان إذن من الطبيعي الذي تفرضه هذه الحالة أن تكون للرقوق مصانعها في العراق وهذا ما يجب افتراضه إذا لم نجد النص عليه أو الاشارة اليه .

على أن ابن النديم يقول في بعض كلامه : « وكانت الكتب في جلود دباغ النورة ،

وهي شديدة الجفاف ، ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر ، وفيها لين » [1]
وإذن فقد كانت الرقوق تصنع في الكوفة ، وقد أتيح لها أن تجود في صناعها وفي خبر أورده الجاحظ ما يدل على أن الرقوق الكوفية كانت رقوقاً مرموقة معروفة بالجودة ، وذلك إذ يقول في سياق كلامه عن الكتب والعناية بها والحرص عليها : « وقيل لابن داحه - وأخرج كتاب أبي الشمقمق ، وإذا هو في جلود كوفية ، ودفتين طائفيتين بخط عجيب - فقيل له : لقد أضيع من تجود لشعر أبي الشمقمق ... الخ الخبر » [2] فنحن من هذا الخبر إزاء نسخة من ديوان أبي الشمقمق ، وقد احتفل صاحبها لها وتأنق فيها ، فكان من تأنقه أن كتبها في جلود كوفية

وإلى جانب الكوفة كانت هنالك واسط والبصرة وكما كانت الرقوق الكوفية أجود انواع الرقوق كانت الرقوق البصرية أردأها ، فأما الواسطية فهي متوسطة بين هذه وتلك ، كما يستخلص ذلك من كلام الجاحظ في الموازنة بين الكاغد والرق ، إذ يذكر من مساويء الرق أنه « أحمل للغش ، يغش الكوفي بالواسطي ، والواسطي بالبصري » [3]

تلك هي مصانع الرقوق التي أتاحت لها أن تؤدي تلك الحاجات الكثيرة المختلفة التي اضطلعت بها ، فكان لها تلك المكانة الكبيرة التي رأيناها

ولكن الرق لم يلبث أن مني بما رأينا القرطاس مني به ، إذ أتيح له من الكاغد منافس قوي شديد الخطر ، وان أثبت في هذه المنافسة أنه أشد من القرطاس أيدا وأطول ذماء فلم يكد هذا النوع الجديد من الورق يعرف ويصطنع في العراق ، حتى أخذ يتحيف المناطق التي يتمتع الرق بالنفوذ فيها وكان أول ذلك في الكتابات التي تنظم معاملات الناس

---

(١) الفهرست ، ص ٢٢

(٢) الحيوان ، ١ : ٦١

(٣) مجموع رسائل الجاحظ ، ص ٧٨

وثوثقها ويقع التقاضي بها ، إذ أصدر الرشيد أمراً « ألا يكتب الناس إلا في الكاغد ، لأن الجلود ونحوها تقبـــل المحو والاعادة ، فتقبل التزوير ، بخلاف الورق ، فانه متى محى منه فسد ، وان كشط ظهر كشطه »[1] كما هو نص عبارة القلقشندي فظاهر من سياق هذا الخبر وعلة هـذا الأمر أن تحريم الـكتابة في غير الـكاغد إنما كان مقصوداً به ـ كما قلنا ـ الصكوك والعقود والعهود والمواثيق، وما إلى ذلك مما يتقيد الناس به ، وترتبط معاملاتهم بنصه وبذلك كان الحرص على صحته وثباته والثقة به فذلك نوع من التنظيم الذي تلجأ اليه الدولة وتأخذ به الناس ، تأميناً لها ، وتوسلاً للأخذ بالثقة في معاملاتهم . ولعل ذلك التحريم إنما كان عن سوابق تزوير كان الرق مما جعل سبيلها ميسوراً

وإذا عرفنا أن صلة الرق بالديوان كانت آخذة في الوهن والاضمحلال ، منذ استطاع هذا الديوان أن يوفر لنفسه القراطيس ، حتى يستطيع أن يكتفي ـ قدر الطاقة ـ بها، وأنه كان مهتماً بأمر الـكاغد وتوفيره لأنه كان أســـهل من القراطيس منالاً وأقرب مورداً وأيسر صنعاً ، إذا عرفنا هذا وأضفنا اليه ما ذكره القلقشندي من الأمر الذي أصدره الرشيد محرماً استعمال الرق في العقود والصكوك وما اليها ، كان لنا ان نعتبر الرق شيئاً منهياً ، فيما يتعلق بتلك الـكتابات التوثيقية ، إذا لم يكن في الأمر إلا ما ذكرنا من أمر الخليفة وحرص السلطان على إحاطة معاملات الناس بالثقة ، وتجنيبها أسباب الغش ووسائل الخداع والتزوير

ولـكن الأمر لم يكن في حقيقته مقصوراً على هذا وشؤون الحياة لا تمضي على مثل هذا النحو ، فهي إنما هي تخضع لطائفة كبيرة من الاعتبارات ، فالى جانب هـذا الاعتبار كان هنالك ـ ولا ريب ـ اعتبارات أخرى لها أثرها الـكبير في مثل ما نحن فيه ، ومن أولها العادة التي تسيطر على الناس وتسوسهم وتوجه سلوكهم وتـكيف تقديرهم للأمور إلى حد بعيد وتعود الناس استعمال الرقوق في تلك الأغراض لا يمـكن أن يمحقه أمر يصدره

---

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤٧٥ — ٤٧٦

الخليفة ، أو بيان يشرح به النتائج المترتبة على هذا الاستعمال ، مهما يكن هذا البيان مقنعاً في نفسه ، بما يدلي به من حجة ، فهذا الاقناع وحده لايكفي في إبطال عادة متغلغلة ، وان يكن مع هذا له أثره في الاضعاف من سلطان تلك العادة والتهوين من شأنها

ومن ذلك ما نرى من أن الرق بقي زمناً غير قصير وجل اعتماد الناس عليه في تلك الأغراض التي حرم الرشيد استعماله فيها ، إذ نراه بعد ذلك التحريم بنحو أربعين سنة ولايكاد الناس يستعملون غيره في ذلك النحو من الكتابة ، كما يتبين ذلك فيما يتطرق الجاحظ إلى ذكره في رسالة الجد والهزل ، وهي إحدى رسائله التى كان يكتبها لمحمد بن عبد الملك الزيات ، إذ يقول : « وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين ، وفي الصكاك والعهود ، وفي الشروط وصور العقارات ، وفيها تكون نموذجات النقوش ، ومنها تكون خرائط البرد ... الخ » [1] وفي هذا النص نرى الجاحظ أفادنا وجوهاً أخرى لاستعمال الرق ، كصور العقارات ونموذجات النقوش ، لم يكن الكاغد ينافسه فيها

ويذكر ابن النديم أن الناس أقاموا « ببغداد سنين لايكتبون إلا في الطروس ، لأن الدواوين نهبت في أيام محمد بن زبيدة ، وكانت في جلود ، فكانت تمحى ويكتب فيها » [2] .

ونستطيع أن نضيف إلى الوجوه التى ذكرها الجاحظ لاستعمال الرق وجهاً آخر ، وهو استخدام المحررين ـ أو من ندعوهم بالخطاطين ـ له في تجويداتهم وقد بقى للرق هذا المجال إلى القرن السادس ، على النحو الذي يدلنا عليه ياقوت في حديثه عن المبارك الكرخي ، من أهل هذا القرن ، (توفى سنة ٥٨٥) وقد وصفه بأنه كان « أوحد زمانه في حسن الخط على طريقة علي بن هلال بن البواب » ، ثم يقول : « وكان ضنيناً بخطه جداً ، فلذلك قل وجوده كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعى طستاً ويغسله » فما يكون

---

(١) مجموع رسائل الجاحظ ، ص ٧٨ ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٣

(٢) الفهرست ، ص ٥٢ .

ذلك إلا وتجويداته في الرقوق

وهكذا نرى كيف استطاع الرق ، رغم منافسة الكاغد القوية ، ومظاهرة السلطان له ، أن يصمد في المعركة ، ويظل مستبقياً هذا الميدان أمداً غير قصير ، وإن شاركه الكاغد بطبيعة الحال ولا ريب ان قوة العادة وإيثار القديم كانا من أقوى أسلحته في هذه المعركة .

فاذا انتقلنا إلى الكتابات العلمية ، وتركنا الدواوين الى بيئات العلماء والمؤلفين وأسواق الوراقين ، وجدنا للرقوق مكانها الظاهر المعترف به ، المتفق على تفوقه ، وان أراد الكاغد بطبيعة الحال أن يقتحمه عليها وقد ظل الأمر في هذه البيئات صراعاً بين الرق والكاغد — كما كان صراعاً بينه وبين القرطاس — زمناً غير قصير ، استطاع الأول أن يصمد فيه أيضاً وقد بقي يكابد هذا الصراع في استبسال وإصرار ، إلى أن قضى عليه أخيراً كما قضى على القرطاس

ومن شواهد المنزلة التي ظلت للرق في هذا الميدان ما رأينا منذ قليل من كتابة ابن داحة ديوان أبي الشمقمق على جلود كوفية ، وان هذا كان يعتبر صورة من صور التجود والتأنق . وابن داحة هذا من أهل النصف الثاني من القرن الثاني ، فقد كان — كما تشير الى ذلك بعض الأخبار — معاصراً لأبي عبيدة ومن أصحاب مجلسه [1] ومن ذلك أيضاً ما يذكره الجاحظ عن اسحاق بن سليمان — وكان أمير البصرة في عهد الرشيد — انه دخل عليه بعد عزله من الإمارة « وإذا هو في بيت كتبه ، وحواليه الأسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر »[2] فها هوذا يعد الرقوق هنا بين عدة العالم وأدوات دار كتبه ، كما يعد القماطر والدفاتر والمساطر والمحابر وبهذا الذي ذكره الجاحظ نرى أن

---

(١) الحيوان ٣ : ٢٠٢

(٢) الحيوان ١ : ١١

بيت كتب إسحق بن سليمان كان يجمع بين الرق والورق والورق هنا يتمثل في الدفاتر ، على ما يدل عليه ذكر الجاحظ لها في مكان آخر ، إذ يجعلها في مقابلة المصاحف المكونة من الرقوق [1] .

واستمر للرق مكانه الأثير عند العلماء، حتى ليرونه وحده الجدير بكتابة حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم ، وان كتابته في غيره تجاوز لحدود الأدب العلمي ازاءه ، كما نرى في الخبر الذي رواه الخطيب البغدادي عن أحمد بن بديل الكوفي ، حين بعث اليه المعتز ليأخذ الحديث عنه ، حتى إذا دخل عليه واستقر في مجلسه ، وهيأ لاملاء الحديث ، « أخذ الكاتب القرطاس والدواة » فقال له منكراً : « أتكتب حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، في قرطاس بمداد ؟ » ، فاذا سأله الكاتب : « فيما يكتب إذن ؟ » ، قال : « في رق بحبر » فجاؤا بالرق والحبر ، وأخذ في الاملاء [2]

وبهذه المكانة التي تسنمها الرق في أوساط العلماء ، وهذه الهالة التي أحاطت به ، مضى في طريقه خلال القرون ، فنحن ما نزال نقع على الخبر بعد الخبر دالا على احتفاظه بمكانه ، كهذا الخبر الذي يحكيه ياقوت في سياق حديثه عن أبي الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي، المتوفى سنة عشرين وأربعمائة ، وسرده أسماء كتبه ، وقد ذكر من بينها كتابه الذي وضعه شرحاً على كتاب سيبويه ، إذ يقول عنه : « إلا أنه غسله وذلك إن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة ، فقام مغضباً ، وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجانه ، وصب عليه

---

(١) مجموع رسائل الجاحظ ، ص ٧٢ ـ ٧٣

(٢) تاريخ بغداد ٤ : ٥١ وفي هذا النص يبدو أن المداد شيء والحبر شيء آخر ، والمعروف مما بمعنى واحد ، ولكن السياق هنا يدل على ان المداد كان يطلق على نوع من الحبر يناسب القرطاس ، والحبر على ما يناسب الكاغد وانظر ما يذكره القلقشندي في جعله الحبر صنفين : صنف يناسب الكاغد ، وصنف يناسب الرق ، ويسميه الحبر الرأس (صبح الأعشى ٢ : ٤٧٦) .

الماء وغسله ، وجعل يلطم به الحيطان ويقول : لا أجعل أولاد البقالين نحاة »[1]

ونبلغ القرن السادس فنجد في أواخره ياقوتاً يحكي أنه لقي في آمد ، سنة ٥٩٣ ، علي بن الحسن بن عنبر المعروف بالشميم الحلي ، وكان شديد المغالاة بنفسه والغض من غيره ، « لايقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً » ، إلا أنه قال عن الحريري ومقاماته إنه حاول معارضته ، فأنشأ مقامات كمقاماته ، ثلاث مرات ، ولكنه ما إن يتأملها حتى يسترذلها ، فيعمد الى البركة فيغسلها[2]

وهكذا نرى ان الرق بقي أداة من أدوات العلماء والأدباء حتى نهاية القرن السادس ، وإن كنا لا نعرف تماماً متى قضى عليه القضاء الأخير ، إلا انا نحسب على كل حال أن العهد لم يطل به كثيراً بعد ذلك ، فقدكانت منافسة الكاغد له منافسة قوية دائبة منذ أول امره ، لم تهن ولم تفتر ، ولا سيما بعد ان كثرت مصانعه ، وتعددت مواطن إنتاجه ، على الوجه الذي نرجو أن نبينه بعد

ولدينا من هذه المنافسة التي ثارت بين الرق والكاغد صورة في غاية الطرافة ووضوح الملامح ، أطرفنا بها الجاحظ ، بأسلوبه الرائع ، وطريقته الساخرة العابثة ، وهي تقع في رسالة الجد والهزل التي اشرنا اليها منذ قليل

وقد زعم الجاحظ في رسالته هذه التي بلغ بها شأواً بعيداً في التصوير العابث والتحليل الساخر ان ابن الزيات — وكان ، فيما يزعم في هذه الرسالة ، جعل يبالغ في النكاية به ، ويصطنع الوسائل الدقيقة الخفية للكيد له — كان مما انتحله من مذاهب النكاية ، وان ساقه مساق النصيحة الصادقة والمشورة الخالصة ، ان زيّن له النسخ في الجلود بدلاً من الكاغد ، ومن ذلك بدأ ابو عثمان حديثه ، وعليه بنى هذا الفصل الرائع الذي يعنينا منه في

---

(١) معجم الأدباء ١٤ : ٧٩

(٢) معجم الأدباء ، ١٦ : ٢٦٨ — ٢٦٩ .

هذا البحث ما عرض به كلا من وجهة نظر اصحاب الكاغد واصحاب الرق ، وما تحدث به عن العلة التي يعتل بها هؤلاء واولئك ، في إيثار ما يؤثرون منها ، والغض مما يعرضون عنه قال :

« جعلت فداك ! ما هـذا الاستقصاء ، وما هذا البلاء ، وما هذا التتبع لغوامض المسألة ، والتعرض لدقائق المكر ، وما هذا التغلغل في كل شيء يحمل ذكرى ، وما هذا الترقي الى كل ما يحط من قدري ، وما عليك ان تكون كتبي كلها من الورق الصيني، ومن الكاغد الخراساني ؟ قل لي : لم زينت النسخ في الجلود ، ولم حثثتني على الأدم ؟ وانت تعلم ان الجلود جافية الحجم ، ثقيلة الوزن ، ان اصابها الماء بطلت ، وإن كان يوم لثق استرخت ولو لم يكن فيها إلا انها تبغض إلى اربابها نزول الغيث ، وتكره إلى مالكيها الحيا ، لكان في ذلك ما كفى ومنع منها وقد علمت ان الوراق لايخط في تلك الأيام سطراً ، ولا يقطع فيها جلداً وان نديت — فضلاً عن ان عطر وفضلاً عن ان تغرق — استرسلت وامتدت ، ومتى جفت لم تعد إلى حالها إلا مع تقبض شديد وتشنج قبيح وهي انتن ريحاً ، واكثر ثمناً ، واحمل للغش : يغش الكوفي بالواسطي والواسطي بالبصري وتعتق لكي يذهب ريحها وينجاب شعرها . وهي اكثر عقداً وعجراً ، واكثر خباطاً واسقاطاً ، والصفرة اليها اسرع ، وسرعة انسحاق الخط فيها اعم ولو اراد صاحب علم ان يحمل منها قدر ما يكفيه في سفره لما كفاه حمل بعير ، ولو اراد مثل ذلك من القطني لكفاه ما يحمل مع زاده

وقلت لي : عليك بها ، فإنها أحمل للحك والتغيير ، وأبقى على تعاور العارية ، وعلى تقليب الأيدي ، ولرديدها ثمن ، ولطرسها مرجوع ، والمعاد منها ينوب عن الجديد . وليس لدفاتر القطني أثمان في السوق ، وإن كان فيها كل حديث طريف ، ولطيف مليح ، وعلم نفيس ؛ ولو عرضت عليهم عددها في عدد الورق جلوداً ، ثم كان فيها كل شعر بارد وكل حديث غث ، لكانت أثمن ، ولكانوا اليها أسرع

وقلت : وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين ، وفي الصكاك والعهود ، وفي الشروط وصور العقارات ، وفيها تكون نموذجات النقوش ، ومنها تكون خرائط البرد ، وهن أصلح للجرب ولعفاص الجرة وسداد القارورة وزعمت أن الأرضة إلى الكاغد أسرع ، وأنكرت أن تكون الفارة إلى الجلود أســـرع ، بل زعمت أنها إلى الكاغد أسرع وله أفسد ، فكنت سبب المضرة والاستبدال بالكاغد ، وكنت سبب البلية في تحويل الدفاتر الخفاف في الحمل إلى المصاحف التي تثقل الأيدي ، وتحطم الصدور ، وتقوس الظهور ، وتعمي الأبصار وقد كان في الواجب أن يدع الناس اسم المصحف للشيء الذي جمع القرآن، دون كل مجلد ، وألا يروموا جمع شيء من أبواب العلم بين الدفتين ، فيلحقوا بما جعله السلف للقرآن غير ذلك من العلوم » [1]

وقد آثرنا إيراد هـذا الفصل من كلام الجاحظ على طوله ، لأنه — بالرغم من اللهجة الساخرة التي اصطبغ بها — يقدم لنا صورة حية قوية نابضة من هذا الصراع الناشب بين الرق والكاغد ، كما نستطيع أن نتعرف فيه — في صورة واضحـــة — سيئات الرقوق وحسناتها ، كما تتردد على ألسنة أنصارها وخصومها ؛ وأن نرى كيف كانت الرقوق تجاهد وتقاوم أنواعاً من المقاومة لتصمد لمنافسة الكاغد ، وكيف كانت في مقاومتها هذه تعتمد على كثير من التعلات وصغائر الاعتبارات ، تزجي بها بضاعتها ، وتتوسل بها إلى التماس إيثار الناس إياها وهي - كما نرى - تعلات تدل في مجموعها على الافلاس ، كقول أصحاب الرقوق إزاء ما كان الكاغد يمتاز به من رخص السعر : انها في مقابل هذا تمتاز بأن وجوه الانتفاع بها كثيرة ، « فإنها أحمل للحك والتغيير ، وأبقى على تعاور العارية ، وعلى تقليب الأيدي ، ولرديدها ثمن ، ولطرسها مرجوع » ، وانها تستطيع أن تخدع الناس عما فيها من حديث غث وشعر بارد ، إلى غير ذلك من الحجج التي يراد بها إثارة الرغبة في الكسب

---

(١) مجموع رسائل الجاحظ ، ص ٧٧ — ٧٩

المادي ، وصرف الأنظار عن مزايا الكاغد المتصلة بوظيفته وحقيقته

ولكن ذلك كله لم يغن شيئاً عن المصير المحتوم الذي كان مقدوراً للرق أن ينتهي اليه ، وإن كثرت مقاومته وطال ذماؤه واشتد بالحياة تشبثه . نزولاً على سنة الطبيعة وقوانين التطور

وبانتهاء استعمال الرق في هذا الأفق انفرد الكاغد بفنون الكتابة جميعاً في الشرق الاسلامي كله

أما الغرب ، ونعني به هنا ما كان إلى غربي مصر ، فالأمر فيه مختلف اختلافاً يقتضي وقفة قصيرة تبينه وتدل على بعض وجوهه

وقد أشرنا من قبل في تعليقنا على ما قاله ابن خلدون عن الرق واستئثاره بوجوه النشاط المختلفة حتى ظهور الكاغد ، إلى انه في إغفاله أمر القرطاس ربما كان متأثراً بتاريخ الوراقة في المغرب ، حيث انفرد الرق باداء الحاجات الديوانية والعلمية فترة غير قصيرة إلى أن أتيح للكاغد أن يأخذ مكانه إلى جانبه

وقد كان الظن بالدولة المركزية، التي كانت - فيما يبدو - حريصة على أن تأخذ دواويها في الأقاليم المختلفة بنظام واحد تقريباً ، أن توفر لدواوين المغرب القرطاس كما توفره لدواوين المشرق ولكن القراطيس لم تكن - فيما يظهر - من الوفرة بحيث تكفي حاجة دواوين الدولة جميعاً في المشرق والمغرب . كما يبدو — إلى جانب ذلك — أن دواوين المغرب لم تبلغ في عهدها الأول المبلغ الذي تحتاج معه إلى مثل القرطاس ، بحيث لا تستطيع أن تمضي أمورها بدونه ، كما كان الأمر في المشرق

فكان الأمر إذن ، في عهد الولاة ، للرق وحده ، حتى جاءت دولة الأغالبة وتحقق بها لأفريقية استقلالها الذاتي ، وأرادت أن تجعل منها دولة كبرى ، وأن تسبغ عليها من ألوان الحضارة المختلفة ، مادية وأدبية ، ما يجعلها جديرة بالمكان الذي تطمح اليه . واستطاعت أن

تمضي في ذلك إلى مدى غير قريب ، فكان من الطبيعي أن تنظر في أمر القرطاس الذي يعد مظهراً من مظاهر الحضارة في المشرق وإذ كانت دواوين المشرق وأسواقه تكاد تستغرق كل انتاجه في مصر ، دون أن يفي بحاجاتها ، حتى فكر المعتصم في أن يصنعه في العراق ، كما رأينا ، فليحاول الأغالبة ما حاوله المعتصم ، وليجعلوا من القرطاس صناعة أفريقية

وهكذا نشأت في أفريقية صناعة القرطاس من نبات ينبت في صقلية أشبه ببردي مصر ، يذكره ابن حوقل ، كما يشير فيما يذكره عنه إلى هذه الصناعة ، وذلك إذ يقول في حديثه عن صقلية : « وفي خلال أراضيها بقـــاع قد غلب عليها البربير ، وهو البردي المعمول منه الطوامير ولا يعلم لما بمصر من هذا البربير نظير على وجه الأرض ، الا ما بصقلية منه ، وأكثره يفتل حبالاً لمرامي المراكب وأقله يعمل للسلطان منه طوامير القراطيس . ولن يزيد على قدر كفايته »[1]

وبهذا نرى أن صناعة القرطاس في المغرب نشأت نشـأة بسيطة ، في حدود إمكانياتها الصغيرة ، كما ظل القرطاس فيه محدوداً بحدود الاستعمال الخاص للسلطان ، لايتجاوزه ، كأنه مظهر من مظاهر امتيازه ، ووجه من وجوه الترف المقصور عليه « ولهذا السبب لم يكن له أثر كبير في المظهر العلمي الافريقي ، لدرجة اننا لم نعثر على قطعة صغيرة منه ، فيما وصل الينا من تراث العصـــر الذي نبحث عنه » ، كما يقول الاســـتاذ البحاثة حسن حسني عبد الوهاب »[2]

وهكذا انتفت منافسة القرطاس للرق ، على هذه الصورة

أما الـكاغد — وقد كانت صناعته في أفريقية مقارنة لصناعة القرطاس ، فيما يبدو — فقد كان أوفر من القرطاس حظاً ، إذ كان أيســر سبيلاً ذلك ان مادنه التي كان يتخذ

---

(١) صورة الأرض ، ص ١١٧ ط بيروت

(٢) في بحثه القيم : « البردي والرق والـكاغد في افريقية التونـسية » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، ص ٤١

مها كانت من النباتات التي تنبت في أفريقية ، وهي الكتان الذي كانوا يتخذون منه الثياب يقول الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب : « وبين أيدينا نماذج من الورق الافريقي المصنوع من الكتان ، وكان مما يزرع في أفريقية ، وكذا نماذج من الورق المتخذ من خرق الكتان البالية وأقدم ما وقفت عليه منه كراس منسوخ بالقيروان ، سنة ٢٧١ ». كما يستظهر أن أول ظهوره في أفريقية كان في أواسط القرن الثالث ، في عهد الأغالبة [١]

فقد أتيح إذن لصناعة الكاغد في أفريقية ما لم يتح لصناعة القرطاس فيها ، فمضت في طريقها قدماً ، « حتى بلغت في القيروان وفي مدينة تونس والمهدية شأواً بعيداً من الرفعة والاتقان » كما يقرر ذلك أيضاً الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

ولكن مع هذا الشأو البعيد الذي بلغته صناعة الكاغد والذيوع الذي ظفر هو به، لم يستطع أن يزحزح الرق كثيراً عن مكانه في المغرب ، فبقي صاحب المكان الأول فيه ، كما لاحظ ذلك البشاري فيما ذكره عنه في أواخر القرن الرابع ، إذ يقول : « وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق » [٢]

وهـــذه المنزلة التي ظفر بها الرق في أفريقية أتاحت له من التوفر على العناية بصنعه ، والافتنان في تهذيبه ، والتأنق في تزيينه وتجميله ، ما لم يظفر به في مكان آخر ، حتى أصبح الرق المغربي فريداً في بابه ، كما تشـــهد بذلك النماذج الرائعة الماثلة في مكتبة جامع عقبة بالقيروان ، ويقول الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب : إن أهل أفريقية بلغوا « في صناعة تجهيز الرق ، وصقله ، وتحبيره ، وصبغه أحياناً بألوان مختلفة ، ما بين أخضر ولازوردي وأحمر قانٍ ، الغاية القصوى في الاتقان والنعومة ، حتى صار الرق من السلع التي يتجهز فيها ويرتفق بها الى جميع آفاق المغرب والأندلس والعدوة الافرنجية » ، كما يشير إلى الذخيرة

---

(١) المرجع نفسه

(٢) أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ ، ط ليدن ،

الكبرى التي احتفظت بها خزانة جامع عقبة فيقول : « ومن يطلع على قناطير الرقوق المحفوظة في المكتبة العتيقة بجامع عقبة في القيروان يرى ما يدهش الأبصار من دقة الصنعة، وجودة تحضيره واتقانه »[1]

وإذا كان الرق استطاع أن يظفر في المغرب بهذه المنزلة ، وان يحتفظ بمكانه حتى القرن الثامن ، في هذا الأفق من آفاق العالم الاسلامي ، بعد أن انتهى أمره عاماً في المشرق ، منذ قرنين من الزمن ، فإنه لم يكن من الطبيعي أن يغالب سنن الكون ، وأن يمضي في الصمود أمام الكاغد وهكذا لم يلبث أن واجه المصير الذي واجهه من قبل في المشرق

وبذلك انفرد الكاغد بفنون الكتابة جميعها في العالم الاسلامي كله : شرقه وغربه .

محمد طه الحاجري

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، ص ٤٣

الفصد في الطب القديم

الدكتور عبد اللطيف البدري

من العسير أن يحدد زمان اجراء أول عملية فصد ، أو من أجراها بصورها الأولى ، ولكن ما ورد في السير يدل على أن الانسان عرف منذ أقدم العصور أن الدم هو السائل الثمين في الجسم وبه ترتبط الحياة بمختلف الصور ، وفقدانه بغزارة قد يؤدي الى الموت ، وعرف أيضاً أن هذا السائل عرضة لتغييرات في نوعه وكميته ، وأن مختلف الأمراض تؤثر عليه بوجه أو بآخر ولا بد أنه قد جرت محاولات في بداية التطور الحضاري للانسان بهدف كسب النفع من استخراج كمية من هذا الدم بالفصد أو بغيره ، أملاً في الشفاء من مرض ، أو دفعاً لبلاء يعتقد أن هذا الاجراء ناجع لتجنبه

فلقد جاء في تاريخ المصريين القدماء أن فرعون مرض وفقد وعيه من نزف في دماغه ، فاستدعت زوجته سراً أحد مشاهير الأطباء آنذاك ، ليخرج هذا الدم من داخل رأسه ، فأخبرها بعد أن أجرى الكشف عليه أن الأمل واه في شفاء من مثل حالته وبهذه العملية. ولما كان لزاماً أن يقتل من يعالج فرعون الملك ولا يشفيه ، فقد طلبت الزوجة من الطبيب إجراء العملية في السر وفي وقت متأخر من الليل عند خفة حدة المراقبة عليه ، وقد أجريت العملية فعلاً ومات فرعون ، وخفي أمر الطبيب ومهما يكن من وصف للملابسات آنذاك ، فان ما ورد على لسان الطبيب يدل على أن هناك تقدماً كبيراً في التطبيب ، ليكون

بامكان الجرائحي أن يفرق بين ما ينفع في النزف الدماغي ، مما لاينفع

وجاء أيضاً في كتاب الأمراض العسرة لجالينوس أنه كان ماراً بمدينة رومية إذا هو برجل قد حلّق حوله جماعة من السفهاء وهو يقول أنا رجل من أهل « حلب » لقيت جالينوس وعلمني علومه أجمع ، وهذا دواء ينفع من الدود في الأضراس ، وكان الخبيث قد أعد بندقاً معمولاً من القار والقطران وكان يضعها على الحجر ويبخر بها فم الذي به الأضراس المدودة بزعمه ، فلا يجد بداً من غلق عينيه فاذا أغلقها دس في فمه دوداً قد أعدها في حُقّ ، ثم يخرجها من فم صاحب الضرس ، فلما فعل ذلك ألقى اليه السفهاء بما معهم ثم تجاوز ذلك حتى قطع العروق على غير مفاصل (فصد بغير دراية) فلما رأيت ذلك أبرزت وجهي للناس وقلت أنا جالينوس وهذا سفيه (مجرم كذاب) ثم حذرت منه وأستعديت عليه السلطان فبطّله ، ولذلك ألفت كتاباً في أصحاب الحيل

وجاء أيضاً أن جالينوس مرض في كبده ، فرأى في منامه هاتفاً يقول له أفصد في ذراعك الأيمن فتبرأ ، فلما صحا من النوم فصد في ذراعه الأيمن فبرأ ولما كان جالينوس آية زمانه في الحكمة ، فقد ذهب ما فعله مذهباً في تطبيب آفات الكبد ، ولم يقتصر الفصد على هذا المرض بل تعداه ، فجرب لمن به داء في الكبد ، ولمن به داء بغير كبده ، وجرب الذراع الأيمن وكذلك الذراع الأيسر وجرب عرق الصدغ وعروق الساقين وكل مواضع الأوردة الظاهرة ، وألف جالينوس قبل وفاته كتاباً في الفصد والحجامة

وقيل إن افلاطون خلف من بعد وفاته ستة من تلاميذه من أولاده وأقربائه وهم بيرونوس وأفرده بالحكم على الأمراض وفورنوس وأفرده بالتدبير للأبدان « وفورلوس » وأفرده للفصد والكي « وثافروس » وأفرده بعلاج الخراجات ، « وسرجس » وأفرده بعلاج العين « وفاينس » وأفرده بجبر العظام المكسورة وإصلاح المخلوعة

وما جاء لجالينوس وأفلاطون ، جاء ما يماثله لأيبوقراط فقد كتب مقالات عديدة وكتباً

في الطب بينها كتاب في الفصد والحجامة

ودارت عجلة الزمن وحذا اللاحقون من المتطببين حذو السابقين ، وتناقلت الأجيال الخبرة والتجربة ، فأصبح علم الفصد وفنه واسعاً ، وعرف في أي موضع من البدن يفضل الفصد ، وفي أي مرض ينفع ولا يضر ، وفي أي عمر يجب أن يحرّم ، وكذلك طرق الفصد ومداها ثم كيف يبرى موضع الفصد أو يتجنب اختلاطاته

ومن الطبيعي أن تكون هذه المعلومات ، في الأزمان التي تلت عصور رواد الطبابة ، مختلفة أشد الاختلاف ، تبعاً لانتشار الحضارة في بقعة من بقاع الأرض أو في دولة من الدول ، ولم تخل منها الكتب الطبية في الدولة الفارسية ، وفي الهند ، وعند الروم

وكذلك جاء ذكر الفصد في التطبيب في الجاهلية وفي صدر الاسلام وفي العهد الأموي، ولكن ازدهار الحضارة في العصر العباسي ، ونزوح جماعة من خيرة الأطباء في مدرسة « جندي سابور » إلى بغداد حيث قاموا في خدمة خلفاء بني العباس ونظراً لما عرف به هؤلاء الملوك والخلفاء من عناية بالطبابة ، ولكثرة ما ألف وترجم فيها من الكتب اليونانية والفارسية والهندية ، وما صاحبه من فتح للمشافي ، وتوفير للعقاقير ، كل هذا جعل من التطبيب حرفة مقدسة سامية ، يختص فيها من يتوفر على شروط معينة ، بعد فحص دقيق ورقابة أدق

وحضي الفصد بنصيب واسع من التطبيق بين علوم التطبيب في العصر العباسي ، فلقد ذكر أن الرشيد كان يفصد مرتين في السنة وبأوقات محددة مسبقة ، وكان « جبرائيل بن بختيشوع » طبيب الرشيد يتقاضى من الخليفة ١٠٠ر٠٠٠ مائة ألف درهم عن فصده مرتين في العام الواحد ، ومن أصحاب الرشيد ٤٠٠ر٠٠٠ أربعمائة الف درهم عن الفصد والدواء في السنة ، وليس أبلغ من هذه الأرقام وهي نصف مليون درهم ما يدخل طبيباً واحداً من إجراء جراحي واحد ليدل على ما كان يعطى لهذا الإجراء من أهمية

وجاء أيضاً أنه عرض للوزير « يحي بن القاسم المغربي » قولنج صعب أقام لأجله في الحمام واحتقن بعدة حقن وشرب عدة شربات فلم ير صلاحاً ، فأنفذ رسولاً إلى المتطبب « صاعد بن بشر بن عبدوس » فلما رآه على هذه الحال استدعى فاصداً ففصده ، وأخرج له دماً كثير المقدار ، وسقاه ماء البزور ولعاباً « وسكنجبيناً » ونقله من حجرة الحمام إلى الخيش فنام وقام عدة مجالس فتفضل الله عليه بالعافية

وفي ذكر المتطبب « ديلم » أن « المعتمد على الله » وهو « أحمد بن المتوكل » أراد أن يفتصد فقال « للحسن بن مخلد » اكتب لي جميع من في خدمتنا من الأطباء حتى أتقدم بأن تصل كل واحد منهم على قدره فكتب الأسماء وأدخل فيها اسم « ديلم » فخرج له الف دينار

ومثلا آخر على شيوع الفصد هو أن رئاسة الأطباء قد فوضت يوماً لأمين الدولة بن التلميذ فجاءه شيخ له هيبة ووقار وعنده سكينة ، فأكرمه أمين الدولة ، ولم يكن عند الشيخ علم بالصناعة إلا التظاهر بها ، فلم يشارك الجماعة فيما يبحثون فلما سئل بعد انفضاض المجلس عما عنده من الصناعة انكشف جهله ورجا رئيس الأطباء ألا يفضحه فقال أمين الدولة على شريطة ألا تهجم على مريض بما تعمله ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلا لما قرب من الأمراض فقال الشيخ هذا مذهبي ما تعديت السكنجبين والجلاب .

وفي هذه الأمثلة ما يعنى أن الفصد قد استعمل كثيراً ، وأحياناً في غير محله قصداً أو جهلا ولعل شرّ ما حدث هو أنتقال اجراء الفصد لأيدي المدعين وممن لم يكن لهم من نفسهم رادع عن السوء ففصدوا من دون مبرر إلا طمعاً في مال أو تنفيذاً لظلم أو مرافقة لقسوة أو تعذيب

وإثباتاً لما وصل اليه المستوى في الصناعة عن الفصد آنذاك نذكر ما جاء في كتاب العمدة لابن القف عن هذا الموضوع (الفصد) :

(الفصد هو تفرق اتصال إرادي خاص بالأوردة بآلة مخصوصة ، وقـــد قيل ارادي للتمييز ، وبالأوردة للتفريق عن بط الخراجات بالصناعـة والتي هي بسطح البدن ، وبآلة مخصوصة هي(الرائشة) تمييزاً له عن فتح العروق بالأدوية كاحداث الرعافة بالأدوية المرعفة).

وجاء أيضاً ان الفصد يستعمل في ثلاثة أمور أحدها عند زيادة الأخلاط في الـكمية مع حفظ نسبها ، وثانيها عند زيادة كمية الدم فقط ، والثالثة عند زيادة الـكيفية إلى جانب الحرارة وهذا قليل الاستعمال

وللفصد شروط من جهة الفاصد والمفتصد ، اما الأول فيجب أن يكون عارفاً بالتشريح ليعرف مسالك الأوردة وأوضاعها وما يجاورها وأن لا يفصد في مكان مظلم ، ليدرك العرق ويعرف كيف يضع المبضع وأن يتعاهد تنقية دماغه ، ثم بصره بالأ كحال إن احتاج اليها وأن لا يقدم على فصد صبي ولا على شيخ كبير ولا على طامث إلا باذن أقاربها ولا على مملوك إلا باذن مولاه ، ولا على محبوس إلا بأذن ولي أمره ، ولا على من كانت معـدته ضعيفة وكذلك كبده ، ولا على من كان مستعداً لانطلاق البطن ولأمراض رطبة ساذجة أو مادية ، وان يوسع الفصد في زمان الشتاء وعند كون السمنة مستحصفة والمواد غليظة ، ويضيقه في الصيف وعند كون السمنة متخلخلة والأخلاط رقيقة ، وان يكون مبضعه نقياً من الصدأ والنمش ، وان يطيل زمان حبسه للعرق ، وأن يديم تمريخ الفصد ، ويأمر المفصود بمسك شيء ثقيل ليظهر العرق وأن يفصد العروق المفصلية طولا إن أراد تأخر التحامها ، وعرضا أن أريد تثنيها بسرعة ، وان يشد العضو عن الفصد بعصابة معتدلة العرض دقيقة وأن لا ينظر الى وجه امرأة عند فصدها ولا يطيل زمان حبس عضدها وزندها ، وتكون معه أدوية لقطع الدم مهيئة ، وان يكون دينا في دينه طاهراً في ذيله

أما من جهة المفتصد فهناك نوعان من الفصد ضروري واختياري ، فالأول يستعمل متى دعت الحاجة ولا يراعى فيه سوى الاحتمال ومقدار المادة ، فالطفل يحجم ولا يفصد ،

والثاني تراعى فيه شروط وهو ان يكون بعد تمام الهضم ودفع الفضلات، ويحذر عند خلل المعدة وعقيب التخمة ، وعقيب الجماع وفيمن كان ضعيف الكبد وفي السمين ممتناً شحمياً وفي كثير الصوم ، ومن كان مكدوراً وفي وقت الغضب ، وفي وقت الحمل وجريان الطمث.

والعروق المفصودة على نوعين أوردة وشرايين وفي فصد الشرايين خطر لعسر التحامها ودوام حركتها ورقة دمها وصلابة جرمها ولأن الدم الذي تحويه الغالب عليه الجوهر الروحي لا المادة المريضة أما الأوردة فقد حصرت في أربعة وثلاثين ، في الرأس منها اثنا عشر وفي اليدين اثنا عشر وعلى البطن عرقان وفي الرجلين ثمانية عروق ، في كل رجل أربعة.

إن هذا الذي كتب قبل مئات السنين لم يتغير إلا فيما يتعلق بالأخلاط حيث أ كسب العلم الحديث تفسيراً أدق لموجبات الفصد وسمّاها بما يوازي التقدم والتطور

فالفصد نافع في جميع حالات خذلان القلب الأيسر الحادة ، وتمنى وذمة الرئة ، وربو القلب ، وعسر النفس النوبي وكذلك ينفع الفصد في عـــدم كفاءة القلب الأيمن ، كما في التهاب القصبات المزمن المصحوب بتوسع القلب ، ولا يجوز إجراؤه فيمن بـه إغماء من ضـد عصبي ، أو في فقر الدم ، أو في الحضرال ، أو من بهم تصلب الشرايين أو نزف في الدماغ . وما عدا هذا فكل ما قيل عن شروط الفاصد والمفتصد لم تزل كما هي ، بل ربما كانت كذلك منذ أقدم الأزمان وستدوم كذلك ما دام الأنسان في جوهره ، كما خلق أول وما دام الدم هو إ كسيد الحياة الذي لن تدوم بدونه

عبد اللطيف البدري

المصادر :

(١) طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
(٣) تاريخ الحكماء لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي
(٤) الفهرست لابن النديم
(٥) كتاب العمدة في الجراحة لابن القف
(٦) تذكرة الحكيم لداود الانطاكي

شعر النّجاشي الحارثي [1]

الدكتور سليم النعيمي

واسم النجاشي قيس بن عمرو وهو من قبيلة يمانية قبيلة الحارث بن كعب والمصادر الأولى لا تذكر عنه شيئاً ذا غناء كأكثر الشعراء في هذا العصر ومع ذلك فنحن نستطيع أن نستنتج من بعض الأسماء التي ترد في أخباره ومن بعض أشعاره التي حفظها لنا الرواة أنه كان من المخضرمين أي من هذا الفريق من الشعراء الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الاسلام ومن الصعب ونحن لا نملك عنه إلا أخباراً ضئيلة أن نعرف المدة التي عاشها في الجاهلية والزمن الذي عاشه في الاسلام فنحن لا نعلم حتى على وجه التقريب متى أسلم وان كنا نرجح أنه ربما دخل في الاسلام بعد السنة التاسعة للهجرة كما نعلم عنه أنه لم يكن حين اعتنق الاسلام من المؤمنين الصادقين وأنه لم يستطع أن يمتنع عن كثير مما حرم الاسلام أو منع عنه ويظهر أنه استقر مع قبيلته في اليمن قرب نجران ولكنا نراه في خلافة عمر بن الخطاب في خصومة عنيفة مع شاعر آخر ينتمي الى بني العجلان بن كعب بن ربيعة هو تميم بن مقبل وهو شاعر مخضرم عاش فيما يقول الرواة مئة وعشرين سنة

واستمر الهجاء بينهما والروايات تسكت عن ذكر سبب هذه المهاجاة وكل الذي يذكره الرواة أن ابن مقبل هذا قد هجا النجاشي فرد النجاشيُّ عليه يهجوه ويهجو قبيلته ويظهر

أن ابن مقبل قد عجز بسبب تقدمه في السن عن جوابه وشكاه هو (في رأي بعض الرواة) أو بعض أفراد قبيلته (في رأي آخرين) الى الخليفة عمر بن الخطاب لقد كان هجاء النجاشي قاسياً من وجهة النظر الجاهلية الى العادات والاخلاق ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة الى الاخلاق الجديدة التي جاء بها الاسلام فكان جواب عمر يوضح هذا الفرق بين أخلاق الجاهلية وأخلاق الاسلام ولكن الخليفة مع ذلك قد اضطر الى معاقبة النجاشي وحبسه بعد ان استمع الى رأي حسان بن ثابت في شعره

كم قضى النجاشيُّ في السجن ؟ إن النصوص أو المصادر تسكت ولا تجيب وما الذي أصبح بعد ذاك ؟ نحن نجهل هذا أيضاً ولكن هناك دلائل تجعلنا نرجح أنه قد اشترك في هذه الفتوح التي كان يشترك فيها جيش الكوفة إذ يذكر لنا الرواة بضعة أبيات له يمدح بها ربعي بن عامر ونحن نعلم أن ربعيا هذا كان تميمياً من أهل الكوفة وكان قائد الجيش الذي أرسله الخليفة عمر يمد به الأحنف بن قيس قائد جيش المسلمين في جبهة بلخ ونحن نعلم أنه بعد ان فتح الأحنف مدينة بلخ التي قد لجأ اليها يزدجرد آخر ملوك الساسانيين ولى الأحنف بن قيس ربعيا هذا ولاية طخارستان سنة اثنتين وعشرين للهجرة

ثم نفقد كل أثر للشاعر بعد ذلك حتى بدء خلافة علي فنجده عندئذ في الكوفة يخرج مع علي مع أهل الكوفة حين يقصد الى صفين لحرب معاوية ونجده ينصر علياً بسيفه وبلسانه حتى يسمونه بشاعر أهل العراق فكان يهجي معاوية وأهل الشام

وبعد صفين يعود الى الكوفة ويظهر أنه كان رقيق الدين فيعيش عيشة مجون وفسق . يقول الرواة أنه وُجد في رمضان يشرب الخمر في النهار مع صديقه أبي سمال الأسدي وقد فر أبو سمال وأُخذ النجاشي وأُتي به الى عليٍّ بن ابي طالب فقال له ويحك ولداننا صيام وأنت مفطر فضربه سبعاً وثمانين سوطاً قال ما هذه العلاوة يا أبا الحسن قال هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان ثم وقفه للناس في تبّان وقد أثارت هذه العقوبة ثائرة زعماء اليمانيين في

الكوفة الذين لم يستطيعوا أن يحموا الشاعر من عقوبة الخليفة أما النجاشي فقد هجا أهل الكوفة هجاءً فظيعاً ليشفي منهم غله بعد ان حُدَّ هذا الحد ثم هرب من الكوفة في قول بعض الرواة أو نفاه منها علي في قول آخرين . فهجا علياً ويظهر أنه قد لحق بمعسكر معاوية الذي أحسن قبوله .

لقد اعتذر الى معاوية عن هجائه له من قبل واستقر في الشام ولكنه لم يستطع صبراً على ما كان يلقاه أفراد قبيلته من معاملة معاوية فقد كان هذا يغزيهم دائماً في البحر فحثهم على العصيان على ذلك فامتنعوا عن الغزو في البحر حتى اضطر معاوية الى أن يعدهم أن يغزيهم سنة في البحر ويغزي القيسيين أخرى فيوالي بينهم وبين قبائل قيس في ذلك ولعل ذلك قد جعله لا يستريح الى البقاء في الشام بل لعل تقدم العمر وما يشعر به الشيوخ من حنين الى موطن الصبا هو الذي حمله الى العودة الى مدينة نجران في اليمن إذ نجده هناك في خلافة معاوية وفي هذه الفترة سارت المهاجاة بينه وبين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بسبب تغزل هذا بامرأة من بني الحارث قريبة للنجاشي كانت قد تزوجت في المدينة

ويذكر لنا الزبير بن بكار تفاصيل هذا النزاع ولكن روايته ليست بالدقيقة في ذلك إذ يقول ان الشاعرين بعد أن استمع كل منهما الى الهجاء في منزل النجاشي التقيا في سوق ذي المجاز مرة وفي مكة مرة أخرى ينشدان هجاءهما ولم يكن عبد الرحمن ليقوم في الهجاء تجاه النجاشي بل سقط الى الأرض أيضاً وكسرت رجله وقد ضج بنو النجار قبيلة عبدالرحمن من هجاء النجاشي لهم فذهبوا الى حسان أبيه وطلبوا منه أن يتدخل في هذه الخصومة ويجيب النجاشي ويقول الرواة أن حسانا قد غضب غضباً شديداً وهجا قبيلة النجاشي هجاء فضيعاً فلم يجد بنو الحارث لارضاء حسان خيراً من أن يحملوا اليه الشاعر النجاشي موثقاً ليحكم فيه بما يريد وقد هزت الأريحية حساناً فعفا عن النجاشي وحمله على بغلة وأعطاه ما بقي لديه من الجائزة التي استلمها من معاوية عندئذ .

ثم مدح بني الحارث ليمحو آثار هجائه إياهم من قبل وعاد النجاشي بعد ذلك الى اليمن ويذكر لنا الرواة أبياتاً ينسبونها اليه يرثي بها الحسن بن علي وقد استند الأستاذ بروكلمن الى هذه الأبيات ليستنتج أنه توفى في السنة التي توفي فيها الحسن بن علي وهو فرض لا يدعمه دليل اذ أن هذه الأبيات نفسها تنسب الى كثير عزة أيضاً ومهما يكن من الأمر فان التاريخ الذي يذكره لنا بروكلمن في كتابة تاريخ الأدب أو في مقاله عن النجاشي في دائرة المعارف الاسلامية وهو سنة أربعين للهجرة يجب أن يصحح فيكون تسعة وأربعين للهجرة وهي سنة وفاة الحسن بن علي .

* * *

شعر النجاشي

لم يتوفر أحد من القدماء على جمع شعر النجاشي غير ابي الحسن علي بن محمد المدائني فقد ذكر له ابن النديم في الفهرست كتاب النجاشي تحت عنوان كتبه في أخبار الشعراء غير أن هذا الكتاب لم يصل إلينا كما لم ينقل منه أحد ممن جاء بعده شيئاً ولم يبق لنا من شعر النجاشي إلا مقطوعات قليلة مبعثرة في كتب الأدب والتاريخ وقد قام المستشرق الألماني فردريك شولتس بجمع طائفة من شعر النجاشي نشرها في المجلة الالمانية مع دراسة مجملة للنجاشي ولكن ما جمعه قليل جداً بالنسبة للشعر الذي ينسب الى النجاشي الحارثي موزعاً في كتب الأدب والتاريخ وقد تيسر لي أن أجمع هذا الشعر منذ مدة طويلة وقد صرفتني الصوارف عن نشره ولعل في نشره مجموعاً في مجلة المجمع العلمي العراقي ما ينفع مؤرخي الأدب وييسر لهم دراسة شعر هذا الشاعر

ولا يفوتنا أن نقرر أن بعض هذا الشعر منحول وبخاصة ما ورد في كتب أهل الأخبار ولن يفوت القارىء أن يلاحظ تفاوت الأساليب بين كثير من القطع الشعرية المنسوبة الى هذا الشاعر .

مهاجاة النجاشي وعبد الرحمن بن حسان (١)

حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثني الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر عن زكريا بن عيسي عن ابن شهاب وحدثني محمد بن الحسن المخزومي عن ابراهيم بن جعفر عن سعد بن سعيد ابن قيس الانصاري قالا :

لما أراد عبدالرحمن بن حسان ان يهاجي النجاشي قال له أبوه هلم فانشدني من شعرك فانك مهاجي اشعر العرب قال فانشده فاهوى حسان إلى شيء خلفه فعلاه به ضرباً ثم قال يا ماص بظر امه أبهذا مهاجيه اذهب فقل قصائد قبل أن تصبح قال فقال قصائد ثم جاءه فعرضها عليه فقال له حسان يا بني أذهب فابسط الشر على ذراعيك فقال يابه ما هذه وصية يعقوب لبنيه وقام فقال له حسان ما ابوك مثل يعقوب ولا انت مثل بني يعقوب أعمد الى امرأة لطيفة باخت النجاشي فرهـا فلتصفها لك واجعل لها جعلا ففعل فوصفت له اشياء ذكرت خالا وشامة قال فخرج عبد الرحمن حتى هبط مكة فلما كانت أيام منى قيل له إن ها هنا نفراً من بني عامر اخوة مطاعين في قومهم فخرج إلى أمهم يكلمها وانتسب لها وذكر الذي أراد فارسلت اليهم فقالت قوموا مع هذا الرجل وكلوا من بني عمكم من يقوم معه ففعلوا وجعلوا له غبيطاً على نجيبه وجعلوا فوق الغبيط رحلا فجاء مشرفاً على الناس وجاء النجاشي على فرس وهو يقول :

انا النجاشي على جمــاز ... فر ابن حسان بذي المجاز
وراغ لما سمع ارتجـازي ... روغ الحبارى من خوات البازي

وقال ابن حسان :

يا هند يا اخت النجاشي اسلمي ... هل تـذكرين ليـلة يا ضم
وليلة أخرى بجو الحـرم ... والشامــة السوداء بالمخدم

والخال بالـكشح اللطيف الاهضم

وانكسر النجاشي لصفته وقال النجاشي :

ستأتي اليهوديين حسان وابنه ... قصائد لم يختم عليهن روشم

(١) عن كتاب الموفقيات للزبير بن بكار

لعين رسول الله مالك ذمة ومالك من دين ومالك محرم

أبوك أب سوء وعمك مثله وخالك شر من ابيك والأم

وقال ابن حسان :

ألا ترون العبد إذ يهجو مضر منا رسول الله والقرم عمر

وقال أيضاً :

أنشد كل مسلم شهادة من لا يبيع دينه تلاده

ما بين قصد ضرغد فصاده أو ملك تلقى له آساده

وقال النجاشي لقريش وكان هواهم مع ابن حسان ويقال بل قالها حين ضربه علي رضوان الله عليه الحد بالكوفة ونفاه عنها

ظهر النبي وما قريش وسطنا إلا كمثل قلامة الظفر

فعسى قريش ان تزل بها نعل فنقسمها على ظهر

حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثني الزبير قال حدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال هاج الهجاء بين النجاشي من بني الحرث بن كعب وبين عبد الرحمن بن حسان ان امرأة من بني الحرث بن كعب كانت ناكحاً بالمدينة عند رجل من بني مخزوم وكانت من أجمل النساء فكان ابن حسان يشبب بها حتى ترقى ذلك فهجاهم النجاشي ورد عليه ابن حسان فتهاديا الشعر حيناً وابن حسان بالمدينة والنجاشي بنجران ثم اتعدا سوق ذي المجاز وكانت تقوم حين يسهل هلال ذي الحجة ثلاثة اشهر ومنها يتجهز الناس ثم يمضون إلى مكة إلى الموسم قال فقالت الانصار واتاهم ابن حسان يستنفرهم شاعران سفيهان يهجوان الناس ويحييان أمر الجاهلية فلم ينفر معه جلتهم ولا ذوو اسنانهم وخف معه شباب من سفهائها وفتيان من قريش وافناء أهل المدينة قال عياض بن أبي واقد الليثي وكان مع ابن حسان قال لما قدمنا ذا المجاز اذا النجاشي وافى في بشر كثير فلما رأى ذلك ابن حسان سأل عن أعز

من ها هنا قالوا هذه بلاد هوازن وقد نزلها بيهس بن عقال العقيلي قال فاتيناه فلم نصادفه ووجدنا امرأة فسألناها عنه فقالت ليس هو ها هنا انطلق يشتري كسوة لأهله قال فقعدنا واذا الشيخ قد اقبل ومعه رجل حامل رزمة من ثياب وفي كف بيهس اثواب كانه يشتد بها واذا هو دالف حتى اذا انتهى الينا وضع ما معه ورحب بنا ونسبنا فقال له عبد الرحمن انا ابن حسان بن ثابت فرحب به وقال حاجتك قال النجاشي يهجونا ويقطع اعراضنا فواعدته وقد وافى في بشر كثير فاردت ان تمنعني حتى القاه فاواقعه فقال نح هذا عني يا ابن اخي إلى غيري فقد نويت الحج فاردت أن لا ادخل فيها شيئاً غيرها بعدها قال فطلبنا اليه فابى فانصرفنا فلما جاوزنا سمعنا امرأته تقول له كأني بهذا المولى قد قال لك قولا لا ينكح بنتاً لك كفوء ابداً اتاك رجل من الانصار تمنعه فنبوت عنه فقال لها ويحك ادعيهم فدعينا ورجعنا فقال نعم انا أمنعك فتى واعدته قال بالغداة فغدونا وجاء النجاشي على جماز وجاء بيهس فلما تناقضا جعل بيهس يرى ابصار الناس إلى النجاشي وقد كل سمعه من الكبر قال فلما رأى ذلك ظنه قد غلبه فقال ادنوني فادنوه من النجاشي فسمعه يقول فشق عليه :

بنى اللؤم بيتاً فاستقر عماده ... عليكم بني النجار ضربة لازم

فلما سمعها كلح وقال يا آل هوازن فلم يبق بيت ولا خيمة إلا قوضت ولم أر إلا قوائم جمل النجاشي وافلت فولج فسطاطاً ثم خرج من ناحيته واتبعوه وجاء رجل من بني قارب ابن الاسود الثقفي على فرس فاردفه قال فسبق به حتى فات القوم فقال النجاشي يعم الانصار:

وهل انتم إلا كابناء نهشل ... وآل فقيم قتلوا ومجاشع
بذنب سويد وهو من آل دارم ... لزيد بن عبد الله والأمر جامع

قال ورجز بهم وقال :

اذا دعوت مذحجاً وحميراً ... والعصب اليمانيات الادفرا
فما اعز ناصري واكثرا

قال واخترط رجل من حمير سيفه فضرب به عرقوب بعير ابن حسان فقال حين كسر :

لقد شمتوا حتى استخف حلومهم ... كأن فتى لم ينكسر ساقه قبلي

واني لأرجو أن تروني وأن أرى ... سويا كأني غصن بان على نجل

وأمسى تحلات النجاح مجازياً ... بودي أهل الود والتبل بالتبل

كأني اخو الحلفاء اصبح غاديا ... شديد مشك الرأس جهم أبو شبل

تبيت بعوض الجد يعزفن حوله ... كعزف القيان الضاربات على الطبل

اذا أنا قضيت الأماني خالياً ... فاولها التقوى ومشي على الرجل

كسيرتها الأولى وذلك نالها ... اذا عدت الأشياء عندي فمن مثلي

وماانسى ملأشياء لاانس مصرعي ... عشية جمع والمغيرون في شغل

صريعاً وأيدي السابحات يردنني ... كما ورد اليعسوب رجل من النحل

فادركني ربي بفضل ونعمة ... وما زال عني ذا بلاء وذا فضل

توحد بالنعمى علي فاصبحت ... مصائبها كالثوب انقي بالغسل

قال أبو عبد الله الزبير لما وصف عبد الرحمن أخت النجاشي انكسر النجاشي لصفته قال وبطح ابن حسان عن الرحل فسقط فانكسرت رجله وجاء رجل من هذيل إلى حسان فقال قدم سابق الحجاج قال فاخبر ماذا قال. قال التقى ابنك والنجاشي فقال أيهما غلب قال غلبه النجاشي فاهوى حسان إلى ذكره فقبض عليه وقال ما خرج اذاً من هذا من انت قال رجل من هذيل فقال حسان يهجو الهذيلي :

فمن يك بين هذيل الخنا ... وبين ثمالة لا ينزع

صغار الجماجم ثط اللحا ... كأنهم القمل بالبلقع

اذا ورد الناس حوض الرسول ... ذيدت هذيل عن المشرع

قال فجاءته هذيل فكلمته فقال والله لو لم تأتوني ما زلت ارجز بكم حتى الحول

ولج الهجاء بين حسان والنجاشي فارسل اليه النجاشي بابيات من شعر منها :

بنى اللؤم بيتاً فاستقرت عماده   عليكم بني النجار ضربة لازم

وأرسل اليه بيتاً آخر :

ولو كان غدر مهلكا اهل قرية   من الناس افنى باقي الخزرج الغدر

فدخل بها عبدالرحمن بن ضرار الجشمي على حسان فقال يا ابا الوليد اما سمعت بهذين البيتين اللذين اهدى اليكم النجاشي فقال اعرضهما علي ففعل فانشأ حسان يقول :

يا راكباً اما عرضت فبلغن   عبد المدان وجل آل قنان

قد كنت أحسب أن أصلي أصلكم   حتى امرتم عبدكم فهجاني

وقال :

ابنى الحماس لامروة فيكم   أن المروة في الحماس قليل

هيجتم حسان عند ذكائه   غي لما ولد الحماس طويل

وقال :

حار بن كعب الا احلام تزجركم   عني وانتم من الجوف الجماخير

لا عيب بالقوم من طول ومن عظم   جسم البغال واحلام العصافير

دعوا التخاجي وامشوا مشية سجحاً   ان الرجال اولو عصب وتذكير

كانهم قصب جوف اسافله   مثقوبة نفخت فيه الأعاصير

وقال النجاشي :

فلم اهجكم إلا لأني حسبتكم   كرهط ابن بدر أو كرهط ابن معبد

فلما سألت الناس عنكم وجدتكم   براذين شقراً ربطت حول مذود

فلسم بني النجار اكفاء مثلنا   فابعدكم عما هنالك ابعد

فان شئتم نافرتكم عن ابيكم   إلى من اردتم من تهام ومنجد

وما كنت ادري ما حسام ولا ابنه ولا أم ذاك اليثربي المولد

فلما اتاني ما يقول ودونه مسيرة شهر للبريد المبرد

حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثني الزبير قال حدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال فغلبهم النجاشي قال وحسان يومئذ شيخ كبير اعمى فقال يعين ابنه عبد الرحمن ويهجوهم :

اما الحماس فاني غير شاتمهم لا هم كرام ولا عرض لهم خطر

أولاد حام فلا تلقى لهم شبهاً إلا التيوس على اقفائها الشعر

وقال :

الا ابلغ بني الديان عني مغلغلة ورهط بني قنان

وابلغ كل منتخب هواه رحيب الجوف من عبد المدان

مياسم غزة ورماح غاب خفاف لا تقوم به اليدان

تفاقدتم علام هجوتموني ولم اظلم ولم اخلس لساني

فلما بلغ النجاشي ان حساناً قد هجاه رجز فقال :

يا أيها الراكب ذو المتاع ذو الرحل والبردين والاقطاع

آذن بني النجار بالوقاع من شاعر ليس بمستطاع

ليس من الهرمي ولا الجذاع لا يقتل الاقوام بالخداع

الا صميم النقر والمصاع يسبق شأو النجب السراع

جاء على بختية وساع في مركب عرمرم قضاع

مثل اتى السيل ذو الدفاع اني امرؤ اوفى على يفاع

في جلبات المجد والجماع

وقال لحسان وابنه !

ان اللعين وابنه غرابا حسان لما ودع الشبابا

ونقـدن انيابه وشـابا اسأل رسول الله والكتابا

ما باله اذا افـترى وحابا وأخطـأ الحق وما اصابا

فعجـل الله له عـذابا وأخر النـار له مـآبا

يا شاعري يثرب لا ترتابا ولا معاقاة ولا عتـابا

إذ تهجوان شاعراً عضـابا للشـعراء واتراً غلابا

لامفحم القول ولا هيابا كالليث يحمي جزعه الذئابا

وانت قين ينحت الاقتابا لشـر أمر إن دعى أجابا

قال أبو عبد الله الزبير كان عبد الرحمن بن حسان شديد السواد فلذلك قال وابنه غرابا

حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثني الزبير قال حدثني أبوغزية محمد بن موسى الأنصاري عن ابيه قال استثنى النجاشي على عبد الرحمن بن حسان حين اجمع مهاجاته ألا يعينه أبوه حسان فسأل حسان ابنه عبد الرحمن عما قال للنجاشي في ليلته وأنشده فلم يرض حسان فقال :

دعوا التخاجي وامشوا مشيةسجحاً ان الرجال أولو عصب وتذكير

فلما أنشدها عبد الرحمن للنجاشي عفط في وجهه وقال باستاتك أنت تحسن ترخيم هذا ؟! هذا كلام الشيخ

حدثني الزبير قال حدثني محمد بن اسماعيل عن عبد العزيز بن عمران قال اجتمعت الانصار في مجلس فتذاكروا هجاء النجاشي أياهم وقالوا من له فقال لهم الحارث بن معاذ اين حسان ؟ فقالوا والله ان طعامه ليغلبه من ضعف حنكه فنعرضه للنجاشي ولم يغلبه شاعر فقال والله ما انزع قميصي حتى آتيه فتوجه نحوه وهم معظمون لذلك حتى دق عليه الباب فقال من هذا قال الحرث بن معاذ قال افتحي يا فريعة لسيد شباب الأنصار فلما أن دخل عليه شق قميصه وأخبره الخبر فقال اين انتم عن عبد الرحمن قال قد قاوله عبد الرحمن فلم يصنع شيئاً قال كن وراء الباب واحفظ ماالقي عليك فقام فضربه الباب فشجه فقال باسم الله احفظ عني رسولك

فعرفت والله الغلبة إذ قالها ثم قال [1]

قال فلما قال حسان قصيدته التي يقول فيها :

هيجم حسان عند ذكائه　　　غي لمـا ولد الحماس طويل

قال اكتبوها في رقاع وألقوها في أيدي الصبيان ففعلوا فلم يمر بنا إلا بضع وخمسون ليلة حتى طرقت بنو عبد المدان بالنجاشي موثقاً معهم فارغوا ببابه فقال لابنته يابنية ماهذا الذي اسمع قالت لا والله ما أدري قال ان اباك قد كان ذا شدة في العرب بلسانه فانظري من طرقني فان كانت الابل تعوى عواء الكلاب توطأ على أذنابها فهي إبل مضرية وان كانت تشكى تشكي الذئاب فهن إبل بني الحرث بن كعب وقد أتيت بالعبد قالت يا أبه هي والله كما تصف تشكي قال ارسلي إلى قومك اجيبوا حسان فما بقى بعالية ولا سافلة أحـد إلا جاء فلما اجتمع اليه الناس وضع له سرير فقعد عليه وفي يده مخصره فقام عبد الله بن الديان فقال يا ابن الفريعة جئناك بابن أخيك لترى فيه رأيك وأتى بالنجاشي فأجلس بين يديه واعتذر عليه القوم فقال يا جارية البقية التي بقيت من الجائزة فاتتـه بمائة دينار إلا دينارين فقـال خذها يا ابن أخي فعوضها أهلك وحمله على بغلة لعبد الرحمن فقال له ابن الديان يا ابن الفريعة كنا نفتخر في الناس بالعظم فأفسدته علينا قال كلا أنا الذي أقول :

وقد كنا نقول اذا سمعنا　　　بذي جسم يعـد وذو بيان

كأنك أيها المعطى بيانـاً　　　وجسماً من بني عبد المدان [2]

وقال النجاشي الحارثي [3] يهجو معاوية

---

(١) انظر القصـائد في الديوان ١٢٤ — ١٢٥ والديوان ٥٤ قصيـدة رائية قصيدة لامية والديوان ١٠٣

(٢) انتهى ما في كتاب الموفقيات تأليف الزبير بن بكار

(٣) zdmg رقم ٨٤ ص ٦٦، ابن قتيبة الشعر ١٨٨ اغاني ١٢٥ ص ٧٣، ٧٦ ذكر البيت رقم ٣، ٨، ٧٣ : ٢، ٥، ٧٦ العقد الفريد ١٥ ص ٢٩٠ : محاضرات ٢ ص ١٠٤ : ابن دريد ١٧٩ : البحتري حماسه ص ٤

ونجي ابن حرب سابح ذو علالة   أجش هزيم والرماح دواني

من الأعوجيات الطوال كأنـه   على شرف التقريب شاة أران

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا

كسيد الغضا باق على النسلان

شديد على فأس اللجام شكيمه   يفرج عنـه الربو بالعسـلان

كان عقاباً كاسراً تحت سرجه   تحاول قرب الوكر بالطـيران

إذا قلت أطراف العوالي ينلنه   مرته بـه الساقان والقـدمان

إذا ابتل بالماء الجميم رأيتـه   كقادمة الشؤبوب ذي النفيان

كان جنابي سرجـه ولجامه   من الماء ثوبا مائح خضـلان

من الورد اوأحوى كان سراته   بعيـد جلاء ضرجت بدهان

جزاء بنعمى كان قدمهـا له   بما كان قبل الحرب غير مهان

فرفع معاوية ثندؤته لما بلغه هذا البيت وقال لقد علمت العرب ان الخيل لا تجري بمثلي فكيف يقول هذا ونجى ...

وقد ذكر ابن الشجري هذه الابيات كما يلي[1] :

ايا راكباً اما عرضت فبلغن   تميما وهـذا الحي من غطفان

فما لـكم لو لم تكونوا فخرتم   بادراك مسعاة الـكرام يدان

وكنتم كذي رجلين رجل صحيحة   ورجل بها ريب من الحدثان

فاما التي شلت فازد شنوءة   واما التي صحت فازد عمان

وما دفنت قتلى سليم وعامر   بصفين حتى حكم الحكمان

ونجى ابن حرب سباع ذو علالة   اجش هزيم والرماح دواني

(١) ابن الشجري حماسه ص ٣٣ . أنظر هذه القصيدة كما رواها نصر بن مزاحم في صفحة ٢١

اذا قيل اطراف الرماح تناله		مرته له الساقان والقدمان

فيا حسرتا ألا أكون شهدتهم		فادهن من شحم العبيد سناني

اخلتم قتال الاشعرين ومذحج		وكندة اكل الزبد بالصرفان

وقال في أهل الكوفة [1] :

إذا سقى الله قوماً صوب غادية		فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم		والناكحين بشطي دجلة البقرا

والسارقين إذا ما جن ليلهم		والدارسين إذا ما أصبحوا السورا

القى العداوة والبغضاء بينهم		حتى يكونوا لمن عاداهم جزرا

وقال :

ضربوني ثم قالوا قدر		قدر الله لهم شر القدر

وقال في قريش [2]

ان قريشاً والامامة كالذي		دنا طرفاه بعد أن كان اجدعا

وحق لمن كانت سخينة قومه		إذا ذكر الأقوام أن يتقنعا

وقال [3] :

سخينة حي يعرف الناس لؤمهم		قديماً ولم تعرف بمجد ولا كرم

فيا ضيعة الدنيا ويا ضيعة أهلها		إذا ولى الملك التنابلة القدم

وعهدي بهم في الناس ناس ومالهم		من الحظ إلا رعية الشاء والنعم

وكان معاوية يغزي اليمن في البحر وعيماً في البر فقال النجاشي وهو شاعر اليمن [4] :

(١) ابن قتيبة

(٢) zdmg رقم ٥٤ ص ٤٦٧ ابن حجر ٣ ص ١٢٠٠ بغدادي خزانة ٤ ص ٢٢٦ ابن قتيبة .

(٣) ابن قتيبة .

(٤) أغاني جـ ١٨ ص ٢٠ خزانة ١ ص ٤٦٧

ألا أيها النـاس الذي تجمعوا ... بعــكا أنـاس أنـتم أم أباعر

أيترك قيســاً آمنين بدارهم ... ونركب ظهر البحر والبحر زاخر

فوالله ما أدري وأني لســائل ... أهمدان تحمي ضيمها أم يحابر

أم الشرف الأعلى من أولاد حمير ... بنو مالك أن تستمر المرائر

أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا ... وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

فرجع القوم جميعاً عن وجههم فبلغ ذلك معاوية فسكن منهم وقال أنا أغزيكم في البحر لأنه أرفق من الخيل وأقل مؤونة وأنا أعاقبكم في البر والبحر ففعل ذلك .

وقال النجاشي يرثي الحسن [٥] :

جعدة بكيه ولا تسأمي ... بعد بـكاء المعول الثاكل

لم يسل السـم على مثله ... في الأرض من حاف ولا ناعل

كان إذا شبت له نـاره ... يرفعهـا بالسـيد القاتل

كيما يراها بأس مرمـل ... أو فرد قوم ليس بالآهـل

يغلي بني اللحم حتى إذا ... أنضج لم يغل على آكل

أعني الذي أسلمنا هلكه ... للزمن المستحرج الماحـل

وقال [١] :

أبلغ شهاباً أخا خولان مألكة ... ان الكتائب لا يهزمن بالكتب

يهدي الوعيد برأس السرو متكئاً ... فان أردت مصاع القوم فاقترب

فان تغب في جمادى عن وقائعنا ... فسوف نلقاك في شعبان أو رجب

وقال [٢] :

---

(١) المسعودي ٤ • رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق جـ ٤ ص ١٢٦ منسوبة الى كثير عزة وقال وقيل انه للنجاشي

(٢) محاضرات ٢ ص ٨٨ وحماسة البحتري ... (٣) ياقوت ١ ص ١٠٤

أَلَحَّ فؤادي اليوم فيما تذكرا | وشطت نوى من حل جو ومحضرا
من الحي إذ كانوا هناك وإذ ترى | لك العين فيهم مستراداً ومنظرا
وما القلب إلا ذكره حارثية | خوارية يحيي لها أهل أبهرا

وقال [١] :

بالله لو نحن أجرنا القشعما | مابل شداد دريسيه دما

وقال [٢] :

أيا راكباً أما عرضت فبلغن | بني عامر عني وأبناء صعصع
نبم نبات الخيزراني في الثرى | حديثاً متى ماياًتك الخير ينفع

قال النجاشي لأم كثير ابنة الصلت [٣] :

ولست بهندي ولكن ضيقه | على رجل لو تعلمين فرير
واعجبني للسوط والنوط والعصا | ولم تعجبني خلة لأمير

وقال :

هم البيض أقداماً وديباج أوجه | كرام إذا اغبرت وجوه الأشائم

وهو القائل في المغيرة بصفه بالقصر [٤] :

وأقسم لو خرت من أستك بيضة | لما انكسرت من قرب بعضك من بعض

وقال النجاشي الحارثي [٥] :

---

(١) ابن دريد ٢٤

(٢) خزانة ٤ ص ٦٤

(٣) الجاحظ بيان ج ١ ص ٧٤

(٤) ابن حجر ج ٣ ص ١٢٠١ .

(٥) بحتري حماسة ص ٩٤

متى تلقكم عاماً يكن عام علة وينظربنا عام من الدهر مقبل

فوالله ما ندري أما عندكم لنا يريث على الموعود أم نحن نعجل

وكان النجاشي قد عاهد ازد شنوءه وازد عمان فثبتت ازد شنوءه على عهده دون ازدعمان فقال [1] :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

فأما التي صحت فازدشنوءة وأما التي شلت فازد عمان

وقال النجاشي [2] :

وماء كلون الغسل قد عاد آجناً قليل به الأصوات في بلد محل

وجدت عليه الذئب يعوى كأنه خليع خلا من كل مال ومن أهل

فقلت له يا ذئب هل لك في فتى يواسي بلا من عليك ولا بخل

فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأته سبع قبلي

فلست بآتيه ولا استطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

فقلت عليك الحوض اني تركته وفي صفوه فضل القلوص من السجل

فطرب يستعوي ذئاباً كثيرة وعديت كل من هواه على شغل

وقال [3] :

خلائق فينا من أبينا وجدنا كذلك طيب الفرع تنمى على الأصل

وقال [4] :

---

(١) أبو زيد ١٠ ، ١٣ وجـ ، خزانة جـ ١ ص ٠ ٤ ، ج ٢ ص ٣٧٨ ؛ ياقوت ج ٣ ص ٣٣ ؛ ابن خلكان ٧٦٤

(٢) خزانة ٤٥ ص٣٠٧ نقلا عن كتاب أبيات المعاني لابن قتيبة انظر بروكلن ١ ، ١٢٣ محاضرات ٢ ص ٢٩٢

(٣) بحتري حماسة ص ٣٢٠ والبيتان الأخيران من قصيدته يخاطب معاوية انظر ص ٣١

وما في من خير وشر فإنما سجية آبائي وفعل جدودي
هم القوم فرعي منهم متفرع وعودهم عند الحوادث عودي

وقال :

أمشي الصواء لأقوام أحاربهم حتى إذا ظهرت لي منهم الفقر
جمعت صبراً جراميزي بداهية مثل المنية لا تبقي ولا تذر

وبعث النجاشي بن الحارث الى شرحبيل بن السمط وكان صديقاً له (٤)

شرحبيل ماللدين فارقت أمرنا ولكن لبغض المالكي جرير
وشحناء دبت بين سعد وبينه فأصبحت كالحادي بغير بعير
وما أنت إذ كانت بجيله عاتبت قريشاً فيا لله بعد نصير
أتفصل أمراً غبت عنه بشبهة وقد حار فيها عقل كل بصير
يقول رجال لم يكونوا أئمة ولا بالتي لقوكها بحضور
وما قول قوم غائبين تقاذفوا من الغيب ما دلاهم بغرور
وتترك ان الناس أعطوا عهودهم علياً على أنس به وسرور
إذا قيل هاتوا واحداً تقتدونه نظيراً له لم يفصحوا بنظير
لعلك أن تشقى الغداة بحربه شرحبيل ما ماجئته بصغير

وكتب علي جواباً على كتاب معاوية الذي فيه شعر كعب بن جعيل وأمر النجاشي فأجابه في الشعر فقال (١) :

---

(١) نصر بن مزاحم صفين ص ٥٧ يرويها عن محمد عبيد الله عن الجرجاني
ابن أبي الحديد شرح النهج ج ٢ ص ٢٥

(٢) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ٦٥ وقال وفي حديث محمد وصالح بن صدقة ذكر المبرد في الكامل ص ١٨٧ البيتين الأولين وذكر في الثاني اتاكم على بأهل العراق وأهل الحجاز وقال بعد هذا ما نسك عنه ذكر هذين البيتين بعد أن ذكرجواب علي على كتاب معاوية وقال ثم دعا النجاشي أحد بني الحرث =

دعن يا معاوي ما لن يكونا ... فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم علي بأهل الحجاز ... وأهل العراق فما تصفونا
على كل جرداء خيفانة ... وأشعث نهد يسر العيونا
عليها فوارس تحسبهم ... كأسد العرين حمين العرينا
يرون الطعان خلال العجاج ... وضرب الفوارس في النقع دينا
هم هزموا الجمع جمع الزبير ... وطلحة والمعشر الناكثينا
وآلوا يميناً على حلفة ... لنهدي الى الشام حرباً زبونا
تشيب النواصي قبل المشيب ... وتلقى الحوامل منها الجنينا
فان تكرهوا الملك ملك العراق ... فقد رضي القوم ما تكرهونا
فقل للمضلل من وائل ... ومن جعل الغث يوماً سميناً
جعلتم علياً وأشياعه ... نظير ابن هند ألا تستحونا
إلى أول الناس بعد الرسول ... وصنو الرسول من العالمينا
وصهر الرسول ومن مثله ... إذا كان يوم يشيب القرونا

وقال النجاشي الحارثي [1]

ويجي ابن حرب سابح ذو علالة ... أجش هزيم والرماح دواني
سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا ... أقب الحشا مستطلع الرديان

= ابن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين اسمعني قوله فقال اذا أسمعك شعر شاعر فقال النجاشي يجيبه ابن أبا الحديد شرح النهج ج ١ ص ٢٥٢

(١) نصر ابن مزاحم كتاب صفين ص ١٠١ نصر عن عمرو بن شمر عن اسماعيل السدي قال حدثني نويرة بن خالد الحارثي ان ابن عمه النجاشي قال في وقعة صفين رواه نصر قال رواه ايضاً عمر بن سعد باسناده

إذا قلت أطراف العوالي ينلنه ... مرته به الساقان والقدمان[1]

حسبم طعان الأشعرين ومذحج ... وهمدان أكل الزبد بالصرفان

فما قتلت عك ولخم وحمير ... وعيلان إلا يوم حرب عوان

وما دفنت قتلي قريش وعامر ... بصفين حتى حكم الحكمان

غشيناهم يوم الهرير بعصبة ... يمانية كالسيل سيل عران

فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا ... عليها كتاب الله خير قران

ونادوا علياً يا ابن عم محمد ... أما تتقي أن يهلك الثقلان

فمن للذراري بعدها ونسائنا ... ومن للحريم أيها الفتيان

أبكي عبيداً اذ ينوء بصدره ... غداة الوغى يوم التقى الجبلان

وبتنا نبكي ذا الكلاع وحوشباً ... إذا ما أنى أن يذكر القمران

ومالك والجلاج والصخر والفتى ... محمد قد ذلت له الصدفان

فلا تبعدوا لقاكم الله حبرة ... وبشركم من نصره بجنان

وما زال من همدان خيل تدوسهم ... سمان وأخرى غير جد سمان

فقاموا ثلاثاً يأكل الطير منهم ... على غير نصف والأنوف دوان

وما ظن أولاد الإماء بنواسها ... بكل فتى رخو النجاد يمان

فمن ير خيلينا غداة تلاقيا ... يقل جبلا جيلان ينتطحان

كأنهما ناران في جوف غمرة ... بلا حطب حد الضحى تقدان

وعارضة براقة صوبها دم ... تكشف عن برق لها الافقان

تجود اذا جادت وتجلو اذا انجلت ... بليل ولا يجلو لها كربان

قتلنا وابقينا وما كل ما ترى ... بكف المنري يأكل الرحيان

---

(١) كتاب الخيل لأبي عبيدة ص١٦٢ وردت هذه الأبيات على الترتيب ١،٣،٢،٢٠ وبعدها بيتان آخران هما :

من الأعوجيات الطوال كأنه ... على شرف التقريب شاة أران

اجش هزيم مقبل مدبر معاً ... لتيس ضباء الحلب الغذوان

وفرت ثقيف فرق الله جمعها ... إلى جبل الزيتون والقطران
كأني اراهم يطرحون ثيابهم ... من الروع والخيلان يطردان
فيا حزنا الا اكون شهدتهم ... فادهن من شحم الثماد سناني
واما بنو نصر ففر شريدهم ... إلى الصلتان الحور والعجلان
وفرت تميم سعدها وربابها ... إلى حيث يضفو الحمض والشبهان
فاضحى ضحى من ذي صباح كأنه ... واياه راما حفرة قلقان
اذا ابتل بالماء الجميم رأيته ... كقادمتي شؤبوب ذي نفيان
كأن جنابي سرجه ولجامه ... إذ ابتل ثوبا ماتح خضلان
جزاه بنعمى كان قدمها له ... وكان لدى الاسطيل غير مهان[1]

وكان نجاشي بني الحارث بن كعب صديقاً لابي موسى الأشعري فبعث اليه[2] :

يؤمل اهل الشام عمراً وانني ... لآمل عبد الله عند الحقائق
وان ابا موسى سيدرك حقنا ... اذا ما رمى عمراً باحدى الصواعق
وحققه حتى يدر وريده ... ونحن على ذاكم كاحنق حانق
على أن عمراً لا يشق غباره ... اذا ما جرى بالجهد اهل السوابق
فلله ما يرمي العراق واهله ... به منه ان لم يرمه بالبوائق

وقال النجاشي يشير الى خطبة كردوس بن هاني البكري ويذكر بلاء ربيعة[3] :

ان الاراقم لا يغشاهم بوس ... ما دافع الله عن حوباء كردوس
نمته من تغلب الغلبا فوارسها ... تلك الرؤوس وابناء المرائيس
ما بال كل أمير يستراب به ... دين صحيح ورأي غير ملبوس

---

(١) الأبيات الثلاثة مكانها الطبيعي بعد الابيات الثلاثة الاولى في مطلع القصيدة انظر روايات أخرى لهذه القصيدة في ص ١٥

(٢) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ٦١٥ قال نصر في حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجاني

(٣) ابن ابي الحديد شرح النهج ج ١ ص ١٩٦ ذكر منها البيتين الاولين والبيت الأخير

والى عليا بغدر بذ منه اذا | ما صرح الغدر عن رد الصغابيس
نعم النصير لاهل الحق قد علمت | عليا معد على انصار ابليس
قل للذين ترقوا في تعنته | ان البكارة ليست كالقناعيس
لن تدركوا الدهر كردوساً وامرته | بني ثعلبة الحادي وذو العيس

وقال فيما قال خالد بن المعمر [1] :

وفت لعلي من ربيعة عصبة | بصم العوالي والصفيح المذكر
شقيق وكردوس ابن سيد تغلب | وقد قام فيها خالد بن المعمر
وقارع بالشورى حريث بن جابر | وفاز بها لولا حضين بن منذر
لان حضيناً قام فينا بخطبة | من الحق فيها منية المتجبر
امرنا بمر الحق حتى كأنها | خشاش تفادى من قطام بقرقر
وكان أبوه خير بكر بن وائل | اذا خيف من يوم اغر مشهر
نماه إلى عليا عكابة عصبة | وآب ابي للدنية ازهر

وقال النجاشي [2] :

ولما رأينا اللواء العقاب | يقحمه الشانىء الاخزر
كليث العرين خلال العجاج | وأقبل في خيله الابتر
دعونا له الكبش كبش العراق | وقد خالط العسكر العسكر

---

(١) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ٥٥٦ قال نصر وفي حديث عمرو بن شمر باسناده

(٢) نصر بن مزاحم صفين ٤٥١ نصر عن رجل عن محمد بن عتبة الكندي قال حدثني شيخ من حضرموت شهد مع علي صفين وحمل عبد الرحمن بن خالد وكان لا يأتي على شيء الا هده وهو يقول ... فنم ذلك علياً واقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده وقال اقحم ابن سيف الله فانه الظفر واقبل الناس على الاشتر فضارب القوم حتى ردهم على اعقابهم فوجعت خيل عمرو وقال النجاشي في ذلك ابن ابى الحديد شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٥

فرد اللواء على عقبيــه ... وفاز بحظوتها الأشتر

كما كان يفعل في مثلها ... اذا ناب معصوصب منكر

فان يدفع الله عن نفسه ... فحظ العراق بها الاوفر

اذا الاشتر الخير خلى العراق ... فقد ذهب العرف والمنكر

وتلك العراق ومن قد عرفت ... كفقع تنبتــه القرقر

وقال النجاشي يمدح الاشعث بن قيس الكندي [1] :

يا ابن قيس وحارث ويزيد ... انت والله رأس اهل العراق

انت والله حية تنفث السـ ... ـم قليل منها غناء الراقي

انت كالشمس والرجال نجوم ... لا يرى ضوؤها مع الاشراق

قد حميت العراق بالاسل السمـ ... ـر وبالبيض كالبروق الرقاق

واجبناك اذ دعوت الى الشا ... م على القب كالسحوق العتاق

وسعرنا القتال في الشام بالـ ... ـبيض المواضي وبالرماح الدقاق

لا ترى غير اذرع واكف ... ورؤوس بهامها افلاق

كلما قلت قــد تصرمت الهيـ ... ـجاء سقيهم بكأس دهـاق

قد قضيت الذي عليك من الحـ ... ـق وسارت به القلاص المناقي

وبقي حقك العظيم على النا ... س وحق المليك صعب المراقي

انت حلو لمن تقرب بالود ... وللشانئين مـر المــذاق

لابس تاج جــده وابيه ... لو وقاه ردى المنية واق

بئس ما ظنه ابن هند ومن ... مثلك في الناس عند ضيق الخناق

---

(١) نصر بن مزاحم صفين ٤٦٦ قال واراد عتبة بن ابي سفيان استمالة الاشعث فرفض ابن ابي الحديد شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٨

شرك الناس علياً في الرأي فجزع النجاشي من ذلك وقال [1] :

كفى حزناً انا عصينا امامنا ... علياً وان القوم طاعوا معاويه

وان لاهل الشام في ذاك فضلهم ... علينا بما قالوه فالعين باكيه

فسبحان من ارسى ثبيراً مكانه ... ومن امسك السبع الطباق كما هيه

أيعصى امام أوجب الله حقه ... علينا وأهل الشام طوع لطاغيه

وقال النجاشي يجيب فتى من جذام من اهل الشم وقد قال شعراً يذم فيه اهل العراق فقال القوم للنجاشى انت شاعر اهل العراق وفارسهم فاجب الرجل فتنحى ساعة ثم اقبل يهدر مزبداً ويقول [2] :

معاوي ان تأتنا مزبداً ... بخضرية تلق رجراجه

اسنتها من دماء الرجال ... اذا جالت الخيل مجاجه

فوارسها كأسود الضراب ... إلى الله في القتل محتاجه

وليست لدى الموت وقافة ... وليست لدى الخوف فجفاجه

وليس بهم عند جد اللقاء ... الى طول اسيافهم حاجه

خطاهم مقدم اسيافهم ... واذرعهم غير اخداجه

وعندك من وقعهم مصدق ... وقد اخرجت امس اخراجه

وقال النجاشي فيما كان من شم عتبة لجعدة [3] :

ان شتم الكريم يا عتب خطب ... فاعلمنه من الخطوب عظيم

---

(١) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ٥١٦

(٢) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ٥١٧ تمس رواية الابيات قبلها

(٣) نصر بن مزاحم كتاب صفين ٥٣٠ رواية نصر لم يذكر اسنادها ابن ابى الحديد شرح النهج جـ ٢ ص ٢ ٣

امـــه أم هانىء وأبوه ... من معـد ومن لؤي حميم
ذاك منها هبيرة بن ابي وهـ ... ـب اقرن بفضله مخزوم
كان في حربكم يعد بالف ... حين تلقى بها القروم القروم
وابنه جعدة الخليفة منـــه ... هكذا يخلف الفروع الاروم
كل شيء تريده فهو فيـه ... حسب ثاقب ودين قويم
وخطيب اذا تمعرت الاوجه ... يشجى به الالد الخصيم
وحليم اذا الحبى حلها الجهل ... وخفت من الرجال الحلوم
وشكيم الحروب قـد علم النا ... س اذا حل في الحروب الشكيم
وصحيح الاديم من نغل العيـ ... ـب اذا كان لا يصح الاديم
حامل للعظيم في طلب الحمـ ... ـد اذا اعظم الصغير اللئيم
ما عسى ان تقول للذهب الاحـ ... ـمر عيباً هيهات منك النجوم
كل هـذا بحمد ربك فيه ... وسوى ذاك كان وهو فطيم

وحملت ربيعة على سرادق معاوية نخلى معاوية عن سـرادقه وخرج فاراً عنه لائذاً الى بعض مضارب العسكر فدخل فيـه وبعث معاوية الى خالد بن المعمر انك قـد ظفرت ولك امرة خراسان ان لم تتم فطمع خالد في ذلك ولم يتم فأمره معاوية حين بايعه الناس على خراسان فمات قبل أن يصل اليها وفي ذلك قال النجاشي [1]

ولو شـهدت هند لعمري مقامنا ... بصفين فدتنـا بكعب بن عامر
فيا ليت ان الأرض تنشر عنهم ... فيخبرهم أبنـــاءنا كل خابر
بصفين إذ قمنـــا كأنا سحابة ... سحاب ولي صوبه متبـــادر

(١) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ٣٤٦ قال عمر حدثني ابن أخي عتاب بن لقيط البكري من بني قيس بن ثعلبة .

فاقسم لو لاقيت عمرو بن وائل ... بصفين القاني بعهـــدة غادر
فولوا سـراعـاً موجفين كأنهم ... نعـام تلاقى خلفهن زواجر
وفر ابن حرب عفر الله وجهـــه ... وأرداه خزياً انـ ربي قادر
معاوى لولا ان فقـدناك فيهم ... لغودرت مطروحاً بها مع معاشر
معاشر قوم ضلل الله سـعيهم ... وأخزاهم ربي كخزي السـواحر

وقال النجاشي يمدح علياً [1].

إني أخال عليــاً غير مرتدع ... حتى يؤدي كتاب الله والذمم
أما ترى النقع معصوباً بلمتـــه ... نقع القبـائل في عرنينـه شمم
غضبانـ يحرق نابيه بجرته ... كما يغط الفنيق المصعب القطم
حتى يزيل ابن حرب عن امارتـه ... كما تنكب تيس الحبلة الحـلم
أو أن تروه كمثـل الصقر مرتبئا ... يخفقن من فوقه العقبان والرخم

وقال النجاشي الحارثي حين عزل علي الأشعث بن قيس عن رياسة كندة وربيعـة وولى مكانه حسان بن مخدوج فتكلم في ذلك رجال من اليمن فغضبت ربيعة [2]

رضينا بما يرضى عـــلي لنا به ... وان كان فيما يأت جدع المناخر
وصي رســول الله من دون أهله ... ووارثه بعـــد العموم الأكابر
رضى بابن مخدوج فقلنا الرضى به ... رضاك وحسان الرضا للعشـــائر
وللاشعث الكندي في الناس فضله ... توارثه من كابر بعد كابر

---

(١) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ٤٢٣ نصر عن عمر بن شمر عن جابر عن تميم
ابن ابى الحديد شرح النهج جـ ٢ ص ٢٨٢ ولم يذكر البيت الخامس منها

(٢) نصر بن مزاحم كتاب صفين ص ١٥٤ نصر عمر حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن عبد خير

متوج آباء كرام أعـــزة ... إذ الملك في أولاد عمرو بن عامر

فلولا أمير المؤمنين وحقـــه ... علينـا لأشجينـا حريث بن جابر

فلا تطلبنـــا يا حريث فاننـا ... لقومك رده في الأمور الغوامر

وما بابن مخدوج بن ذهل نقيصة ... ولا قومـــه في وائل بعوائر

وليس لنا لنا إلا الرضا بابن حرة ... أشم طويل الساعدين مهاجر

على ان في تلك النفوس حزازة ... وصدعاً يؤتيه أكف الجوابر

وقال النجاشي يبكي عمرو بن محصن وقتل بصفين (١)

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن ... إذا صـائح الحي المصيح ثوبا

إذا الخيل جالت بينها قصد القنـا ... يثرن عجاجاً ساطعاً متنصبا

لقد فجع الأنصـار طراً بسيد ... أخي ثقـــة في الصالحات مجربا

فيا رب خير قد أفدت وجفنـــة ... ملأت وقرن قد تركت مخيبا

ويا رب خصم قـد رددت بغيظه ... فآب ذليلاً بعـد ما كان مغضبا

وراية مجد قـــد حملت وغزوة ... شهدت اذا النكس الجبان تهيبا

حؤوطاً على جل العشيرة ماجـداً ... ولم يك في الأنصار نكساً مؤنبا

طويل عمود المجـــد رحبا فناؤه ... خصيباً اذا ما رائد الحي أجدبا

عظيم رماد النار لم يك فاحشـــاً ... ولا فشلاً يوم اللقاء مغلبـــا

وكنت ربيعاً ينفع الناس سـيبه ... وسيفا جرازا باتك الحد مقضبا

فمن بك مسروراً بقتل ابن محصن ... فعاش شقياً ثم مات معـــذبا

وغودر منكبـاً لفيه ووجهـه ... يعـالج رمحـاً ذا سنان وثعلبـا

---

(١) نصر بن مزاحم كتاب صفين ٤٠٦ قال نصر وفي حديث بن شمر كان ابن محصني من أعـلام أصحاب علي قتل في المعركة وجزع علي لقتله ابن أبي الحديد شرح النهج ج ٢ ص ٢٧٨

فان تقتلوا الحر الكريم ابن محصن ... فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

وان تقتلوا ابني بديل وهاشما ... فنحن تركنا منكم القرن أعضبا

ونحن تركنا حميراً في صفوفكم ... لدى الموت صرعى كالنخيل مشذبا

وافلتنا تحت الأسنة مرثد ... وكان قديماً في الفرار مجربا

ونحن تركنا عند مختلف القنا ... أخاكم عبيد الله لحماً ملحبا

بصفين لما ارفض عنه صفوفكم ... ووجه ابن عتاب تركناه ملغبا

وطلحة من بعد الزبير ولم ندع ... لضبة في الهيجا عريفا ومنكبا

ونحن أحطنا بالبعير وأهله ... ونحن سقيناكم سماماً مقشبا

حمل عمرو العكي من أصحاب معاوية يوم صفين وهو يقول [1] :

أبرز إلى ذا الكبش يا نجاشي ... اسمي عمرو وابو خراش

وفارس الهيجاء بانكماشي ... تخبر عن بأسي وأحر نفاشي

فشد عليه النجاشي وهو يقول :

أردد قليلاً فأنا النجاشي ... من مرو كعب ليس بالرقاشي

أخو حروب في رباط الجاش ... ولا أبيع اللهو بالمعاش

انصر خير راكب وماشي ... أعني علياً بين الرياش

من خير خلق الله في نشناش ... مبرأ من نزق الطياش

بيت قريش لا من الحواشي ... ليث عرين الكباش غاش

يقتل كبش القوم بالهراش ... وذي حروب بطل وناش

خف له أخطف بالبطاش ... من أسد خفان وليث شاش

---

(١) نصر ابن مزاحم صفين ٢٠١ رواها عن عمرو بن شمر

وقال النجاشي الحارثي [1] :

معاوي قد كنت رخو الخناق فسعرت حرباً تضيق الخناقا

فان يكن الشام قد أصفقت عليك ابن حرب فان العراقا

أجابت علياً الى دعوة تعز الهدى وتذل النفاقا

وقال النجاشي يوم صفين وكتب بها الى معاوية وقد بلغه أنه يتهدده [2] :

يا أيها الرجل المبدي عداوته روى لنفسك أي الأمر تأتمر

لا تحسبني كأقوام ملكتهم طوع الأعنة لما ترشح العذر

وماشعرت بماأضمرت من حنق حتى أتتني به الأنباء والنذر

فان نفست على الأقوام مجدهم فابسط يديك فان المجد مبتدر

واعلم بأن علي الخير من بشر شم العرانين لا يعلوهم بشر

لا يرتقي الحاسد الغضبان مجدهم

ما دام بالحزن من صمائها جحر

نعم الفتى أنت الا أن بينكما كما تفاضل نور الشمس والقمر

وما أخالك إلا لست منتهيا حتى يمسك من أظفارهم ظفر

لا تحمدن امرأ حتى تجربه ولا تذمن من لم يبله الخبر

إني امرؤ قل ما أثني على أحد حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر

انى اذا معشر كانت عداوتهم في الصدر أو كان في أبصارهم خزر

جمعت صبراً جراميزى بقافية لا يبرح الدهر منها فيهم أثر

---

(١) البلاذري انساب ص ٤٩٩ وجه م باريس ٦٠٦٨ وذكر استاده عن الهيثم بن عدي .

(٢) ابن عبد ربه العقد جـ ٢ ص ٢٩٤ نصر كتاب صفين ص ٤٢٤ نصر عن عمر بن شمر عن جابر ابن ابى الحديد شرح النهج جـ ٢ ص ٢٨٢

فلما بلغ هذا الشعر معاوية قال ما أراه الا قد قارب

وقال : يمدح هند بن عاصم [1]

إذا الله حيا صالحاً من عباده | كريماً فحيا الله هند بن عاصم
وكل سلولي إذا ما لقيته | سريع الى داعي الندى والمكارم
هم البيض اخلاقاً وديباج اوجه | كرام إذا اغبرت وجوه الألائم

وقال يمدح بني عمرو بن مالك بن ربيعة الغطريف [2]

اذا كنت مرتاد السماحة والندى | فدونك هذا الحي عمرو بن مالك
اولئك فرسان الهزاهز والوغى | اذا ما مشوا بالمرهفات البواتك

وقال يهجو قوماً [3] :

قوم توارث بيت اللؤم اولهم | كما توارث رقم الاذرع الحمر
تجنب المجد والمعروف أولهم | كما تجنب بطن الراحة الشعر

وقد يهجو عتبة بن ابى سفيان [4] :

لقد امعنت يا عتب الفرار | واورثك الوغى خزياً وعارا
فلا يحمد خصاك سوى طمر | اذا اجريته انهمر انهمارا

وقال حين اغتال ابن ملجم علياً رضوان الله عليه [5] :

اذا حية اعيا الرقاة دواءها | بعثنا لها تحت الظلام ابن ملجم

وقال يمدح ربعي بن عامر [6] :

الا رب من يدعي فتى ليس بالفتى | الا ان ربعي ابن كأس هو الفتى

---

(١) جاحظ بيان جـ ٢ ص ٨١
(٢) ابن الشجري حماسة ص ١٠٤
(٣) ابن الشجري حماسة ص ١٢١
(٤) نصر بن مزاحم صفين ص ٤٠٩
(٥) القالي امالي جـ ٢ ص ٢٥٦
(٦) الطبري تاريخ جـ ٤ ص ٢٦٤

طويل قعود القوم في قعر بيته إذا شبعوا من ثقل جفنته سعى

وقال يخاطب علياً حين لحق بمعاوية [٢] :

الا من مبلغ عني علياً بأني قد امنت فلا اخاف

عمدت لمستقر الحق لما رأيت اموركم فيها اختلاف

وهجا النجاشي بني العجلان فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قال فيكم فانشدوه :

اذا الله عادى اهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهطا ابن مقبل

فقال عمر انما دعا فان كان مظلوماً استجيب له وان كان ظالماً لم يستجب

قالوا وقد قال أيضاً :

قبيلته لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر ليت آل الخطاب هكذا قالوا وقد قال أيضاً :

ولا يردون الماء إلا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر ذلك اقل للحكاك قالوا وقد قال أيضاً :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب وعوف ونهشل

فقال عمر اجن القوم موتاهم فلم يضيعوهم قالوا وقد قال :

وما سمي العجلان إلا لقيلهم خذ القعب واحلب ايها العبد واعجل

فقال عمر كلنا عبد وخير القوم خادمهم قالوا فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك اخوان اللعين وأسرة الـ هجين ورهط الواهن المتذلل

فقال عمر أما هـذا فلا أعذرك عليه فحبسه وقيل جلده

---

(٢) ابن ابي الحديد شرح النهج جـ ١ ص ٢٦٦

قال ابن قتيبة [1] في الشعر والشعراء ان عمر بعث إلى حسان والحطيئة وكان محبوساً عنده فسألهما فقال حسان مثل قوله في شعر الحطيئة فهدد عمر النجاشي وقال ان عدت قطعت لسانك [1]

وكان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم إذ كان عبد الله بن كعب جدهم انما سمي العجلان لتعجيله القرى للضيفان وذلك ان حياً من طيء مروا به فبعث اليهم بقرامم عبداً له وقال له اعجل عليهم ففعل العبد فاعتقه لعجلته فقال القوم ما ينبغي أن يسمى الا العجلان فسمي بذلك فكان شرفاً لهم حتى قال النجاشي هذا الشعر فصار الرجل اذا سئل عن نسبه قال كعبي ويرغب عن العجلان

وكان عمر بن الخطاب اعلم الناس بالشعر ولكنه إذ ابتلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء واستشهد رجالاً للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن يهون عليهم سبابهم فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم [2]

ترجم له ابن حجر فقال [3] .

النجاشي الحارثي اسمه قيس بن عمرو بن مالك بن معاوية بن خديج بن حماس بن ربيعة ابن كعب بن الحرث بن كعب ويكنى أبا الحارث وأبا المحاسن ، وقيل اسم النجاشي سمعان وترجمه ابن العديم في تاريخ حلب في حرف النون فقال نجاشي بن الحرث بن كعب الحارثي له ادراك وكان في عسكر علي بصفين وفد على عمر بن الخطاب ولازم علي بن أبي طالب وكان يمدحه فجلده في الخمر ففر إلى معاوية ومما يدل على انه عمر طويلاً ان معاوية سأله

---

(١) ابن قتيبة الشعر والشعراء ١٨٨ — ١٠٨ البغدادي خزانة ج ١ ص ١١٣ ابن الشجري حماسة ١٣١ ذكر ابيات هجاء النجاشي لابن مقبل فقط الجاحظ بيان ج ٢ ص ٨١ ابن حجر الاصابة ج ٣ ص ٥٨٢

(٢) الجاحظ بيان ج ١ ص ٢٠٢

(٣) الاصابة ج ٣ ص ٥٨٢ .

عن اعز العرب قال رجل مررت به يقسم الغنائم على باب بيته بين الحليفين أسد وغطفان قال من هو قال حصن بن حذيفة بن بدر وحصن هو والد عيينة الذي كان رئيس غطفان يوم الأحزاب ومات أبوه قبل البعثة أو بعدها بيسير

وذكر له سيف قصة في اليمامة وأنشده في ذلك شعراً

وذكر الحسن بن بشر الآمدي ان النجاشي المذكور لما مات رثاه اخوه خديج بقوله :

من كان يبكي هالكاً فعلى فتى ثوى يلوي لحج وآبت رواحله

سليم النعيمي

تحقيق نصوص

المقابسات

الدكتور عبد الرزاق محي الدين

كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي نشر مرتين : مرة في الهند على الحجر عام ١٣٠٦ هـ ، ومرة في مصر بتحقيق الاستاذ السندوبي ١٩٢٩ وهو في كلتيهما محرّف ومغلوط وقد بذلت جهداً في تصحيح « المقابساتِ » على مخطوطات مختلفة . راجع مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثاني الصادر في ١٩٥٢ وفي ص ٣٢٨ - ٣٣٧ فهناك تحقيق وافٍ عن أصول الكتاب

ونستأنف في هذا العدد والاعداد التي تليه نشر ما حرر من بقية المقابسات والرموز التي في الهامش تشير إلى المصادر التي رجعت اليها في تصحيح النصوص

١ — النسخة الحجرية الهندية رمزت لها د هـ

٢ — النسخة المصرية « نشر السندوبي » وقد رمزت لها بـ ط م

٣ — مخطوط المكتبة الظاهرية رمزت لها بـ ظ

٤ — مخطوط تيمور في دار الكتب المصرية وتحت رقم ١٧٥ مجاميع تيمور رمزت لها بـ « ن »

٥ — المخطوطتان اللتان بدار الكتب من كتاب « منتخب صوان الحكمة » رمزت لكل منها بـ « م » موصولاً بالرقم الذي تحمله النسخة

٦ — اخبار الحكماء للقفطي وقد انتفعت بها في تصحيح سطور من المقابسة الثانية وهذه هي المقابسات .

المقابسة السابعة عشرة (*)

في هل ما عليه الناس من السيرة والاعتقاد حق كله أو اكثره حق ، أو باطل كله أو أكثره باطل ؟

« سئل ابن سوّار [١] وكان عند [٢] ابن السمح [٣] بباب الطاق : —

هل ما فيه الناس من السيرة ، وما هم عليه من الاعتقاد ، حق كله ، أو أكثره حق ، أو كله باطل أو أكثره !

فقال : المسألة هائلة ، والجواب هيّن

قيل : أفدنا [٤] ، أفادك الله ، فان ركيّة العلم لا تنزح وان اختلفت عليها الدلاء ، وكثر على حافاتها الورّاد [٥]

فقال : صدقتم ، واعلموا انه إذا لحظ استيلاء الطبيعة عليهم ، وغلبة آثارها فيهم ، في الرأي والمعتقد ، والسيرة المؤثرة ، فأكثر ذلك باطل ، لأن سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريب ، والغريب ذليل ، وان لحظ حكم العقل ، وما يجب به ، ويليق بجوهره ، ويحسن مضافاً اليه ، فأكثر ذلك حق ، كان الملحوظ رأياً أم سيرة [٦] ، وعادة ام [٧] خليقة ، وعلى

(*) صححت على منتخب صوان الحكمة م ١ و) ١١٠ (ج) : ١٥٦

(١) هو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام ، ويعرف بابن الخمار ، ترجم له في هامش المقابسات ص ١٦٠ ط مصر

(٢) لم توجد في ط م .

(٣) هو أبو علي بن السمح البغدادي المنطقي ترجم له في هامش المقابسات ص ١[illegible]

(٤) في م : « فقد أفدنا » [illegible] (٥) في ط م : « الواردة »

(٦) في ط م : « وسيرة » (٧) في ط : [illegible]

هاتين الغلبتين[1] يكون القضاء، ويقع الحكم، والحق لايصير حقاً بكثرة معتقديه، ولا يستحيل باطلاً بقلّة منتحليه، وكذلك الباطل، ولكن قد يظن بالرأي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جلة الناس وأفاضلهم، انه أولى بالتقديم والإيثار، وأحقّ بالتعظيم والاختيار، لأنه يكون [مخبوراً بالفلى[2]] مصقولاً على الزمان، تلمسه كل يد، وتجتليه كل عين ويصير ثباته على صورته الواحدة دليلاً قوياً، وشاهداً زكياً على حقيقته؛ لأنه يبرأ حينئذ من هوى صاحبه[3]، ويعرى من تعصب ناصره، ويبقى بصورته الخاصة، ويجري مجرى السبيكة[4] التي لا تحتاج الى علاج المعالج، وتمويه المموّه، وانتقاد المنتقد، وتنفيق المنفّق، وحيلة المحتال ».

المقابسة التاسعة عشرة (*)

> في السماع والغناء، وأثرهما في النفس، وحاجة الطبيعة الى الصناعة <

« خرج أبو سليمان[5] يوماً ببغداد الى الصحراء، بعض أيام الربيع، قصداً للتفرج والمؤانسة [مع عدة من أصحابه، وفي جملتهم صبيّ دون البلوغ[6]] جهم الوجه، بغيض المحيّا شتيم المنظر، ولكنه كان مع هذه العورة يترنم ترنّماً نديّاً، عن جرم ترف، وصوت شج، ونغمة رخيمة، وكان معه[7] جماعة من طراق المحلّة [وفتيان السكة، ليس فيهم الا من تأدب أدباً يليق به ويغلب عليه[8]] فلمّا تنفس الوقت أخذ الصبيّ في فنه،

---

(١) في ط م : « والقبيلتين » (٢) في ط م : مجروراً بالفكر

(٣) في ط م : « منتحلة »، وهو من تصرف الناشر، وآثرنا كلمة صاحبه لأنها مأثورة في النصوص

(٤) في ط م : « المكينة »

(*) صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) ورقة ٩٨

(٥) هو أبو سليمان المنطقي

(٦) ما بين القوسين من م (و) ويقابله في ط م : « وصحبته وكان معنا أيضاً صبي دون البلوغ »

(٧) في ط م : معنا. (٨) ما بين القوسين من م (و).

وبلغ أقصى ما عنــده ، فترنّح أصحابه [١] وتهادوا وطربوا [قال أبو زكريا الصيمري : قلت [٢]] لصاحب لي ذكي : أما ترى ما يعمل بنا شجا [٣] هذا وندى هــذا الحلق ، وطيب [٤] هذا اللحن ، وتفنن هذه النغم [٥] ؟

فقال : لو كان لهذا من يخرّجه ويعنى به ، ويأخذه بالطرائق المؤلفة ، والألحان المختلفة ، لـكان يظهر آية ، ويصير فتنة ، فإنه عجيب الطبع ، بديع الفن ، غالب [الدَّنفِ والترف [٦]]

فقال أبو سليمان فلتةً : حدثوني [٧] بما كنتم فيه عن الطبيعة ، لم احتاجت الى الصناعة وقد علمنا أن الصناعـة تحـكي الطبيعة وتروم اللحاق بها ، والقرب منهـا ، على سقوطها دونها وهذا رأي صحيـح ، وقول مشروح ، وإنما حكتها وتبعت رسمها ، وقصت أثرها لانحطاط رتبتها عنها ، وقد زعمت أن هذا الحدث لم تـكفه الطبيعة ولم تغنه [٨] ، وانها قد احتاجت الى الصناعة ، حتى يكون الـكمال مســتفاداً أو مأخوذاً من جهتها ، والغاية مبلوغة بمعونتها وإمدادها [٩]

فقلنا له : ما ندري ، وإنها لمسألة !

فقال : فـكروا . فعدنا [١٠] له وقلنا : إنا قد بلحنا [١١] ، ولو مننت بالبيان ، ونشطت

---

(١) في ط م : أصحابنا

(٢) ما بين القوسين من م (و) ويقابله في ط م : « فقلت »

(٣) « شجن » في ط م

(٤) في ط م : « وطيبة »

(٥) في ط م : « النغمة »

(٦) في ط م : « غالب الدين والشرف » ولا معنى له .

(٧) في م (و) : « حدثوني على »

(٨) في ط م بعد هذه الـكلمة جملة : « ولم تمنيه » ، ولا توجد في النسخ الاخرى

(٩) في ط م « واصدارها »

(١٠) في ط م : « قعدنا »

(١١) في ط م : « ثلجنا » ولا معنى له

لنشر الفائدة كان ذلك محسوباً في بيض [١] أياديك وغرر معالمك

فقال : إن الطبيعة إنما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان ، لأن الصناعة ها هنا تستملي من النفس والعقل ، وتملي على الطبيعة ، وقد صحّ ان الطبيعة مرتبها دون مرتبة النفس [والعقل ، وانها تعشق النفس [٢]] وتمتثل أمرها ، وتكمل بإكمالها [٣] وتعمل على استعمالها ، وتكتب بإملائها ، وترسم بإلقائها ، والموسيقى حاصل للنفس ، وموجود فيها ، على نوع لطيف ، وصنف شريف ، فالموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ، ومادة مستجيبة ، وقريحة مواتية ، وآلة منقادة ، أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً مؤنقاً ، وتأليفاً معجباً ، وأعطاها صورة معشوقة وحلية مرموقة ، وقوّته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة ، فمن هنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة ، لأنها وصلت الى كمالها من ناحية [٤] النفس الناطقة ، بواسطة الصناعة الحاذقة [٥] ، التي من شأنها استملاء ما ليس لها ، واملاء مايحصل فيها ، استكمالاً بما تأخذ ، وإكمالاً [٦] لما تعطى »

فقال له البخاري — وكان من تلامذته : — « ما اشكرنا على هذه الصلات السنية ، وما أحمدنا لله على ما يهب لنا منك من هذه الفوائد الدائمة »

فقال : [يا [٧]] هذا ، بكم اقتبست ، وبحجركم قدحت ، والى ضوء ناركم عشوت ، واذا صفا ضمير الصديق للصديق ، أضاء الحق بينهما ، واشتمل الخير عليهما ، وصار كل واحد منهما ردءً لصاحبه ، وعونا على قصده وسبباً قويّاً في نيل إرادته ، ودرك بغيته ، ولا عجب من هذا ، فالنفوس تتقادح ، والعقول تتلاقح ، والألسنة تتفاتح ، وأسرار هذا الانسان الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير ، كثيرة جمّة ، واسعة مثبتة ، وإنما يحتاج

---

(١) في م (و) : « فيض »

(٢) ما بين القوسين من م (و) ، م (ح)

(٣) في ط م : « بكمالها »

(٤) في م (و) م (ح) : « ناحية »

(٥) في ط م : « الحادثة »

(٦) في ط م : « وكمالا »

(٧) لم توجد في ط م

الناظر في هذا النمط الى عنايته بنفسه في طلب سعادته ، ورعايته لحاله في السلوك الى غايته ، غير عائج على زهرة العين ، ونضرة الحسّ ، ولذّة الوقت ، فإنه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ، ويجنى تلك الثمرات ، ويجد تلك السكاين ، مرتفعاً عن هذه الأقذاء والقاذورات

وأول هذا الأمر وآخره بالله ومن الله اللهمّ طهر قلوبنا من ضروب الفساد ، وحبب الى أنفسنا طرائق الرشاد ، وكن لنا دليلاً ، وبنجاتنا كفيلاً ، بمنّك وجودك اللذين ماخلا منهما شيء من خلقك العلويّ والسفلى ، ولا فاتا شيئاً [1] من صنعك الجلى والخفيّ ، يا من الكل به واحد ، وهو في الكل موجود [2] »

هذا ما خلص من هذا الاجتماع ، وهو ظاهر الشرف ، أثبت به على ما لُقِّنتُه [3] . فأشركني في استحسانه وقبوله ، وكن معيناً على طلب نظيره ، فالتعاون [4] على الخير ، والتناصر على البرّ سيرة الفاضلين ، وعادة أهل التقى والدين »

المقابسة السادسة والعشرون (*)

< في أن اليقظة التي لنا بالحسّ هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل [5] هو اليقظة >

« سمعت أبا إسحق الصابي الكاتب يقول : رأيت ثابت بن قرّة الحرّاني في المنام ، قاعداً على سرير في وسط دجلتنا هذه ، وحوله ناس كثير ، كأن كل واحد منهم من قطر وهم على خلق مختلفة وهو يعظهم [ويبتسم اليّ [6] خلال] وعظه وكلامه ، وحصلت منه نكتة شريفة ، ذهبت مني في اليقظة وساءني ذلك جداً [7] وكنت اسرّح فكري [8]

---

١) في ط م : ولا فاتنا شيء .

٢) في م (و) ، م (ج) « موحد »

٣) في ط م : « لقيته »

٤) في ط م : « فالتعاقب »

(*) صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ٩٢

(٥) في ط م : « بالفعل »

(٦) في ط م : « وينسبهم في خلال »

(٧) في ط م : « هذا »

(٨) في ط م : « تفكيري »

كثيراً في الظفر بها ، والوقوع ، عليها فلا يعود بطائل، فلما كان بعد دهر ، وبعد اختلاف احوال ، ذكرت أنه قال لي [1] :ـ

خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافيات [2] التي هي خير لك من أهلك وولدك ، ومالك ورتبتك

إعلم أن اليقظة التي هي لنا بالحسّ هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل [3] هو اليقظة ، ولغلبة الحسّ علينا قد اتفقنا أن الأمر بخلاف هذا ، وإلا فغلّب العقل مكان الحسّ ينصدع لك الحق في هذا الحكم [4] فاذا وضح هذا [فبالواجب ينبغي ان ينفض من الحسّ [5]] وان ظننا ان اليقظة من ناحيته ، ويتلبس [6] بالعقل وان ظننا ان الحلم من ناحيته

وكان أبو اسحق يقول : وهذه النكتة مفروشها [7] واسع ، ولكن بقي ان تفهم منتفَعاً بها ، وتسمع على وجه التقبل لها ، لا على معنى الاعتراض لها

الفلسفة هي لطائف العقل ، فكل من لطف وصل اليها ، ولُطْفُ الانسان في طلبها هو تأتيه عند التفهم ، وصبره عند الطلب ، وثباته [8] على السيرة التي ندب اليها المشفقون الناصحون ، فان النفس تزكو عند ذلك ، والصدر ينشرح ، والخاطر يتوالى ، فلن يبقى حينئذ باب إلا انفتح ، ولا مشكل إلا وضح »

---

(١) لم توجد في ط م (٢) « الشافية » في ط م

(٣) في ط م : « الفعل » (٤) في ط م : الحلم

(٥) ما بين القوسين من نسخ منتخب صوان الحكمة ويقابله في ظ م : فبالواجب ان ينبغي ان ينقص من الحس » وهو كما ترى

(٦) في ط م : « ويلتبس » (٧) في ط م : « مفروشيها » ولا معنى له

(٨) في ط م : « وشأنه »

قسم من المقابسة التاسعة والعشرون *

< في ان الفاعل الأول هو علة المحسوسات والمعقولات <

« سمعت النوشجاني يقول : قد وضح بالعبرة الصحيحة ، والتصفح الشافي ، والنظر البليغ ، ان الفاعل الأول الذي [1] هو علة كل ما يرى ويوجد ، ويعقل ويحسّ ، لا قصد له في أفعاله [ولا غرض ولا مراد ، ولا اختيار ولا روية ، ولا توجّه ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة [2]] ولا مزاولة ولا محاولة

فقال بعض الحاضرين : لو أيدت هذا القول ببرهان ساطع ، أو بدليل مقنع ، كنت قد [3] شيدت ما أسست ، وقويت ما بنيت [4]

فقال : إن [5] هذه كلها دخلت افعالنا [وتخللت أحوالنا [6]] لعجزنا وفُسولتنا ، وانحطاطنا وضعفنا ، وتهافتنا وتحوّلنا ، وتبدلنا وسيلاننا [وبطلاننا [7]] فانجبرت [8] مكاسرنا بها ، وتمت مناقصنا [9] بمواصلتها ، وانسدّت مفاقرنا باستعمالها ، فاما الباري الحق الذي هو واهب كل كامل كماله ، وجابر كل ناقص نقصه ، فهو [10] علـي عن الاغراض والعلل ، والمسالك والسبل [11]

فقال له السائل : فكيف اتفقنا على أنه منعوت بالحكمة ، وافعاله على ما زعمت ؟ وكيف

(*) صحح هذا القسم على منتخب صوان الحكمة م و : ١١٣ ، م (ج) :

١) في ط م لم توجد كلمة الذي
٢) ما بين القوسين تفردت به ط م
٣) تفردت بها ط م
٤) في م و ، م ج : ما ابتنيت
٥) في م (و) : « لأن »
٦) تفردت بها م (و) م ج
(٧) في مكان الكلمة بياض في ط م وقد ملأته من (و) ، م ج
٨) في ط م : « وجبرت »
٩) في ط م : نواقصنا
١) في م (و) ، م (ج) لم توجد
١١) لم توجد في ط م .

يبان عن هذا [حتى تخلص خوائن اللحظ من القلوب [1]] وشوائن اللفظ من الالسنة

فقال : لعمري ، إن في ايضاحه لصعوبة وعسراً ، وان كان العقل قد قضى بما قدمته ، وعلى صعوبة ذلك ، فاني أؤلف على التقريب قولا عسى ان يكون للسامع فيه رضى ومقنع ان لم يكن فيه [مروى ومشبع [2]] »

قسم من المقابسة الواحدة والثلاثون *

> في أنه لو اقتضت إرادة الباري عدم البعث والنشر لما قدح ذلك في ألوهيته <

« سمعت مقداداً يقول : لو انتهى غرض [من تقدس وعلا [3]] في الانسان مع هيئته المعروفة ، وحليته المألوفة ، الى أن يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ، ولا معاد ولا منقلب ، لما كان ذلك قادحاً في إلـهيته ، ولا متحيفاً لطرف من أطراف حكمته ، ولا معانداً لما يليق بربوبيته ، فكيف وقد نصب العلامات ، وأحضر [4] الشواهد والبينات ، وأقام البراهين [5] والآيات ، على تحقيق المعاد ، وحصول السعادة والشقاء ، بحسب الصور الموجودة لواحد واحد ؟

ثم قال : لو سألنا العقلاء بأسرهم ، أو سألنا [6] أعقلهم فقلنا :

« ما تقول في بدنك إذا بطل بأسره ، ولم يبق منه شيء ، إلا العين التي من شأنها ان تبصر الاشياء ؟ فان جوابه لا يعدو أن يكون : « اذا لم يكن بد من فناء جميع البدن

---

١) ما بين القوسين في ط م : حتى يخلص من خوائن اللحظ والقلوب وفي م (و) م (ج) : « حتى تخلص من خوائن اللحظ من القلوب » وقد فضلت ما اثبت لسياق الكلام

٢) في ط م : « رأى ومسمع » ، ولا معنى له ، والتصحيح من م (و) ، م (ج)

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و : ٢ ١ ، م (ج) : ١٥٢

٣) في م (و) ، م (ح) : « الباري تعالى » ٤) في ط م : « وأحكم »

٥) في ط م : « ال[illegible] » ٦) في ط م : « وسألنا »

بأجزائه ، فلأن تبقى العين ، وهي اشرف ما فيه أو السمع [وهو نظيرها في الشرف[١]] خير من ألا يبقى شيء ، ويبيد كله ويضمحل جميعه »

قال : فيقال له : فكذلك النفس في بقائها بعد أن يصرّح عنها قشورها ، وتفارق مختارة لبوسها »

قال : وإنما ضربت هذا المثل ، [وعرضت[٢] هـــذا] التشبيه لانه قال لي قائل : الانسان لا يبقى، واذا لم يبق الانسان فأيّ فائدة فيما يبقى منه ، أوله أو [به[٣]] » ؟ قال : وهكذا[٤] لو ضرب المثل بمن له ولد ، أعني لو قيل : « لا سبيل إلى بقائك بذاتك ، لانك لا تحتمل ذلك بعنصرك ولـكن يبقى بعدك ولدك الذي هو بضعة منك ، وفاضل عنك ، لآثر بقاء ولده من بعده إيثاراً حسناً ، طيب النفس به ، فانه يرى أن ولده منه ، أو هو هو لأنه يراه[٥] مصاصته وخلاصته ، وبصاصته[٥] وسلالته ، ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه إلا [بالشخص] فقط »

المقابسة الرابعة والثلاثون *

> في أن الموجود على ضربين : موجود بالحسّ وموجود بالعقــل <

« سمعت البديهيّ يقول — وكان صحب يحيي بن عدي دهــراً ، وهو حملني بدعوته اللطيفة الى مجلسه — :

---

١) ما بين القوسين من م (و) ، م (ح) وفي ط م : وهو في الشرف (بمكان) »

٢) في م (و) ، م ج : « وعرفت بهذا » ٣) في ط م « أو آخره » ولا معنى له

٤) في ط م : « وهذا » .

٥) في ط م : « يرى »

٦) في م (و) ، م (ج) : نضاضته » وكلاهما يتم به المعنى

٧) في ط م : « بالشخص والشخص »

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) ١١٢ ، م (ج) : ١٦

« من البين أن الموجود على ضربين : موجود بالحسّ ، وموجود بالعقل ، ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود ، إما حسّ واما عقليّ . فعلى هذا : النفس لها عدم في أحد الوجودين [1] وهو الحسّ ، ولها وجود في القسم الآخر [وهو العقلي ، وقد كان الدليل على هذه الحال حاضراً في هذا العالم ، وذلك أنها كانت [2]] [تنقل وتستنبط ، وتعقل وتستبطن [3]] ، وتنظم المقدمات وتدل على ينابيع المعلومات ، وتعلو الى غاية الغايات ، وليس للحس معها شركة ، ولا له عندها معونة ومادة ، فكيف لا تكون النفس التي هذا [4] عنوان كتابها ، وصريح كنايتها ، وفاضل عنايتها ، بعد مفارقة القشور والحواجز ، والحيطان والحواجب ، والغواشي والملابس ، عن الحسّ أغنى ، وبجوهرها أعلى ، وبخاصتها أسنى ، وهذه الأشياء عنها أبعد ، وعن شرفها أهبط ؟ وهل هذه الشهادة الا عادلة ، وهذه البيِّنة الا مقبولة ، وهذا الحكم الا مرضيّ ، وهذا المثال إلاّ بيّن ؟

ثم قال : ولطائف الحكمة لا يصل اليها الحسّ الجافي ، والغليظ الجلف ، والفدم العبام [5] ، والهلباجة الملفوف ، وانما تعرض لمن [6] صحّ ذهنه ، واتسع فكره ، ودقّ بحثه ، ورق تصفحه ، واستقامت عادته ، واستنار عقله ، وعلت همته ، وخمد شرّه ، وغلب خيره ، وأصل رأيه ، وجاد تمييزه ، وعذب بيانه ، وقرب إتقانه

قيل له : « هذا عزيز جداً [7] » قال : [كما ان المشتبه به في هذا عزيز جداً [8]]

---

(١) في م ط: « الموجودين » (٢) ما بن القوسين تفردت به ظ م

(٣) في ط م : « تنقله وتستنبطه ، وتعقل وتستبطن »

(٤) في ط م : « هو » (٥) في ط م : والغليظ الفدم والجلف العبام »

(٦) في م (و) ، م و ح) مق

(٧) في ط م : « جداً الآن »

(٨) ما بين القوسين من نسخة م (و) ، م (ج)

واتباع في هذا الفن وتمطى ، وحاز كل غاية وتخطى ، ومحصولي من ذلك ما سمعته الآن وترى [1]

نفعنا الله به ، وحلانا بأزينه ، وأسعدنا بقبوله

المقابسة السابعة والثلاثون *

< في أن الانسانية افق ، والانسان متحول الى افقه بالطبع >

« قال ارسطوطاليس — فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي أبو علي — :

الانسانية أفق ، والانسان متحرك الى أفقه بالطبع ، ودائر على [2] مركزه ، الا [ان يكون مؤوفا بطبيعته ، مخلوطاً [3]] بأخلاق بهيميّة ، ومن رفع عصاه عن نفسه ، والقى حبله [على غاربه [4]] ، وسيّب هواه في مرعاه ، ولم يضبط نفسه [عما يدعو اليه طبعه [5]] ، وكان ليّن العريكة لاتباع الشهوات الرديّة ، فقد خرج عن أفقه ، وصار [ارذل من البهيمة بسوء ايثاره [6]]

هذا آخر ما ترجم من هذا الفصل ، وهو كما ترى وعظ بحكمة ، وايقاظ برأفة ، وتعليم بنصيحة ، وارشاد ببيان ، لو روى هذا الحسن [7] البصري ، ومنصور بن عمّار

---

(١) في ط م : « فسر » ولعله تحريف

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ١٠٩ ، م ح : ١٥٥

(٢) في ط م : « الى »

(٣) في ط م : « أنه مرموق بطبيعته ملحوظ » ولا معنى له

(٤) لم توجد في ط م

(٥) في ط م : « عما تدعو اليه بطبعه » وفي م و ، م ح : عما يدعو اليه بطبعه وقد أصلحت كما ترى

(٦) في ط م : « الى أرذل من البهيمة لسوء ايثاره »

(٧) في م (و) : « للحسن »

وضرباؤهما [1] ما زادا على ذلك وقد اتفقت آراء الأفاضل [2] كلّها على اصلاح السيرة، وتصحيح الاعتقاد، والسعي فيما أثمر وأجدى، والاعراض عن كل ما شغل البال، وأثار الشهوة، لتبلغ النفس غايتها، وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس في هذا العالم، ولا تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم والسلام »

المقابسة الثانية والأربعون *

[في معرفة الله أضرورية هي أم استدلالية]

قيل لأبي الخير [3] : حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا [4] أضرورة هي أم استدلال؟ فان المتكلمين اختلفوا في هذا [5] اختلافا شديداً، وتنابذوا عليه تنابذا بعيدا، ونحب أن يحصل لنا جواب فلسفي [6] على حد الاختصار مع البيان

فقال هي ضرورة من ناحية العقل، واستدلال من ناحية الحسّ، ولما كان كل مطلوب من العلم إما أن يطلب بالعقل في المعقول، أو بالحسّ في المحسوس — قال: وهذا هو الشاهد والغائب — ساغ [7] أن يظن تارة [8] أن معرفة الله اكتساب واستدلال؛ لأن الحسّ يتصفح ويستقرى [9] بمؤازرة العقل ومظاهرته، وتحصيله وتفصيله [10]، وأن يظن تارة أخرى أنها ضرورة، لان [11] العقل السليم من الآفة، البريء من العاهة، يحث على الاعتراف بالله تقدس اسمه ويحظر على صاحبه جحده [12] وانكاره والتشكك فيه، ولكن

(١) في م (و) : « وضربائهما »
(٢) في ط م : « الأوائل »
* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ٩ ١، م (ح) : ١٦٩
(٣) هو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام
(٤) في م (و) : « تقدس اسمه »
(٥) في ط م : « ضرورة »
(٦) في ط م : « في هذا اختلفوا »
(٧) في ط م : « فيفسر »
(٨) في ط م : « وساغ »
(٩) المصدر نفسه : مرة
(١٠) المصدر نفسه : ويستقوى
(١١) لم توجد في ط م
(١٢) في ط م : « إن »
(١٣) المصدر نفسه : « يجحده »

ضرورة لائقة بالعقل ، لأن ضرورة العقل ليست كضرورة الحسّ ، وذلك أن ضرورة الحسّ فيها جذب واجبار [1] ، وحمل وإكراه ، فأمّا ضرورة العقل فهي لطيفة جداً ، لأنه يعظ ويلاطف ، وينصح ويخفف [2] وكان بعض أصحابنا الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلا : زعم أن مثال الحسّ في هذا كامرأة حسناء متبرجة ، ذات وقاحة وخلاعة ، قد جلست الى شاب طرير ، له شطر جمالها ، وعليه مسحة من حسنها ، تخدعه بحديثها ، وتراوده عن نفسه لنفسها ، وتبدي له محاسنها ، وتطمعه في تمكينه [3] منها وتستعجله في حاجتها ، وتحثه على قضاء اللذة والوطر منها

فأما مثال العقل فكانه شيخ همّ قاعد على بعد ، ليس به نهضة للزحوف اليه ، والحيلولة بينه وبين ما قد نزل [4] به من صاحبته الوقحة الفاضحة ، إلا أنه مع ذلك ، [يلوّح بثوب [5]] ، وينادي بصوب ، يحرّك راسه ، ويبسط يده ، ويغظ ويلطف ، ويعد ويخوّف ، ويضمن ويرفق ، ويشفق ويحنو ، فأين [5] تأثير هذا الشيخ المحطم من تأثير هذه الخالبة الغالبة ، المحتالة المغتالة ؟ هذا مع قلة اصغاء الشاب الى الشيخ ، وسيلانه مع هذه

أراد [7] بهذا المثل ، الفرق بين العقل فيما يدعوك اليه لتسعد ، والحسّ فيما يحملك [8] عليه لتشقى هذا في جميع [ما تزاوله وتحاوله ، وتهمّ به وتتوجه [9]] نحوه ، فعلى هذا فان الله تعالى وتقدس ، معروف عند العقل بالاضطرار ، لا ريب عنده في وجوده ، ومستدل عليه عند الحسّ ، لأنه يستحيل كثيراً ، ولا يثبت أصلا ، فمن استدلّ ترقى من الجزئيّات ،

---

(١) في ط م : « واختيار »
(٢) المصدر نفسه : ويحقق
(٣) في م (و) ، م (ح) : « في الاستمكان »
(٤) في م و ، م ج : « ذل » .
(٥) في ط م : « ما نزل »
(٦) المصدر نفسه : « يصيح ويتأوه»
(٧) في ط م : « وارد »
(٨) المصدر نفسه : « ويكلمك » ،
(٩) المصدر نفسه وردت هذه الأفعال بصيغة المضارع للفرد الغائب

ومن ادعى الاضطرار انحدر من الكليات ، فكلا [1] الطرفين قد وضح [2] بهذا الاعتبار، وكفى [3] مؤونة الخبط والاكثار ، وهكذا كل شيء يطلب [4] أصله وفصله بالنظر الفلسفي ، والبحث المنطقي ، والاقتراء الالهيّ ، فاما ما ينظر منه بالخصومة [5] ، فلا يرث الانسان منه الا الشك والمرية والحسبان والظنّة ، والاختلاف والفرقة ، والحميّة والعصبية ، وهناك للهوى ولادة وحضانة [6] ، وللباطل استيلاء [7] وجولة ، وللحيرة ركود واقامة

أخذ الله بايدينا ، وكفانا الهوى الذي يردينا [8] ، [وصنع الذي [9]] هو أولى به منّا ، والسلام »

المقابسة الخامسة والاربعون *

[في شيء من مذكرات المؤلف مع بعض الاطباء]

ذاكرت طبيباً شاهدته « بجنديسابور » بشيء من العلم فما اذكر تلك المذاكرة ، وتلك المسألة ، وتلك الفائدة الاسنح شخص ذلك الشخص — وكان يكنى أبا الطيب — لعيني ، وتمثل في وهمي [10] ، وحتى كأني أراه قريباً مني [11] ، وحاضراً عندي ! وطال تعجبي من ذلك ، فرأيت أبا سليمان في المنام فسألته عن الحالة [12] التي قد شغلتني بالتعجب منها ، والأمر الذي توالى علي من أجلها

---

(١) في ط م : « وكلا »
(٢) في م (و) ، م (ح) : قد وضحا
(٣) المصدر نفسه : وكفيا
(٤) المصدر نفسه : طلب
(٥) في طم : « في الجدال »
(٦) في م (و) « حصانة »
(٧) في ط م : « استلاء »
(٨) في ط م : « يؤذينا »
(٩) في ط م : وصنع لنا بالذي وفي م (و) ، م (ح) وصنع بالذي وقد اصلحت بما ترى
(*) صححت على نسخة المقابسات المخطوطة بمكتبة الظاهرية بدمشق
(١٠) في ط : « وتمثل به وهمي
(١١) في ط م : « معي »
(١٢) في ط : « الحال »

فقال لي في الجواب قولا [متقطعاً التأم [1]] من جملته في اليقظة ما انا راسمه وحاكيه في هذا الموضع

قال : ألم تعلم أن المبدأ والأوّل [2] ، والأصل والعلّة مفتقر اليه بالطبع والضرورة ، ومعترف به بالوجوب الذي ليس فيه مرية ولا شبهة ؟

قلت : بلى

قال : فالثاني مشعراً أبداً بالأوّل ، والأول مشعر بنفسه ، والثاني مشعور به أيضاً ولكن [بالأول [3]] ، والأول مع هذا هو الثاني ، والثاني هو الأول ولكن اختلفت الرسوم ، ولم تختلف الحقائق »

إلى ههنا يخلص لي ما تبينته ، وهو ظاهر [كأنه قال [4]] :

لما كان [مرة صدرت المذاكرة من جهته [5]] وتمت بمطاولته ، وحصلت [6] الفائدة بوساطته ، اشتاقت النفس ، وتلبست بصورته ، وجدانا منها للمبدأ ، ونزاعاً نحو الأول ، واستشعاراً للسكون معه ، لأنها تعشق بالذات أبداً الأوّل ، ويعشق كلُّ أوّل [ما [7]] بعده [8] للنسبة [9] القائمة فيه ، والشية [10] الموجودة به من الأول بالاطلاق ، فكل مبدأ [11] من كل ضرب طبيعي وارادي ، وفكري وخلقي ، وصناعي وإلـهي ، يحييها ويونسها ، وينفي وحشتها ويعللها [12] ، لتستكمل [13] بذلك شوقها إلى الأول الحق ، الذي

---

(1) في ط م : « ميقظا ما التأم »
(2) في ط م : « الأول »
(3) في ط م : « ولكن الأول »
(4) في ط م : « كما به قال »
(5) « « « : « لما كان من صدور المذاكرة من جهته »
(6) في ط : « واتصلت »
(7) زدنا « ما » ليستقيم التعبير
(8) لم توجد في ط م
(9) « للشبة » المصدر نفسه
(10) « والشبه » المصدر نفسه
(11) « مريد » المصدر نفسه
(12) في ط : « وتعللها »
(13) في ط م : « ويستعمل »

هو أول بالاطلاق ، واستكمالها ذلك الشوق هو استدامها لحالها ، وثباتها على صورتها [١] وطربها على ما حصل لها

والكلام في الأول والمبدأ ، وفي كلّ [٢] ما ضرب فيه بسهم ، وانتهي اليه بوجه لا يملّ [٣] ولا يشبع منه ، ولولا ان بضاعتي في هذا الفنّ مزجاة ، وعبارتي عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك ويستبان أبين مرأى ، وأحلى مسمعاً ، وعلى كل حال فقد كتبت ما أمكن التصرف فيه ، والشغل به ، والزيادة على ذلك تقتضي [تحديد القول على تقرير السؤال [٤]] والجواب ، والتمثيل والايضاح ، فإن نفّس الله الخناق ، وأراح [٥] همّاً لازما وجمع شملا منقطعاً ، أتيت على ذلك متوسعاً [٦] ، أو طممت [٧] عليه متلافياً ، إن شاء الله »

عبد الرزاق محيي الدين

---

١) المصدر نفسه : « في صورتها »

٢) المصدر نفسه : « في كل » ٣) المصدر نفسه : « لا يمل ولا يمل »

٤) المصدر نفسه : « تقتضي بجزيل القول على تقدير السؤال »

٥) في ط م : « وأزاح » ٦) في ط : « موسعاً »

٧) في ط م : « آو اطمت عليه » ، وفي ط أو المت عليه » واخترنا طمت لانها انسب مع التعدية بعلي يقال : طمم الطائر تطميماً : وقع على غصن

قُتَيبة بن مُسلم الباهلي

فاتح ما وراء النهر حتى حدود الصين

اللواء الركن محمود شيت خطاب

« لله درّه ! ما كتبت إليه في أمر قط ، إلا فهم عني وعرف ما أريد »

(الحجاج بن يوسف الثقفي)

(تتمة)

الانتصار :

تولى قتيبة ولاية (الري) في أيام الحجاج ، ثم تولى (خُراسان) بعد يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة [1] ، فامتدت ولايته على (سجستان) وما وراء النهر حتى حدود الصين شرقاً ، وكانت ولايته على (خراسان) عشر سنين [2] فقط ، حيث قتل هناك

---

(١) وفيات الأعيان (٣/٢٤٩)

(٢) البداية والنهاية (٩/١٦٨) والعبر (١/١١٥) وفي وفيات الأعيان (٣/٢٥٠) : إنه تولى خراسان تسع سنين وسبعة أشهر وفي خزانة الأدب للبغدادي (٣/٦٥٧) : إنه ولي خراسان ثلاث عشرة سنة ، وكذلك في وفيات الأعيان (٣/٢٤٩) ، وهذا خطأ ، لأن قتيبة تولى خراسان سنة ست وثمانين ، وقتل سنة ست وتسعين ، فيكون قد تولى خراسان عشر سنين فقط

وكان سبب قتله ، أن الوليد بن عبد الملك ، أراد أن ينزع أخاه سليمان من ولاية العهد ويجعل بدله ابنه عبد العزيز بن الوليد ، فبايعه على خلع سليمان الحجاج وقتيبة [1] ؛ فلما مات الوليد سنة ست وتسعين بعد الهجرة وتولى الأمر أخوه سليمان بن عبد الملك ، خافه قتيبة وخاف أن يولي يزيد بن المهلب (خراسان) ؛ فكتب قتيبة إلى سليمان كتاباً يهنئه بالخلافة ويعزيه في الوليد ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأن له مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن (خراسان)

وكتب اليه كتاباً آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته ورفعة قدره عند ملوك العجم ، وهيبته في صدورهم وعظم صوته فيهم ، ويذم المهلب وآل المهلب ، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد بن المهلب على (خراسان) ليخلعنه

وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان ، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من (بَاهِلة) وقال له : « ادفع اليه هذا الكتاب ، فان كان يزيد بن المهلب حاضراً فقرأه ثم ألقاه اليه ، فادفع اليه هذا الكتاب ، فان قرأه وألقاه إلى يزيد ، فادفع إليه هذا الكتاب ، فان قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد ، فاحتبس الكتابين الآخرين »

وقدم رسول قتيبة ، فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع اليه الكتاب الأول فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد ؛ فدفع اليه الكتاب الثاني ، فقرأه ثم رمى به إلى يزيد ؛ فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتمعر لونه ، ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده ، وقيل كان في الكتاب الثالث : « لئن لم تُقِرني على ما كنت عليه وتؤمني لأخلعنك ولأملأنها

---

(١) ابن الأثير (٥/٤) والطبري (٢٧٣/٥) وابن خلدون (٩٨/٣) والبلاذري (٤١١) وخزانة الأدب للبغدادي (٦٠٧/٣) وسرح العيون (١) .

عليك رجالاً وخيلاً »

وأحضر سليمان رسول قتيبة ليلا ، فأعطاه دنانير جائزته ، وأعطاه عهد قتيبة على (خراسان) ، وسيّر معه رسولاً بذلك ، فلما كان بـ (حُلوان) [1] ، لقيها خلع قتيبة لسليمان ؛ فرجع رسول سليمان

وكان قتيبة لما همّ بخلع سليمان استشار إخوته ، فقال له أخوه عبد الرحمن : « إقطع بعثاً فوجه فيه كل من تخافه ، ووجه قوماً الى (مرو) وسر حتى تنزل (سمرقند) ، ثم قل لمن معك : من أحب المقام فله المواساة ، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء ؛ فلا يقيم معك إلا مناصح »

وقال له عبد الله : « إخلعه مكانك وادع الناس الى خلعه ، فليس يختلف عليك رجلان » ؛ فأخذ برأي عبد الله ، فخلع سليمان ودعا الناس الى خلعه ، وذكر أثره فيهم وسوء أثر من تقدمه ، فلم يجبه أحد [2]

وغضب قتيبة وشتم القبائل وعدّد مثالبهم قبيلة قبيلة ، وأثنى على نفسه بالأب والبلد والمعشر [3] فقال : « ... يا أهل خراسان ! انسبوني تجدوني عراقي الأم عراقي الأب عراقي المولد عراقي الهوى والرأي والدين ، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن

---

(١) حلوان : أربعة مواضع ، والمقصود هنا إما حلوان العراق ، آخر حدود السواد مما يلي الجبال بينه وبين بغداد خمس مراحل ، أو حلوان التي هي بليدة من نواحي نيسابور أنظر التفاصيل في المشترك وضعا (١٤٢) ومعجم البلدان (٣/٣٢٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٨٦)

(٢) الطبري (٥/٢٧٣ — ٢٧٥) وابن الأثير (٥/٤ — ٥) وأنظر البلاذري (٤١١) وخزانة الأدب (٣/٦٥٧ — ٦٥٨) وسرح العيون (١٠) وابن خلدون (٣/٦٨)

(٣) أنظر نص خطاب قتيبة في الطبري (٥/٢٧٥ — ٢٧٦) وابن الأثير (٥/٥) والعقد الفريد (٢/٣٨٤ — ٣٨٥) والبلاذري (٤١٢)

والعافية : قد فتح الله لكم البلاد وآمن سلبكم ؛ فالضعينة تخرج من (مرو) الى (بلخ) بغير جواز ؛ فاحمدوا الله على العافيـة ، وأسألوه الشكر والمزيد » ؛ ثم نزل ودخل بيته [١] .

وأتاه أهل بيته فقالوا : « ما رأيناك كاليوم قط ! والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك ، حتى تناولت (بكراً) وهم انصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت (الأزد) وهم يدك » ، فقال : « لما تكلّمت فلم يجبني أحد غضبت ، فلم أدر ما قلت »

وغضب الناس وكرهوا خلع سليمان ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعه

وتداول وجوه الناس في أمر خلع قتيبة ، فقرروا أن يتولى قيادتهم لخلعه وكيع بن حسان بن قيس التميمي ، لأنه أعرابي جاف تطيعه عشيرته ، وهو موتور من قتيبة لأنه نحّاه عن رئاسته وصرفها عنه وصيّرها لغيره !

ومشى الناس بعضهم إلى بعض سراً ، وتولى كبر ذلك حيان النبطي ، لذلك أمر قتيبة بقتله إذا دخل عليه ؛ ولكن بعض خـدم قتيبة أفشوا نواياه لحيان ، فتمارض وأبى الحضور إلى مجلس قتيبه

واجتمع الناس إلى وكيع وبايعوه ؛ بايعه من البصرة والعالية [٢] من المقاتلين تسعة آلاف ومن (بكر) سبعة آلاف ، ومن (تميم) عشرة آلاف ، ومن الموالي سبعة آلاف

---

(١) الطبري (٥/٢٧٦) وابن الأثير (٥/٥) ، وأنظر العقد الفريد (٢/٣٨٥) والبيان والتبيين (٢/١٠٤)

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة وقراها وعمايرها الى تهامة فهي العالية ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٥٠)

وشُرط على وكيع أن يتحوّل إلى الجانب الشرقي من نهر (بلخ)

ودسّ قتيبة إلى وكيع رجلاً من خاصته فبايعه ثم جاء إلى قتيبة بالخبر، فأرسل إلى وكيع فاعتذر بالمرض، فقال لصاحب شرطته: إئتني به وإن أبى فأتني برأسه!»؛ فلما جاء إلى وكيع ركب ونادى في الناس، فأتوه أرسالا

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته، وخواصه وثقاته وبنو عمه، وأمر فنودي في الناس قبيلة قبيلة، فأجابوه بالجفوة؛ يقول: «أين بنو فلان!؟» فيقولون: «حيث وضعهم!» فنادى: «أذكروا الله والرحم!»، فقالوا: «أنت قطعتها!»، فنادى: «لكم العتبى!»، فقالوا: «لا أقاء الله لنا إذاً!!»، فقال قتيبة عن ذلك:

يا نفس صبراً على ما كان من ألم إذ لم أجد لفضول العيش أقرانا!

فدعا ببرذون له مدرّب ليركبه، فجعل يمنعه حتى أعياه، فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فجلس عليه وقال: «إن هذا أمر يراد»

وجاء حيان النبطي بالعجم فوقف ـ وقتيبة واجد عليه، فقال عبد الله أخو قتيبة: قتيبة لحيان: «إحمل عليهم»، فقال حيان: «لم يأن بعد»!

وقال حيان لابنه: «إذا رأيتني قد حوّلت قلنسوتي ومضيت نحو عسكر وكيع، فمل بمن معك من العجم إليّ»، فلما حوّل حيان قلنسوته مالت الأعاجم إلى عسكر وكيع

وبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس، فرماه رجل فأصاب رأسه، فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل، فوضع في مصلاه وجلس قتيبة عنده ساعة

وتهايج الناس، وأقبل عبد الرحمن أخو قتيبة نحوهم، فرماه أهل السوق والغوغاء، فقتلوه

وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه ودنوا منه، فقاتل عنه رجل من

(باهلة) فقال له قتيبة : « إنج بنفسك ! » ، فقال : « بئس ما جزيتك إذاً وقد أطعمتني الجردق [1] وألبستني النمرق [2] »

وجاء الناس حتى بلغوا فسطاط قتيبة ، فقطعوا أطنابه ، وجرح قتيبة جراحات كثيرة ، ثم نزل رجل واحتز رأسه [3]

وقتل معه من أهله وإخوته : عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم ، وقتل كُثَيِّر ابنه ، وكان عدد من قتل مع قتيبة من آل بيته أحد عشر رجلا [4] ؛ كما قتلت معه أم ولده الصماء [5] ، وكان قتل قتيبة في مدينة (فرغانة) [6] في شهر ذي الحجة [7] من سنة ست وتسعين للهجرة [8] (٧١٥ م) ، وكان مولده سنة تسع

---

(١) الجردق : جمع جردقة وهي الرغيف والجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن يكون معرباً أو حكاية صوت أنظر مختار الصحاح (٦ ١)

(٢) النمرق : النمرق والنمرقة وسادة صغيرة ، والنمرقة بالكسر لغة وربما سموا الطنفسة التي فوق الرجل نمرقة انظر مختار الصحاح (٦٨٠)

(٣) انظر مقتل قتيبة في الطبري (٥/٢٧٢ — ٢٨٥) وابن الاثير (٥/٤ — ٨) وابن خلدون (٣/٦٨ — ٦٩) والبلاذري (٤١٢ — ٤١٣)

(٤) ابن الاثير (٥/٧) والطبري (٥/٢٨١) وابن خلدون (٣/٦٩) والبداية والنهاية (٩/١٧٦) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥)

(٥) البلاذري (٤١٣)

(٦) البداية والنهاية (٩/١٩٨) والمعارف (٤١٦ و ٤٣٣) ووفيات الاعيان (٣/٢٥٠)

(٧) البداية والنهاية (٩/١٩٨) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥)

(٨) الطبري (٥/٢٧٣) وابن الأثير (٥/٤) والبداية والنهاية (٩/١٩٨) وخزانة الأدب (٣/١٥٧) وشذرات الذهب (١/١١٢) واليعقوبي (٣/٣٩) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥) والعبر (١/١١٤) ، وفي المعارف (٤٠٧) إنه قتل سنة سبع وتسعين ، وهذا خطأ

وأربعين للهجرة[1] (٦٦٩ م) ، فقال رجل من عجم (خُراسان) : « يا معشر العرب ! قتلتم قتيبة ؟ ! والله لو كان قتيبة منا فمات ، لجعلناه في تابوت ، فكنا نستسقي به ونستفتح به إذا غزونا ، وما صنع أحد بـ (خراسان) قط ما صنع قتيبة ، إلا أنه غدر[2] »

وقال أحد رجالات العجم بعد مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة : « يا معشر العرب ! قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيدا العرب ؟ ! ! » ، فقال الرجل : « فأيهما كان أعظم عندكم وأهيب ؟ » ، فقال : « لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى حجر من الأرض مكبلاً بالحديد ، ويزيد معنا في بلادنا والٍ علينا ، لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد !! »[3]

وهذا يدلّ على قوة شخصية قتيبة وعظم سيطرته وشدة نفوذه .

وجاء رجل إلى قتيبة يوم قتل وهو جالس فقال : « اليوم يقتل ملك العرب[4] » ، وكان قتيبة عندهم ملك العرب

وقال الفرزدق في ذلك[5] :

أتاني ورحلي في المدينة وقعة ... لآل تميم أقعدت كل قائم

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي[6] :

كأن أبا حَفْصٍ قتيبة لم يَسر ... بجيش إلى جيش ولم يَعْلُ منبرا

ولم تخفق الرايات والقوم حَوله ... وقوف، ولم يشهد له الناس عسكرا

دعتـــه المنايا فاستجاب لربه ... وراح إلى الجنات عفّاً مطهّراً

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٢٥) والبداية والنهاية (١٦٧/٩) وفي البلاذري (٣/ ٤) : ان قتيبة يوم قتل كان ابن خمس وخمسين سنة

(٢) ابن الأثير (٧/٥) والطبري (٢٨٣/٥) وسرح العيون (١ ١)

(٣) الطبري (١٨٣/٥) وابن الأثير (٧/٥)

(٤) الطبري (٢٨٣/٥)

(٥) الطبري (٢٨٤/٥) وابن الأثير (٧/٥)

(٦) ابن الأثير (٧/٥) والطبري (٢٨٥/٥) والبداية والنهاية (١٦٨/٩)

فما رزىء الاسلام بعـــد محمد ... بمثل أبي حفص ، فبكيه عبهرا [1]

وقال جرير يرثي قتيبة [2] :

ندمم على قتل الأمير ابن مسلم ... وأنتم إذا لاقيمُ الله أنــدم

لقد كنتمُ في غزوه في غنيمة ... وأنتم لمن لاقيمُ اليوم مغنم

على أنه أفضى إلى حور جنة ... وتطبق بالبلوى عليكم جهنم

وقال الحجاج بن الأصم يرثي قتيبة [3] :

ألم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا ... بلى نحو أولى الناس بالمجد والفخر

نقود تميماً والموالي ومَذْحِجاً ... وأزداً وعبدالقيس والحيّ من بكر

نُقَتِّل من شئنا بعزة ملكنا ... ونجبر من شئنا على الخسف والقَسْر

سليمان كم من عسكر قد حوت لكم ... أسنّتُنا والمُقْرِبات بنا تجري

وكم من حصون قد أبحنا منيعة ... ومن بلدٍ سهلٍ ومن جبل وعر

ومن بلدة لم يَغْزُها الناس قبلنا ... غزونا نقود الخيل شهراً إلى شهر

مَرَنّ على الغزو الجرور وَوَقّرت ... على النفر حتى ما تُهال من النفر

وحتى لو انّ النار شبّت وأكرِهت ... على النار ، خاضت في الوغى لهب الجمر

تُلاعِبُ أطراف الأسنّة والقنا ... بلباتها [4] والموت في لجج خضر

بهنّ أبحنا أهل كل مدينة ... من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر

---

(١) عبهرا : أم ولد له

(٢) البداية والنهاية (٩/١٦٨—١٦٩) ووفيات الأعيان (٣/٢٠١)

(٣) الطبري (٥/٢٨٥)

(٤) لبات : وهو جمع لبة ، وهو المنحر

ولو لم تُعجلنا المنايا لجاوزت
بنا (رَدْم [1]) ذي القَرْنَيْن ذا الصخر والقِطْر [2]
ولكن آجالاً قُضِينَ ومدّةً تناهى اليها الطيبون بنو عمرو

وحتى سليمان بن عبد الملك حين وضع رأس قتيبة ورؤوس أهل بيته بين يديه ، قال للهُذَيل بن زفر : « هل ساءك هذا يا هُذيل ؟ » ، فقال : « لو ساءني ساء قوماً كثيراً » ، فقال : « ما أردت هذا كله ! [3] »

والحق ، أن قتيبة أخطأ حين تسرع في عزل سليمان ، وكان بامكانه أن يتريث حتى ينجلي موقف سليمان منه ، كما أنه اخطأ في شتم القبائل العربية بشكل استفزها وهو في موقف حرج جداً لا يستطيع النجاح بغير مساندها له ، فدفع قتيبة حياته وحياة كثير من أهل بيته وقومه ثمناً لذلك

لقد فرض قتيبة نفسه على الحوادث ، فتقدم بكفاءته ومقدرته ومزاياه ، فكان من القادة النادرين الذين أمّروا أنفسهم ، فقد كان شجاعاً جواداً دمث الأخلاق فطناً [4] ، روى إنه لما علا منبر (خراسان) سقط القضيب من يده ، فتطيّر له صديقه وتشاءم عدوه ، فعرف ذلك قتيبة ، فحمد الله تعالى ثم قال : « ليس كما سَرّ العدو وساء الصديق ، بل كما قال الشاعر :

وألقت عصاها واستقر بها النوى [5] كما قَرّ عيناً بالإياب المسافر [6]

---

(1) ردم : هو سد الاسكندر ذي القرنين ، والردم من الآية الكريمة : (ما مكني فيه ربي خير فأعينوني أجعل بينكم وبينهم ردما)

(2) القطر : النحاس المذاب انظر : في ظلال القرآن (١٦/ ١٤)

(3) الطبري (٥/٢٨٢—٢٨٣)

(4) سرح العيون (٩٧) وخزانة الأدب (٣/١٥٧)

(5) النوى : الوجه الذي ينويه المسافر ، وهي مؤنثة والرواية المشهورة « واستقرت »

(6) نوادر المخطوطات (٢/١٩٣) وسرح العيون (٩٨)

وقال الحجاج عن قتيبة : « لله درّه ! ما كتبت اليــه في أمر قط إلا فهم عني وعرف ما أريده [1] » ، لشدة ذكائه وفطنته

ويروى أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : « ما أعرف أن أرى لك مثلاً إلا قدح بن مقبل » ، فلم يعرف الحجاج معناه واغتم لذلك حتى دخل عليه قتيبة ، وكان راوية للشعر حافظاً له عالماً به ، فسأله عنـــه فقال : « أبشر أيها الأمير ، فانه مدحك ! أما سمعت قول ابن مقبل وهو يصف قدحاً له [2] .

غدا وهو مجدول وراح كأنه — من المس والتقليب في الكف أفطحُ

خروج من الغماء إن صك صكةً — بدا والعيون المستكفة [3] تلمحُ [4]

وله أخبار كثيرة وألفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحة لسانه [5] ، فمن أقواله : « لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طمع ، فإنه لا يؤثرك على نفسه ، ولا بكذّاب ، فانه يقرّب لك البعيد ويبعـــد القريب ؛ ولا بأحمق ، فانه ربما أراد نفعك فضرّك ! [6] »

ولما قـدم قتيبة (خراسان) قال : « من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم [7] فلينبذه ، وإن كان في فيه فليلفظه ، وإن كان في صدره فلينفثه » ، فعجب الناس

---

(١) البيان والتبيين (١/٣٩٧)

(٢) يصف الشاعر هذا القدح ، وهو السهم الذي يستقسم به على عادة العرب في الميسر ، وهو اصطلاح على نوع من أنواع القمار معروف فيقول : إن هذا القدح لكثرة فوزه وخروجه دون اقداح الجماعة يكثر تقليبه والتعجب منه ، يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقة بفوزه انظر سرح العيون (١٠١)

(٣) المستكفة : الموضوع عليها الكف للنظر

(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (١٧٣) وسرح العيون (١٠١)

(٥) سرح العيون (١٠١)

(٦) سرح العيون (١٠١)

(٧) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي صاحب خراسان لعبد الملك بن مروان انظر جمهرة أنساب العرب (٢١٩ — ٢٦٢) .

من حسن ما فصل وقسم [1]

وكتب الحجاج اليه : « إني قد كلفت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة ، فتزوجها » ، فكتب اليه : « ليس كل مطالع الأمير أحبّ أن أطلع »: فقال الحجاج : « ويل أم قتيبة !!» إعجاباً بقوله [2]

لقد ساد قتيبة بدهائه [3] ، وكان شهماً مقداماً مجيباً [4] ، وكان ذا شرف على قومه وتقدم في بلده ، وكان أديباً عالماً ، وأهل البصرة يفخرون به وبولده ، وهو القائل في أبيات :

أبى لي آباء كرام وأول ... أقاموا على ماء الندى فتخوّضوا

بكل فتى في محضه الحي واضح ... يلوح كما لاح اليماني المفضّض [5]

وكان عادلاً في الرعية ، ولما دخل (خراسان) قام اليه بعض الشعراء فانشد يقول :

شد العصاب على البرىء وما جنى ... حتى يكون لغيره تنكيلا

والجهل في بعض الأمور وإن غلا ... مستخرج للجاهلين عقولا

فقال قتيبة : « قبحّك الله من مشير ! والله لا أقَمْتَ معي في بلد » ، ثم أخرجه من (خراسان) [6]

لقد كان قتيبة مثالاً رفيعاً في مزاياه الانسانية الكريمة ، حتى لقد رفعت تلك المزايا منزلة (باهلة) قبيلته بين القبائل ، وما أصدق الشاعر حين قال [7] :

---

(١) البيان والتبيين (٢/ ١٢٠ — ١٢١) (٢) سرح العيون (١٠١)

(٣) رغبة الآمل (٣/ ٦) (٤) وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٩)

(٥) معجم الشعراء (٣٣٢) (٦) سرح العيون (١٠١)

(٧) رغبة الآمل (٦/ ١١٨) ، وكانت العرب تستنكف من الانتساب إلى باهلة قيل لبعضهم : « أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي ؟ » ، فقال : « نعم بشرط ألا يعلم أهل الجنة اني باهلي ! » . انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٣)

قـوم قتيبة أمهم وأبوهمُ لولا قتيبة أصبحوا في مَجْهَل

لقد كان من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان ذوي الحروب والفتوحات السعيدة ، والآراء الحميدة ، وقد هـدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، فأسلموا ودانوا لله عز وجل [1]

وقد ولد قتيبة : مسلم بن قتيبة وقطن بن قتيبة ، وكُثيّراً والحجاج وعبد الرحمن وسلماً وصالحاً وعمراً ويوسف وغيرهم

أما سلم ، فولى البصرة مرتين : مرة لابن هُبيرة ومرة لأبي جعفر ، وكان سيد قومه ، ومات بالري ، وكنيته : أبو قتيبة

وأما قطن بن قتيبة ، فكان على (سمرقند) وغيرها من كور (خراسان) ، وله هناك عقب

وجميع ولد قتيبة سراة لهم أعقاب [2]

لقد جمع قتيبة المجد من أطرافه .. لقد كان رجلاً لا يتكرّر إلا نادراً ... لقد كان نسيج وحده

القائد :

كان قتيبة بن مسلم قائداً من نوابغ القادة المعدودين الذين أنجبتهم الأمـة العربية في صدر الاسلام

فعند ما كان يلي (خراسان) ، خرجت بها خارجة أهمته ، فقيل له : « ما يهمك منهم ؟ وجّه اليهم وكيع فأنه يكفيكهم » ، فأبى وقال : « لا ... إن وكيعاً رجل به كبر يحتقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلّت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه ، فيجد عدوّه منه غرّة »

(١) البداية والنهاية (٩/١٦٧)
(٢) المعارف (٤٠٧)

هذه الكلمة من كلمات القائد العربي المسلم تنبيء عن كثير : تنبيء عن ملكة القيادة فيه ، وتنبيء عن ملكة السيادة في الأمة التي نشأ منها واستطاعت بها أن تسوس الأمم في الحرب والسلم

فالحق أن شروط القيادة على وفرتها وعظم التبعة فيها جميعاً ، ليس يوجد بينها ما هو ألزم للقائد من القدرة على سبر قوته وسبر قوة خصمه ، وكل ما عدا ذلك فأنما هو ترتيب لما يصنعه بقوته وما يتوقع من القوة التي ينازلها أن تصنعه ، أو هو تنظيم للأهبة والحيطة بين الفريقين في الميدان الذي يتلاقيان فيه [1]

لقد كان قتيبة بطلاً شجاعاً [2] ، شهماً مقداماً مجيباً [3] ، من القادة النجباء الكبراء والشجعان ذوي الحروب والفتوحات [4] ، فتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ما وراء النهر [5] ؛ وقد بلغ في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفتاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة ولا غيره ، حتى إنه فتح (خوارزم) و (سمرقند) في عام واحد ، فدعا نهار بن توسعة شاعر المهلب وبنيه فقال له : « أين قولك في المهلب لما مات :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب

أفغزو هذا يا نهار ؟؟ » ، فقال : « لا بل أحسن » ثم قال نهار : « وأنا القائل :

وما كان مذ كنا ولا كان قبلنا ... ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم

---

(١) عبقرية خالد

(٢) شذرات الذهب (١١٢/١) والعبر (١١٥/١) وانظر خزانة الأدب (٦٥٧/٣)

(٣) وفيات الأعيان (٢٤٩/٣)

(٤) البداية والنهاية (١٦٧/٩)

(٥) سرح العيون (٩٧) وخزانة الأدب (٦٥٧/٣)

(٦) وفيات الأعيان (٢٥٠/٣) والطبري (٢٥٤/٥)

أعمّ لأهل الترك قتلاً بسيفه وأكثر فينا مقسماً بعد مقسم»

ولما بلغ الحجاج ما فعل قتيبة من الفتوحات والقتل والسبي، قال: «بعثت قتيبة فتى غزّاء، فما زدته باعاً إلا زادني ذراعاً»[1]

وقال المغيرة بن حبناء يمدح قتيبة ويذكر قتل (نيزك) وأصحابه[2]

لمن الديار عَفَت بسفح سَنام إلا بقيــة أيصــر وثمام

عصف الرياح ذيولها فمحونها وجرين فوق عِراصها بتَمام

دار لجارية كأن رضابها مسك يُشاب مِزاجه بمُدام

أبلغ أبا حفص قتيبة مدحتي واقرأ عليه تحيتي وسلامي

يا سيفُ أبلغها فإن ثناءها حسن وإنك شاهد لمقامي

يسمو فتتضح الرجال إذا سما لقتيبة الحامي حمى الاسلام

لأغر منتجَبٍ لكل عظيمة نحْرٍ يباع به العدو لهام

يمضي إذا هاب الجبان واحمشت حرب تسعّر نارها بضرام

تُروى القناةُ مع اللواء أمامه تحت اللوامع والنحور دَوامِ

والهام تغربه السيوف كأنه بالقاع حين تراه فيض نعام

وترى الجياد مع الجياد ضوامراً بفنائه لحوادث الأيام

وبهنّ أنزل نيزكاً من شاهق (والكرز) حيث يروم كل مرام

وأخاه (شقراناً) سَقَيتَ بكاسه وسقيت كأسها أخا (باذام)

وتركت (صولاً) حين صال مجدلاً يركبنه بدوابرٍ وحرام

---

(١) وفيات الأعيان (٣/٢٥٠)، والطبري (٥/٢٣٩)

(٢) الطبري (٥/٢٤٠ — ٢٤١)

وقال نهار بن توسعة يذكر انتصار قتيبة على الأتراك [1] :

أراك الله في الأتراك حكماً ... كحكم في قُريظَةَ والنضيرِ

قضاء من قتيبـــة غير جور ... بـه يُشفى الغليل من الصدور

فـأن يرى (نيزكٌ) خزياً وذلاً ... فـكم في الحرب حُمق من أمير

وقال كعب الأشقري يمدح قيادة قتيبة [2] :

رمتك (فيل) بما فيها وما ظلمت ... ورامها قبلك الفَجْفاجة الصَّلِفُ

لا يُجزىء الثغر خوار القناة ولا ... هشّ المكاسر والقلب الذي يَجِفُ

هل تذكرون ليالي الترك تقتلهم ... مادون (كازَة)[3] والفجفاج ملتحف

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما كبروا ... مبهم تقال على أكتافها عُنُف

إني رأيت أبا حفص تفضله ... أيامه ، ومساعي الناس تختلف

قيس صريح وبعض الناس تجمعهم ... قرى وريف فمنسوب ومُقْتَرَف

لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا ... سبعين ألفاً وعز (السغد) مؤتنف

وفي (سمرقند) أخرى أنت قاسمها ... لئن تأخر عن حوبائك التلف

ما قدّم الناس من خير سبقت به ... ولا يفوتك مما خلّفوا شرف

وقال أيضاً يمدح قيادته [4] :

كل يوم يَحْوِي قتيبـة نهباً ... ويزيد الأموال مالاً جـديدا

باهليٌ قـد ألبسَ التـاج حتى ... شاب منه مفـارقٌ كنّ سُودا

---

(١) الطبري (٥/٢٤٠)

(٢) الطبري (٥/٢٤٧ — ٢٤٨) والأغاني (١٣/١٩)

(٣) كازه : من قرى مرو والنسبة اليه : كازقي ، وقد نسب اليها كازى أيضاً انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٠٧)

(٤) الطبري (٥/٢٥٥) ويقال ان قائلها رجل من جعفي

دوّخ (السُّغْدَ) بالكتائب حتى ترك (السغد) بالعراء قعودا
فوليد يبكي لفقد أبيه وأبٌ موجع يُبَكي الوليدا
كلما حلّ بلدةً أو أتاها تركت خيله بها أخدودا

فما هي مزايا قيادته التي استحق من أجلها كل هذا التقدير

كان قائداً يقابل عدوه مفتوح العينين : يحصل على المعلومات عن خصمه فيعرف قوته ومعنوياته وتسليحه وتنظيمه ونقاط ضعفه ، ويعرف طبيعة الأرض التي تقدم قواته عليها والتي يخوض غمار معركته فيها ، ويُعد الخطط المناسبة للقضاء على اعدائه فيفكر حين إعدادها في كافة الاحتمالات لتكون مرنة قابلة التطبيق عند تبدل الأحوال ، ولم يكن متهوراً يحتقر عدوه بل كان دائماً يدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات

وكانت له شخصية قوية فرضها على عدوه أولاً ، فكان مهيب الجانب يحسب له عدوّه ألف حساب وقد بلغت سيطرته الشخصية على أعدائه حداً لم يبلغه غيره من قادة الفتح ومن الولاة . لقد كان قتيبة ينتصر بالرعب !

فقد طلب ملك (الجوزجان) رهناً يكونون معه في يديه ويعطى رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حُصين الباهلي وأعطى ملك (الجوزجان) رهائن من أهل بيته ؛ نخلّف هذا الملك حبيباً بـ (الجوزجان) في بعض حصونه وقدم على قتيبة ، فصالحه قتيبة ثم رجع الملك فمات بـ (الطالقان) ؛ فقال أهل (الجوزجان) : « سموّه ! » ، فقتلوا حبيباً ، فقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده [1] ، حتى يكون لرجال قتيبة حرمة مصونة حتى عند أعدائه

وقد رأيت كيف استكان ملك الصين لتهديد قتيبة ، فاستسلم لشروطه ، لأنه كان يعرف مقدّماً أنه أمام رجل ينفذ تهديده ، وأنه إذا قال فعل ... فلا عجب أن يجيب أحد

---

(١) الطبري (٥/ ٢٤)

الأعاجم عن تساؤل رجل من العرب : « أيهما أهيب عندهم : يزيد بن المهلب أم قتيبة بن مسلم » ، فقال الأعجمي بدون تردد : « لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى حجر من الأرض مكبلاً بالحديد ، ويزيد معنا في بلادنا والٍ علينا ، لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد »[1] ... ويزيد هو من هو هيبة وسيطرة وجلالاً !.

وفرض سيطرته على رجاله أيضاً ، فكان لايتوانى عن إنزال أقسى العقاب بالمخالفين لأوامره والمتهاونين في تنفيذها

وكان يسيطر على رجاله في الميدان ، فلا يدع رجلاً منهم يترك موضعه أو يخل بواجبه أو يعود إلى أهله إلا بأمر صريح منه قال إياس بن زهير : « لما عبر قتيبة النهر أتيته فقلت له : إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال ، فنأخذ أهبة ذلك ، وبني الأكابر معي ولي عيال وقد خلفتهم ، وأم عجوز وليس عندهم من يقوم بأمرهم ، فأن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بني أوجهه فيقدم عليّ بأهلي ؛ فكتب وأعطاني الكتاب ؛ فانتهيت إلى النهر وصاحب النهر في الجانب الآخر ، فألويت بيدي فجاء قوم في سفينة ، فقالوا : من أنت وأين جوازك ؟! فأخبرتهم ؛ فقعد معي قوم وردّ قوم السفينة الى العامل ، فأخبروه »[2] ؛ فهو لاينسى أن يضع نقاط سيطرة على السابلة في نقاط العبور ليسيطر سيطرة تامة على رجاله في الجبهة

وكان ماهراً في القضايا التعبوية مهارة فائقة تدعو الى الأعجاب حتى في أيامنا هذه : كان إذا رجع من غزواته اشترى اثنى عشر فرساً من جياد الخيل واثنى عشر هجيناً[3] لايتجاوز بالفرس أربعة آلاف ، فيقام عليها الى وقت الغزو ، فاذا تأهب للغزو وعسكر

---

(١) الطبري (٥/٢٨٠) وابن الأثير (٥/٧)

(٢) الطبري (٥/٢٦٨ — ٢٦٩)

(٣) الهجين : الهجنة في الناس وفي الخيل إنما تكون من قبل الأم ، فاذا كان الأب عتيقاً أي كريماً والام ليست كذلك كان الولد هجيناً انظر مختار الصحاح (٦٩١) .

قيدن وأضمرت ، فلا يقطع نهراً بخيل حتى تخفّ لحومها ، فيحمل عليها من يحمل من الطلائع ، وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف ويبعث معهم رجالاً من العجم ممن يستنصح على تلك الهجين ، وكان إذا بعث بطليعة أمر بلوح فنقش ثم بشقه شقين ، فأعطاه شقة واحتبس شقة لئلا تمثل بمثلها ، ويأمره أن يدفنها في موضع يصفه له من مخاضة معروفة أو تحت شجرة معلومة أو خربة ، ثم يبعث بعدد من يستبريها ليعلم أصادق طليعته أم لا [1] .... وهذا هو منتهى الدقة في الاهتمام بوسائط التنقل المعروفة حينذاك وفي تفاصيل البقية التي تؤمن تنفيذ أوامره بدقه وإتقان !

وكان ألمعي الذكاء عميق التفكير كثير الحيطة والحذر ، وكان شجاعاً مقداماً جريئاً صريحاً يبدي رأيه بكل صراحة وحزم حتى للحجاج المعروف بشدته وقوة شخصيته وكانت له قابلية ممتازة على اختيار المعسكرات المناسبة للقاء عدوه فيها ، وكان لا يسير إلا على تعبية ، وكان يخندق كلما استقر به المقام في ميدان من الميادين

وكان ماهراً جداً في استخدام الكمائن ، حريصاً على الحصول على المعلومات المفصلة عن عدوه وعن طبيعة الأرض التي يسلكها والتي ستدور معركته عليها

وكان قديراً على استخدام صنوف جيشه في الوقت والمكان المناسبين ، ليؤمن تعاونها ويستفيد من كل صنف في الواجب المناسب له ، وقد استعمل (الفَعَلة) [2] استعمالاً رائعاً عند حصار المدن ، كما استعمل المنجنيقات لهدم الأسوار وقصف تلك المدن

وكان دائماً في الأمام ليرى الموقف الحقيقي بنفسه ويعالج المواقف الحربية المتبدلة

---

(١) الطبري (٥/٢٧١)

(٢) الفعلة : هم الرجال الذين يقومون بهدم الأسوار وإصلاح الطرق وقطع الشجر وإقامة الجسور والمعابر ، وحفر الآبار وتنقيتها وما أشبه ذلك . انظر مختصر سياسة الحروب (٢٩) وهم صنف الهندسة في الوقت الحاضر

بسرعة معالجة فورية مناسبة دون أن ينتظر في الخلف للحصول على المعلومات

وكان دائماً في مواقع الخطر ، ليشارك رجاله في مهمهم ، وليرفع معنوياتهم بحضوره ، وليساعد في معالجة المواقف الطارئة دون ضياع الوقت سدى

وكان يشجع رجاله ويستثير حميهم ويدفعهم الى خوض غمار الحرب بمثاله الشخصي وإقدامه وفدائه وحسن تصرفه ...

وكان يعرف مزايا رجاله ومزايا القبائل التي تحارب بإمرته ، ويوكل بكل رجل وبكل قبيلة ما يناسبه أو يناسبها من واجبات

وكانت له قابلية بدنية ممتازة تساعده على تحمّل التعب والنصب والمشاق

وكان ميمون النقيبة ، كامل العقل ، بعيد الصوت ، طويل التجربة ، بصيراً بتدبير الحروب ومواضعها ، عالماً بالحيل والمكايدة ، منهزا للفرص ، حسن التعبئة ، حسن السيرة ، عفاً ، صارماً ، حذراً ، متيقظاً ، حسن التدبير لرجاله ، وكان قائداً عقدياً

وكان يستشير رجاله كلما حزبه أمر ولا يستبد برايه دونهم . وكان يصون السر ويكتمه ولا يظهر نواياه أبداً لأحد

وكان يطبق كل مباديء الحرب المعروفة بشكل يدعو إلى الدهشة والأعجاب ، فكانت حروبه كلها حروباً (تعرضية) ، وكان (يختار مقصده ويديمه) ولا يحيد عنه مطلقاً ، وكان يبذل جهده (لمباغتة) عدوه في الزمان والمكان والأسلوب ويحرص على (أمن) قواته خوفاً من مباغتة العدو لها

وكان يعمل جاهداً على (تحشيد قوته) عدداً وعُدداً وصنوفاً ، ولكنه كان (يقتصد بالمجهود) فلا يسرف في استخدامها إلا للأهداف الحيوية ، وكانت خططه سليمة (مرنة) ولقواته قابلية فائقة على الحركة ، وكان في خططه يستهدف تأمين (التعاون) التام بين صنوف جيشه وبين القبائل العربية والعجم الذين يؤلفون هذا الجيش ، وكان لاينفك باذلاً

غاية الجهد (لأدامة معنويات) قواته وتحطيم معنويات عـــدوه ، وكان يهتم كل الاهتمام بأعداد (الأمور الادارية) لرجاله مواداً وسلاحاً وخيلاً وإبلاً وعتاداً وأرزاقاً .

وكان سريع القرار صائب الخطط ، ذا إرادة قوية ثابتة ونفسية عالية لاتتبدل ، يتحمل المسؤولية كاملة ويسبق النظر ، يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، وكان من أجلهم يضحي بالقضايا المادية ، كما فعل في قتل الأعجمي الأعور دون أن تغريه ضخامة ما عرضه هذا من فداء .

وكان ذا شخصية قوية نافذة مسيطرة لا تجامل ولا تداجي ولا تخضع إلا للحق وللمصلحة العامة

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد شرفاً وشجاعة وتضحية وإخلاصاً

لا عجب مع كل ذلك أن يستعيد فتح (خراسان) وغيرها وأن يفتح أقطاراً شاسعة يضيفها الى ما فتحه قادة الفتح من قبله دون أن يهزم له جيش أو يتراجع له لواء على الرغم من أنه كان حريصاً على الجهـــاد مُؤْثِراً ساحات الحروب على صالات القصور

قتيبة في التاريخ :

يذكر التاريخ لقتيبة ، أنه كان من أبرز أعوان الحجاج بن يوسف الثقفي الذين عاونوه بأمانة وإخلاص للقضاء على أخطر فتنة داخلية عانى منها العراق خاصة والمشرق عامة ، وهي فتنة الخوارج .

ويذكر له ، أنه استعاد كل بلاد المشرق التي انتقضت على الدولة العربية الاســـلامية وشقت عصا الطاعة ، وأعادها الى الدولة الأم وأعاد إلى سكانها الأمن والاستقرار .

ويذكر له ، أنه فتح بلاد ما وراء النهر حتى حدود الصين شرقاً وتغلب على أصلب الأمم وأقواها .

ويذكر له، أنه نشر الاسلام في مناطق شاسعة، فقد هدى الله على يديه خلقاً لايحصيهم إلا الله [1]

لقد أتعب قتيبة نفسه وأتعب غيره من أجل إعلاء كلمة الله، وكان مفخرة من مفـاخر العرب والمسلمين

رضي الله عن البطـل الحق، الاداري الحازم، الأمير العادل، القائد الفاتح، قتيبة بن مسلم الباهلي

محمود شيت خطاب

---

(١) البداية والنهاية (١٦٧/٩)

المصادر

١ — القرآن الكريم

٢ — في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ـ الطبعة الأولى

٣ — دليل الحيران في الكشف عن آي القرآن ـ الحاج صالح ناظم ـ المطبعة الحميدية المصرية ـ ١٣٢٢ هـ

٤ — المرشد إلى آيات الله وكلماته ـ محمد فارس بركات ـ المطبعة الهاشمية بدمشق ـ ١٣٧٧ هـ

٥ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطابع الشعب بمصر ـ ١٣٧٨ هـ

٦ — المعارف ـ بن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب بمصر ـ ١٩٦٠ م

٧ — وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ مطبعة النهضة المصرية ـ ١٣٦٧ م

٨ — الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية

٩ — الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ محمد بن جرير الطبري ـ مطبعة الاستقامة بمصر ـ ١٣٥٧ هـ.

١٠ — ابن الأثير ـ تاريخ الكامل ـ ابن الأثير ـ مطبعة دار التحرير بمصر ـ ١٣٠٣ هـ.

١١ — البلاذري ـ فتوح البلدان ـ أبو الحسن البلاذري ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٥٩م.

١٢ — البداية والنهاية ـ أبو الفدا ـ مطبعة السعادة بمصر
١٣ — أبو الفدا ـ تاريخ أبي الفدا ـ المختصر من تاريخ البشر ـ عماد الدين اسماعيل أبو الفدا ـ المطبعة الحسينية بمصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٥ هـ
١٤ — شذرات الذهب ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ مطبعة مكتبة القدسي بمصر ـ ١٣٥٠ هـ
١٥ — ابن خلدون ـ تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ـ عبد الرحمن بن خلدون المغربي ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٢٧٤ هـ
١٦ — اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب ـ مطبعة الغري بالنجف ـ ١٣٥٨ هـ
١٧ — البدء والتاريخ ـ أبو زيد أحمد البلخي ـ طبع باريس ـ ١٨٩٩ م
١٨ — العبر في خبر من غبر ـ الامام الحافظ الذهبي ـ طبع الكويت ـ ١٩٦٠
١٩ — معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٣ هـ
٢٠ — منجم البلدان ـ المستدرك على معجم البلدان ـ محمد امين الخانجي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٠٧ م
٢١ — آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا بن محمد بن محمود القزويني ـ مطبعة دار صادر ببيروت ـ ١٣٨٠ هـ
٢٢ — المسالك والممالك ـ أبو اسحق بن محمد الاصطخري ـ مطابع دار القلم بالقاهرة ـ ١٣٨١ هـ
٢٣ — تقويم البلدان ـ عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا ـ طبع مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية ـ ١٨٤ م

٢٤ — أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ القدسي المعروف بالبشاري ـ مطبعة بريل بليدن ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٠٦ م .
٢٥ — البلدان ـ أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه ـ مطبعة بريل بليدن ـ ١٣٠٢ هـ
٢٦ — المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ـ ياقوت الحموي ـ
٢٧ ـ الأعلاق النفيسة ـ ابن رسته ـ مطبعة بريل بليدن ـ ١٨٩١ م
٢٨ — البلدان ـ اليعقوبي ـ مطبعة بريل بليدن ـ ١٨٩٢ م
٢٩ — المسالك والممالك ـ ابن خراذبة ـ طبع مطبعة بريل بليدن ـ ١٨٨٩ م
٣٠ — بلدان الخلافة الشرقية ـ سترنج ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ مطبعة الرابطة ببغداد ـ ١٣٧٣
٣١ — تهذيب الأسماء واللغات ـ أبو زكريا محمد الدين بن شرف النووي ـ المطبعة المنيرية بدمشق ـ
٣٢ — جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم الأندلسي ـ دار المعارف بمصر ـ
٣٣ — سرح العيون شرح قصيدة ابن زيدون ـ ابن نباتة المصري ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٢٧٨ هـ
٣٤ — العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي ـ المطبعة الأزهرية بمصر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٤٦ هـ
٣٥ — البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق حسن السندوبي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٧٥ هـ
٣٦ — رغبة الآمل في شرح الكامل ـ سيد بن علي المرصفي ـ مطبعة النهضة بالقاهرة ـ ١٩٢٧ ـ ١٩٣٠ م

٣٧ — الأغاني ـ أبو فرج الأصبهاني ـ طبع دار الفكر ودار مكتبة الحياة ببيروت
٣٨ — مختصر سياسة الحروب ـ الهرثمي صاحب المأمون ـ تحقيق عبد الرؤوف عون ـ مطابع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر
٣٩ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر بن عمر البغدادي
٤٠ — نوادر المخطوطات ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ المجموعة الثانية ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٧١ هـ
٤١ — قتيبة بن مسلم ـ عمر أبو النصر
٤٢ — عبقرية خالد ـ عباس محمود العقاد ـ سلسلة كتاب الهلال
٤٣ — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري ـ مطبعة الظاهر بالقاهرة ـ ١٣٢٦ هـ
٤٤ — معجم الشعراء ـ محمد بن عمران المرزباني ـ نشر مكتبة القدسي ـ ١٣٥٤ هـ
٤٥ — مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ـ ترتيب محمود خاطر ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ـ الطبعة الخامسة ـ ١٣٣٤ هـ
٤٦ — ترتيب القاموس المحيط ـ طاهر احمد الزادي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ ١٩٥٩م.
٤٨ — المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ مطبعة مصر ـ ١٣٨٠ هـ

النسبة الاقتصادية لحديد التسليح في خرسانة السقوف والاعتاب

الدكتور جميل الملائكة

الخلاصة

يضع الباحث في هذا البحث حلا رياضياً مضبوطاً لمسألة حساب النسبة الاقتصادية للحديد في خرسانة السقوف والأعتاب المسلحة بالشد، تعويضاً عن الحل التقريبي المعروف (١) .

المقدمة

١ — تتغير كلفة الخرسانة المسلحة بتبدل اسعار حديد التسليح، والمواد الانشائية الاخرى الداخلة في تكوينها من سمنت ورمل وحصى، واسعار اليد العاملة وهذه الاسعار تختلف على وفق مدى توافر المواد محلياً وتنوع جودتها بيد أن اسعار الحديد على الخصوص كثيرة التبذبذب تبعاً لتقلب الاحوال العالمية، وهي اكثر تأثراً بالاحداث

---

(١) لتبسيط العرض عمد الباحث الى استعمال اقل ما يمكن من العلاقات الرياضية، واتبع طريقة النسبة والتناسب في التعبير عن اكثرها بدلا من ادراج المعادلات كاملة مع الثوابت التي فيها، ولقد صيغت الحلول جميعاً بمعادلات لا بعدية لامكان الاستفادة منها في جميع الانظمة القياسية بسهولة، وكتب البحث بالعربية ابطالا لحجة القائلين بقصورها عن لغة الهندسة العالية، وتوخياً لفائدة العدد الاكبر من القراء

الدولية في البلاد المتخلفة الناشئة منها في البلاد المتقدمة ذات الاقتصاد المستقر ، مثال ذلك ما حصل في اثناء الحرب العالمية الاخيرة ، وفي اعقابها ، وفي اول الخمسينات ، من قفزات في اسعار الحديد ارتفعت بسببها كلفة الخرسانة المسلحة عالياً

٢ — وفي بلد كالعراق ينتج السمنت بوفرة ولكنه يعتمد في توفير الحديد على الاستيراد اطلاقا ، يصبح من المستحسن بل من المتحم تصميم الاجزاء الخرسانية المسلحة — ومنها السقوف والاعتاب — بحيث يكون مجموع كلفة الخرسانة وحديد التسليح واليد العاملة أقل ما يمكن ولكن مما يؤسف له ان مثل هذه الموازنة الاقتصادية لا يراعى عادة في تصميم الخرسانة المسلحة ، وان عامة المراجع لا تتطرق البتة الى اكثر من التصميم « المتزن » اي الذي يبلغ الاجهاد في كل من حديده وخرسانته حده المسموح به بغض النظر عن اعتبارات الكلفة .

٣ — ولا بد من القول بوجود عوامل عدة غير الاعتبارات الاقتصادية مما قد يكون له في بعض الاحوال أثر في اختيار ابعاد الاعتاب واعماق السقوف الخرسانية فمن هذه العوامل كتلة العتب أو السقف التي تؤثر مباشرة على مجموع ما يتحمله المنشأ ، والحجم أو العمق وما يشغلانه من حيز قد يكون ذا اثر من الناحية العمارية ، أو قد يحدده فضاء الطابق المحدود في حالات معينة مما قد يستدعي خفض العمق الى الحد الذي يستلزم استعمال حديد الضغط في بعض الاحيان ، وابعاد القوالب المتيسرة واعمال النجارة وما تفرضه طبيعتها احياناً من ضرورة جعل عرض الاعتاب بمضاعفات العقدتين مثلا ، والعوامل الانشائية التي تجعل من المستحسن جعل العمق بمضاعفات نصف العقدة أو العقدة ، والحد الادنى للمسافات بين حديد التسليح بحيث لا يزدحم ويتراص ، وثمة عامل اجهاد القص الذي قد يكون هو المتحكم في حالات نادرة فيتطلب عمقاً اكثر مما يستلزمه اجهاد الثني بيد أن هذه العوامل لا تتحكم في التصميم إلا في احوال خاصة ، وإن تصميم اكثر المنشآت

قليل التأثر بها أو غير محدد بها اطلاقا وحتى في الاحوال المتأثرة بأكثر هـذه العوامل يمكن اجراء الموازنة الاقتصادية ضمن الحدود التي تفرضها

٤ — وثمة عوامل غير كلفة حديد الشد والخرسانة واليد العاملة مما له اثر مباشر على مجموع الكلفة منها كلفة ثني الحديد للعزوم السالبة ، وكلفة حديد القص ، وكلفة الكلاليب بنهايات حديد التسليح ، وكل هذه يمكن تقديرها بنسبة معينة من مجموع كلفة حديد الشد ، وهناك كلفة القوالب التي تصب عليها الخرسانة وهـذه لا تختلف كثيراً باختلاف العمق ، ويمكن اعتبار اثرها ثانوياً بالمقارنة بحـديد الشد والخرسانة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ايضاً أن المقاول يعيد اسـتعمال القوالب عدة مرات ، ولذا لن نتطرق اليها في هذه الدراسة .

٥ — وفي هذا البحث عرض مبسط لابعدي للحل التقريبي البسيط المعروف [١] ، واستنباط جديد لحل دقيق مضبوط لمسألة حساب النسبة الاقتصادية لحديد التسليح في خرسانة السقوف والاعتاب المسلحة بالشد .

الحل التقريبي

١ — لو افترضنا ثبات النسبة بين ذراع العزم في مقطع العتب أو السقف الخرساني المسلح وبين العمق الفعال للمقطع (كما يفرض تورنور ومورير في حلها التقريبي) [٢] لجاز

---

(١) Turneaure and Maurer-Principles of Reinforced Concrete Construction, P 186, third revised edition, 1919 (Or Eq. 2. P. 141, fourth edition, 1945), See also Hamzawi, H - Economical Reinforced Concrete Design, Al-Muhandis, P. 2.No. 3, 4th. yr., Serial 14, Iraqi Society of Engineers, October, 1960.

(٢) Turneanre and Maurer-Principles of Reinfor ced Concrete Construction, P. 141 fourth edition; 1945

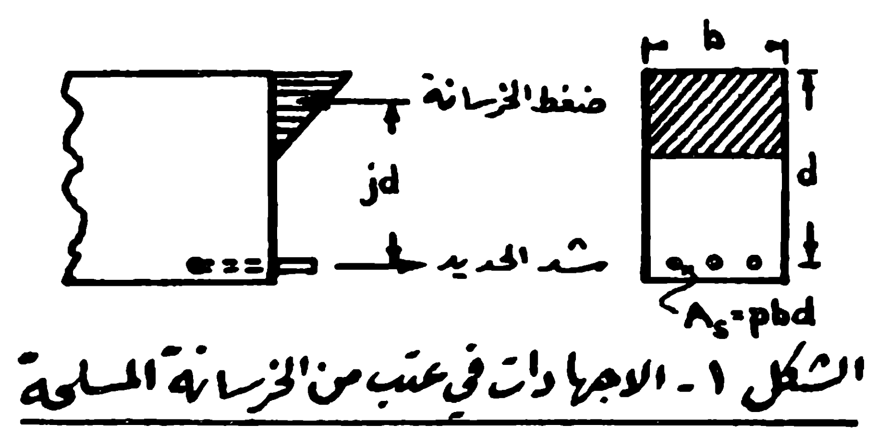
القول بامكان خفض حديد التسليح إلى النصف بمضاعفة العمق ومعنى ذلك انه يمكن خفض النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة إلى الربع بمضاعفة العمق (لان الخرسانة تزداد طرداً مع زيادة عمقها) ويمكن التعبير عن هذه العلاقة بالتناسب الرياضي التالي :

النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة ~ $\frac{١}{(\text{العمق})^{٢}}$

أو الرمز اليها بما يأتي :

$$p \sim \frac{1}{d^2} \quad \cdots\cdots\cdots\cdots \quad 1$$

حيث تشير p الى النسبة بين مقطعي الحديد والخرسانة وترمز d إلى العمق الفعال للمقطع (انظر الشكل ١) وتدل الاشارة ~ على التناسب [1] (يلاحظ استعمال لفظة العمق اختصاراً لعبارة العمق الفعال التي يقصد بها ارتفاع ما بين حديد الشد ووجه خرسانة الضغط وقد استعمل البعد ذاته لتقدير كمية الخرسانة ولن ينتج ذلك في الحسابات خطأ يذكر)



الشكل ١ ـ الاجهادات في عتب من الخرسانة المسلحة

٢ ـ لما كانت كلفة الخرسانة المسلحة مساوية لمجموع كلفتي الحديد والخرسانة ،

---

(١) ستشرح دلالة كل رمز عند اول وروده ، وتشرح الرموز كلها ثانية في الملحق

فيصح القول بتناسبها مع عمق المقطع مضافاً اليه العمق مضروباً في النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة وفي النسبة بين سعري الحديد والخرسانة لوحدة الحجوم اي ان :

(الكلفة ~ العمق × (١ + النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة × النسبة بين سعريهما)

ويمكن الرمز إلى ذلك بما يأتي :

$$C \sim d\,(1 + pr) \quad \dots\dots\dots\dots\dots\dots \quad 2$$

حيث تدل C على مجموع كلفة الحديد والخرسانة وتشير r إلى النسبة بين سعري الحديد والخرسانة لوحدة الحجوم .

٣ — يمكن بدمج المتناسبتين 1 و 2 التخلص من العمق والحصول على التناسب التالي :

الكلفة ~ (١ + النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة × النسبة بين سعريهما) ÷ الجذر الرابع (النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة)

ويعبر عن هذا التناسب بما يأتي :

$$C \sim \frac{1 + pr}{\sqrt[4]{p}} \quad \dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots \quad 3$$

٤ — من الممكن حساب النسبة الاقتصادية للحديد بمفاضلة الكلفة في المتناسية 3 بالنسبة الى النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة ومعادلة الناتج بالصفر ، اي ان :

$$\frac{dC}{dp} = 0$$

وبأجراء هذه العملية تكون النتيجة ان النسبة الاقتصادية بين مقطعي الحديد والخرسانة تساوي مقلوب النسبة r ، أي ان :

(النسبة الاقتصادية بين مقطعي الحديد والخرسانة ~ النسبة بين سعري الخرسانة والحديد)

حيث تدل الاشارة ~ على التساوي التقريبي للسبب المبين في أول الحل ؛ وسيرمز

الى ذلك بالمعادلة اللابعدية التالية :

$$p_c \simeq \frac{1}{r} \quad \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots \quad 4$$

أو بالمعادلة اللابعدية :

$$p_c \simeq r' \quad \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots \quad 4a$$

حيث ترمز p_c الى النسبة الاقتصادية بين مقطعي الحديد والخرسانة وتشير r' الى مقلوب r أي إلى النسبة بين سعري الخرسانة والحديد لوحدة الحجوم

ان المعادلة الرشيقة 4 هي صيغة لابعدية مبسطة للمعادلة البعدية التقريبية التي استنبطها تورنور وموررر[١] والتي أشرنا اليها سابقاً ، ويمكن تمثيلها بسهولة بصيغتها الثانية 4 a كخط بياني مستقيم ذي انحدار مقداره ٤٥ درجة ، كما سيأتي

الحل المضبوط

١ — ان الحل المبين سابقاً هو حل تقريبي فقط فهو يفترض بقاء النسبة j بين ذراع عزم المقطع والعمق الفعال ثابتة كما ذكرنا في أوله بيد ان هذه النسبة متغيرة كما هو معلوم ، وان مثل هذا الافتراض يترتب عليه خطأ في النتائج يعتمد مقداره على طبيعة هذا التغير فللتوصل الى حل مضبوط إذن نقول بأن مساحة حديد التسليح تتناسب عكسياً مع ذراع العزم وليس العمق كما ذكر في الحل التقريبي ولذا فان نسبة الحديد الى الخرسانة (ومساحة الأخيرة تناسب العمق) تتناسب عكسياً مع حاصل ضرب ذراع العزم jd في العمق d وهكذا تصحح المتناسبة 2 فتصبح

$$\text{النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة} \sim \frac{١}{\text{العمق} \times \text{ذراع العزم}}$$

(١) Turneaure and Maurer-Principles of Reinforced Concrete Construction, Eq 2, p. 141, fourth edition, 1945

ويرمز الى ذلك بما يأتي :

$$p = \frac{1}{jd^2} \qquad \text{.............................. } 5$$

حيث تشير j الى النسبة المتغيرة بين ذراع العزم والعمق الفعال .

٢ — وسنتخلص من العمق d ، كما فعلنا سابقاً ، بدمج المتناسبتين 5 و 2 هذه المرة، للحصول على التناسب التالي :

$$\text{الكلفة} = \frac{\text{١ + النسبة بين حجمى الحديد والخرسانة × النسبة بين سعريهما}}{\sqrt{\text{النسبة بين ذراع العزم والعمق × النسبة بين حجمي الحديد والخرسانة}}}$$

ويرمز إلى ذلك بما يأتي :

$$C = \frac{1 + pr}{\sqrt{pj}} \qquad \text{.............................. } 6$$

٣ — ولمفاضلة المتناسبة المضبوطة 6 ، كما فعلنا بشأن المتناسبة التقريبية 3 ، لا بد من التعبير عن المتغيرة j بدلالة p. ويمكن اجراء ذلك بالاستفادة من العلاقـــة المعلومة التاليـة [١] :

$$j = 1 \quad \sqrt{\frac{2\,pn + (pn)^2 - pn}{3}} \qquad \text{.............................. } 7$$

حيث تشير n إلى النسبة بين معاملي المرونة للحديد والخرسانة وهكذا نتخلص من المتغيرة j بتعويض قيمها من 7 في المتناسبة 6 فتصبح :

---

(١) انظر أي مرجع ابتدائي في تصميم الخرسانة المسلحة

$$C \sim \frac{1 + Pr}{\sqrt{P\left[1 - \frac{\sqrt{2Pn + (Pn)^2} - Pn}{3}\right]}} \quad \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots \quad 8$$

٤ — وبمفاضلة الكلفة C بالنسبة الى النسبة المتغيرة p في المتناسبة 8 ، ومعادلة الناتج بالصفر :

$$\frac{dC}{dp} = 0$$

كما فعلنا سابقاً ، يمكن حساب النسبة الاقتصادية المضبوطة للحديد لقد أجريت عملية المفاضلة هذه [١] ، ولدى معادلة الناتج بالصفر حصلنا على الحل التالي :

$$4\,rn\,(r-n)\;p_c^3 = \;\; 9r^2 + 4n^2 - 18\,rn)\;p_c^2 + 6(3r - 2n).\,p_c \quad 9 \ldots 9$$

والمعادلة اللابعدية 9 تمثل الحل المضبوط الذي يجب أن يحل محل الحل التقريبي المعبر عنه بالمعادلة 4 ، ومنها يتبين ان النسبة P_c بين الحديد والخرسانة لاتتغير مع النسبة r بين سعري الحديد والخرسانة فحسب ، وانما تتغير كذلك مع النسبة n بين معاملي المرونة للحديد والخرسانة ، كل ذلك على وجه مشتبك معقد

٥ — ان حل معادلة الدرجة الثالثة 9 بطريقة التجربة والخطأ ، بالنسبة لكل مسألة عملية ، يتطلب بذل الكثير من الجهد والوقت ، ولهذا يصبح من المستحسن توفير حل بياني شامل لها لتيسير الاستفادة منها في حل مسائل الحساب الاقتصادي من هذا القبيل . ولذا فقد اجرينا العدد الكافي من الحلول لتوفير النقاط اللازمة لتهيئة مجموعة (عائلة) من الخطوط البيانية يبين كل منها تغاير احدى المتغيرتين مع الثانية مع بقاء الثالثة ثابتة كل

---

(١) قام باستخراج مشتقة التفاضل وتدقيقها مشكوراً السيد عز الدين نعوم الاستاذ المساعد في الرياضيات بجامعة بغداد

مرة ولقد استخدمنا لهذا الغرض معادلة مساعدة سريعة التقارب استنبطها شتاينمان [1] لحل المعادلات من الدرجات العالية ، أي الثالثة فأكثر (سنكتفي بهذه الاشارة الى المعادلة المساعدة دون الدخول في تفصيلها لعدم اتساع المجال لذلك) وبالاستفادة من المعادلة التقريبية 4 ، كنقطة بدء ، في احتساب القيمة التجريبية الأولى كل مرة لحل المعادلة 9 بطريقة التجربة والخطأ — بمساعدة معادلة شتاينمان — أمكن تقليل القيم التجريبية لكل حل بحيث لاتتجاوز الاثنتين أوالثلاث كحد أعلى بيد إن اجراء العمليات الحسابية الطويلة المضنية ، على الرغم من كل ذلك ، كان أمراً لامندوحة عنه ، بسبب تعقيد المعادلة 9 (نذكر على سبيل المثال معادلة الدرجة الثالثة التالية الناتجة عن تعويض $n = 8$ و $r = 80$ في المعادلة 9 .

$$184\ 320\ p_c^3 = -46\ 336\ p_c^2 + 1344\ p_c \quad 9)$$

ومما زاد في التعقيد كون طبيعة المعادلة وثوابتها مما يستلزم اجراء الحسابات باللوغاريتمات ذات المراتب العشرية المتعددة للحصول على النتائج الدقيقة المطلوبة ، ولذا فقد عملنا جميع الحلول باستعمال جداول لوغاريتمية ذات سبع مراتب عشرية [2] ولقد اخترنا القيم الأربع العملية الأكثر شيوعاً للمتغيرة n وهي ٨ — ١٠ — ١٢ — ١٥ وحسبنا لكل منها قيمة P_c لكل من قيم r الممكنة عملياً والبالغة ٤٠ — ٦٠ — ٨٠ — ١١٠ — ١٤٠ ، وهكذا تم لنا عشرون نقطة كما يظهر في الجدول ١ ، وكما هو مبين في الشكل ٢ ، وكلاهما يبين تغاير P_c مع n لمختلف قيم r كما ظهر من هذه الحسابات ويتضح من هذه النتائج حقيقة هامة سنعرض لها فيما بعد وهي ان تغاير P_c مع n هو ضئيل جداً

---

(١) Steinman; D B. — Civil Engineering, v. 21, p. 94, 1951

(٢) Vega—Seven Place Logarithmic Tables, 1960.

مناقشة الحل المضبوط ومقارنته مع الحل التقريبي

١ — من المفيد تبيان تغاير النسبة الاقتصادية بين مقطعي الحديد والخرسانة p_c مع النسبة r' بين سعري الخرسانة والحديد لوحدة الحجوم (أي مقلوب النسبة r) لسهولة المقارنة عندئذ بين الحلين التقريبي والمضبوط ويبين الشكل ٣ تغاير p_c مع r' بمقتضى كل من معادلة الحل التقريبي اللابعدية 4a ومعادلة الحل المضبوط اللابعدية التالية الناتجة عن تعويض r' عن مقلوب r في المعادلة 9 :

$$4n\,(1-nr').\;p_c^3 = -\,(9 + 4n^2 r'^2 - 18\,nr').\;p_c^2 + 6r'\,(3-2nr').\;p_c - 9r'^2 \quad \ldots 9a$$

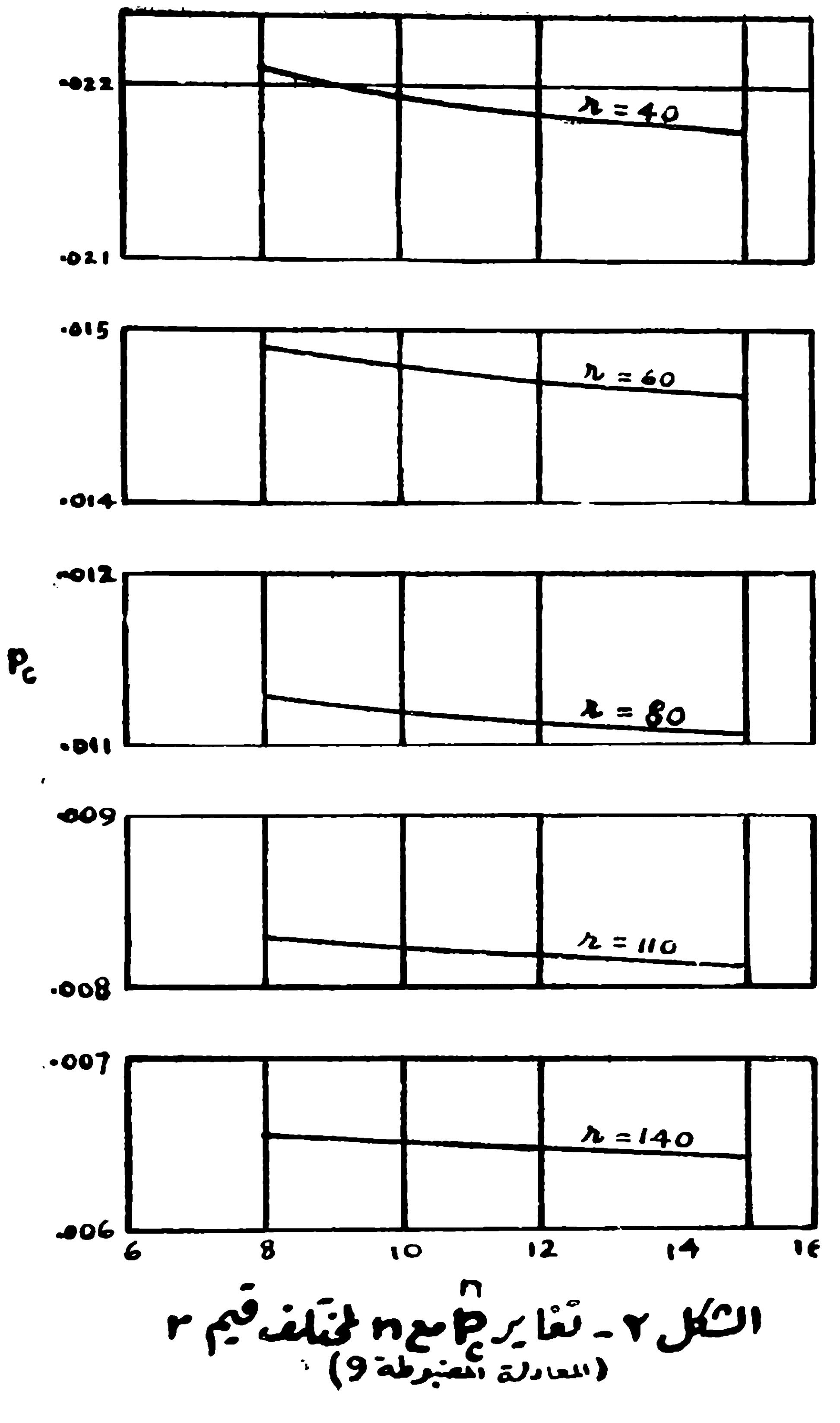
(حسبت قيم r' على أية حال من مقلوب r كما هو مبين في الجدول ١ أيضاً) ولتقارب الخطين البيانيين الذين يمثلان قيمتي n البالغتين ٨ و ١٥ فقد أهملنا رسم الخطين الذين يمثلان القيمتين الاخريين ١٠ و ١٢

٢ — يتضح من النتائج المبينة في الشكل ٣ (أو الجدول ١) ما يلي :

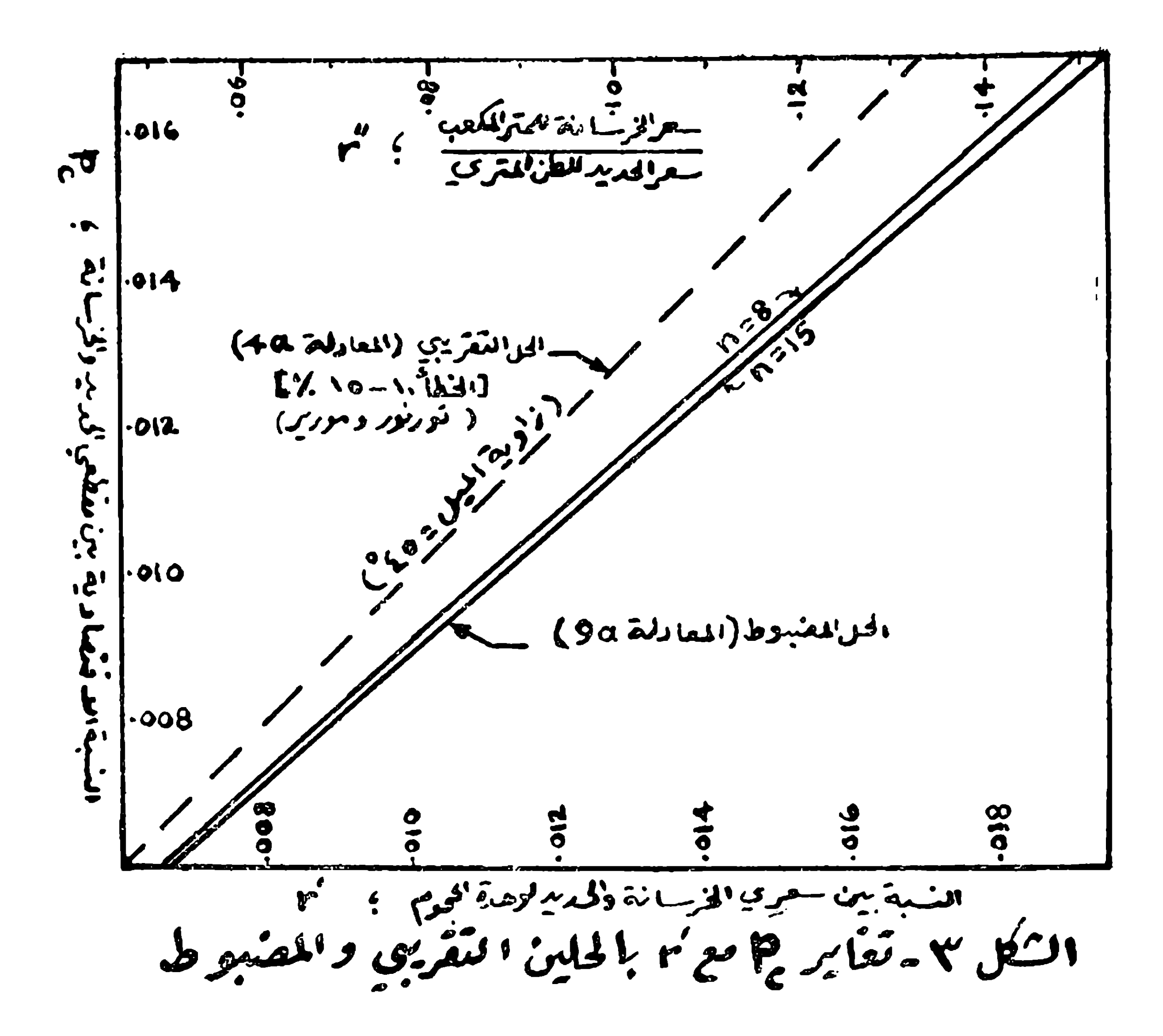
أ — ما ذكرناه سابقاً من عدم تأثر p_c بتغيير n تأثراً يذكر (في الحل المضبوط) ويبدو ان تغاير قيمة p_c الذي يرافق تغير n من ١٥ الى ٨ ـ ضمن النتائج المحسوبة ـ يتراوح بين ١ و ٢ بالمائة ، أي ان الانحراف عن المعدل لا يمكن ان يتجاوز ١ بالمائة بأية حال

ب — بالنظر لضآلة الانحراف عن المعدل ، كما هو مبين في الفقرة السابقة ، ولتعقيد المعادلة 9 ، وصعوبة حلها في الاحوال الاعتيادية ، فقد استنبطنا معادلة الخط المستقيم العملية التقريبية التالية للاستفادة منها في حل المسائل الاعتيادية ، ولن يتجاوز الخطأ فيها ١ بالمائة لقيم n المتراوحة بين ٨ و ١٥ :

$$p_c \sim 0.87\,r' + 0.0003 \quad \ldots\ldots\ldots\ldots \quad 10$$



الشكل ٢ - تغاير P_c^n مع n لمختلف قيم r
(المعادلة المضبوطة 9)



الشكل ٣ ـ تغاير p مع 'r بالحلين التقريبي والمضبوط

والشكل ٤ يبين الخط البياني للمعادلة المضبوطة المقربة 0

جـ — ان نسبة الخطأ المترتب عن الحل التقريبي + تتراوح ـ ضمن النتائج المحسوبة ـ بين ١١ و ١٥ بالمائة ، وهذه النسب تعتبر عالية اذا احتسبت كلفة بناء المنشآت الكبيرة ، ويمكن بتحاشي هذا الخطأ واستعمال الحل المضبوط 9 (او الحل المبسط 10) توفير مبالغ لا يستهان بها من مجموع الكلفة

الشكل ٤ - تغير P_c مع r' بالحل المضبوط المقرب

التطبيق العملي

١ — لتسهيل الاستفادة العملية من المعادلة المضبوطة 9a أو المعادلة المضبوطة المقربة 10 ، كما في الشكلين ٣ و ٤ على التوالي ، أضفنا الى كل من الشكلين مقياساً ثانوياً عملياً في الأعلى يمثل حاصل قسمة سعر الخرسانة للمتر المكعب على سعر الحديد للطن المتري ، "r .

٢ — والمثال التالي يوضح طريقة حل مسألة عملية من هذا القبيل بموجب الأسعار السائدة حالياً في العراق :

ا — حديد التسليح (طن متري واحد)

الحديد (طن متري)	= ٤٨/٠٠٠
القطع والتصعيد	= ٦/٠٠٠
التبذير (حوالي ١٠ ٪)	= ٥/٠٠٠

فيكون مجموع سعر الطن المتري من حديد التسليح = ٥٩/٠٠٠ ديناراً عراقياً (أي ان مجموع سعر المتر المكعب الواحد من حديد التسليح ، باعتبار ان الوزن النوعي هو ٧٫٨ ، يساوي :

٧٫٨ × ٥٩/٠٠٠ = ٤٦٠/٢٠٠ ديناراً عراقياً)

ب — الخرسانة (متر مكعب واحد ١ : ٢ : ٤)

السمنت (٦ أكياس بسعر ٣٥٠/ —)	= ٢/١٠٠
الحصى والرمل	= ١/٥٠٠
العمل	= ١/٠٠٠

فيكون مجموع سعر المتر المكعب من الخرسانة = ٤/٦٠٠ دنانير عراقية وهكذا يظهر أن :

النسبة البعدية r'' = $\frac{٤/٦٠}{٥٩/٠}$ = ٠٫٠٧٨

والنسبة اللابعدية r' = $\frac{٤/٦٠}{٤٦٠/٢}$ = ٠٫٠١٠

وعلى فرض ان n تساوي ١ ، يمكن ان نجد في الشكل ٣ مقابل قيمة r'' ، او مقابل قيمة r' في الشكل ذاته (المعادلة المضبوطة 9 a) ، ان النسبة الاقتصادية للحديد P_c هي ٠٫٠٠٩٠٢ .

اما الحل التقريبي المعروف (المعادلة 4 a) في الشكل نفسه فيشير إلى ان النسبة الاقتصادية

هي ٠١ و ٠ ، وفي ذلك خطأ مقداره ١١ ٪.

ويمكن وجود الحل أيضاً من الشكل ٤ (المعادلة المضبوطة المقربة 10) حيث يظهر ان النسبة الاقتصادية هي ٠٠٩ و ٠ ، والخطأ في هذا الناتج ، كما يبدو ، ضئيل وهو أقل من ١ ٪

٣ — يجب ان يراعى في استعمال نسبة الحديد الاقتصادية المحسوبة بأية من المعادلات 4 — 4a — 9 — 9a — 10 (أنظر الشكلين ٣ و ٤) ان لا تزيد هذه النسبة على النسبة المحسوبة للتصميم « المتزن » ، اي الذي يبلغ اجهاد حديده وخرسانته حديهما المسموح بهما ، والا فيلزم استعمال حديد الضغط قرب الوجه المنضغط من العتب او السقف

فلو فرضنا في المثال الذي نحن في صدده مثلاً ان اجهاد الشد المسموح به في الحديد هو ٢٠٠٠٠ باوند على العقدة المربعة لوجدنا ان نسبة الحديد اللازمة للتصميم المتزن هي ١٣٦ .ر [١] ؛ ولما كانت النسبة الاقتصادية التي وجدت اعلاه وهي ٠٩٠.ر اقل بكثير من ١٣٦ ر فان استعمالها مع مضاعفة عمق العتب أو السقف بنسبة $\frac{١٣٦.ر}{٠٩.ر}$ ، اي بنسبة ١٥ر١ سيحقق ولا شك توفيراً اقتصادياً

اما ان وجد (في حالات نادرة) ان النسبة الاقتصادية للحديد ــ محسوبة بالطرق المبينة في هذا البحث ــ هي اكثر من النسبة المطلوبة للتصميم المتزن فمن الاسهل اتباع التصميم المتزن ، والا فان استعمال النسبة الاقتصادية المذكورة يحتم اضافة حديد الضغط كما ذكر آنفاً وفي تلك الحالة يجب اعتبار كلفة حديد الضغط عند اجراء المقارنة الاقتصادية

ويستثنى من هذا الاحتياط الاعتاب الخرسانية التي يكون مقطعها على شكل الحرف T لان شفرها عادة ليست مضغوطة الى الحد المسموح به وتحتمل الكثير من الضغط الاضافي ؛ ولهذا اتخذ تورنور ومورير (في المرجع المشار اليه سابقاً) ساق العتب ذي المقطع على شكل T مثالاً عاماً للحل التقريبي الذي سبق شرحه في أول البحث

---

(١) انظر اي كتاب او جدول في تصميم الخرسانة المسلحة مثل :
CRSI Design Handbook, Revised 1961, p. 53.

الخاتمة

١ — ان اختيار النسبة P بين مقطعي حديد التسليح والخرسانة في الاعتاب والسقوف بطريقة « التصميم المتزن » لا يستند إلى اية اعتبارات اقتصادية

٢ — ان طريقة تورنور وموريز التقريبية في اختيار النسبة الاقتصادية P_c بين الحديد والخرسانة ، والمعبر عنها باي من المعادلتين التقريبيتين اللابعديتين 4 أو 4a (انظر الشكل ٣) ، فيها خطأ يتراوح بين ١١ و ١٥ بالمائة في المسائل العملية

٣ — يمكن تجنب الخطأ اطلاقاً باستعمال أي من المعادلتين المضبوطتين اللابعديتين 9 أو 9a (أو الحل البياني في الشكل ٣)

٤ — يمكن تبسيط المعادلة المضبوطة المعقدة 9a بمعادلة الخط المستقيم العملية اللابعدية المقربة 10 (انظر الشكل ٤) ولن يتجاوز الخطأ ١ بالمائة

جميل الملائكة

ملحق بدلالات الرموز الواردة في البحث

C = مجموع كلفة الحديد والخرسانة

d = العمق الفعال للمقطع

j = النسبة بين ذراع عزم المقطع والعمق الفعّال (لابعدية)

n = النسبة بين معاملي المرونة للحديد والخرسانة (كذا)

p = النسبة بين مقطعي الحديد والخرسانة (كذا)

p_c = النسبة الاقتصادية بين مقطعي الحديد والخرسانة (كذ)

r = النسبة بين سعري الحديد والخرسانة لوحدة الحجوم (كذا)

r' = النسبة بين سعري الخرسانة والحديد لوحدة الحجوم (كذا)

r'' = حاصل قسمة سعر الخرسانة للمتر المكعب على سعر الحديد للطن المتري

- = علامة التناسب

- = علامة التساوي التقريبي

r = r' =	40 (02500)	60 (.01667)	80 (.01 50)	110 (.00909)	140 (00714)
n			p_c		
8	.02208	.01490	.01128	.00829	.00656
10	.02194	01481	.01120	.00823	.00651
12	.02185	.01471	.01115	.00818	.00648
15	.02175	.0 462	.01106	00812	.00643

الجدول ١ — تغاير p_c مع n لمختلف قيم r

(المعادلة المضبوطة 9)

من حديث

الماء في الأدب العربي

الدكتور جميل سعيد

وحديث الماء في الأدب العربي ، وفي غيره من الآداب ، طويل طويل ولكنني سأتناوله من زاوية واحدة ؛ زاوية الإحساس بالعطش   وحديث العطش وإن كان كثيراً ما يدور مع حديث الجوع ، ولكننا نراهم حين يقارنون بين الحاجة إلى الماء ، والحاجة الى الطعام يجعلون الماء عندهم مقدماً على الطعـــام وقد قالوا : إن الحاجة اليه أشدّ والصبر عنه أشقّ وأتعب   وكثيراً ما يموت الإنسان عطشاً ، وقلّما يموت جوعاً

وقصة كعب بن مامة الأياديّ [1] التي آثر فيها رفيقه بالماء على نفسه فمات عطشاً ، مما يدور في كتبهم ويُضرب بها المثل عندهم ، واليها يشير أبو تمام [2] في قوله :

يجود بالنفس إذ ضنّ البخيلّ بها   والجود بالنفس اقصى غاية الجود

وهم حين يفاضلون بين حالة الجائع وحالة العطشان ، يجعلون حاجة الماء واهميته تسبق حاجة الطعام ، ويقولون : « إن العطشان إذا حصل له الريّ بالماء تراجعت اليه قواه ونشاطه وحركته ، وصبر عن الطعـام وانتفع بالقدر اليسير منه   اما العطشان فانه لاينتفع بالقـدر

---

(١) بلوغ الارب للألوسي ١/٨١

(٢) الديوان : ١/٢٩٣

الـكثير من الطعام ، ولا يحدث له القوة والاغتذاء

إن الماء له أهميته عند أهل الصحراء الذين يخافون أكثر ما يخافون من صحرائهم الحرّ والعطش وهم لايتخيّلون عذاباً أكثر من عذابها

ومن الواضح ان بيئة الناس الجغرافية أو الطبيعية ، هي التي تصبغهم ، وتصبغ خيالهم بصبغتها . إن الأسكيمو الذين يعيشون في الثلوج ، ولا يرون الشمس إلا قليلاً ، ويرون الريح الباردة حشيت بفتات الثلوج حشواً ، تهب عليهم فتفعل فعل الإبر في وجوههم هؤلاء الأسكيمو إذا تخيّلوا العذاب ، أو تخيلوا جحيمهم تخيلوه زمهريراً بارداً ، قد لفّه الظلام لفاً ، وهاجت فيه العواصف الثلجية من كل صوب[1]

وزعم زرادشت ان العقاب في الآخرة ، انما هو بالبرد والزمهرير والدَّمق ، وفي اللسان : « الدَّمق بالتحريك : الثلج مع الريح يغشى الانسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه ، وقد نظر الجاحظ الى هذا ، ونقل تعليل أصحاب الـكلام له قال[2] :

وزعم اصحـاب الـكلام أنّ زرادشت — وهو صاحب المجوس — جاء من بَلخ[3] وادعى ان الوحي نزل عليه وانه حين دعا سكان تلك الناحية الباردة الذين لايعرفون الا الأذى بالبرد ، ولا يضربون المثل إلا بـه ، حتى يقول الرجل لعبـده : لئن عدت الى هذه لأنزعنَّ ثيابك ، ولأقيمنك في الريح ، ولأوقفنَّك في الثلج ... فلما رأى موقعَ البرد منهم هذا الموقع جعل الوعيد بتضاعفه ، وظن ان ذلك أزجر لهم عما يكره »

أما العرب أهل الصحراء فقـد صور لهم — سبحانـه — العذاب بقوله[4] « فالذين كفروا قُطِّعتْ لهم ثياب من نار ، يُصَبُّ من فوق رؤوسـهم الحميم يُصهر به ما في

---

(١) Semple: influence of Geografic Enivronment P : 40

(٢) الحيوان ج ٥/٦٧ وما بعدها (٣) مدينة مشهورة بخراسان

(٤) سورة الحج ، آية : ٢٢

بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » وبقوله ـ سبحانه ـ[1] : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب. ان الله كان عزيزاً حكيماً »

وحين يتحدث ـ سبحانه ـ عن عذاب أهل النار يجاوز صور العذاب والألم كلها الى العطش؛ ذلك لأن العرب لايعرفون في صحرائهم عذاباً كعذابه ولا لوعة كلوعته يقول سبحانه[2] : « ونادى أصحاب النار اصحاب الجنّة ان أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا : إن الله حرمها على الكافرين » فالآية الكريمة تصوّر نعيم أهل الجنة يراه أهل النار فلا يتحسّرون على شيء منه تحسرهم على الماء ويقول سبحانه[3] : (واستفتحوا وخاب كل جبّار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ، يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ .. »

والصور التي تتميز بها الجنة عن النار كثيرة في القرآن الكريم ، على ان صورة الماء هي الصورة الواضحة البارزة التي تدور وتظهر عند المقارنة بينهما ، قال تعالى[4] : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ومساكن طيّبةً في جنّات عدنٍ ورضوانٌ من الله اكبرُ ذلك هو الفوز العظيم » وقال سبحانه[5] في الحديث عن أهل الجنة : « ونزعنا ما في صدورهم من غلّ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا : الحمدلله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لو لا أنْ هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أنْ تلكم الجنّة التي أورثتموها بما كنتم تعلمون » وقال سبحانه[6] : «ولمن خاف مقام ربّه جنّتان فبأيّ آلاءِ ربكما تكذّبان ، ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان ، فيهما عينان تجريان . فبأي آلاء ربكما تكذبان »

---

١) سورة النساء ، الآية ٥٦
٢) سورة الاعراف الآية ٥٠
٣) سورة ابراهيم، الآية ١٥
٤) سورة التوبة ، الآية ٧٢ .
٥) سورة الاعراف ، الآية ٤٣
٦ سورة الرحمن ، الآية ٤٦

وقد ترى المقارنة واضحة كلّ الوضوح في صورة الجنة تقابلها صورة النار ، وترى لفظة الأنهار — وهي أهم ما يتبادر إلى ذهن العطشان حين يتصور الماء الكثير — ترى لفظة الأنهار تكرر في الآية الكريمة فتتعلق بها نفس السامع ولا سيما العطشان ، ويتبعها بخياله متحيراً لما لهذه الأنهار الكثيرة المتعددة من صور ، يقول سبحانه[1] (أفمن كان على بيّنة من ربه كمن زُيّن له سوءُ عمله ، واتّبعوا أهواءهم مَثَلُ الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماءٍ غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالدٌ في النار ، وسقوا ماءً حميماً فقطّع أمعاءهم .. »

وكان العرب المسلمون يرون الماء من نِعمَ الله الكثيرة التي لا يوفّيها الشكر حقها . وفي العقد الفريد[2] قال الحسن لفرقد السنجي : « بلغني أنك لا تأكل الفالوذج ! قال : يا أبا سعيد أخاف ألّا اؤدي شكره. قال : يا لُكَع ، وهل تؤدي شكر الماء البارد في الصيف!؟ »

والماء نعمة ، ومقامه فوق كل مقام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر رومة « الماء لا ينجسه شيء[3] وهم يرون الصبر عنه غاية لا تدرك ، وحسبك منهم أن يمدحوا الرجل في مروءته فيقولوا فيه « لو علم فلان أن شرب الماء البارد يضع من مروءته لما ذاقه » وعندهم ان هذا غاية ما يقال وإذا أرادوا المقارنة بين ما تتمناه النفس ، وما تنفر منه ، وأرادوا أن يفرّقوا بين هذا وهذا ، قالوا كما قال لقيط بن زرارة في يوم جبلة[4]

شتّان هذا والعناق والنوم ... والمشرب البارد والظل الدوم

وإذا أرادوا ان يتحدثوا عن المنى ، أحسن المنى ، وعن طيب وقعها من نفوسهم ، قالوا كما قال بعض الأعراب[5]

---

١) سورة محمد الآية ١٤
٢) ١/٢٩٣
٣) الحيوان للجاحظ ٥/١٤٧
٤) مجاز القرآن لابي عبيدة (ج / ٤٠٤
٥) الحيوان ٥/١٩٢

منى إن تكنْ حقاً تكن احسن المنى		وإلاّ فقد عشنا بها زمنـــاً رغدا
أمانيّ من سلمى حســـان كأنما		سقتني بها ســـلمى على ظمـأ بردا

ويتحدث الرجل عن مقام ابنه في نفسه ، فلا يرى اكثر من أن يقول [1] :

إذا كان أبنـاء الرجال حـزازة		فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

ويذكرون ديارهم ، والعربي معروف بحبـه لوطنه ، وبحنينه اليه ، وقد ملأُوا كتبهم بأحاديثهم عن الغربة والإغتراب ووقعها في نفوسهم أقول يذكرون ديارهم ، فاذا تذكروها كان أول ما يحنون اليه ، وأول ما يتشـــوقون اليه ويتمنونه هو ماؤها وشرابها

يتذكر أبو القمقام الأسدي بلده ، وأول ما يتذكر منه جبلهم واذا ما تذكر الجبل كانت صورة الماء أول الصور التي تسرع الى خاطره وتراه يحسّ لمائهم طعماً خاصاً ، لايجده في غيره من المياه حتى لتراه يرى أنّ كلّ المشارب ذميم بالقياس إليه يرى الماء ويذوقه فتسرع إلى نفسه والى خاطره صورة الماء في بلده ، فيذمّ المياه كلها بالقياس اليه ، وتتلهف نفسه إلى جبله فلا يجد اكثر من أن يدعو له « بالسـقيا » ويخص بهذه « السقيا » ظله بالعشيّ وبالضحى ثم يخص بها ماءه أيضاً ؛ ذلك الماء الذي يكون بارداً حين يـكون غيره من المياه حميماً وعندنا انهذا الإحساس إحساس الروح ، لا إحساس الجسم وانه يتعلق بإحساس النفس والخاطر أكثر منه متعلقاً بإحساس الفم واللسان

ثم أنظر بعد هذا إلى حرصه على هذا الماء وإلى تعلـق نفسه به ، وانظر الى صورة الماء وهو في حفر الصخر تسرع الى نفسه ، فيتمنى لو استطاع ان يحرّم مذاق ما في هـــذه القلات على اللئام يقول أبو القمقام الأسدي :

إقرأ على الوَشل السلام وقل له :		كل المشارب مذ هُجرتَ ذميم
جَبَلٌ يزيد على الجبال إذا بدا		بين الربائع والجثـــوم مقيم

---

1) شرح القصائد ـ الانباري ص ٢٢٣

سقياً لظلّك بالعشيّ وبالضحى ولبرد مائك والميـــاه حميم

لو كنت أملك منع مائك لم يذق ما في قلاتك ـ ما حييتُ ـ لئيم

ان هذه الصورة الأخيرة ؛ صورة ابي القمقام الأسدي يتعلق بماء الوشل[1] هذا التعلق ، تورد الى نفسي صورة أبي نواس يتعلّق بالخمر حتى يقول :

أجلّ عن اللئام الراح حتى كأن الراح تعصر من عظامي[2]

وفي قصيدة المعرّي[3] :

طَرِبنَ لضوء البارق المتعالي ببغـــداد وهناً ما لهنّ ومالي

في هذه القصيدة التي قالها وهو ببغداد بذكر حنينه الى المعرّة ؛ وطنه . وقد ابتدأها بالحديث عن طرب الإبل ترى البارق يلمع ببغداد بعد وهن من الليل فيهيجها الى وطنها ؛ لأنه يلمع من ناحيته في هذه القصيدة يأخذ في وصف شدة شوق الإبل إلى وطنها فيقول:

إذا طال عنها سرّها لو رُءوسها تُمَدُّ اليـه في رُءُوس عوالي

ويقول الخوارزمي في التعليق على بيته هذا : « أبصار هذه الإبل قـد سمت الى ذلك البارق ، وكلّما بعُد عنها وارتفع عنّت أن تقطع رءوسها وتُرفع اليه على فروع الرماح ومحصول معنى البيت شدّة اشتياق الإبل الى الوطن »[4]

ثم أنظر ماذا تشتاق الإبل من هذا الوطن ، وماذا تتمنىٰ منه :

عنّت قُوَيْقاً والصَّراةُ حِيالها تُرابٌ لها من أيْنُقٍ وجِمال

عنّت قُوَيْقاً ! وقويق هذا نهر على باب حلب وأبو العلاء يتعجب منها كيف تتمنىٰ قويقاً ، وهي عند الصَراة ـ والصراة مجتمع دجلة والفرات ـ ببغـداد والصراة أطيب

---

(١) (أنظر معجم ياقوت في كلمة « الوشل » وانظر كتاب : « الشوامخ » للدكتور محمد صبري : ص : ٣٤)

(٢) تطور الخمريات في الشعر العربي لجميل سعيد ص ٢٠٩

(٣) انظر : سقط الزند طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٧ ، ٢٠/١١٦٢ .

(٤) (انظر ص ١١٦٠ من المصدر نفسه)

ماءً وأفضل من قُويْق وأبو العلاء لا يجد أكثر من أن يدعو عليها لجهلها في تفضيلها ذاك على هذا وبعد حديثه عن الإبل اللواتي طربن

وأنشَدْنَ من شعر المطايا قصيدة | وأودَعْنها في الشوق كلَّ مقال

نرى البرق يهيجه الى وطنه ، على نحو ما هاج الإبل الى وطنها فيقول ، وكأنه يصيحُ ويفغر :

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما | رماني اليه الدهر منذ ليالي

فهل فيك من ماء المعرّة قطرة | تُغيثُ بها ظمآن ليس بسال

هذا كلُّه و « ماء المعرة » لا يقرن « بماء دجلة » ماء المعرّة ماء آبار وماء دجلة ماء النهر العذب السلسبيل ولكنّه ذوق الروح لا ذوق الفم واللسان

ويقول أبو الطمحان الأسدى [1] :

كأن لم يكن في القصر قصر مقاتل | وزوْرة ظلّ ناعم وصديق

ولم أرد البطحاء امزج ماءَها | بخمر من البرقَتين عتيق

فيتشوق أول ما يتشوق الى ماء البطحاء يمزجه بالخمر وقال مطير ، عبد بني قريط يتشوق الى أرضه والى « صدّاء » مائهم المعروف [2] :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً | و« صدّاء » مني و« البياض » بعيد

بواد من العباء أعلاه عوسج | وأسفله رمث عليه جهيد

وقال آخر [3] :

ألا ليت شعري هل ابيتنّ ليلة | بصحراء ما بين الجثوم إلى شعر ؟

وهل أردنّ العين والشملُ جامعٌ | مقيم النوى قد حان ذاك على قدري؟

واذا أرادوا التعبير عما يقع في نفوسهم موقعاً لا يدرون كيف يردونها عنه لم يجدوا اكثر من أن يقرنوه بالماء ، ثم يروحون في استقصاء أوصاف الماء الذي يقرنونه به يفضلونه

---

(١) الحيوان ٥/١٠٨ (٢) بلوغ الارب للالوسي ج ٣/١٢٩

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها

على غيره من المياه قالوا كما قالت أمّ فروة [١]

وما ماء مزن ايّ ماء تقوله	تحدّر من غرّ طوال الذوائب
بمنعرج أو بطن وادٍ تحدبت	عليه رياح المزن من كل جانب
نفى نَسَم الريح القذا عن متونه	فما ان به عيبٌ تراه لشارب
بأقصر ممن يقصر الطرف دونه	تقى الله واستحياء بعض العواقب

وامتلأ شعرهم بالنسيب، وبالحديث عن النساء وقد شهر الشاعر جرير برقة حديثه أو غزله. وتراه يريد أن يتحدث عن شدة شوقه إلى الحبيبة، فلا يرى اكثر من ان يشبه شوقه اليها بشوقه ـ وهو ظمآن ـ إلى الماء، يقول [٢] :

منعت شفاء النفس ممن تركته	به كالجوى مما تجنُّ الجوانح
تركت بنا لوحاً ولو شئت جادنا	بُعَيدَ الكرى ثلج بكرمان ناصح

واللوح : العطش، أو شدته ويتحدث عن ريق الحبيبة، فلا يرى ما يشبّهه به غير الماء، الذي يمعن في وصفه، فيقول :

وما ثَغَب باتت تصفّقه الصَّبا	بصراء ... اتأقته الروائح
بأطيب من فيها، ولا طعم قَرقَفٍ	برمّان لم ينظر بها الشرق صابح

أو يقول [٣] :

تطيب الأرض إن نزلت بأرضٍ	وتُسقى حين تنزلها الربابا
كأن المسك خالط طعم فيها	بماء المزن يطّرد الحبابا

ويتحدثون عن الأمر يشتهونه ويتشتاقون اليه ويدفعون عنه، بشوقهم إلى الماء يرونه، ويدفعون عنه يقول جرير [٤] :

(١) (الحيوان ٥/١٤٠)

(٢) الديوان طبعة الصاوي ص ١)

(٣) الديوان ص ١٦

(٤) الديوان ص ٥٢

أجِلّاءُ عن بردِ الشراب وقد أرى مشارع للظمآن يجري حبابها

ويقول [٥] :

نرى شرباً له شُرُعٌ عِذابٌ فنُمنَعُ والقلوب له صوادي

قليلُ ما ينالك من سُليمى على طول التقارب والبعاد

ويقول [٦] ايضاً :

حلّأتنا عن قراح المزن في رصفٍ لو شئت روّى غليل الهائم الصادي

كم دون بابك من قوم نحاذرهم يا امّ عمرو وحدّاد وحدّاد

ولمكانة الماء من نفوسهم كانت غاية دعائهم ان يقولوا كما قال المهلهل في رثاء اخيه :

سقيت الغيث إنك كنت غيثاً ويسراً حين يلتمس اليسار

وكانت السقيا غاية ما يدعون بها لاحبهم ، يقول جرير [١] داعياً :

فلا دية ـ سُقيتِ ـ وديت اهلي ولا قَوَداً بقتلى مستفادا

المّا صاحبيَّ نزر سعادا لقرب مزارها وذرا البعادا

ويقول داعياً لأهلها [٢] :

خُبِّرتُ اهلكِ اصعدوا من ذي الصفا سقياً لذلك من فريق اصعدا

وعرفت بينهم فهاج صبابة صوت الحمام اذا الهديل تغرّدا

ويدعون للمنازل بالسقيا ، ومما يدور في كتب البلاغة قول طرفة :

وسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمةٌ تهمي

ويقول جرير [٣] :

وسقى الغمام منيزلا بعنيزة اما تصاف جدىً واما تربع

---

(٥) الديوان ص ١٤٥ (٦) الديوان ص ١٥٢

(١) الديوان ص ١٢٤ (٢) الديوان ص ١٨١

(٣) الديوان ٢٤٢

ويدعو بالسقيا الى قبر حبيبته ، فيقول [1] :

قالوا : تعزَّ فقلت لست بكائنٍ ... منّى العزاء وصدع قلبي يقرع

فسقاك ! حيث حللت غير فقيدةٍ ... هزج الرواح وديمة لا تقلع

ويدعو للقبر ايضاً ، إذ يقول :

فسقى صدى جدث ببرقة ضاحك ... هَزِمٌ أجّشٌ وديمة مدرار

هزم أجش اذا استحار ببلدة ... فكأنما بجوائها الأنهار

ومن الجميل الحسن قول سعيد الطبري :

اروضتنا — سقاكِ الله — هل لي ... الى افياء دوحك من مصير

غنينا في ذراك على غناء ... يوافق رجعه سجع الطيور

وكم في فرع اثلك من صفير ... وكم في أصل اثلك من زفير

واحشاء تؤلفها الحشايا ... كتأليف العقود على النحور

و « برد الشراب » عندهم يتمثل به في كل محبوب ، وعند كل مشهي ، يقول عمر بن أبي ربيعة :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي ... أتحب القَتَولَ اخت الرباب

قلت : وجدي بها كوجدك بالما ... ء اذا ما عدمت برد الشراب

ويروى أن علياً ـ رضي الله عنه ـ سأله سائل قال : « كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : كان ـ والله ـ احبّ الينا من اموالنا وآبائنا وامهاتنا ، ومن ابنائنا ومن برد الشراب على الظمأ »

وكانت العرب تحبّ الحديث الحسن ، تستمتع به وتفضله على غيره من المتع يقولون إن عبد الملك بن مروان كتب الى الحجاج بن يوسف أنه ملّ مُتَعَ الدنيا ولذاتها ، إلا

(١) ٣،٣ الديوان

لذة الحديث ومتعته ، وطلب اليه ان يبعث اليه من يحسن الحديث فبعث اليه الشعبي الفقيه المشهور بحسن الحديث وكان الشعراء يمتدحون عشيقاتهم فيجاوزون كل متعة الى متعة الحديث هذه ولله كثير عزّة ! ما اجمل قوله في هذا ، اذ يقول :

وكنت اذا ما جئت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

هذا الحديث الذي تتعلق به نفوس العرب هذا التعلق ، اذا ارادوا ان يشبهوا حسنه بشيء حسن الموقع في نفوسهم لا نجدهم يجدون احسن من برد الشراب وقعاً في النفوس ، وهم ينشدون لبعض الأعراب :

حديثك اشهى - فاعلمي - لو اناله الى النفس من برد الشراب على الظما
لقد اكثر الواشون فيك ملامتي فكانوا بما ابدوا من اللوم الوما

او يقولون كما قال القطامي فيه :

فهنّ ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

ولوّن الماء تعابيرهم ، فقالوا لما لا يستحسنونه : « لا ماء فيه » قال ابن قتيبة [1] : وهو يتحدّث عن اللفظ والمعنى في قول لبيد الشاعر :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

قال : « هذا وان كان جيّد المعنى والسبك ، فانه « قليل الماء والرونق » وقالوا : « فلان ليس في وجهه ماء » واستعاروا الماء في كلامهم لما يحسن موقعه ومنظره ، ويعظم قدره ومحله من نفوسهم قال ابو نواس [2] :

لما ندبتك للجزيل أجبتني : لبّيك واستعذبت « ماء كلامي »

وقالوا عن المنذر بن « ماء السماء » وهو آخر ملوك الحيرة ، قالوا : نسب الى امه

---

(١) الشعر والشعراء ص ٩   (٢) الديوان ص ١١

وكانت تسمى ماء السماء تشبهاً لها بماء السماء في الحسن والصفاء والطهارة وقالوا : صبغ له ماء ، ولون له [1] ماء »

وقالوا : « ماء الوجه » ، وكنوا به عن الحياء وهو من اهم ما يمتاز به المرء عندهم قال الشاعر [2] :

ماء الحياء يجول في وجناته

وقال أبو تمام [3] :

رددت رونق وجهي في صحيفته	ردّ الصقال لماء الصارم الخذم
وما ابالي وخير القول اصدقه	حقنت لي « ماء وجهي » ام حقنت دمي

وقالوا : « ماء الشباب » ، وادراوه في شعرهم قال عمر بن ابي ربيعة :

وهي مكنونة تحيّر منها	في اديم الخدّين « ماء الشباب »

وقال ابو العتاهية :

ظبي عليه من الملاحة حلّة	« ماء الشباب » يجول في وجناته

وقال احمد بن ابراهيم بن اسماعيل :

اهيف ماء الشباب يرعد في خديه لولا اديمه قَطَرا

وما اجمل اشارة ابن الرومي الى هذا ، في قوله يرثى بستان ، المغنية :

يا حرّ صدري على ثلاثة اموا	ء هُريقت في التراب والمدر
ماء شباب ونعمة مُزِجا	بماء ذاك الحياء والخفر
تبتّلَ العود بعد فقدكم	وازدجر اللهو أيّ مزدجر
وغاض ماء النعيم يتبعكم	وانهمر الدمعُ ايّ منهمر

(١) الحيوان جـ ٥/١٤٢ (٢) الحيوان جـ ٥/١٤٢

(٣) الديوان ص ٢١٩ وفيها : بها الصارم

فتراه يستعير الماء في ابياته هـــذه الى كل ما يُحبّ ويعظم فيقول : « ماء الشباب » و « ماء النعمة » و « ماء الحياء » و « ماء النعيم » . وقـــالوا : « ماء الحسن » وما اجمل اشارة ابن المعتز اليه في قوله :

لي مولى لا اسميه كل شيء حسن فيـــه
تصف الأغصان قامته بتثنٍّ كتثنيه
ويكاد البدر يشبهه وتكاد الشمس تحكيه
كيف لا يخضرُّ عارضه ومياه الحسن تسقيه

وقالوا : « ماء الصبا » قالوا انشد ابن السكّيت [1] :

قـــد قلت اذ ماء صباك يُرعش واذ اهاضيب الشباب تبغَشُ

وتحدث عشاقهم عن الوجد والبكاء ، وكنّوا عن الدموع ، فقالوا : « ماء الشوق » و « ماء الجفن » و « ماء الصبابة » و « ماء الهوى » . قال العتّابي :

اكاتم لوعات الهوى ويبيها تخلّل ماء الشوق بين جفوني

ويقول ابو الطيب المتنبي ، وهو يتحسّر على شبابه :

والمرء يأمل والحياة شهية والشيب أوقر والشبية أنزقُ
ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودة ، « ولماء وجهي » رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لـكدن « بماء جفني » اشرق

وقال ذو الرمة :

أأن ترسمت من خرقاء منزلةً « ماءالصبابة »من عينيك مسجوم

وقال ذو الرمة أيضاً :

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة « فماء الهوى » يرفضّ او يترقرق

---

(١) اخبار ابي تمام للصولي ص ٣٦ .

وقالوا : « ماء الندى » و « ماء النوال » ، يقول البحتري :

وما انا الا غرس نعمتك الذي ... أفضت له « ماء النوال » فأورقا

وقفت بآمالي عليك جميعها ... واراك في امساكهن موفقا

واخذ النقاد على ابي تمام قوله :

لا تسقني « ماء الملام » فانني ... صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي

قال الصولي ـ وهو ينتصر له ـ : قالوا : ما معنى ماء الملام ! ؟ وهم يقولون : « كلام كثير الماء ، وما اكثر ماء شعر الاخطل ! ، قاله يونس بن حبيب ... وقال عبد الصمد :

ايّ ماءٍ « لماء وجهك » يبقى ... بعد ذلّ الهوى وذلّ السوآل !؟

فصيّر لماء الوجه [1] ماءً ...

هذه صورة الماء ومكانته وموقعه من نفوس العرب ، إن العطش في صحرائهم لا يحتمل وان عذابه افظع صور العذاب واقساها ، وانهم يستهينون بكل عذاب حين يقرن به جاء في العقد الفريد [2] ذكروا أن اعرابياً اتى عين ماء صاف في شهر رمضان فشرب حتى روى ثم أومأ بيده الى السماء فقال :

ان كنت قدّرتَ الصيا ... مَ فأعفنا في شهر آب

أولا ، فإنـا مُفطرو ... ن وصابرون على العذاب

جميل سعيد

---

(١) اخبار ابي تمام للصولي ص ٣٤ (٢) ٣/١٩٨ .

دُرَرُ العُقُودِ الفَرِيدَة

في

تَرَاجِمِ الأَعْيَانِ المُفِيدَة

للمقريزي

بقلم

الدكتور محمود الجليلي

طبعت كتب متعددة في أوقات مختلفة لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ولكن أحد كتبه المهمة لم يطبع حتى الآن ولم ينشر عنه شيء وهو كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) الذي ذكر فيه من عاصره ، فرأينا ان ننشر هذا البحث للتعريف بالنسخة الخطية الكاملة الوحيدة منه ، وان ننشر ترجمته لابن خلدون مثالاً للتراجم وربما نشرنا تراجم أخرى في المستقبل

يقع الكتاب في مجلدين : الأول من ٣٨٨ صفحة في كل منها ٢٩ سطراً بمعدل ١٤ كلمة في السطر أي ما يقرب من ١٤٨٫٠٠٠ كلمة مكتوبة على ورق جيد وابعاد هذا المجلد ٢٧ × ١٩ سم وسمكه ٤٫٧٥ سم ، أما أبعاد الكتابة فهي ١٨٫٥ × ١٢ سم ، وقد نسخه علي بن محمد بن عبد الله الفيومي وفرغ منه في ١٩ شعبان سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٤/١/١١ م) .
والمجلد الثاني من ٥٨٤ صفحة في كل منها ١٩ سطراً بمعدل ١٣ كلمة في السطر أي مايقرب من ٢٢٠٫٠٠٠ كلمة وأبعاد الكتاب هي ٢٧ × ١٩ سم وسمكه ٦ سم ، وأبعاد

الـكتابة فيه ٢٠ × ٥ر١٢ سم وهو بخط أحمد بن محمد التلوابي الأزهري وقـد فرغ من كتابته في ١٧ شوال سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٤/٣/٧ م) أي ان الجزئين تمّا في سنة واحدة قريبة عهد بالمؤلف الذي توفي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م) ولقـد نسخ الـكتاب عن نسخة بخط المؤلف كما جاء في إحدى الحواشي مما يجعل قيمة النسخة كبيرة

وخط الجزئين جيد وفيه تسـهيل الهمزة و نقص في بعض النقط وهمزة الآخر ولقد نشرنا صورة الصفحتين الأولى والثانية من الجزء الأول التي تشتمل على المقدمة وآخر صفحة من الجزء الأول التي تبين سنة كتابته وآخر صفحة من الجزء الثاني التي تبين سنة كتابة هذا الجزء وتعطي فـكرة واضحة عن الخط

وعلى الـكتاب أسمـاء الذين ملـكوه وقـد مسحت اسماء بعضهم واقدم علك واضح التاريخ هو سنة ٩٧٢ هـ ثم سنة ١٠٨٥ وسنة ١٢١٨ وآخر علك في سنة ١٢٢٥ هو للحاج عثمان بك بن سليمان باشا بن الغازي محمد امين باشا الجليلي وهو من اجداد كاتب هذا البحث . ويظهر ان الـكتاب انتقل من مصر الى الشام إلى الموصل . وعلى النسخة بعض التعليقات والأبيات في الجزء الأول ويوجد فهرس ناقص في الجزء الأول

ويوجد في الجزء الأول ٢٠٦ تراجم من حرف الألف إلى حرف الظاء . وفي الجزء الثاني ٣٥٠ ترجمة من حرف العين الى حرف الياء والـكتاب مؤلف على حروف الهجاء حسب إسم الشخص المترجم مثـلاً ابن خلدون في حرف العين (عبد الرحمن بن خلدون)، ولـكن الاسماء تحت الحرف الواحـد ليست متسلسـلة حسب الحروف التي تـكونها فتجـد مثلاً عبد العزيز قبل عبد الرحمن وكذلك بعده وهكذا

وجاء ذكره في كشف الظنون : (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لتقي الدين احمد بن علي المقريزي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٥ ذكر فيه من عاصره في ثلاث مجلدات) ولـكن النسخة الموجودة لدينا في مجلدين وهي كاملة وذكر محمد عبد الله عنان

الجزء الاول من تاريخ المقريزي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا الله

الذي خلق الخلايق وعدهم عددا . وضرب لسايرهم آجالا مقدرة

ومددا وجعل لهم السمع والابصار والافئدة لعلهم يشكرون واستخلفهم في ارضه

لينظر كيف يعملون اقامهم جيلا بعد جيل واستعمرهم قبيلا في اثر قبيل ليبقي الاول

للثاني قصصه مواعظ وعبرا ويحيى الآخر للمتقدم ذكرا وينشر خبرا . كي يرعوي الفطن

عن عمل ما يذم ويستقبح ويقتدي الاريب بما هو الاحسن من الاخلاق والاصلح حتى اذا

انقضت امد الحياة الدنيا وزالت واقتربت من الخلايق الساعة وحانت حشرهم جميعا

الله واقامهم كافة بين يديه ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى

حمدا لا يبلغ العادّ وان استقصى اقصاه ولا يدرك الكاسب وان دقق

منتهاه . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مثيل ولا مناند له تعالى عن المعاند

والعديل واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليله صلى الله عليه وعلى

اله وصحابته وازواجه وساير اهل طاعته وسلم وشرف وكرم .

فاني لما اهزت من سني العمر الخمسين حتى فقدت معظم الاصحاب والاقربين فاشتد حزني

لفقدهم وتنغص عيشي من بعدهم تعزت النفس عن لقايهم تذكارهم وعوضتها عن مشاهدتهم

باستماع اخبارهم وامليت ما حضرني من انبايهم في هذا الكتاب وسميته درر العقود الفريدة

في تراجم الاعيان المفيدة وهو في الحقيقة ذكرى معاهد الاحباب وتذكر عهد الشبيبة والاصحاب

والله اسال ان يبرد في مقر البلى مضجعهم ويؤمنهم يوم التناد مفزعهم ويجمعني وهم بدار كرامته

في نعمته ويمتعني واياهم بالخلود مع الابرار في جنته بمنه وكرمه وفي ذلك اقول

فقدت لعمري كل ما كان لي يحلو واوحشني قوم بهم كان لي شغل

فلا غايب في الناس ارجو قدومه ولا زاير همي بزورته يجلو

ولا صاحب ارجو لدفع كريهة اذا عرى الايام ما خطبها سهل

ولا مسعف بالراي في هو مرشد ولا منجد بالجاه قدري به يعلو

ولا فارج عني الهموم بانسه مطارحة مما يخف به الثكل

ولم تبق لي من صبوة وصبابة لها نفسي ويجتمع الشمل

وقد اعرضت نفسي عن اللهو جملة وملت لقا الناس حتى وان جلوا

وصار بحمد الله شغلي وانما على فوايد علم لست من شغلها احلو

نظورا يراعي كاتب لفوايد صحفتها ورد ما العقل والنقل

ويرجو للعلم صغري حاضري ويتركوا به نفسي زعم همها تسلو ثم اني رايت

بعد ذلك ان اجمع ما يحضرني ذكره سواء تقدم عصره او تاخر زمانه من اهل مصر كان او غيرها

من الملاءِ

الصورة الأولى : الصفحة الأولى من المقدمة ، والكلمة غير الظاهرة

مكتوبة بحبر أحمر وهي : نحمده ، وبعد

من البلدان فاقيد اخبار الملوك والامرا . واعيان الكتاب والوزرا واذكر رواة الحديث
والفقها وحمله ساير العلوم والشعرا ، ومن له ذكر شهير اوذكر بيه خطير امامن
رجال الدنيا اوطلاب الاخري من ابتدا سنه ستين وسبع مايه واورد في كل ملك اوليه
دولته ومن سلف من ملوك مملكته كي يحيط الناظر فيه علما بدول الزمان وملوك العصر
والاوان فكان قد ومضوا وزالت دولتهم وانقضت ايامهم سنه الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد
لسنه الله تبديلا وحسبي الله وكفي بالله وكيلا

ز محمد بن داود بن عبد الله الشيخ برهان الدين بن زقاعة ولد سنه خمس واربعين
وسبع مايه وعاني صناعة الخياطه واخذ القرآن عن الشيخ شمس الدين الحكري والفقه علي مذهب
الامام الشافعي عن بدر الدين القونوي والتصوف عن الشيخ عمر حفيد الشيخ عبد القادر وسمع
الحديث من نور الدين علي الفوي وقال الشعر ونظر في النجوم وعلم الحرف وبرع في معرفة
الاعشاب وساح في الارض وتجرد وتزهد فاشتهر في بلاد غزه وعرف بالصلاح والخير
فرغب السلطان الملك الظاهر برقوق في لقايه واستدعاه اليه فقدم لاوايل سلطنته وبالغ
في تعظيمه فهرع الناس الي زيارته وتداولوا مدحه والثنا عليه وعف عن تناول مال
السلطان وعرم فقويت الرغبه في اعتقاده وعاد الي غزه وكان السلطان يستدعيه في كل سنة
لحضور المولد النبوي في شهر ربيع الاول بقلعة الجبل والناس فيه فريقان فريق يعتقد انه
ولي الله ويحكي عنه خوارق وفريق يرمونه بالشعبذه ثم انحل السلطان عنه واختص بعد
السلطان بابنه الملك الناصر فرج ولا كاختصاصه بابيه به فلما زالت دولته بالمويد شيخ تنكر
علي البرهان هذا واهانه فلزم بيته بالقاهره حتي مات في ثامن عشرين ذي الحجه سنه ست
عشره وثمانمايه واجتمعت به غير مره فرايت شيخا مهذارا مكثارا اكثر كلامه في الاعشاب
مع استحضار عده فنون وانشاده الاشعار لاسيما قصيده ذكر لي انها سبعة الاف وسبع مايه
وسبعه وسبعين بيتا مشتمل علي صفة الارض وما فيها وزقاعه بضم الزاي وتشديد القاف
وفتح العين المهمله ثم ها ساكنه ومن شعره يمدح قاضي القضاه برهان الدين ابراهيم بن جماعه

لله احمد برهان دين يقوم بحفظه في كل ساعه
فمن في حجه ان شئت عني فذا البرهان قد احي جماعه

وقال

وحق الطاهر طه وفتح العاص الفتح ما — وقاف القرس من قاف علي صاد من الصبح
وزرع الحب في قلبي كزرع الحب والقمح — لقد زادت صبابتي وطال الشرح من شرح
وكم ارعي ثرياها وجوزاها ولم تصح — لمبلسه حلت سواده صبحي
نوحي لا يري عيني وعيني لا تري صبحي — فيا من جذل العشاق دع لومي ودع نصحي

الصورة الثانية : تتمة المقدمة والبدء بالتراجم ، والكلمات غير الظاهرة مكتوبة بحبر أحمر وهي حرف الألف وابراهيم

تم الجزء الاول من تاريخ المقريزي بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

على يد العبد الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد عباس الفيومي حامدا لله ومتوسلا برسول
الله داعيا لمالكه زاده الله من السعاده والسياده وجعله من الذين احسنوا الحسنى وزياده
وجميع المسلمين آمين تاريخ السابع والعشرون من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وسبعين وثماني مائه

احسن الله عاقبتها

الصورة الثالثة

آخر صفحة من الجزء الاول من الكتاب وتظهر فيها سنة كتابته واسم الناسخ

لم يتم لهم امر وانفضوا ثم انه عاد الى طاعة السلطان وحج سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة ومثل بين يدي السلطان الملك الظاهر برقوق بقلعة الجبل بعنا
الاستاذ ابي زيد بن خلدون وعرف السلطان بمقداره فاكرمه السلطان وبعث
على يديه هدية جميلة الى السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم صاحب
فاس فقدم بها على سلطانه وهو بتازي فاعجب بها وعزم على تجهيز هدية
الى السلطان الملك الظاهر برقوق صاحب مصر عوضها فمات في محرم سنة
ست وتسعين وسبع مائة فبعث ابنه ابو فارس العزيز وعاد العسكر الى
فاس ٥ بن حسين بن علي بن محمد بن زكريا الواحي ولد بالقاهرة سنة
خمس وستين وسبع مائة واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي وسمع على شيخنا
العراقي وغيره وحدث عنه وكان يكتسب بالجلوس في حوانيت
الشهود وينكر المنكر كثيرا وشرق ترددا الى مرارا وهو نعم الرجل كان توفي ليلة
الخميس رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين واربعين وثماني مائة اخبرني
رحمه الله قال سمعت الشيخ عبد الله بن خليل اليمني رحمه الله ٥
يقول سبحان المتفضل بالنعم على مستحقي النقم سبحان الحليم مع تمكن
القدرة ٥ تم الجزء المبارك الثاني من كتاب التاريخ للشيخ الامام
العالم العلامة البحر الفهامة شهاب الدين احمد
ابن نور الدين علي المقريزي الشافعي تغمده
الله برحمته واسكنه فسيح جنته ٥
وذلك على يد الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد
التلواني الازهري غفر الله له ولوالديه
ولمن قرا في هذا الكتاب ودعا له
بالتوبة والمغفرة ولجميع المسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم
والحمد لله
وحده

وكان الفراغ من كتابته في يوم الاثنين سابع عشر شهر شوال المبارك سنة ثمان وسبعين وثمانمائة

الصورة الرابعة : آخر صفحة من الجزء الثاني من الكتاب تظهر سنة كتابته ونوع الخط واسم الناسخ

في كتابه (ابن خلدون ـ حياته وتراثه الفكري حاشية ص ٩٧) (لم يصلنا من درر العقود الفريدة سوى قطعة صغيرة واعتمادنا هنا على ما نقله السخاوي وابن حجر عن المقريزي) . ولقد ذكر بروكلمان وجود نسخة منه عجلدين في الموصل ويظهر ان ذلك مستند إلى مخطوطات الموصل للجلبي

وللتأكد من صحة اسم الكتاب ونسبته الى المقريزي قارنا جملاً وردت في ترجمة ابن خلدون مع ما اقتبسه منه السخاوي في الضوء اللامع فوجدناها مطابقة تؤكد صحة نسبة الكتاب

وفيما يلي مقدمة الكتاب التي وضعها المقريزي وبين فيها سبب تأليفه ثم يعقب ذلك أسماء عدد من الذين ترجم لهم مع عدد الصفحات التي تبحث عنهم ، وبديهي أن القائمة لا تحتوي جميع التراجم وانما قسماً منها وبعض هذه التراجم مستفيض وفي كثير منها يروي مشاهداته أو معرفته بأصحابها أو ينقل عنهم بعض الروايات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا الله

الحمد لله الذي خلق الخلائق وعدهم عداً ، وضرب لسائرهم آجالاً مقدرة ومددا ، وجعل لهم السمع والابصار والأفئدة لعلهم يشكرون ، واستخلفهم في أرضه لينظر كيف يعملون ، أقامهم جيلاً بعد جيل ، واستعمرهم قبيلاً في أثر قبيل ، ليبقى الأول للثاني قصصه مواعظ وعبراً ، ويحي الآخر المتقدم ذكراً وينشر خبراً ، كي يرعوي الفطن عن فعل ما يذم ويستقبح ، ويقتدي الأريب بما هو الأحسن من الأخلاق والأصلح ، حتى إذا انقضت آماد الحياة الدنيا وزالت ، واقتربت من الخلائق الساعة وحانت ، حشرهم جميعاً اليه ، وأقامهم كافة بين يديه ، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى

أحمده حمداً لا يبلغ العاد وان استقصى أقصاه ، ولا يدرك الحاسب وان دقق ، منتهاه ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل ، ولا معاند له ، تعالى عن المعاند والعديل ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وأزواجه وسائر أهل طاعته ، وسلم وشرف وكرم .

وبعد : فاني ما ناهزت من سنيّ العمر الخمسين ، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين ، فاشتد حزني لفقدهم وتنغص عيشي من بعدهم ، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكارهم ، وعوضها عن مشاهدتهم باستمتاع أخبارهم ، وأمليت ما حضرني من أنبائهم في هذا الكتاب ، وسميته درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، وهو في الحقيقة ذكرى معاهد الأحباب ، وتذكر عهد الشيخة والأصحاب ، والله أسأل أن يبرد في مقر البلى مضجعهم ، ويقر ليوم التناد مهجعهم ، ويجمعني وهم بدار كرامته في نعمته ، وينعمني واياهم بالخلود مع الأبرار في جنته ، بمنه وكرمه وفي ذلك أقول :

فقدت لعمري كل ما كان لي يحلو	وأوحشني قوم بهم كان لي شغلُ
فلا غائب في الناس أرجو قدومه	ولا زائر همّي بزورته يجلو
ولا صاحب أرجو لدفع كريهة	إذا محن الأيام ما خطبها سهل
ولا مسعف بالرأي لي هو مرشد	ولا منجد بالجاه قدري به يعلو
ولا فارج عني الهموم بأنسه	يطارحني هماً يخف به الثكل
ولم تبق لي من صبوة وصبابة	تلذّ بها نفسي ويجتمع الشمل
وقد أعرضت نفسي عن اللهو جملة	وملّت لقاء الناس حتى وان جلو
وصار بحمد الله شغلي وشاغلي	فوائد علم لست من شغلها أخلو
فطوراً يراعي كاتب لفوائد	بصحتها قد جاءنا العقل والنقل
وآونة للعلم صدري جامع	فتزكو به نفسي وعن همها تسلو

ثم اني رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من ادركته ، سواء غاب عني أو رأيته ، من أهل

مصري كان أو غيرها من البلدان ، فأقيد أخبار الملوك والأمراء ، وأعيان الكتاب والوزراء ، واذكر رواة الحديث والفقهاء ، وحملة سائر العلوم والشعراء ، من له ذكر شهير ، أو اسم نبيه خطير ، أما من رجال الدنيا أو طلاب الأخرى ، من ابتداء سنة ستين وسبعمائة ، وأورد في كل ملك أولية دولته ، ومن سلف من ملوك مملكته ، كي يحيط الناظر فيه علماً بدول الزمان ، وملوك العصر والأوان ، فكان قد مضوا ، وزالت دولتهم وانقضوا ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وحسبي الله وكفى بالله وكيلا

وبعد ذلك ابتدأ بحرف الألف ونندرج في أدناه عدداً من أصحاب التراجم مع عدد صفحات بعضها :

ابراهيم أبو اسحاق برهان الدين بن جماعة

ابراهيم بن غراب

السلطان ابراهيم المريني ملك فاس ـ ٧ صفحات

السلطان احمد أبو العباس المريني ـ ١/٢ ٣ صفحة

ابو بكر العماد الحنبلي

ابو بكر ابن حجة الحموي

ابو بكر قاضي الزبداني

احمد شهاب الدين المقري المؤرخ

احمد بن حجر العسقلاني ـ ٥ صفحات

احمد شهاب الدين ابن العطار الشاعر

السلطان احمد بن أويس الجلايري ـ ٩ صفحات

احمد السبكي ـ ٤ صفحات

السلطان احمد شاه أبو المغازي صاحب كربلكا ـ ٤ صفحات

الشيخ أحمد الظاهري ـ ٤ صفحات

السلطان احمد نور الدين صاحب اليمن (الملك الناصر) ـ ١/٢ ٣ صفحة .

اسكندر بن قرا يوسف التركماني صاحب توريز ـ ٣ صفحات

قاضي القضاة اسماعيل مجد الدين البلبيسي ـ ٣ صفحات .

اسماعيل شرف الدين ابن المقري ـ ١/٢ ٣ صفحة

ايدكوا ملك الترك ـ ١/٣ ٢ صفحة

السلطان بايزيد (أبو ايزيد) ـ ٩ صفحات

السلطان الملك الاشرف برسباي ـ ١/٢ ١٥ صفحة

بطره ملك قشتالة ـ صفحتين

بطره ملك برشلونة ـ صفحة واحدة

أمراء المماليك

امراء التتار ـ تقتمش ـ ٤ صفحات .

تيمور كوركان ـ ٣٥ صفحة

الامير ثابت عز الدين ابو قيس الطاهري امين المدينة ـ ٦ صفحات

جكم الملك العادل ابو الفتوح عبد الله احد المماليك الظاهرية ـ ٤ صفحات

جينُوس ملك قبرص ـ ١/٢ ٤ صفحة

حسن بن عجلان امير مكة ـ ٥ صفحات

حسين بن علا الدولة بن غياث الدين بن أويس ، آخر ملوك العراق من الاتراك ـ ١/٢ ١ صفحة

الحسن بن محمد قلاوون ـ ٥ صفحات .

خلف بن حسن القحطاني من امراء الهند ـ ١/٢ ١ صفحة

خليل بن اميران شاه بن تيمور كور ـ ٦ صفحات

شاه شجاع بن محمد اليزدي ملك فارس ـ ٣ صفحات .

شاه روخ بن تيمور كوركان ـ صفحة واحدة

السلطان الملك المؤيد احد المماليك الظاهرية ـ ٤٢ صفحة

صالح بن محمد قلاوون .

ومن الجزء الثاني نذكر اصحاب التراجم التالين :

عبد الحليم المريني ـ صفحتين

جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي الأموي ـ ١/٢ ٢ صفحة

عبد الرحمن ابن خلدون ـ ١٨ صفحة

عبد الرحمن بن مكانس ـ صفحة واحدة

السلطان ابو ياشفين ـ صفحة واحدة

السلطان عبد العزيز أبو فارس المريني سلطان المغرب وملك فاس ـ ٧ صفحات .

السلطان عبد العزيز بن السلطان ابي العباس الهنتاني ملك تونس وعامة افريقية ـ ١٠ صفحات.

السلطان عبد العزيز بن برقوق الملك بن آنص السلطان الملك المنصور ـ صفحتين .

قاضي القضاة عز الدين الحموي ـ ١/٢ ٣ صفحة .

الأمير عبد الغني بن عبد الرزاق بن ابي الفرج ـ ٥ صفحات

عبد العزيز بن محمد الوزير المقري اللبابي ـ ١/٢ ١ صفحة

قاضي القضاة عبد اللطيف جمال الدين المارديني ـ صفحتين

عبد الله ابن خليل العسقلاني ـ صفحة واحدة

عبد الوهاب ابن ابي شاكر ـ صفحتين

عبد الله ضيا الدين قاضي القرم ـ ١/٢ ١ صفحة .

السلطان عثمان بن احمد المريني ـ ٤ صفحات .

القاضي عمر بن رسلان البلقيني ـ ٤ صفحات .

القاضي عمر بن اسحق القرنوي ـ صفحتين

علي بن الدريهم الموصلي ـ صفحة

علي ابن الادمي الدمشقي ـ ٣ صفحات

الشريف علي الحسني امير مكة ـ ٢/١ ١ صفحة

علي بن داود ملك اليمن ـ ١١ صفحة

القاضي علاء الدين العمري ـ ٣ صفحات

القاضي علي شمس الدين ابن ابي العز الأذرعي ـ صفحتين

علي بن الطبلاوي ـ ٢/١ ٣ صفحة

علي بن داود ملك اليمن ـ ٣ صفحات .

السلطان الملك الظاهر مجد الدين الارتقي صاحب ماردين ـ ٢/١ ٤ صفحات

عمر بن عبد الله الاسواني الشاعر ـ ٣ صفحات

عثمان بن مغامس امير مكة ـ ٢/١ ١ صفحة

القاضي فتح الله بن معتصم الاسرائيلي ـ ٧ صفحات

الامير كشبغا سيف الدين الحموي ـ ٢/١ ١ صفحة

القاضي محمد بن ابراهيم المناوي ـ ٢/١ ٤ صفحة

القاضي محمد شمس الدين الطرابلسي ـ صفحتين .

محمد بن عبد الدايم ابن الميلق ـ ٣ صفحات

القاضي بدر الدين محمد السبكي ـ صفحة .

محمد ابن سكر المصري ـ ٢/١ ٢ صفحة .

القاضي محمد جلال الدين النيسابوري ـ صفحة

محمد شمس الدين الركراكي ـ ١/٢ ١ صفحة

محمد ابن كلفت ـ صفحة

شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي ـ صفحتين

الشيخ محمد شمس الدين الجزري ـ صفحة واحدة

القاضي محب الدين بن شحنة ـ ١/٢ ٣ صفحة

محمد ابن خطيب داريّا ـ ٥ صفحات

محمد الغُريِّاني ـ صفحة

محمد الفيروز ابادي ـ ١/٢ ٢ صفحة

محمد السفاري الهوي ـ ١/٢ ٢ صفحة

محمد بن ابراهيم المقدسي ـ ١ صفحة

محمد بن أبي بكر السعودي (خادم المؤلف) ـ ١/٢ ٢ صفحة

محمد بن عمر التعكري ـ صفحتين

الامام الخطيب محمد المقري التونسي ـ صفحة

محمد بن نباته ـ صفحتين

الأمير محمد الهنتاتي صاحب العنان ـ ٩ صفحات

أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي ـ ٤ صفحات

الامام شمس الدين محمد ابن الصانع ـ ٤ صفحات

السلطان أبو عبد الله محمد ابن الأحمر ـ ١/٢ ٢ صفحة

محمد الدّمْدَمَكي ـ ١/٣ ١ صفحة

الخليفة المتوكل على الله ـ صفحتين

السلطان السعيد محمد المريني ـ ١٢ صفحة

محمد بن موسى ابن أبي حمو ملك تلمسان ـ ٢/١ ٢ صفحة

وان شاء الله تعالى سنقوم بنشر بعض النصوص من هذا الكتاب القيم .

تموز ١٩٦٥   الدكتور محمود الجليلي

المراجع :

ابن خلدون — التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً — نشره محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٥١ م

الجلبي ، داود — مخطوطات الموصل مطبعة الفرات بغداد ١٩٢٧ م

حاجي خليفة (ملا كاتب چلبي) — كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ج ١ ص ٣٧٤ . دار الطباعة المصرية ١٢٧٤ هـ

السخاوي — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع — ج ٤ ص ١٤٥ — ١٩٥ ، طبعة القاهرة ١٣٥٤ هـ .

محمد عبد الله عنان — ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكري — ص ٩٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ١٩٣٣ م

Brockelmann C. - Geschichte Der Arabischen Litteratur, II, 57 Leiden, E. J. Brill, 1938.

ترجمة ابن خلدون للمقريزي

تراجم ابن خلدون كثيرة كتب احداها بنفسه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، وكتب غيرها آخرون بين معجب ومنتقد (ابن حجر، السخاوي) كما نشر كثير من المتأخرين كتباً عنه (طه حسين، محمد عبد الله عنان، ساطع الحصري) ولكن ترجمة ابن خلدون للمقريزي بقيت غير معروفة ولا منشورة عدا كلمات نقلها ابن حجر ثم السخاوي في الثناء على المقدمة وعابا على المقريزى مبالغته في اطراء ابن خلدون ومدحه

وقد آثرنا نشر نص الترجمة فقط دون تعليق أو اضافة، وذلك كما جاءت في النسخة الخطية الموجودة لدينا من كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة) والتي وصفناها في محل آخر من مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٥ صفحة ٢٠١)، كما ذكرنا بعض فقراتها عند بحثنا عن مرض ابن خلدون وتأثيره على تآليفه (مجلة المجمع العلمي العراقي — تحت الطبع — وتقع الترجمة في ١٨ صفحة في الجزء الثاني من الكتاب، وهي من اكبر تراجم الكتاب اذ لم تزد عليها أو تقرب منها غير تراجم السلطان الملك المؤيد (٤٢ صفحة) وتيمورلنك (٣٥ صفحة) والسلطان الملك الاشرف برسباي (١٥ صفحة) وعلي بن داؤد ملك اليمن (١١ صفحة) والسلطان عبد العزيز بن السلطان ابي العباس الهنتاني (١٠ صفحات) والتراجم الباقية في الكتاب دون العشرة صفحات

وترجمة ابن خلدون ورد قسم منها بعد ترجمة عبد الرزاق المصري، والقسم الآخر بعد ترجمة عبد الرحمن بن علي الفارسكوري وتوجد الحاشية التالية بخط الناسخ (وجد بخط

ابن احمد بن مسعود بن داود بن يوسف بن عبد الله بن الزبير بن العوام وانه
كان كثير العبادة يوثر بماله ويقرا المصحف بالجامع وانه قرا القراات
على ابيه ابي الفتوح عبد الناصر بقراته على ابيه ابي الفرج هبة الله بقراته
على ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن اسماعيل بن حفص الصفراوي وانه قدم
القاهرة واخذ عن جماعة ومات بالمحلة يوم السبت خامس عشر ربيع الاول
سنة تسع واربعين وسبع مايه بالطاعون وقد اطال في ترجمته ٥
عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن لاجين الرشيدي الشافعي زين الدين
ابو محمد مولده سنة احدى واربعين وسبع مايه بالقاهرة وسمع بها من عبد
الرحمن بن عبد الهادي وابن الملوك والميدومي وبدر بن امليه وغيرهم ٥
والباني وحدث وبرع في علم الحساب ومعرفة الفرايض وشرح له
الجعبرية والياسمينية في الجبر والمقابلة وكتب بها جميع مسله وكانت له معرفة
بعلم الميقات وتولي رياستهم ويقرا القراات بحسن نغمه وولي خطابة جامع
امير حسين بالحكر حتى مات يوم الثلاثا في جمادى الاخرة سنة ثلاث وثمانين ٥
عبد الرحمن بن علي بن خلف زين الدين الفاسكوري الشافعي ابو
المعالي برع في الفقه والحديث والعربيه وكتب على شرح العمدة لابن
دقيق العيد فوايد جليلة وعلى غير ذلك وكان من خير من صحبت نسكا
ودينا وخيرا وسعيا في قضاء حوايج اخوانه وولي قضا المدينة النبوية في سنة
اثنين وسبعين وسبع مايه ثم صرف عنها فلم يتوجه اليها بعد الدين بن عبد
الرحمن بن محمد بن صالح ودرس بالمنصورية من القاهرة بعد قاضي القضاة
صدر الدين محمد المناوي وتوفي ليلة الاحد سادس عشرين شهر رجب سنة
ثمان وثمانين مايه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر
ابن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون ابو زيد ولي الدين الحضرمي
الاشبيلي كذا املي علي نسبه واحال على ما ذكر ابن حزم في كتاب الجمهرة
قال الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم في كتاب جمهرة
الانساب ويقال ان حضرموت هو ابن يقطن اخي قحطان منهم وايل بن حجر
له صحبة وهو وايل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وايل بن النعمان بن ربيعه
بن الحرث بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبد الله بن هاني
بن عوف بن جرشم بن عبد شمس بن زيد بن لاوي بن ثبت بن قدامة بن اعجب بن
مالك بن لاوي بن قحطان وابنه علقمة بن وايل وعبد الجبار بن علقمة بن وايل

[illegible]

صورة الصفحة التي تبدأ بها ترجمة ابن خلدون في السفر الحادي والعشرين

مصنفه بعد قوله العسقلاني ورقة بياض ثم كتب ما صورته :

ومن احاسن شعره :

سقت جفوني مغاني الربع بعدهم فالدمع وقف على اطلاله الجون

وبعدها حاشية بخط آخر تقول (الله اعلم ان المصنف رحمه الله أراد ان يبدأ باحوال ابن خلدون في تلك الورقة وما قدر له فلذلك نقلت ترجمة ابن خلدون المذكور من انباء الغمر لابن حجر العسقلاني ثم يذكر الترجمة) والظاهر انه حدث خطأ في النسخ أو التجليد، لان هذا القسم من ترجمة ابن خلدون متقدم على القسم الاكبر من الترجمة والذي يبدأ بنسبه وحياته وينتهي بأول هذه القصيدة ، ويظهر ان الأوراق التي تحتوي هذا القسم وضعت في غير موضعها ولكن المفيد في الأمر انا عرفنا ان هذه النسخة نسخت عن خط المؤلف مما يجعل قيمتها كبيرة

ولقد تم نسخ الجزء الثاني في ١٧ شوال سنة ٨٧٨ هـ (٧ آذار ١٤٧٤ م) بيد أحمد بن محمد التلواني الأزهري وهي قريبة عهد بالمؤلف إذ تم نسخها بعد ٣٣ سنة من وفاته. ويظهر في اللوحة المرفقة صورة الصفحة التي ابتدأت فيها ترجمة ابن خلدون

ولدى دراسة الترجمة ومقارنتها بترجمة ابن خلدون لنفسه (التعريف بابن خلدون) نجد انها مختصرة عن التعريف وفيها كثير من الجمل مأخوذة عنه وقد أشرنا في الحاشية الى الصفحات التي تحتوي المعلومات المماثلة في التعريف وفيها بعض الإضافات القليلة عن مرض ابن خلدون وعن توليه القضاء في آخر حياته وعن ما قاله ابن الخطيب فيه في كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة ثم قصص وروايات عن لسان ابن خلدون يحتوي بعضها أموراً عجيبة

ولقد اجتمع المقريزي بابن خلدون أثناء بقائه في مصر من سنة ٧٨٤ إلى حين وفاته سنة ٨٠٨ ، وكان آنذاك في شبابه إذ ولد المقريزي سنة ٧٦٦ هـ وتوفي سنة ٨٤٥ هـ وظاهر

من الترجمة اعجاب المقريزي بابن خلدون الأمر الذي عابه عليه ابن حجر والسخاوي

وفيما يلي ترجمة ابن خلدون كما كتبها المقريزي :

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي[1] كذا أملى علي نسبه وأحال علي ما ذكره ابن حزم في كتاب الجمهرة قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم في كتاب جمهرة الأنساب : ويقال ان حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان ، منهم وايل بن حجر له صحبة ، وهو وايل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وايل بن النعمان ابن ربيعة بن الحرث بن ملك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمر بن عبد الله ابن هاني بن عوف بن حرشم بن عبد شمس بن زيد بن لاوي بن شيت بن قدامة بن أعجب بن ملك بن لاوى بن قحطان وابنه علقمة بن وايل وعبد الجبار بن علقمة بن وايل ويذكر بنو خلدون الاشبيليون انهم من ولده وكان من أكابرهم أبو هاني كريب وأبو عثمن خالد القاهاني بأشبيلة اللذان قتلهما إبراهيم بن حجاج اللخمي ، وهما ابنا عثمن بن عثمن بن خالد المعروف بخلدون الداخل من المشرق بن عثمان بن هاني ابن الخطاب بن كريب بن معدى كرب بن الحرث بن وايل بن حجر المذكور ولم يبق من ولده أحد غير محمد وأحمد وعبد الله بنو أبي العاص المذكور ، والفيلسوف المشهور أبو مسلم عمر بن محمد بن تقي بن عبد الله بن بكر بن خلدون بن عثمان بن خلدون بن عثمان بن خالد بن عثمان بن خالد الداخل وهو خلدون ، وأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن بكر المذكور ، ومحمد بن عبد الله المذكور وهو جد أبي مسلم لأمه ولم يبق من ولد كريب الرئيس المذكور أحد إلا أبو الفضل محمد بن خلف بن أحمد بن عبيد الله ابن كريب المذكور انتهى ما قال محمد ابن حزم

(١) أنظر التعريف ص ١

والذي يغلب على الظن ان بين عبد الرحمن وبين خلدون عدة آباء ، فان خلدون أما أن يكون قدومه من المشرق على الاندلس في الفتح فيكون دخوله في سنة اثنين وتسعين من الهجرة وأما أن يكون دخوله مع طوالع بلج وذلك في سنة اثنين وعشرين ومماية ، وعلى كلا الأمرين فلا بد أن يكون بينهما عدة آباء ، فان القاعدة إذا اجهلت الآباء وعرفت السنون أن يجعل لكل ماية من السنين ثلاثة آباء ، وبين شيخنا أبي زيد وبين خلدون نحو سبع ماية عام ينوبها بحكم القاعدة أحد وعشرون أباً ، وهو لم يذكر من آبائه إلى عبد الرحمن سوى عشرة فعلى هذا يبقى من آبائه بعد ذلك نحو أحد عشر أباً ، لأنا نجعل مع ذلك الآباء العشرة أبا زيد وخلدون ، والقاعدة أدت إلى أن عدد ما بين أبي زيد وخلدون أحد وعشرون فاذا عرفت منهم اثنى عشر يبقى تسعة والله أعلم

أوليته (1)

لما دخل خلدون إلى الأندلس نزل بقرمونة في نفر من حضرموت ونشأ أبوه بها ، ثم استوطنوا اشبيله وكانوا في جند اليمن ، ثم انتقلوا الى سبته ، وقصد الحسن بن محمد الأميرابا زكريا يحى بن عبد الواحد أبي حفص صاحب أفريقية فأكرم قدومه ، وارتحل إلى المشرق فحج ورجع فاستقر في ظل دولة الأميرابي زكريا فأقطع له اقطاعاً وفرض له رزقاً الى أن مات ، فنشأ ابنه محمد بن الحسن في جو تلك النعمة ومرعاها وصرّفه الأميرابو اسحق في عمل الأشغال في الدولة فانفرد بولاية العمال وعزلهم وحسابهم على ما يُجبى فاضطلع بتلك الرتبة ، ثم عقد الأمير أبو اسحق لابنه محمد بن محمد بن الحسن على حجابة ولي عهده ابنه الأمير أبي فارس ثم أعفاه ومات ، فعدل ابنه محمد بن محمد عن طريقة السيف والجندية الى طريقة الرباط فنشأ ابنه محمد بن محمد بن محمد مائلاً إلى الطلب فتقدم وبرع في علم العربية والبصر بنقد الشعر وفنونه ، ومات في سنة تسع وأربعين وسبع ماية وترك

(1) أنظر التعريف ص ٤

أولاداً منهم أبو زيد عبد الرحمن .

قال العلامة لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي السلماني في كتاب الاحاطة بتاريخ غرناطة ، بعد ما ذكر ما تقدم من نسب أبي زيد ذرية عثمان أخي كريب الذكور في بهاثوار الأندلس وينسب سلفهم الى وايل بن حجر قال وانتقل سلفه من اشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة عند الحادثة بها ، وأقبل ذلك فاستقر بتونس منهم ثالث المحمدين محمد بن الحسن ، وتناسلوا على سراوة وحشمة ورسوم حسبية ، وتصرف جد المترجم به لملوكها في قيادة الجيوش

حاله وصفته

قال في الاحاطة : هذا الرجل الفاضل جم بالفضل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحيا ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصي الزي ، عالي الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب العادة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم في الفنون العقلية والنقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغري بالتجلة ، جواد حسن العشرة ، مبذول المشاركة ، مقيم لرسم التعين ، عاكف على رعي ظلل الاصالة ، مفخر من مفاخر التخوم المغربية

وقال كاتبه : هو النخبة التي قل أن يأتي بمثلها الدهر ، وهو التاج الذي علا قمم رؤساء العصر ، بما انطوى عليه من غزير المعارف والعلوم ، وتحلى به من بديع المدارك والفهوم ، وتجمل به من المنظر الجميل ، واشتمل عليه من الخلق الكريم والفضل الجزيل ، وقوة النفس الأبية ، والتفنن في اللغات العربية ، إن تجلى وجهه قلت البدر سناء وسنا ، أو خطر قده فما سمر القنا ، أو تكلم في العلوم جاء البحر الذي لايتوسط ثبجه ، ولا تخاض لعظمة لججه ، الى غير ذلك من عظيم الحشمة والوقار ، وجليل الهيبة والفخار ، يجمع الى حسن الوجه والملاحة ، رصانة العقل والرجاحة ، مع الغاية في فصاحة المنطق وبداعة المحاضرة ،

وعذوبة المحادثة والمسامرة، وكثرة الأدب وحسن المعاشرة ، وتفجر ينابيع العلوم والمعارف عند المذاكرة ، وشجاعة القلب والاقدام ، والثبات عند ارتعاد الفرائص ومزال الاقدام ، والحظوة عند ملوك الاقطار ، والقبول التام من جماهير أهل الأمصـــار ، تقلد الاعمال الشريفة ، والخطط الرفيعة المنيفة ، من زمن الصبا والصغر ، الى وقت الـكهولة وسن الـكبر ، في جميع الأقطار المغربية ، والبلاد الافريقية ، والثغور الأندلسية ، ثم في الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، إلا انه لـكثرة فضله ، وعظيم سيادته و نبله ، لم يعدم قط عدواً ولا حاسداً ، ولم يفقد في حال من الأحوال ضداً معانداً ، ولله در معن بن زائدة إذ يقول:

انى حسدت فزاد الله في حسدي ... لاعاش من عاش يوماً غير محسود

ما يحســـد المرء إلا من فضائله ... بالعلم والظرف أو بالباس والجود

وبالبدائع هذا الحبر ما أعلاها ، ولمفاخره ومآثره ما أجلها وأسناها

مشيخته (١)

قرأ القرآن الـكريم على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن ســـعد بن برّال الأنصاري بالقراءات السبع إفراداً وجمعاً في إحدى وعشرين ختمة ، ثم جمعها في ختمة واحدة أخرى ، ثم قرأ ختمة برواية يعقوب جمعا بين الروايتين عنه ، وعرض عليه قصيدتي الشاطبي اللامية والرائية وكتاب التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر ، ودرس كتاب التسهيل في النحو لابن مالك ومختصر ابن الحاجب الفقهي وأخذ العربية عن أبيه وعن أبي عبد الله محمد بن المغربي الحصائري وأبي عبـد الله محمد بن الشواس الزرزالي وأبي العباس أحمـد بن القصار وأبي عبد الله محمد بن بحر ولازم مجلسه وأشـار عليه بحفظ الشعر ، فحفظ المعلقات وحماسة الأعلم وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي وكتاب سقط الزند لأبي العلاء المعري، وسمع صحيح مسلم بتونس الا فوتا يسيراً من كتاب الصيد ، وسمع موطأ مالك رحمه الله على أبي

---

(١) انظر التعريف ص ١٥ — ٢٣

عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي وأجازه اجازة عامة ، وأخذ الفقه بتونس عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبي القاسم محمد بن القصير وقرأ عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي وغيره وعليه تفقه ، وانتاب مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام وأفاد منه وسمع عليه ، وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن سليمان الطَّسي وأبي محمد عبد المهيمن الحضرمي وأبي العباس أحمد الزواوي ، واستفاد من القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي وأخذ عنه الأصلين والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية ولازمه وبرع عليه حتى لقد كان يشهد له بالتبريز في ذلك والتقديم ، ولازم في ابتداء أمره مجلسه ثلاث سنين وكثيراً ما كان يحدثنا عنه .

وجاهته [1]

لم يزل منذ ولد بمدينة تونس في يوم الاربعاء أول يوم من شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة الى أن مات ، نشأ مكباً على تحصيل العلم ، حريصاً على اقتناء الفضائل، إلى أن كان الطاعون الجارف في سنة تسع وأربعين وسبع مايـة وذهب بالأعيان والصدور ومات أبواه ، فاستدعاه أبو محمد ابن تافراكين المستبد إذ ذاك بتونس الى كتابة العلامة عن سلطانه أبي اسحاق ابراهيم بن السلطان أبي بكر خامس الملوك الحفصيين بتونس ، فكتب العلامة عن السلطان وهي وضع (الحمد لله والشكر لله) بقلم غليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم

ثم انصرف عن تونس وطنه ومنشئه عام ثلاثة وخمسين ، وقد عرف فضله ، فخطبه السلطان أبو عنان فارس بن علي بن عثمان فاستقدمه وأحضره مجلسه العلمي [2] ، فعرف حقه وأوجب فضله ، وصرفه في الكتابة والتوقيع بين يديه أوائل عام ستة وخمسين واختصه ،

(١) انظر التعريف ص ٥٥ (٢) ص ٥٨

فارتفعت السعايات به ، وكثر المنافسون ، وعظم حمل الخاصة من طلبة الحضرة عليه ، لبعده عن حسن التأتي وشفوفه بتفوق الفهم وجودة الادراك ، فاغروا به السلطان إغراء عضده ما جُبِل عليه أبو زيد من اغفال التحفظ مما يريب لديه بأن صادَقَ الأمير محمداً صاحب بجاية من الموحدين[1] وداخله مداخلة غفل عن التحفظ فيها من غيرة السلطان ، فلما شغل أبو عنان بمرضه ، نمّ اليه الغواة والحسدة أن أمير بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده ، وقد كان فيها يومئذ وزير أبي عنان عبد الله بن علي ، وأن أبا زيد ابن خلدون عاقده على ذلك ليكون حاجبه ، فانبعث أبو عنان لذلك وقبض عليهما ، واعتقل أبا زيد في أوائل سنة ثمان وخمسين وقد تكدر جوه عند السلطان واشتد حنقه عليه حتى أراده بنكبة وشدة لم يخلصه فيها سوى أجله ، فبقي في الاعتقال إلى أن مات أبو عنان نحو عامين ، وهو على سنن الأشراف من الصبر وعدم الخشوع وإهمال التوسل وابائه لمكسوب في سبيل النفقة ، فلما أفضى الأمر إلى ولد أبي عنان بادر القائم بدولته الوزير الحسن بن عمر الى إطلاقه في آخرين ، وخلع عليه وحمله وأعاده الى مكان عليّة ، وعامله بوجوه من كراماته ومذاهب احسانه ، إلى أنتقض أمره وانفض عنه بنو مرين[2] فلحق أبو زيد بالسلطان أبي سالم[3] ، فلما غلب على الملك رعى له السابقة وولاه كتابة السر والانشاء ، فصدر عنه أكثرها بالكلام المرسل الذي انفرد به في هذا العصر ، وحاكى طريقة عبد الحميد بن يحي الكاتب والصابي والجاحظ وما أدراك ما أولئك واستمر على ذلك مفوضاً اليه أيضاً خطة المظالم ، حتى زالت دولة أبي سالم وقام الوزير عمر بن عبد الله بالأمر ، فأقره على ما كان عليه ووفر اقطاعه وزاد في جرايته

ثم تنكرت الحال بينه وبين الوزير ففارق فاس ولحق بالأندلس ، فقدم غرناطة[4] ثامن

(١) انظر التعريف ص ٦١ (٢) ص ١٨ (٣) ص ٦٨ ـ ٧٠ ، ص ٧٧

(٤) ص ٨٢ و ٨٤

شهر ربيع الأول سنة أربع وستين فاهتز السلطان ابن الأحمر لقدومه ، وهيأ له المنزل من قصوره بفرشه وماعونه ، وأركب خاصته للقائه ، ثم خلع عليه عند مثوله بين يديه ، وخرج الوزير ابن الخطيب مشيعاً له إلى مكان نزله ، وخاطبه ابن الخطيب بقطعة من نظم ونثرمها :

حللت حلول الغيث في البلد المحل   على الطائر الميمون والرحب والسهل

يميناً بمن تعنو الوجوه لوجهه   من الشيخ والطفل المُهَدّ والكهل

لقد نشأت عندي للقياك غبطة   تنسّي اغتباطي بالشبيبة والاهل

ثم ان السلطان نظمه في علية اهل مجلسه ، واختصه بالمناجاة في خلوته ، والمواكبة في ركوبه ، والمواكلة والمطايبة والمفاكهة في اوقات انسه ، واقام على ذلك إلى ان سافر عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية بمدينة اشبيلة[1] ، فعامله من الاكرام بما لا مزيد فوقه ، واظهر الاغتباط بمكانه ، وعلم باولية سلفه باشبيلية ونباهة قدرهم ، ورأى قرطبة ثم انصرف[2] ، وقد زوده الطاغية وحمّله واختصه ببغلة فارهة بمركب ولجام ذهبيين، ووصل الى السلطان ابن الاحمر بالجواب ، واقام عنده على حال العزازة والكرامة والاختصاص ، فلم تلبث الاعداء واهل السعايات ان خيّلوا للوزير ابن الخطيب من ملابسة ابي زيد السلطان واشتماله عليه ، وحركوا له حوار الغيرة فتنكّر ، واشتمّ منه ابو زيد رائحة الانقباض فبادر إلى الارتحال عن الاندلس[3]

وفي اثناء ذلك وردت عليه كتب السلطان ابي عبد الله صاحب بجاية[4] ، بانه قد استولى ويستدعيه لحضرته ، فاستاذن ابن الاحمر في الرحلة ، وعمّى عليه شأن ابن الخطيب ابقاء لمودته ، فارتمض لذلك ولم يسعه الا الاسعاف ، فودّع وزوّد وكتب مرسوماً بالتشييع ، فركب البحر للنصف من سنة ست وستين ونزل بجاية[5] خامس

---

(١) أنظر التعريف ص ٨٤ و ٨٥ .   (٢) ص ٨٥   (٣) ص ٩١

(٤) ص ٩١   (٥) ص ٩٧ و ٩٨

الاقلاع ، فاحتفل سلطان بجاية لقدومه ، واركب اهل دولته للقائه ، وبهافت اهل البلد عليه من كل اوب ، يمسحون اعطافه ويقبلون يده ، وكان يوماً مشهوداً ولما وصل إلى حضرة السلطان حياه وخلع عليه وحمله ، وأمر من الغد اهل الدولة بمباكرة باب دار ابي زيد ، فاستقل بحمل الملك ، واستفرغ جهده في سياسة الامور وتدبير الاحوال ، وقدم مع ذلك لخطابة الجامع ، ولم يشغله عن تدريس العلم بعد انصرافه من تدبير الملك ، غدوة كل يوم الى أثناء النهار لاينفك عن ذلك

فلما قتل السلطان أبو عبد الله ، وقام بعده ابن عمه السلطان أبو العباس [1] عامل أبا زيد بوافر الاحسان وعظيم الكرامة ، وأجرى أحواله كلها على معهودها ، فكثرت السعاية عنده بأبي زيد حتى أحس بذلك ، فطلب الإذن بالانصراف من السلطان فأذن له بعد لأي ، وخرج يريد المغرب ، فتلقاه كتاب السلطان أبي حمو صاحب تلمسان [2] ، يستدعيه لحجابته وعلامته ، وهو ببلد بسكرة ، وفي طي الكتاب مدرجة بخط السلطان نصها : (الحمد لله على ما أنعم ، والشكر لله على ما وهب ، ليعمل الفقيه المكرم أبو زيد عبدالرحمن ابن خلدون حفظه الله ، على انك تقصد إلى مقامنا الكريم ، لما خصصناكم بـه من الرتبة المنيفة والمنزلة الرفيعـة ، وهو قلم خلافتنا والانتظام في سلك أوليائنا ، أعلمناكم بذلك) وكتب بخط يده (عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخار له) وبقية الكتاب بخط الكاتب فبعث أخاه يحي كالنائب عنـه متفادياً من السلطان طالباً للاعفاء فوصل اليه واكتفى به [3]

وتردد أبو زيد في مفـاوز العرب وحل بحللهم واختلط بجملتهم في باديهم ، متصرفاً أحياناً في مهمات السلطان وآونة في الاقامة مع أهله وولده الى أول سـنة أربع وسبعين فاستدعاه السلطان عبد العزيز صاحب المغرب [4] من بسكرة الى القدوم إلى حضرة

---

(١) انظر التعريف ص ٩٩ . (٢) ص ١٠٢ (٣) ص ١٠٣ (٤) ص ١٣٥

ملكه بمدينة فاس ، فخرج من بَسْكرة يؤم دار الملك فاس [1] ، فأصابته بطريقه شدة أذهبت المال حتى بقي عارياً يومين في البرد ، ومن حينئذٍ حدث له وجع في أعضائه مابرح يتألم منها حتى مات ، وكادت هذه الشدة تأتي على النفس لو لا لطف الله وجميل صنعه .

ومات السلطان عبد العزيز قبل قدومه عليه ، فدخل فاس في جمادي من سنة أربع وسبعين ، فأكرمه الوزير أبو بكر بن غازي القائم يومئذ بدولة بني مرين ، ووفر جرايته وإقطاعه ، وأقام بمكانه في دولتهم أثير المحل ، نابه الرتبة ، عريض الجاه ، منوه المجلس عند السلطان السعيد أبي بكر بن عبد العزيز إلى أن خلع ، وملك بعده السلطان ابو العباس ابن عمه ، فأغراه الوزير محمد بن عثمان به حتى قبض عليه ثم أطلقه [2] فسار الى مراكش، ورحل منها إلى الأندلس [3]، فدخلها في شهر ربيع سنة ست وسبعين فلقيه سلطانها بأفضل البر وأجل الكرامة ، وأحسن النزل على عادته ، فساء أهلَ الدولة بفاس ذلك ، وما زالوا بابن الأحمر صاحب الأندلس حتى أوحشوه منه ، وطلبوا منه أن يسيره الى تلمسان، فاجازه اليها ، وسار حتى دخلها والجو مظلم بينه وبين سلطانها أبي حمو ، بما كان من إجلابه العرب عليه مشايعة للسلطان عبدالعزيز المريني ، فأراده بسوء ثم صرفه الله عن ذلك لعذل محمد ابن عريف ولومه له ، عادة من الله تعودها من جميل الصنع وخفي اللطف .

وما زال بتلمسان مع أهله وولده يبث العلم وينشره إلى أن تخيل من السلطان فخرج منها ولحق بأحياء أولاد عريف [4] في البادية فتلقوه بالكرامة والبر ، فمكث بين أظهرهم مع أهله وولده أربعة أعوام ، متخلياً عن الشواغل كلها ، فارغ البال من مقالبة السلطان ومقارعة الأعداء ، فشرع حينئذ في تأليف كتاب عنوان العبر ، وأكمل مقدمته في تلك الخلوة ثم ارتحل عنهم في شهر رجب سنة ثمانين يريد تونس ، جوه الذي ربي فيه ، وعشه

---

(١) انظر التعريف ص ٢١٦ — ٢١٨ . (٢) ص ٢٢٤ و ٢٢٥

(٣) ص ٢٢٦ و ٢٢٧ . (٤) ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .

الذي درج منه ، فسلك القفراء الى سوسه ، فلقي بها أبا العباس سلطان تونس[1] والخليفة بزعمهم ، فبر مقدمه وبالغ في تأنيسه ، وشاوره في مهات أموره ، وجهزه الى تونس ، وقد أوعز إلى نائبه بها ان يهيء له منزلاً ويقوم بكفايته من الجراية والعلوفة وغيرها فوصل إلى تونس في شعبان سنة ثمانين وتفيأ وارف ظل العناية من السلطان ، واجتمع شمله بما له من أهل وولد في مرعى تلك النعمة ، وألقى عصا التسيار .

ولما قدم السلطان إلى تونس [2] ، استدناه لمجالسته ، وناجاه في خلوته ، فغص بطانته بذلك ، وأفاضوا في السعايات فلم تنجح ، وثار لمساعدتهم على عتوهم وبغيهم شيخ الفتيا إذ ذاك بتونس محمد بن عرفه غيرة وحسداً ، فاتفقوا على التأليب والسعاية والسلطان معرض عنهم ، وقد كلفه بالأكباب على تكملة كتاب عنوان العبر فأكمله ، ورفع إلى الخزانة السلطانية منه نسخة . وأخذ السعاة في كل نوع من الاغراء والسعاية عند السلطان ، وأخذ هو في الاعتمال في الترحل الى المشرق ، وتوسل الى السلطان في الاذن بذلك لقضاء فرض الحج حتى أذن ؛ فسار من تونس راكباً لثبج البحر منتصف شعبان سنة أربع وثمانين

فوصل ثغر الاسكندرية [3] يوم عيد الفطر ، ودخل إلى القاهرة ذي القعدة سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، فانثال عليه طلاب العلم وكان عددهم حينئذ موفوراً ، وبصدورهم من اجلاله وتعظيمه شيئاً كبيراً[4] ، فالتمسوا منه الافادة ، فأجابهم إلى ذلك وانتصب للتدريس بالجامع الأزهر[5] ، وأقرأ كتاب ابن الحاجب في الأصول ، فاغتبط الناس به وسرهم قدومه وراقهم ما لديه من المعارف والعلوم ثم اتصلوا بالأمير الطنبغا الجوماني فأعجب به إعجاباً كثيراً ،

---

(١) أنظر التعريف ص ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٥ (٢) ص ٢٣٢ و ٢٣٣

(٣) ص ٢٤٦ (٤) كذا في النسخة وصحيحه شيء كبير

(٥) ص ٢٤٨

وتخصص بصحبته ، فجمع بينه وبين السلطـان الملك الظاهر برقوق ، فأبرّ لقاه وانسه ، ووفر جرايته واقطاعه ، وولاه تدريس المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص من مدينة مصر ، وهي أجل مدارس الفقهاء المالـكية بديار مصر [١]

وأقبل الناس على اختلاف طبقاتهم يهرعون إلى بابه ، ويترامون على صحبته ويتنافسون في الاجتماع ، به إلى أن قلده السلطان قضاء القضاه المالـكية [٢] بديار مصر ، في يوم الاثنين تاسع عشر جمادي الآخرة ســـنة ست وثمانين ، فقام بذلك قياماً محموداً ، ودفع رسائل الأمراء وردّ شفاعات الأكابر وأمضى أحكامه كما يريد ، وتثبت في سماع البينات ، وفحص عن عـدالة المنتصبين لتحمل الشهادات وعاقب طائفة منهم على تزوير ظهر له ، وأوجع في عقابهم ونكل بهم وشهرهم ، ومنع عدة من تحمـل الشهادة ، فـكثر الحمل عليه وامتلأت صدور الـكثير من الحقد والغيظ ، فنالوا من عرضه ، وقبحوا القول فيه بسوء الاحدوثة عنه ، واختلقوا الافك وقول الزور ، يبثونه في الناس ، ويدسون الى السلطان التظلم منه ، والشكوى في خلوه من حسن التـأتي ، وقلة المعرفة بمصطلح النـاس وعوائد مصر ، وكثرة العسف وشدة البطش ، والوقوف على رأي نفسه وعدم الانقياد ، وكثرة الاباء عن الرجوع إلى المداراة وأشدهم في ذلك رفقاؤه من القضاة وشيعهم ، فأصبح الجميع عليه البا ، ونصبوا بأسرهم له عـداوةً وحرباً ، وصاروا لمن ينادي بالتأفف منه والنـكير عليه عوناً ، وغدوا في الشناعـة والجهر بالسوء من القول فيه أمـة ، فانطلقت الألسنة وارتفع الصخب ، وثارت الخصوم من الشهود الممنوعين ومن جرت عليهم أحكامه ، يغرون أرباب الدولة ، ويتنادون بالتظلم وتبشيع القول وتشنيع الحـكايات ، حتى وصل الى السلطان طرف من ذلك ، فصرفه يوم السبت سابع جمادي الأولى سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، فأقام في منزله على حال رفعة وعز من ترداد وجوه البلد اليه وتطارحهم عليـه . إلى أن توجه الى

---

(١) انظر التعريف ص ٢٥٣ و ٢٧٩ (٢) ص ٢٥٤ — ٢٦٠

الحج [1] في عام تسعة وثمانين فقضى النسك وعاد إلى القاهرة ، فما زال في داره على الغاية من محبة الناس والوفور من العزّ ، إلى أن عنّ للسلطان أن يعيده إلى منصب القضاء [2] من غير أن يعينه أحد ، وكان قد سار الى الخنبوشية وقف المدرسة القمحية ، فسرح البريد لاحضاره ، فلمّا قدم قلده قضاء القضاة في يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة إحدى وثماني مائة ، واتفق موت السلطان في النصف من شوال فأقره الأمير الكبير اتمش ، فلما سار الملك الناصر خرج لمحاربة الأمير تنم [3] نائب الشام ، سافر ودخل دمشق وحكم بها ثم عاد مع السلطان ، وما زال إلى أن صرف يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وثماني مائة

فلزم داره إلى أن خرجت العساكر مع السلطان الملك الناصر لمحاربة الامير تيمورلنك [4] فالتمس منه الامير يشبك ان يسير مع العسكر فاجابه وسار معهم إلى دمشق ، فقدر الله انهزام السلطان والأمراء من تيمور إلى القاهرة ، فتأخر بدمشق ، وعندما احاط تيمورلنك بها بادر إلى لقائه [5] ، وتدلى من السور بحبل ، وخالط العساكر وطلب منهم أن يوصلوه بالأمير تيمور فساروا به واستأذنوا عليه فاذن له وأمر باحضاره ، فاعجبه حسن هيئته وجمال صورته ، وخلبه بعذوبة منطقه ، ودهاه بكثرة مغالاته في اطرائه ، فاجلسه واستدناه ، وشكر له سعيه ، وأخذ في تأنيسه ومؤانسته ومؤاكلته ، واكثر من سؤاله عن احواله وعن ولده ، ثم ذاكره باخبار الملوك الماضية والقرون الخالية ، فدهش لكثرة استحضاره وخامر عقله ما راقه من مسامرته ، فامر بانزاله معه في الخيم ، وكلفه املاء كتاب يتضمن احوال البلاد والاماكن التي بين مصر وبلاد الغرب ، وما هناك من المفاوز والمياه وقبائل العرب ومقدار المسافات فلم (يكن) باسرع من أن كتب له ديواناً في ذلك، بديع مثاله بعيد

---

(١) انظر التعريف ص ٢٦١ (٢) ص ٣٤٧ (٣) ص ٣٤٧ — ٣٤٩

(٤) ص ٣٦٦ — ٣٧٠ و ٣٧٤

(٥) انظر كتاب لقاء ابن خلدون لتيمورلنك تأليف والترج فيشل وترجمة محمد توفيق

مناله ، فزاد اعجابه به وحل منه محلا لم يحله من تيمور أحد ، بحيث انه اجلسه فوق ابنه ، وقال له مرة في الملاء انت عيني .

فلما استولى تيمور على مدينة دمشق اذن له في المسير إلى القاهرة [1] وزوده ، واطلق من الأسر جماعة من وجوه كتاب مصر واعيانها على انهم خدمه ، فقدم إلى القاهرة ، وتلقاه اهل الدولة بالكرامة ، واقام بداره ، إلى أن استدعي واعيد إلى القضاء [2] مرة ثالثة يوم السبت ثالث عشرين شهر رمضان سنة ثلاث وثماني مائة ، ثم صرف في رابع عشرين شهر رجب سنة اربع وثماني مائة ثم اعيد يوم الخميس لاربع بقين من ذي الحجة هذه السنة ، ثم صرف يوم الاثنين سابع شهر ربيع الاول سنة ست وثماني مائة ثم اعيد في شعبان سنة سبع وثماني مائة ، وصرف في سادس عشرين ذي القعدة منها ، ثم اعيد في شعبان سنة ثمان وثماني مائة ، فلم تطل مدته ، ومات وهو قاضٍ موتاً وحيا من غير تقدم مرض سوى انه ثار به ما كان يعتريه من وجع الاعصاب في يوم الاربعاء لاربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة ، احوج ما كان إلى الموت ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر ، وله من العمر ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوماً ، رحمه الله بماذا نفعني الله به .

شعره :

قال في الاحاطة : واما نثره وسلطانياته السجعية ومرسله فخلج بلاغة ورياض فنون ومعادن ابداع ، يفرغ عنها يراعه الحر في شبيه البداءات بالخواتم في نداوة الحروف ، وقرب العهد بجرية المداد ، ونفوذ أمر القريحة واسترسال الطبع . واما نظمه فنهض بهذا العهد قُدماً في ميدان الشعر ونقده باعتبار اساليبه ، فانثال عليه جوه وهان عليه صعبه فاتى منه بكل غريبة ، منها قوله يخاطب به السلطان ملك الغرب ليلة الميدان الكريم من

---

(١) انظر التعريف ص ٢٧٩ (٢) ص ٢٨٣ .

عام اثنتين وستين وسبعمائة من قصيدة طويلة [1] :

اسرفن في هجري وفي تعذيبي	واطلن موقف عبرتي ونحيبي
وابين يوم البين وقفة ساعة	لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وغادروا	قلبي رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح	فشرقت بعدهم بماء غروب
يا ناقعاً بالعتب غلة شوقهم	رحماك في عذلي وفي تأنيب
يستعذب الصب الملام وانني	ماء الملام لدي غير شريب
ما هاجني طرب ولا اعتاد الجوى	لولا تذكر منزل وحبيب
اهفوا إلى الاطلال كانت مطلعاً	للبدر منهم او كناس ربيب
عبثت بها أيدي البلا وترددت	في عطفها للدهر أي خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها	ليجدها وصفي وحسن نسيب
واذا الديار تعرضت لمتيم	هزته ذكراها إلى التشبيب
امه على الصبر الجميل فانه	ألوى بدين فؤادي المنهوب
لا انسنا والدهر يثني صرفه	ويغض طرفي حاسد ورقيب
والدار موقفة محاسنها عما	لبست من الايام كل قشيب
يا سائق الاضعان يعتسف الفلا	ويواصل الاساد بالتأويب
متهافياً عن رحل كل مذلل	نشوان من اين ومس لغوب
بتجاذب النفحات فضل درايه	في ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظمأ الصبابة صحبة	نهلوا بمورد دمعه المسكوب
او يعترض مسراهم سدف الدجى	صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

(1) في التعريف ص ٧٠ — ٧٤ أبيات أخرى

في كل شعب منيه من دونها | هجر الاماني أو لقاء شعوب
هلا عطفت صدورهن إلى التي | فيها لبانة اعين وقلوب
فتؤم من اكناف يثرب مأمناً | يكفيك ما تخشاه من تثريب
حيث النبوة ايها مجلوّةً | يتلو من الآيات كل غريب
سر عجيب لم يحجبه الثرى | ما كان سر الله بالمحجوب

وهي طويلة جداً

وقال يخاطب السلطان ابا عنان وهو في اعتقاله يستعطفه من قصيدة نحو مائتي بيت منها [1] :

على أي حال للزمان اعاتبُ | واي صروف للزمان اغالبُ
كفى حزناً اني على القرب نازح | واني على دعوى شهودي غائب
واني على حكم الحوادث نازل | تسالمني طوراً وطوراً تحارب

ومنها :

سلوتهم إلا اذكار معاهد | لها في الليالي الغابرات غرائب
وان نسيم الريح منهم يشوقني | اليهم ويصبيني البروق اللواعب

وقال في يوم الفطر سنة ثلاث وستين ، يخاطب الوزير مسعود ماساي وزير صاحب فاس ، لما طلب منه الاذن بالرحيل فابى عنه [2] :

هنيئاً بصوم لاعداه قبولُ | وبشرى بعيدٍ انت فيه منيل
وهنيها من عزة وسعادة | تتابع اعوام بها وفصول
سقى الله دهراً انت انسان عينه | ولا سيق ربعاً في حماك محول
فعصرك ما بين الليالي مواسم | لها غرر وضاحة وحجول

(١) انظر التعريف ص ٦٧ (٢) ص ٧٢ — ٧٩

وجانبك المأمول للجود مترع | يحول عليـــه عالم وجهول
عساك وان ضن الزمان منولي | فرسم الاماني من سواك محيل
اجرني فليس الدهر لي بمسالم | اذا لم يكن لي في ذراك مقيل
واوليتني الحسنى بما انا آمل | فنلك يولي راجياً وينيل
ووالله ما رمتُ الترحل عن قلىً | ولا سخطة للعيش فهو جزيل
ولا رغبة في هذه الدار انها | لظل على هـــذا الانام ظليل
ولـكن نأى بالشعب عني حبايب | شجاهن خطب للفراق طويل
يهيج بهن إلوجد اني نازح | وان فؤادي حيث هُنّ حلول
عزيز عليهن الذي قـد لقيته | وان اغترابي في البلاد يطول
توارث بابنائي البقاع كانني | تخطفت أو كالت ركابي غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى | فطارت بقلبي انة وعليل
أأحبابنا والعهد بيني وبينكم | كريم وما عهد الكريم يحول
اذا انا لم ترض الحمول مدامعي | فلا قربتني للقـــاء حمول
الى مَ مقامي حيث لم ترد العلى | مرادي ولم تعط القيادَ ذلول
اجادت فضل العمر يوماً وليلة | وساء صباح بينها واصول
ويذهب بي ما بين ياس ومطمع | زمان ينيل المعلوات بخيل
تعللني عنه امانٍ خوادع | ويؤنسني ليان منه مطول
اما الليالي لا ترد خطوبها | ففي كبدي من وقعهن فلول
يروعني من صرفها كل حادث | يكاد له صمّ الجبال تزول
اداري على الرغم العدى ، لا لريبةٍ | يصانع واش ٍخوفها وعـــذول

واغدو باشجاني عليلاً كأنما | تجود بنفسي زفرة وغليل
واني وان اصبحت في دار غربة | تحيل الليالي سلوة وتذيل
وصدتني الايام عن خير منزل | عهدت به الا يضام نزيل
لاعلم ان الخير والشر ينتهي | مداه وان الله سوف يديل
واني عزيز بابن ماسيَ مكثر | وان هان انصارٌ وبان خليل

وقال يمدح ابن الاحمر صاحب الاندلس من قصيدة طويلة جداً (١) :

حي المعاهد كانت قبل تحييني | بواكف الدمع يرويها ويظميني
ان الأُلى نزحت داري ودارهم | تحملوا القلب في اثارهم دوني
وقفت انشد ضيراً ضاع بعدهم | فيهم واسأل صبراً لا يناجيني
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم | فالدمع وقف على اطلاله الجون
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل | لو ان قلبي إلى السلوان يدعوني
احبابنا ، هل لعهد الوصل مذكر | منكم وهل نسمة عنكم تحييني
ما لي وللطيف لا يعتاد زائره | وللنسيم عليلاً لا يداويني
يا اهل نجد وما نجد وساكنها | حسناً سوى جنة الفردوس والعين
اعندكم انني ما مرّ ذكركم | إلا انثنيت كأنّ الراح تثنيني
اصبو الى البرق من انحاء ارضكم | شوقاً ولولاكمُ ما كان يصبيني
يا نازحاً والمنى تدنيه من خلدي | حتى لاحسبه قرباً يناجيني
اسلى هواك فؤادي عن سواك وما | سواك بحال عنك يسليني
ترى الليالي انستك اذكاري يا | من لم يكن ذكره الايام تنسيني

وشعره كثير إلا أنه ضاع هباً وغرقاً ولقد شاهدته غير مرة يأنف من انشاد شعره

---

(١) في التعريف ص ٨٠ — ٨٨ ابيات اخرى من هذه القصيدة

اذا استُنشِد فسألته عن ذلك فقال : لي بحمد الله معرفة بنقد الشعراء ولست ارضى شعري وما رأيته قط انشد له شعراً ولا تكثر به رحمه الله

تآليفه :

قال في الاحاطة : (شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحاً بديعاً دل على انفساح ذرعه ، وتفنن ادراكه وغزارة حفظه ولخص كثيراً من كتب ابن رشد وعلق للسلطان ايام نظره في العلوم العقلية تقييداً مفيداً في المنطق ولخص محصل الامام فخر الدين بن الخطيب وألف كتاباً في الحساب وشرع في شرح الرجز الصادر عني في اصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال)

قال كاتبه : والف كتاب الوصف البديع الصفة المسمى عنوان العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وهو لعمري نادرة عجيبة ودرة بديعة غريبة ، سيما مقدمته التي لم يعمل عليه مثالها ، وانه لعزيز ان ينال مجهد منالها إذ هي زبدة المعارف والعلوم،ونتيجة العقول السليمة والفهوم ، توقفك على كنه الاشياء وتعرفك حقيقة الحوادث والانباء كانما تعبر عن حال الوجود، وتنبيء عن اصل كل موجود ، بلفظ ابهى من الدر النظيم ، واعذب من الماء مر به النسيم

حدثنا شيخنا الاستاذ أبو زيد قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي الاشبيلي المالكي رحمه الله ، قال : حدثنا شيخ المغرب في المعقولات أبو عبد الله محمد الابلي قال حدثنا امام الوقت في علوم الاوائل أبو العباس ابن البناء أنّ بين دولة بني مرين القاعين بالمغرب ملوك فاس وبين ملوك ترك القاعين بديار مصر مناسبة ، لان الذي دل على ظهورهما واستيلائهما في القرآن دليل واحد قال واستغربنا ذلك فوجدناه كما قال فلايستبد السلطان بمصر إلا ويستبد السلطان من بني مرين ، ولا يتغلب عليه قائم إلا ويكون مثل ذلك بالمغرب ، حتى انه ليقع بدولة بني مرين عند قتل المتغلب على السلطان من الترك بمصر

مثل ذلك . وساق شيخنا أبو زيد ذلك بين الدولتين إلى أن قال حتى إنه لما اختلت مملكة الملك الظاهر برقوق وقبض عليه وسجن بالكرك في سنة احدى وتسعين وسبع مائة قبض على أحمد بن أبي سالم ملك فاس وكبل

حدثنا أبو زيد قال حدثنا الابلي انه جلس للاخذ عن ابن البنا بظاهر مراكش تحت شجرة ، فاذاهم خر طائر عندهم يقال له النُغَر ، فلما قلق الابلي من ذلك عمد ابن البنا إلى قطعة فخار ورسم عليها شيئاً ودفنها تحت تلك الشجرة ، فتطايرت الاطيار كلها عن الشجرة ولم تعد اليها بعد ذلك قال وحضرت اليه بمراكش وهو إلى جانب بركة ماء فكان يؤذينا نقيق الضفادع التي فيها ، فاخذ شيئاً من الارض وكتب عليه ما أراد ورمى به في البركة فلم نسمع بعد ذلك للضفادع نقيقاً البتة قال أبو زيد وجربت ان النار إذا وضعت بجانب بركة فان الضفادع تبطل نقيقها

حدثنا أبو زيد أن من المجرب أن من قتل قرابته ابتلى بالسهر وحرم لذيذ النوم حدثنا أبو زيد قال : حدثني السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر بن الاحمر الخزرجي الانصاري قال أخبرني الطاغية ملك قشتالة بطرُهْ بن المنشُهْ بن بِطرُهْ بن اذفونش ان في سنة ثمان وستين وسبع مائة من سني الهجرة تغلب عليه اخوه القمط واستولى وانتزع منه الملك ، فلحق بسلطان الفرنجة الاعظم في ناحية الشمال من وراء جزيرة الاندلس وهو صاحب جزيرة انكَلَطرَة واسمه بنس غالس، مستنصراً به على اخيه ، فامده بامم لا تحصى كثرة وجنود لا قبل لاحد بها ، فسار بهم حتى ملك قشتالة والفُرَنْتيرَة وهي تسيطة قرطبة واشبيلية وطليطلة وغيرها ، وفر منه القمط فاقامت معه جموع البنس ليالي قلائل ، واصبحوا كلهم وقد ضربهم الله سبحانه بحمى تعفن منها ثم انتظمت منه جميع ابدانهم ، فكان الرجل منهم يرى وقد تكلل بالقمل من مفرق رأسه الى اقدامه ، فمات من ذلك معظمهم في ثلاث ليال ، ففر ابن البنس بمن بقي معه إلى ابيه وعد المسلمين بالاندلس هذه الكائنة من

معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لو تمكن هؤلاء من العدوة ما تركوا فيها للاسلام اسماً ، وربك على كل شيء قدير وعند سار ابن البنس تحرك القمط على اخيه فلم يطق محاربته لعجزه عن مقاواته ، وارسله في الصلح فاجابه مخادعة وسار اليه الفنش ليعقد عقد الصلح ، فعندما تلاقيا ابتدأ القمط يسب الفنش واقتحم عليه فتعاركا ملياً حتى خر القمط وعلاه الفنش ولم يكن مع أحد منهما سلاح : فتقدم مولى من غلمان القمط اليه وناوله سكيناً بقر بها بطن الفنش ، فقام عنه وثار القمط فاجهز عليه وملك بعده ، وأمر بالغلام الذي اعطاه السكين فشنق ، لان العادة عندهم أن من قتل ملكا أو اعان على قتله يقتل ، ولولا انه دفع السكين لما امكن قتل الفنش [1]

اخبرنا أبو زيد أن العنوان المعتبر في صحة الانساب ان يجعل لكل مائة سنة ثلاثة اشخاص ، فان جهلت السنين فاجعل لكل ثلاثة اشخاص مائة سنة ، وان جهلت الاشخاص فاجعل لكل مائة سنة ثلاثة اشخاص

أخبرنا أبو زيد انه ما برح يستبعد ما نقل عن الأمين محمد بن هرون الرشيد أنه ضرب الأسد بمرفقه فقتله فان القوة الانسانية لا تبلغ هذا ، حتى قال له يعقوب بن علي أمير رياح وشيخها ببلاد المغرب ، ان الأسد له مقتلان مهما أصابهما مات منه لوقته ، وهما مكان بين عينيه لو رماه صبي بحصاة فيه لهلك للحين ، والآخر على رأس أضالعه فانه لو نخس هناك بمسال لهلك سريعاً قال وكان يعقوب هذا صاحب تجارب كثيرة ومعرفة تامة

حدثنا أبو زيد قال أخبرني الأمير جمال الدين محمود بن علي استادار الملك الظاهر برقوق، انه لما قبض عليه في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة عند ما زالت دولة الظاهر، حمل إلى الأمير

---

(١) على الكتاب حاشية هي — ولعل القمط المذكور ابتلي بالسهر وعدم النوم بعد قتل أخيه ليتم سياق الكلام فتأمل — وهي بخط آخر

يلبغا الناصري ، وإلى الأمير منطاش ، ستين قنطاراً من الذهب المختوم المصري ، منها في ليلة واحدة ثمانية عشر قنطاراً ، وكانت مدة اســـتيلاء هذين الأميرين على المملكة نحو خمسة أشهر

حدثنا أبو زيد ان في حدود سنة أربعين وسبع مائـة [1] ، دخل السلطان أبو الحسن المريني إلى سبته فاجتاز به قوم من الفرنج الجنوبة في غرابين بالبحر واخبروه أنهم خرجوا من جنوه ، وقد أعدوا زاد سنتين وساروا في البحر يريدون الاحاطة بمعرفة ما فيه ، ودور ما أحاط بالمعمور ، فمرّوا فيه بالجزائر الخالدات ، وإذا أهلها عراة لا يعرفون من الثياب ما يعرفه الناس ، وانما يوارون عورهم بشيء تافه ، وعند ما نزلوا الى هذه الجزيرة خرج أهلها اليهم ليدفعوهم عنها ، فلم يطيقوا السهام وفروا عنهم ، فملكوا الجزيرة واعتبروا مافيها من المال ، فلم يجدوا بها من الحيوان إلا المعز فقط ، وهم يحرثون الأرض بقرون المعز ، ويزرعون الشعير وليس لهم قوت غيره ، ولا يعرفون السلاح وانما يرمون بالحجر فيستدبر الرجل منهم خصمـــه ثم يحذفه بالحجر ، وإذا ظهرت الشمس من أفق المشرق خروا لها ساجدين ، وانهم لم يجدوا عندهم مالاً ولا ثياباً فاستقوا من مائهم ، واســـروا منهم ، وساروا عنهم ، فلم يزالوا في البحر حتى كاد ماؤهم ينفذ ، وفقـدوا مهلاً يردوه ، فخافوا الهلاك ، وعادوا الى أقرب ما خلفوه من المياه فاستقوا منه ورجعوا ، وانهم كانوا لا يفارقون البر إلا بمقدار ما يمكنهم العود اليه قال فسألهم السلطان أبو سالم عن ذلك بنفر ممن أسروه من الجزائر ، فقدموا اليه رجلين جعلهما مع خدامه حتى عرفا اللسان العربي ، وصارا يحدثان عن حالهم بأمور ، وذكرا (ان) أهل الجزائر لم يبلغهم قط خبر دعوة الاسلام ، ولا سمعوا له ذكراً

فلما مات أبو سالم وقام من بعده ابنه أبو عنان ، تاقت نفسه الى أخذ الجزائر الخالدات،

(١) تقابل سنة ١٣٣٩ م

فجهز قائد الاسطول بناحية ازَمّور في غراب مشحون بالازودة والرجال ، فغاب في البحر شهرين وعاد من غير أن يعرف لها خبراً قال أبو زيد ، فأخبر هذا القائد السلطان أبا عنان بحضوري انه سار في البحر حتى شاهد البخار وقد انعقد على الماء ، فصارت المركب كأنما تخرق في شجم ، فضاقت أنفاسهم لانعقاد البخار وكادوا يهلكون فلذلك رجعوا . واخبروا عن عجائب شاهدها في البحر ، وأقام مدة ، فاتفق أنه حكى للسلطان في بعض الأيام أخبار ما وقف عليه في مدة غيبته في البحر إلى أن قال : ومرّ بنا طائر أخضر ، فغضب السلطان وقال ويلك وهناك كانت الجزائر ، فان الطير لايكون إلا حيث الماء والمرعى وهما في الجزائر ، فتلكأ في الجواب ، فأمر به فجرّد من ثيابه وضرب زهاء خمسمائة سوط عقوبة له على تقصيره في الطلب

حدثنا أبو زيد قال: جزت ببلد المريه عام خمس وستين وسبعمائة فسمعت أهلها يذكرون ان عندهم وادياً فيه نوع من الطير فوق الجبل ، اذا وقف أحد تحته وقال كم أعيش من العمر ، صاح عدة أصوات بعدة سنين عمره ، وان ذلك لم يخط قط فمضى غلام كان معي إلى ذلك الوادي ، ثم جاء وذكر لي انه لما سأل كم يكون عمري ، صاح طائر تسعة وثلاثين صوتاً ثم سكت ، فسرنا عن المدينة وأقمنا ما شاء الله ، إلى (أن) كنا في بادية فاعترض بعض الأحياء قوم يريدون أخذهم ، فنفر اليهم طائفة من أصحابي وفيهم ذلك الغلام فدافعهم عن الحي ساعة وهم يقاتلونهم ، فأصاب الغلام مزراقٌ خرّ منه ميتاً ، فحسبت عمره فكان تسعاً وثلاثين سنة سواء

حدثنا أبو زيد ان بلداً بالمغرب يقال لها تَزيْغ ، إذا أرادوا أن يستنبطوا بها الماء ، حفروا جبّاً حتى يجدون الحجر ، فيعالجون قطعه حتى يشف الماء من تحته ، فيصعد الرجل إلى نحو نصف البئر ويلقي سكة حديد محكمة لها قوة بحيث انها اذا اسقطت على الحجر خرقته ، فعند ما يتخرق فار الماء وصار عيناً تجري وربما يبلغ الحفر إلى أن يوجد الحجر

مائة تامة ، وهكذا حالهم في جميع مأبهم

حدثنا أبو زيد ان عريف بن يحي شيخ زغبة من عرب هلال ببلاد المغرب ، كان له حدس عجيب لا يخطئ ، وتجارب كثيرة منها انه كان قائلاً في خباية ذات يوم وأهل الحي كلهم وادعون ، إذ خرج ثائراً يصيح فيهم الرحيل الرحيل ، فجاؤوه يهرعون من كل جهة ويسألونه عن الخبر ، فقال الساعة يسيل الوادي ، وكانوا من معرفته على يقين ، فتبادروا يرحلون إلى عدوة مرتفعة و(في) الحال نشأت سحابة طبقت الأفق ، وأرخت مثل عزالي القرب ، فسال الوادي حتى بلغ السيل الزبى ، فسألوه من اين قلت ما قلت ، فقال رأيت الجرذان وقد خرجت بأسرها من أنفاقها تحمل أولادها ، فعلمت ان السيل آتٍ وإنما تريد أن تتحيّز إلى مكان يعصمها من الماء قال أبو زيد وهذا أمر يعرفه أهل البادية ، فاذا رأوا الجرذان قد خرجت بأولادها ومرت ، أيقنوا بمجيء السيل فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

حدثنا أبو زيد قال كنت عند ابن الخطيب ، فنعي اليه شخص فأنشد في الحال ، مصيبة لا غفر الله لي ان أنا أجريت لها دمعة

حدثنا أبو زيد انه شاهد ببحر القلزم لما ركبه للحج عام تسعة وثمانين وسبعمائة، حجارة بنيت في الماء بنياناً ومنها ما بعضه نبات أخضر وبعضه قد أنعقد حجراً .

حدثنا أبو زيد ان السلطان أبا عنان استدعى أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن التمتام، عابر الرؤيا بفاس ، وكان في علم عبارة الرؤيا آية من آيات الله ، فقال له رأيت أني عممت بعض أهل دولتي بفوطة لونها رملي بحاشية نارنجي ، وليس ذلك لمن تليق به هذه العمامة فقال يا مولاي توليه عملاً لا يليق به ، قال فما ذلك العمل ، قال هو شيء يتولد من رمل ونار قال من اين هذا ؟ قال من لون الفوطة وحاشيها . قال فما اسمه ؟ قال من الاسماء المضافة يصلح أن يكون عبد ... فما تمّ قوله عبد حتى قال المؤذن للمغرب الله أكبر ، فقال عبد الله .

فاشتد تعجب السلطان منه ، وقال هذا الذي رأيته هو عبد الله الوربي قاضي الجماعة ، وكنت عزمت على ان اوليه النظر في معدن النحاس الذي ظهر بتلمسان . ثم استدعاه وولاه أمره ، وكان لايليق بمثله ولا به ذلك

قال وقص عليه ايضاً أبو عنان ، انه رأى كأنه يتوضأ من عين ماء ، ثم انه صلى فاستقبل في صلاته جهة المغرب ، فثارت من خلفه رياح فرقت السحب التي كانت في السماء . فقال يسافر السلطان إلى جهة المغرب بعد سبعين يوماً ، ويفسد عرب رياح في جيشه . قال من أين هذا ؟ قال الصلاة تدل على القصد والتوجه ، وقد توجهت في صلاتك إلى ناحيـــة المغرب فتسافر اليها . وعدد حرف العين بحساب الجمل سبعون ، وانت توضأت من عين فتسافر بعد سبعين يوماً ، والسحاب الجيوش ، والرياح عرب رياح ، وتفريقهـا إفسادها . قال فكان كذلك : سافر السلطان بعد سبعين يوماً من رؤياه إلى المغرب وعاثت عرب رياح في عساكره وأفسدت قال أبو زيد وعلامة الرؤيا الصـادقة ان يتنبه المرء حال رؤيتها وتثبت في نفسه فلا ينساها

حدثنا أبو زيد أنه خرج من تونس في سنة أربع وثمانين وسبعمائة وبها أمرأة مشهورة بالسحر ، يأتيهـا المسافرون في البحر ويبتاعون منها الهواء لمدة معينـة بمبلغ مال ، فتدفع اليهم إناءً مجوفاً مسدود الفم ، وتقول إذا توقف الريح فافتحوا هذا الاناء ، فيسيرون بمراكبهم إلى أن يقف الريح فيحلون الاناء فتخرج لهم ريح تسير مراكبهم مدة ماشارطتهم .

حدثنا أبو زيد انه أحضر إلى السلطان أبي سالم بأمرأتين من الخضراء ، ذكر أن لهما قدر أربعين سنة ما أكلا ولا شـربا شيئاً ، فأمر بهما أن يدخلا إلى مكان في داره ، ووكل بهما من يعرف خبرهما فمكثا شـــهرين لم يتناولا طعاماً ولا شراباً البتة ، وكانا مع ذلك يأتيهما المحيض

حدثنا أبو زيد أن وزما بن عريف شيخ زغبة حدثه عن نفسه انه نـكح ألف أمرأة وملك خمسين ألف ناقة حلابة .

انتهت ترجمة ابن خلدون كما جاءت في (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) للمقريزي ولا بد من الاشارة إلى مهرجان ابن خلدون الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٦٢ والكتاب الذي نشرت فيه اعمال المهرجان والكتاب الذي أعده عبد الرحمن بدوي عن مؤلفات ابن خلدون وما كتب عنه ، وكلها لم تشر إلى هذه الترجمة التي كتبها المقريزي .

تموز ١٩٦٥ الدكتور محمود الجليلي

المراجع :

ابن خلدون — التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً نشرها محمد بن تاويت الطنجي — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥١

اعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة في يناير ١٩٦٢ ـ لباحثين عديدين ـ منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة ١٩٦٢

ساطع الحصري ـ دراسات عن مقدمة ابن خلدون ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٦١م.

السخاوي ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ الجزء الرابع ـ طبعة القاهرة ١٣٥٤ هـ.

طه حسين — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية : تحليل ونقد ـ ترجمة محمد عبد الله عنان القاهرة ١٩٢٥ م

عبد الرحمن بدوي ـ مؤلفات ابن خلدون ـ منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة ١٩٦٢ م

فيشل ، و ج ـ لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ترجمة محمد توفيق ـ مؤسسة فرانكان ودار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٣ م W. j. Fischel - Ibn Khaldun and Tamerlane

محمد عبد الله عنان — ابن خلدون — حياته وتراثه الفكري — مطبعة دار الكتب المصرية — القاهرة ١٩٣٣ م

محمود الجليلي — درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة للمقريزي — مجلة المجمع العلمي العراقي — المجلد الثالث عشر صفحة ٢٠١ ، بغداد ١٩٦٥ م .

مرض ابن خلدون
وتأثيره على تآليفه

الدكتور محمود الجليلي

لصحة الناس تأثير كبير في حياتهم ، ويكون ذلك واضحاً فيمن لديهم امكانية تسجيل خواطرهم مثل الكتاب والشعراء ، خاصة إذا كان المرض من النوع الذي لا يبلّد الحواس ولا يقلل من قابلية التفكير والانتاج العقلي ، وإذا كان من النوع المؤلم والمزمن الذي يبقى سنوات عديدة

ولقد وجدنا في نسخة مخطوطة لدينا من كتاب المقريزي (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) والتي نشرنا وصفها وترجمة ابن خلدون منها في محل آخر من مجلة المجمع العلمي العراقي ، ذكراً لاصابة ابن خلدون بمرض يظهر أنه مرض في المفاصل ويرجح انه التهاب المفاصل شبه الرثوي Rheumatoid Arthritis

قال المقريزي : (وتردد أبو زيد في مفاوز العرب وحل بحللهم واختلط بجملتهم في باديهم متصرفاً أحياناً في مهمات السلطان وآونة في الاقامة مع أهله وولده إلى أول سنة أربع وسبعين (٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م) فاستدعاه السلطان عبدالعزيز صاحب المغرب من بَسْكرة إلى القدوم إلى حضرة ملكه بمدينة فاس ، فخرج من بسكرة يؤم دار الملك فاس فأصابته بطريقه شدّة أذهبت المال حتى بقي عارياً يومين في البرد . ومن حينئذٍ حدث له وجع في أعضائه ما برح يتألم منها حتى مات وكادت هذه الشدة تأتي على النفس لو لا لطف الله

وجميل صنعه . ومات السلطان عبد العزيز قبل قدومه عليه فدخل فاس في جمادي من سنة أربع وسبعين ...) .

ويقول المقريزي في محل آخر من الترجمة (ومات وهو قاض موتاً وحياً من غير تقدم مرض سوى أنه ثار به ما كان يعتريه من وجع الأعصاب في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثماني مائة (١٧/٣/١٤٠٥ م) أحوج ما كان إلى الموت ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر ، وله من العمر ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوماً رحمه الله)

ويظهر من هذا ان ابن خلدون أصيب بمرض المفاصل وعمره ٤٢ سنة وتوفي بعد ذلك بأربع وثلاثين سنة ، وان هذا المرض كان ينتابه طوال هذه المدة وانه توفي بعد أن ثار به المرض، ولا بد أن يكون رافقه عارض آخر كان السبب المباشر للوفاة ، إذ يروي السخاوي (ج ٤ ص ١٤٦) انه مات فجأة ، لأن مرض المفاصل هذا لايسبب الموت فجأة وان المرض المزمن جعل المقريزي يقول عن ابن خلدون انه مات أحوج ما كان إلى الموت والمعروف ان مرض المفاصل شبه الرثوي يبقى سنوات عديدة وان فيه نوبات تشتد فيها الآلام والذي يجعلنا نميل إلى هذا التشخيص ان طبيعة ابن خلدون كما ظهرت من ترجمته لنفسه ومما كتبه الآخرون عنه (السخاوي وابن حجر العسقلاني) من الطبائع التي لها استعداد لهذا النوع من المرض إذ أنه يصيب الناس القلقين وذوي المشاكل ، ويمكن ادخاله ضمن الأمراض الجسمية النفسية Psycho-somatic

ولنذكر ما كتبه ابن خلدون نفسه عن هذه الحادثة وان لم يشر إلى ما أصابه من مرض بعدها (التعريف بابن خلدون ص ٢١٦ و ٢١٨) :

(ولما كنت في الاعمال في مشايعة السلطان عبد العزيز ملك المغرب ... وأنا مقيم ببسكرة ... فاستدعاني وارتحلت من بسكرة بالأهل والولد في يوم المولد الكريم سنة

أربع وسبعين متوجهاً إلى السلطان ، وكان قد طرقه المرض ، فما هو الآن وصلت مليانة من أعمال المغرب الأوسط فلقيني هنالك خبر وفاته ... وارتحلنا جميعاً إلى المغرب عن طريق الصحراء وكان أبو حمو (أبو حمو صاحب تلمسان وكان بينه وبين السلطان عبد العزيز خصام) قد رجع بعد مهلك السلطان من مكان انتباذه في تيكورارين إلى تلمسان فاستولى عليها وعلى سائر أعماله ، فأوعز الى بني يَغمور من شيوخ عبيد الله من المعقل أن يعترضونا بحدود بلادهم من رأس العين مَخْرج وادي زا ، فاعترضونا هنالك ، فنجا من نجا منّا على خيولهم إلى جبل دبدو وانتهبوا جميع ما كان معنا ، وأرجلوا الكثير من الفرسان وكنت فيهم ، وبقيت يومين في قفره ضاحياً عارياً إلى أن خلصتُ الى العمران ولحقت بأصحابي بجبل دبدو ... ثم سرنا إلى فاس ووفدت على الوزير أبي بكر وابن عمه محمد ابن عثمان بفاس في جُمادى من السنة ...)

ولدى تحويل التاريخ الهجري القمري إلى الشمسي ظهر ان الحادثة وقعت بين منتصف ايلول ونهاية تشرين الأول ١٣٧٢ م ، وطبيعة البلاد آنذاك قاسية ، برد قارص في الليل . وقد بدأ المرض كما يروي المقريزي قبل أن يبدأ ابن خلدون بكتابة مقدمته ، التي كتبها عند انقطاعه في قلعة ابن سلامة لمدة أربعة أعوام من سنة ٧٧٦ هـ إلى سنة ٧٨٠ هـ (أنظر التعريف بابن خلدون ص ٢٢٦-٢٢٩) وقد كتب المقدمة في النصف الاول من سنة ٧٧٩ هـ . وان ما يهمنا في هذا المجال ان ابن خلدون بدأ بتأليف الكتاب والمقدمة بعد اصابته بمرض المفاصل سنة ٧٧٤ هـ كما يروي المقريزي ، كما انه نقّح المقدمة والكتاب وأضاف اليها بعد ذلك كما يتبين من النسخ المختلفة المتعاقبة ، ويظهر ذلك جلياً في المقارنات التي اجراها عبد الرحمن بدوي في كتاب مؤلفات ابن خلدون

ويظهر أنه عند ما كان يشتد الألم على ابن خلدون كان يقسو في عباراته وأحكامه على الذين كانوا سبباً مباشراً باصابته بهذا المرض - وكان الناس آنذاك يعطون أهمية كبيرة للعوامل

الخارجية في تسبيب الأمراض ‏ وربما نجد في مرض ابن خلدون تعليلاً لقسوته على (العرب) وهو يقصد بهم الأعراب ، وهم الذين هاجموه في الطريق و نهبوا ما معه فبقي يومين في القفر قبل أن يلحق بأصحابه

رحم الله ابن خلدون لقد كان من اعاظم المفكرين على مر العصور

تموز ١٩٦٥ ‏ الدكتور محمود الجليلي

المراجع :

١ — ابن حجر العسقلاني ـ رفع الاصر عن قضاة مصر ـ نشر ترجمة ابن خلدون منه عبد الرحمن بدوي في مؤلفات ابن خلدون

٢ — ابن خلدون ـ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ـ نشره محمد بن تاويت الطنجي ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥١ م

٣ — السخاوي ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ الجزء الرابع ص ١٤٦ ـ طبعة القاهرة ١٣٥٤ هـ

٤ — عبد الرحمن بدوي ـ مؤلفات ابن خلدون ـ منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة ١٩٦٢ م

٥ — المقريزي ـ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ـ الجزء الثاني ـ مخطوط ، نشرت ترجمة ابن خلدون منه في مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد الثالث عشر ، صفحة ٢١٥ ـ ٢٤٤ ـ بغداد ١٩٦٥ م

ارجوزة السيد خليل البصير

— ١ —

نزاع الصفويين والعثمانيين



كان الصفويون [١] والعثمانيون [٢] يتنازعون سلطة العراق منذ القرن العاشر للهجرة ، وقعت بينهما حروب كثيرة ، ومن أشدها هي التي قام بها نادر شاه سنة ١١٥٦ ، بعد ان استأثر بالملك

ونادر شاه هذا من رجال عصره في السياسة والحرب ، وتعبئة الجيوش ، وأحكام الخطط الحربية وأخضع أكثر البلاد المجاورة لايران

---

(١) الدولة الصفوية : أسسها اسماعيل الصفوي سنة ٩٠٧ ﻫ ، ثم قضى عليها نادر شاه سنة ١١٤٤ ﻫ بعد ان عزل طهماسب الثاني ، وولى الحكم بنفسه ، وانتقل الحكم الى الأسرة الافشارية

معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في الفتح الاسلامي ـ زامباور ـ مصر سنة ١٩٦١م (١ : ٣٨٨ـ٣٨٩).

(٢) الدولة العثمانية : نسبة الى عثمان الاول بن ساوجي بن ارطغرل). وهي من أعظم الدول الاسلامية التي قامت في القرون الوسطى (٦٩٩ـ١٣٣٨ ﻫ) فبعد ان استولت على الانظول، توسعت فتوحاتها في اكثر البلاد العربية ، وفي القسم الشرقي من اوربا وقضى عليها مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٣٣٨ ﻫ = ١٩٢٠م باعلان الجمهورية التركية

مختصر تاريخ الدول الاسلامية — عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٨ (٢ : ٢٠٧ ـ ٢٤٥)

وفي سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) توجه الى العراق ، ودانت له أكثر البلاد ، رهبة من جيوشه الجرارة ، الكثيرة العدد والعُدد .

وبعد ان أخضع كركوك وأربل ، استمر بزحفه الى الموصل ، وفتك بالقرى التي مر بها في طريقه ، كما أرسل سراياه الى بعض أقضية الموصل ، فقتل الرجال وأسر النساء والأطفال ، وأحرق الزروع ، ونهب كل ما يستفاد منه

أرسل رسلاً الى الموصل [1] ومعهم كتاب [2] ، يتوعد به أهل البلد بالقتل والتدمير ، ويضرب لهم الأمثال بما فعله بالبلاد التي وقفت بوجهه ، وينصحهم أن يفتحوا له أبواب البلد ، ويخرجوا إليه طائعين

جمع والي الموصل « الحاج حسين باشا الجليلي [3] » أهل المدينة ظاهر البلد ، قرب الجامع الأحمر [4] — الجامع المجاهدي — وقرأ عليهم الكتاب ، وطلب اليهم أن يشيروا بما يرونه من الأمر

وأهل الموصل ، أصحاب أنفة عربية ، معروفون بتكاتفهم في الدفاع عن كرامة بلدهم

---

(١) كان الوفد من قاضي كركوك حسن افندي الكركوكلي، وهو الذي سلم كركوك لنادرشاه مع ابن بداغ ، وكان معه من أعيان كركوك محمد افندي ومصطفى اغا (ملحمة الموصل : ٢٨ ، منية الأدباء : ١٨٠).

(٢) كان الكتاب من رئيس علماء ايران ملا باشي علي اكبر ، الى السيد يحي افندي الفخري مفتي الموصل ، وكتب جوابه السيد يحي افندي على لسان أهل البلد ، والكتابان منشوران في تاريخ الموصل للصائغ : ١ : ٢٨٠ ـ ٢٨٢) نقلا عن منهل الاولياء

(٣) أشهر الولاة الذين تولوا الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة تولاها سنة ١١٤٣ هـ ثم تنقل في الولايات وأعيد اليها ثماني مرات وتوفى سنة ١١٧٤ هـ — وله مواقف جليلة خاصة في ثباته أمام غزو نادر شاه (منية الادباء : ٨٣ ، ٨٤ ، ٢٧٠ — ٢٠٩)

(٤) بناه مجاهد الدين قيماز الرومي ، باشر بعمارته سنة ٥٧٢ هـ وانتهى منه سنة ٥٧٥ هـ ، وسمي في السنوات المتأخرة بالجامع الاحمر . كما يسمى بجامع الخضر ، لاعتقاد العامة أن فيه مقاماً للخضر

(جوامع الموصل في مختلف العصور ، سعيد الديوهجي — بغداد ١٩٦٣ (ص : ٥٥ — ٧٢)

وعروبتهم — ولذا فانهم أصروا على الدفاع عن بلدهم ، ولو أدى هذا الى الموت ، وصاحوا صيحة رجل واحد : الحرب .. الحرب ..

سمع الرسل ما قاله أهل البلد ، كما ان الحاج حسين باشا الجليلي كتب جواباً لنادر شاه ، تحذره وينصحه من ان يتورط في التقدم الى أم الربيعين ، ويعلمه ان عَدَدَ وعُدَدَه لا تقوى أمام شجاعة أهلها ، وانهم قد عاهدوا الله على أن يموتوا في الدفاع عن بلدهم وعروبتهم

غضب نادر شاه واستمر بزحفه على البلد ، ونزل قرب قرية يارمجة [1] في ٢١/ رجب / ١١٥٦ هـ = ١١/ايلول/١٧٤٣ وآمر بنصب جسر على دجلة ، وتم نصبه بعد خمسة أيام .

وفي غرة شعبان عبرت جيوشه على الجسر، وأحاطت بالبلد ، وأخذ ينظم خطة الهجوم، فنصب مدافعه على تلال أقاموها مقابل أبراج سور المدينة

أما أهل البلد فانهم هبوا الى تعمير ما انهدم من السور [2] ، وحفروا الخندق ، واشتغل كل القادرين على العمل في هيئة وسائل الدفاع ، من مدافع وبنادق وبارود وخناجر وسيوف ، ولوازم البناء والحفر ، وتموين المحاربين ، ونقلوا من القرى ما استطاعوا من الغلال ، وما تحتاجه الخيول من العلف ، وأحرقوا ما لم يتيسر لهم نقله .

واتخذ الحاج حسين باشا الجليلي قلعة باش طابية[3] مقراً لأعماله ، يشرف منها على خطة الدفاع ، ويتولى مع أقاربه حراسة ما ينثلم من السور ، الى أن يتم بناءه ثانية

وخفت مدينة حلب لنصرة الموصل ، فجاء واليها حسين باشا القازوقجي [4] مع جيش

---

(١) تقع في الجانب الشرقي من الموصل ، تبعد عنها جنوباً قرابة عشر كيلو مترات

(٢) أنظر عن سور الموصل (سوم : ٣ : ١١٧ — ١٢٨)

(٣) قلعة باش طابية ، تقع شمال المدينة ، تشرف على دجلة ، والمنابع الكبريتية عين كبريت ، كما تطل على السهل الشمالي الذي يغادر الموصل ، وهي بقايا القلعة الاتابكية ، وفيها اكبر برج كان في سور الموصل أنظر (سوم : ١ : ١ — ٥ ١) فيها بحث عن قلعة الموصل في مختلف العصور

(٤) منية الادباء ص : ٢٤٩)

من أبناء الشهباء ، ودخلوا المدينه قبل أن يشتد الحصار .

وفي ٦ / شعبان كان أهل المدينة قد ملؤوا السور بالرجال والمدافع والعتاد . وفي صباح هذا اليوم أخذ نادر شاه يمطر المدينة بوابل من القنابل ، ويقدر المؤرخون الذين شهدوا الواقعة أن عدد القنابل التي القيت على المدينة ، تزيد على خمسين الف [1] . وكانت تزيد من حماس أهل البلد ، فصاروا يقدمون على الموت ، ويهجمون على كل من يتقدم الى السور .

استمر نادر شاه في ضرب المدينة الى منتصف شعبان ، والموصل صامدة أمام جيشه ، غير مبالية بما احدثته القنابل من التخريب والتدمير

عبر نادر شاه الى جهة الموصل ، وطاف حول البلد ، وتفقد المعركة بنفسه ، فهاله ما وجده من بسالة أهل الموصل وبطولتهم في الدفاع عن بلدهم العربي الأبي

عزم نادر شاه على مهاجمة البلد من امنع مواقعها ، فاختار خمسة آلاف مقاتل من جيشه ، وأعد الف سلم ، وحفر ثلاثة الغام في سور المدينة : أحدها شمال المدينة ، واثنان مقابل مسجد الشيخ قضيب البان الموصلي [2]. وملأ الألغام بالبارود لكي ينسف السور، ووضع قرب الألغام تبناً كثيراً — وهكذا تم له تدبير خطته

وفي صباح يوم ١٥ / شعبان = ٥ / تشرين الأول كانت أقوى معركة بين جيشه وأهل

---

(١١) لم تزل بقاياها كثيرة في الموصل ونجدها في اكثر دور المدينة ، يتخذونها سنداً للباب اذا ما فتح ولعل المواصلة احتفظوا بها في دورهم ، لتذكرهم بثباتهم وبسالتهم امام القنابل ، وصمودهم امام العدو ، حتى انقذوا بلدهم ودحروا عدوهم

(١٢) أبو عبد الله الحسين بن عيسى الموصلي (٤٧١ — ٥٧٣ هـ) مرقده ظاهر المدينة في الجهة الغربية منها وفي سنة ١٣٧٧ هـ هدمته مديرية الاوقاف العامة ، ووسعته وبنته جامعاً يجمع به ، عرف بجامع قضيب البان

(سومر : ٨ : ٩٩ — ١٠٦) (جوامع الموصل في مختلف العصور سعيد الديوهجي ، بغداد سنة ١٩٦٣ (ص : ٢٦٠ — ٢٦٩)

الموصل . فانه أمر باشعال النار في الألغام وأحرق التبن ، وتقدم خمسة آلاف من جيشه مع السلالم ليرتقوا الى السور ، وسط دخان التبن ، ويفتكوا بالجيش المدافع

فاحترق أحد الألغام وعاد شره على جيشه ، ولم يحترق اللغمان الآخران . ولما وصل جيشه السور ، وجدوا أهل البلد لهم بالمرصاد ، فهجموا عليهم يقطعون رؤوسهم ويرمونها عليهم ، وبعد أن فتكوا بأصحاب السلالم نزلوا من السور ، وطاردوا من سلم منهم ، ووصلوا في هجومهم إلى جيش نادرشاه ، والقوا الرعب والفزع في قلوبهم وغنموا أشياء كثيرة ، وعادوا الى محلاتهم يجرون أذيال العزة والانتصار

يئس نادرشاه من الموصل ، وصار يفكر في خطة التراجع عنها ، وأخذ يفاوض أهل الموصل بالصلح فأرسل وفداً إلى الحاج حسين باشا [1] يعرض عليه الصلح ، ويشيد بموقف أهل البلد المشرف في الدفاع عن بلدهم العزيز ، فعرض الوالي هذا على أهل البلد ، فوافقوا بعد امتناع

وفي / ٤ / رمضان / أخذ نادرشاه يقوض خيامه ، ويلم ما سلم من عتاده ، وعاد من حيث أتى ، تاركاً آلاف القتلى والجرحى من جيشه ، وبقيت عظامهم اكثر من سنة

كان هذا الحادث من العوامل الكبيرة في تيقظ العرب ، وجعلهم يشعرون بقوتهم اذا ما تكاتفوا ، وايمانهم الصادق بعروبتهم التي يدافعون عنها . وترددت اصداؤه في البلاد العربية ، فنظم الشعراء القصائد والارجوزات منوهة ببطولة ام الربيعين ، وترنم المغنون بالأناشيد والأغاني الحماسية ، وكتب المؤرخون فصولاً طوالاً — لو جمع هذا كله لكان صفحة رائعة من صفحات الوعي القومي التي يفخر بها أبناء العروبة [2] ، ويحق لهم أن

---

(١) ملحمة الموصل (ص : ٢٤)

(٢) جمعنا في كتاب منية الادباء ما عثرنا عليه من أخبار المعركة ، ونشرنا : ملحق رقم (١٢) ويقع من (ص : ٢٢٣ — ٢٢٩) من الكتاب المذكور واعدنا طبع ارجوزة السيد فتح الله القادري ، بعد ان عثرنا على عدة نسخ منها ونشرناها باسم (ملحمة الموصل) طبعت ببغداد سنة ١٩٦٥ م

يتخذوا يوم / ٤ / رمضان من كل سنة عيداً قومياً يذكرهم ببطولتهم وصمودهم أمام العدو.
ومن أجمل ما قيل في وصف ثبات أهل الموصل وبطولتهم [١] :

ويوم لها الحدباء شاب وليدها — فتلقى بها الحبلى الجنين وتندب
تنادي حسيناً والفوارس أسطر — وبالسور أقلام المدافع تكتب

— ٢ —

أما الارجوزات والقصائد التي قيلت في هذا الحادث — فقد وقفنا منها على :

١ — السيد خليل البصير بن السيد علي له ثلاث أرجوزات — سيأتي الكلام عنها :

٢ — ارجوزة السيد عبد الله بن فخر الدين [٢] — كاتب ديوان الانشاء في بغداد أرسلها من بغداد الى السيد خليل البصير ، جواباً على ارجوزته التي سننشرها

٣ — ارجوزة السيد عبد الله السويدي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ [٣] ، عارض بها أرجوزة السيد خليل البصير ، وعدد أبياتها ١٦٨ بيتاً

---

(١) للشيخ محمد بن مصطفى الغلامي المتوفى سنة ١١٦٨ هـ وهو من شعراء عصره ، وصاحب (شمامة العنبر)

وفي كتاب « العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي — للاستاذ محمد رؤوف الغلامي ، بحث واسع عنه ، وترجم له كثيرون منهم صاحب منهل الاولياء ، وتاريخ الموصل (٢ : ١٧٦ — ١٧٨)

(٢) من علماء الموصل العاملين ، اشتهر بالكتابة والشعر ، وله آثار جليلة تدل على علمه وفضله توفي سنة ١١٨٨ هـ

(منهل الاولياء ، منهج الثقاة في تاريخ القضاة — ياسين بن خير الله الخطيب العمري ، تاريخ الموصل : ٢ : ١٧٦ — ١٧٨)

(٣) عبد الله بن حسين بن مرعي العباسي السويدي ، أخذ عن علماء الموصل وبغداد ، وتفوق في الفقه والجدل ، وأخذ عنه عدة علماء من الموصل وبغداد ، وله مؤلفات ومناظرات ولد سنة ١١٠٤ هـ

المسك الاذفر في تراجم علماء بغداد في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، السيد محمود شكري الالوسي — بغداد ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م (ص : ٥٩ — ٦٤)

٤ — قصيدة خليل خدادة المتوفي سنة ١١٦٣ هـ [١] وصف بها دفاع اهل الموصل عن مدينتهم ، وينوه بموقف الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل لم نقف على القصيدة ، وانما ذكر المرادي منها الأبيات التالية :

وذاك من يمن الوزير الذي	خصصه الله بلطف أعم
قام لنا في حسن تدبيره	وأرهب الخصم بأعلى الهمم
وجال في عسكره جولة	فيل الركن له والهدم
ورام منه الصلح عن أنفه	رغماً ، ولم يدر الصواب الأتم
فقام عنا ـ وهو في غيظه ـ	يعض حرصاً لكفوف الندم
أبو مراد لم يزل واقفاً	عنا ، إذا الخطب علينا هجم
فياله من أسد قد حمى	غابته ، من كل خصم صدم

٥ — ارجوزة باللغة التركية لشاعر اسمه يونس عدد أبياتها ٢٩٩ بيتاً ولم نقف على ذكر لهذا الشاعر

٦ — ارجوزة السيد فتح الله القادري المتوفى سنة ١٢٠٤ وهي أطول الارجوزات التي وقفنا عليها ، كما نجد فيها وصفاً دقيقاً للحادث ، وكنا قد نشرناها في كتاب منية الأدباء ، ثم عثرنا على نسخ خطية اخرى، فصححناها ، واعدنا نشرها باسم ملحمة الموصل ، وطبعناها في بغداد سنة ١٩٦٥ .

---

(١) كان شاعراً رقيق الشعر واشتهر بحسن الخط وجودة الكتابة ، وصار يضرب المثل بجودة خطه ، وله حواش ، سافر الى الهند وتوفي بها ، وله شعر ونثر ، ومن أصدقاء السيد خليل البصير —
(منهل الاولياء ، سلك الدرر — المرادي : ٢ : ١٠٥ — ١٠٦)

السيد خليل البصير

السيد خليل البصير(*) بن السيد علي بن السيد اسماعيل بن السيد ابراهيم بن السيد داود بن السيد محمد الباهر شمس الدين ـ ومحمد الباهر هو أيضاً والد السيد فخر الدين جد اسرة آل الفخري ويتصل معهم السيد خليل البصير في الجد الخامس :

وآل الفخري من الأسر العريقة في العلم والأدب ، ولهم منزلة رفيعة عند أهل الموصل قام مهم عدة فقهاء وعلماء وادباء ، خدموا الموصل أجلّ خدمة ، وتركوا آثاراً نفيسة تدل على علمهم وفضلهم

وخليل البصير ، فقد بصره منذ صغره ، ولكنه كان ذا بصيرة وقادة فبعد أن حفظ

(*) ام المصادر التي عولنا عليها في ترجمته :

١ — منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء محمد امين بن خير الله العمري المتوفى سنة ١٢٠٣ هـ نسخة منقولة بالفوسفات عن نسخة المؤلف ، وهي في دار الكتب المصرية

٢ — الروض النضر في تراجم ادباء العصر : عثمان الدفتري بن علي بن مراد العمري المتوفى سنة ١١٨٤ نسخة منقولة بالفوسفات عن نسخة المجمع العلمي العراقي

٣ — مجموعة سعد الله باشا الجليلي (١٢٢٥ — ١٢٧٢ هـ) نسخة منها في خزانة الحاج امين بك الجليلي

٤ — منهج الثقاة في تاريخ القضاة ـ لياسين بن خير الله الخطيب العمري (١١٥٧ ـ ١٢٣٢ هـ) انتهى منه يوم الجمعة ٢٥/ جادى الآخرة ١٢١١ هـ نسخة منه في خزانة الحاج امين بك الجليلي

٥ — مجموعة السيد محمد طاهر كتبها سنة ١٢٢٣ هـ وفيها قصائد وكتب مختلفة لشعراء وكتاب من آل الفخري ، وفيها الارجوزة التي سننشرها مع بعض الابيات والقصائد للسيد خليل البصير وهي محفوظة في خزانتنا

٦ — منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء — لياسين بن خير الله الخطيب العمري حققه ونشره كاتب المقال « سعيد الديوهجي » طبع في الموصل سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

٧ — سلك الدور في اعيان القرن الثاني عشر ابو الفضل محمد بن خليل المرادي

٨ — شعراء بغداد وكتابها في ايام وزارة المرحوم داود باشا والي بغداد في حدود سنة ١٢٠٠ — ١٢٤٦هـ ، عبدالقادر افندي الخطيبي الشهرابانى ، نشرة الاب انستاس ماري الكرملي ببغداد سنة ١٩٣٦.

القرآن الكريم ، اخذ يتردد الى علماء الموصل ، فيأخذ عنهم ، والموصل - اذ ذاك - من المدن التي تُشدّ الرحال الى مدارسها ومعاهدها المختلفة كما كان يقصد مجالس الشعراء والأدباء ، ويستمع الى ما ينشد فيها من أشعار ، وما يدور فيها من مناظرات ومساجلات أدبية لحفظ الشيء الكثير منها

وكانت دارهم مجمع أهل الفضل والأدب ، وأهلها أقطاب هـــذه الندوات ، يقصدهم الناس للأخذ عنهم والاستفادة منهم

والسيد خليل سريع الحفظ ، مرهف الحس ، فكان يحفظ الصحيفة الواحدة اذا سمعها مرة أو مرتين ، لحفظ كثيراً من الأشعار والقصائد ، ويذكر عنه المرادي أنه كان في الحفظ آية باهرة ، وكان يحفظ من الشعر ما لو كتب لكان أسفاراً

وبرع في النحو والصرف والعلوم العقلية ، وقصده الطلاب للأخذ عنه ، والاستفادة من علمه

وصار ينظم الشعر في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية ، واجمع الذين ترجموا له : أنه بديع صوغ النثر والنظم ، رائق القريض ، وله قصائد كثيرة

يمتاز شعره أنه : سلس الألفاظ ، واضح المعاني ، بسيط الاسلوب ، خالٍ من التكلف البغيض ، جميل القافية ، لا نجد فيه الألفاظ الوحشية التي كان يتمشدق بها اكثر شعراء عصره ، ولا المحسنات البديعية التي كان يتكلف لها شعراء ذلك العهد - ولو أدّى بهم الى ضياع المعنى

وشعره يتدفق من نفس صافية ، فيّاضة بالفضائل والمكارم ، لم تشغلها الدنيا الفانية فترفعت عن المدح والثناء المتكلف ، وانما كان يقول الشعر لنفسه يعبر عمـا تكنه من فضائل ، وما في قلبه لأصـدقائه واوفيائه من حب واخلاص ، فهو مرآة لنفسه الطاهرة المؤمنة كثير الاقتباس من القرآن الكريم ، الذي حفظه ووعاه ورتله أجمل ترتيل

ولشعره موسيقى ووقع في النفس ، لأنه صادر عن روح جيّاشة ، يهزها البيت الرائع ويحركها النغم الشجي ، وهو أحد قرّاء زمانه

وقد وقفنا على قصائد ومقاطيع له ، اكثرها في المراسلات مع أهله واصدقائه ، وفي شكوى الزمان ، ومداعبات الخلان ، ونجد فيها الأمثال والحكم ، وكثرة الاقتباس من كتاب الله عز وجل

ومن جميل قوله معاتباً أصدقاءه ، ومضمناً قوله تعالى « لا يكادون يفقهون حديثاً »

لست أهوى سواكم اليوم حتى أطلب الموت في هواكم حثيثا

يا لقومي من معشر عنفوني « لا يكادون يفقهون حديثا »

وقوله مضمناً قوله تعالى « فذلكنّ الذي لمتنّنني فيه » :

ونسوة لمنني في حب ذي كحل رشا يفوح شميم المسك من فيه

فقلت مهن للائي فتن به : « فذلكن الذي لمتنني فيه »

وقوله محذراً من الفتنة ، معتمداً على الله الكريم الذي يرى كل شيء ، ومضمنا قوله تعالى « وكفى بربك هادياً ونصيرا » :

يا مبتلى بذوى المظالم لا تهن واصبر فان الله كان بصيرا

واستغفرن الله يهدك عاجلاً « وكفى بربك هادياً ونصيراً »

وقوله مضمنا قوله تعالى « إن كيد الشيطان كان ضعيفا » :

قال لي أحذر رقيبنا فقصارى سؤله ان يكيدنا ويحيفا

قلت دعني فلست منه أبالي « إن كيد الشيطان كان ضعيفا »

وكانت بينه وبين صديقه خليل خُدادَه مراسلات ومداعبات ، فبلغ خليل خُداده ان صديقه خليل البصير عتب عليه لتأخر أخباره ، فكتب اليه خليل خداده :

لا تحسبوا ان البعاد مكدّر صفو الخليل عن الخليل وانسه

لكن حوادث في الزمان تراكمت   فالمرء فيها قد سَهَا عن نفسه

فاجابه خليل البصير بقوله :

إنا نسلم أنه يسهو الفتى   في حادثات زماننا عن نفسه
لكن نقول بدفع شر عدونا   ذا اليوم خير عندنا من أمسه

وكتب اليه خليل خداده يداعبه ويعاتبه :

يا حافظاً دفع الظنون وناصباً   علم اليقين ، ومن يكون مشككا
من بعد ما قنط الورى من رحمته   انظر الى آثار رحمة ربّكا

فاجابه البصير بقوله :

يا من يذكر خله   كرم الكريم ونعمته
هـذا قديماً دأبه   يعفو وينشر رحمته

وشعره لا يخلو من تشطير وتخميس ـ ومن ذلك قوله مشطراً بيتي ابن نباتة :

«يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجاً»   ممّن يفرج كربات المساكين
وأصبر على محن الايام ذا جلدٍ   « ودار وقتك من حين الى حين »
«ولا تعاند اذا اصبحت في كدر »   عن النوائب واستقبله باللين
هيهات هيهات أن تصفو بلا كدرٍ   « فانما أنت من ماءٍ ومن طين »

وله مخمساً بيتي ابن الفارض :

نأي الغزال الذي في القلب موضعه   يا ليت شعري أي الأرض مرتعه
ناديته بانكساري إذ أودعه   « يا راحلا وجميل الصبر يتبعه »

هل من سبيل الى لقياك يتفق

نار المحبة في الأحشاء حامية   والعين كالنهر طول الدهر هامية
يا من به رتبتي في العشق سامية   « ما انصفتك جفوني وهي دامية »

« ولا وفى لك قلبي وهو يحترق »

كان حسن التلاوة ، سليم الخيال ، أجيز في القراءات السبعة ، وتفوق بها حتى لقبه محمد امين العمري بانه شاطبي زمانه .

وله اطلاع حسن في الموسيقى ، واذن مرهفة في سماع الاصوات الجميلة ، والانغام الشجية ، فكان يحضر حلقات الذكر ، ومجالس الطرب ويشارك فيها ، وله مدائح نبوية ، سلسة النظم ، جميلة الألفاظ ، لم يزل بعضها يتلى في حفلات الموالد ، وحلقات الذكر ، منها قوله :

يا قرة العيون ارحم محبي
من ثغرك المصون أطفي لهيبي
قلبي متى يكون وصالك نصيبي
لعلي باللقا ابري سقامي
الحب قد ونا والشوق داني
والطرف قد حوى زين المعاني
بالمصطفى البشير اختم نظامي
من شرف البقيع خير الانام
وصحبه والآل ذوي الاختام
يرجو سيد خليل حسن الختام

كان حاضر البديهية ، سريع الجواب ، ناقداً بصيراً بما يتلى أمامه « مهذب الاخلاق ، ميمون الطلعة ، مأمون العشرة » مترفعاً في اقواله وافعاله ، فخوراً بأهله ونفسه

ومن لطائفه : انه كان حاضراً في مجلس بعض الوزراء ، فأخبره بعض الحاضرين : ان القاضي فلان ممتحن بزوجته ، وبالأمس اقتتلا فآذته فقال البصير على الفور « ياليتها كانت القاضية »

وذكروا عنه أنه كان يفرق الدراهم المزيفة عن غيرها بمجرد لمسها ، وانه كان مولعاً بتطيير الحمام ، وكان يصطاد الحمام الغريب الذي يدخل بين حمامه ، فسألوه من أين تعرف الحمامة الغريبة من بين الحمام ؟ قال : أعرفها من خفقان اجنحتها كما أني اذا رميت الحبّ للحمام ، فان الحمام الغريب يتقدم اليه بتخوّف وحــذر ، فأصغي اليه وبعد أن أتأكد موضعه ، أرمي اليه شبكة واصطاده بها

وله ثلاث ارجوزات ، يصف بها حصار نادر شاه لمدينة الموصل وارتـداده عنها يجر اذيال الفشل .

١ — أما أحـــداها : فقد ذكر المحبي ثمانية أبيات منها ، ولم نعثر على الأرجوزة كلها . وما ذكره المحبي هو :

كفى الله أهل الموصل الشر اذ أتى	عدوٌ لهم من جانب الشرق ناهض
أجل ملوك العجم نادر اسمه	ظلوم غشوم للمواثيق ناقض
سبى نسوةالسكان في البيدوالقرى	بظلم ، وكل في المهالك خائض
وساق أناعيم الرساتيق كلها	فما في الصباح اليوم بكر وفارض
فحاصرنا ستين يوماً مهيجاً	حروباً ، وفي الجمعات ماتت فرائض
فحاربه الدستور والي ديارنا	حسين بعون الله ، وهو يناهض
فألقيَ رعبٌ في قلوب جنوده	فباتوا وكل نحو مثواه راكض
فلما ازال الله عنا شعوبهم	بتوفيقه أرّخت : زال الروافض

٢ — الارجوزة الثانية نظمها باللغة التركية ، ورفعها الى الحاج حســين باشا الجليلي ـ والي الموصل ـ ولم نقف على ذكر لها

٣ — والارجوزة الثالثة : وهي تتألف من ٦٩ بيتاً أرسلها من الموصل الى السيد عبد الله الفخري في بغداد ـ يصف بها هذا الحادث ، وهي التي سننشرها .

ارجوزة السيد خليل البصير

الحمد لله السلام المؤمن ... الملك المقدّر المهيمن
وهو الذي ايـدنا بنصره ... على العدو ، منقذاً من حصره
ثم الصلاة والسلام الدائم ... على الذي حلّت له الغنائم
مؤيـد الحقّ نبي الملحمة ... محمد ماحي ظلام المظلمة
وهو الذي أباد جيش الكفر ... قلده المولى بسيف ألنصر
والآل والصحب الذين جاهدوا ... في الله ، والجمال منه شاهـدوا
ما اسرج الدهم وجال الغر ... وجرد البيض ومال السمر

وبعـد فالانمى من السلام ... يهدى الى ابن سيد الانام
الفاضل المحقق العلامـة ... والكامل المدقق الفهّامة
اخي ومؤنسي بلا اشتباه ... السيد النحرير عبد الله [1]
لا زال خافضاً أولى الضلال ... بنصبه الويـة الكمال
يا من هداه الله للفواضل ... وخصّه بالعلم والفضائل
وحفّه بالرشد والكياسة ... والفهم والفطنة والفراسة
كيف طباعكم ؟ وما حالاتكم ؟ ... باي شيء ينقضي اوقاتكم ؟
اني الى وصالكم مشتاق ... انحلني الفراق والاشواق
بحيث لو قسّم عرض الشعرة ... عشرة اقسام حكته دقّتي
والله اسأل الملاقاة التي ... يشفي من الغرام كل علتي

---

(١) تقدم الكلام عنه في الحاشية رقم (١٦)

فان تجيزوا الفحص عن حال البلد … وما من الشدة والضيق وجد
فالحمـــد لله معين الضعفا … مفرج الكرب ، معجل الشفا
على انكشاف الضر والآلام … وصون عرضنا من الاعجام
اذ دخلوا القرى وافسدوها … آذوا ، ومزقوا ، وشردوها
وانتهكوا الشبان والفتيانا … واستأسروا النسوان والصبيانا
وغادروا الشيوخ والاطفالا … وحمّلوا الاحمال والاثقالا

ثم توجهوا ليحصرونا … ويستفزونا ويكسرونا
جاؤا « كأنهم جراد منتشر » [1] … فحاصروا « في يوم نحس مستمر » [2]
أخبرنا مفتيهم [3] ان الفئه … خمس وسبعون تليها مئه
وإنما عميز ذي الأعداد … الف بلا نقص ولا ازدياد
دنوا فامطروا علينا ناراً … لم يهجعوا ليلاً ولا نهاراً
واصبعا كل من الخلائق … في أذنيه ، حذر الصواعق
فبان بيننا سماة القحط … حتى حرِمْنا شرب ماء الشط
وكلنا يرتقب القتا لا … ممتثلاً بقوله تعالى
« يا أيها الذين آمنوا اصبروا … وصابروا ورابطوا [4] » لتنصروا

سطى خميسهم علينا الجمعه … في نصف شعبان بفرط المنعه

---

(١) سورة القمر : آية : ٧

(٢) سورة القمر : آية : ١٩

(٣) ملا باشي علي أكبر : تقدم الكلام عنه في الحاشية رقم (٤)

(٤) سورة آل عمران : آية : ٢٠٠ .

يخادعونا خدعاً لم تكم ... كجفر الغام ، ونصب السُلَّم
فضرهم ما صنعوا من القسم ... إذ رده الله عليهم فقصم
وكل سُلَّم رفيع نصبا ... جُرَّ الى السور ومنهم سُلِبا
خفنا احتيالهم وسوء مكرهم ... فلم يحق مكرُهُم إلا بهم
فقارب السور المبارزونا ... وانهم لنا لغائظون
لما رأونا حافظين السورا ... « ولّوا على أدبارهم نفورا »[1]
والجهد في كفاحهم بذلنا ... ما قتلوا معشار ما قتلنا
فأصبحوا في ذلك اليوم العسر ... «كأنهم اعجاز نخل مُنْقَعِر »[2]

لما أريقت منهُمُ حمر الدما ... ببيضنا القوا الينا السَلَما
فأرسل الغادر سلطان العجم ... يحاول الصلح ويبتغي السَلَم
وكلما أوقدوا نار الحرب ... أطفأها الله بغيث الغيب
فصالح المولى أمير الموصل ... أعني حسيناً صاحب القدر العليّ
بالسن الرسل على أن يرسلا ... من خيله اليه عشراً كُمّلا[3]

---

(١) سورة الاسراء : آية : ٤٥ (٢) سورة القمر : آية ٢٠

(٣) كان الوفد الذي خرج الى نادرشاه لمفاوضته مؤلفاً من قره مصطفى بك — محافظ الموصل — وعلي الغلامي مفتي الشافعية في الموصل ، وقاضي الموصل فأكرمهم نادرشاه وأثنى على شجاعة أهل البلد ، ثم زاروا ملا باشي في خيمته ، فخرج لاستقبالهم ، ورحب بهم ، واثنى أيضاً على بسالة المواصلة وذكر صاحب منهل الأولياء عن سبب تقديم الخيل الى نادرشاه ما يأتي : ان ملا باشي قال للوفد « قد فهم سلطاننا بان عند الوزيرين المشار اليهما يوجد خيل ممدوحة ، وكثير يؤمل ارسال كم حصان من حضراتهما الى حضرة الشاه بطريق الهدية اما السفراء المرقومين فهموا من كلامه ان مراده من طلب الخيل ، ان يفتخر على عساكره ، وان لا يصير له خجل بطلب المصالحة ، وثاني يوم رجع السفراء الى البلد ، وقدموا السلام بين يدي الوزيرين وأرسل كل واحد منهما ثمانية من الخيل الممتازة » وأرسلت الخيل مع الحاج قاسم أغا الجليلي ابن عم الحاج حسين باشا الجليلي ، فأكرمه نادرشاه وأرسل معه هدايا الى الحاج حسين باشا الجليلي ، وحسين باشا القازوقجي

لجاد والينا بضعف ما طلب ... ومثله أتحف حاكم حلب
فكفا عنا أيدي الأعداء ... محافظا الحدباء والشهباء
بقوة الله وأنبيائه ... وأوليائه وأصفيائه

لكن تجلد الوزير الموصلي[2] ... الباسل الشهم الشجيع المقبل
تبيانه اكثر من أن يذكرا ... لله دره حرياً أجسرا
إذ لم ترعه كثرة القبائل ... منهم تأسياً بقول القائل
« لا أقعد الجبنَ عن الهيجاء ... ولو توالت زمر الأعداء »
الحمد لله الذي عززنا ... به وقد أذهب عنا الحزنا
قلت له في هذه القضيه ... قصيدةً جيدةً تركيَّه[1]
وفصل الوقعة بالوجه الحسن ... ابن أخي المرحوم داعيكم حسن[3]
أحاط بالخطوب علماً وكتب ... أتحفها الى الوزير المنتخب
فاستحسن الصدر محسناتها ... وما قد استشهد من أبياتها
لأنها فائقة المباني ... رائقة الألفاظ والمعاني

أما الشقي الخارجيُّ نادرْ ... المعتدي الباغي الظلوم الغادر
فكان يبدي الود والمخادنه ... بعد انعقاد الصلح والمهادنه

---

(١) هو الحاج حسين باشا الجليلي وقد تقدم الكلام عنه

(٢) لم نقف على ذكر لهذه القصيدة التركية

(٣) ترجم له صاحب منهل الاولياء : انه أخذ عن علماء الموصل ، ورحل الى القسطنطينية ، واقتبس علوماً شتى ، وولي منصب الافتاء بعد ابن عمه عبد الله بن فخر الدين ، وله شعر حسن توفي سنة ١٢٠٢ هـ النظر (تاريخ الموصل : ٢ : ٢١٩ — ٢٢٠) وقد نقل الترجمة عن المنهل مع بعض التصرف

معاهداً شخصاً اليه أرسلا ... من صوب والينا على أن يرحلا

ونحن طائفون عاكفونا ... في السور حاضرونا حاذرونا

إذ لم نكن نأمن بالمعاهده ... بطشته مخافة المعاوده

أقام في ديارنا أياماً ... ثم نوى النهضة والقياما

فقر مع عسكره المشؤم ... فأصبح النادر كالمعدوم

وخاب الأعجمون أجمعونا ... فانطلقوا وهم يسارعونا

صالوا فصالحوا « فولوا الدُّبر » ... « وكل شيء فعلوه في الدُّبر »[1]

هذا ولله جزيل الشكر ... على النجاة واندفاع الشر

ثم من الصلاة ازكيها على ... جد الذين حوصروا في كربلا[2]

محمد وآله الدعاةِ ... إلى الهدى وصحبه الغزاةِ

ما أشتدت الفتنة والمخاصمه ... وآمتدت الهدنة والمسالمه

سعيد الربوجي

---

(١) سورة القمر : ٥٢

(٢) هو الامام الحسين بن الامام علي بن أبي طالب — رضي الله عنهما —

الجديد في اللغة والمعجم العربي الحديث

الدكتور ابراهيم السامرائي

شارك العرب الاقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القدمة كاليونان والهنود والصينيون ولعله من غير المجدي في عصرنا الحاضر أن نبحث في أصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة أنها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الانسانية وينبني على ذلك أنها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعنى بالنشاط الانساني في مختلف أحواله

واتصف « علم اللغة » في العصر الحاضر بالصفة العلمية الخالصة ذلك أنه لم يعد مادة يستعان على ادراكها بالتأمل بل هو مادة موضوعية يتبع في معالجتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل « التطور اللغوي » في هذا النهج

إن علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم الغربية الحديثة التي بحثها الغربيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك إثر الاهتمام البالغ عما دعاه گرم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائداً أنها قوانين عامة شاملة تنطبق على جميع اللغات ، وهي كالقوانين الطبيعية الأخرى

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور في الأصوات فردوا ذلك الى الاختلاف الذي يحصل

في اعضاء النطق ، وقد عرضوا في ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعتور الاصوات من تغيير اذا ما حدث أي تشويه في أعضاء النطق

ومهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يطرأ على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التأريخي على أنهم يذهبون مذاهب عدة في تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه التفاسير المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وان كانت وجيهة فانها تفتقر دائماً الى الأصالة والشمول بحيث يمكن الأخذ بها على أنها نظريات ثابتة

وقد حلا لبعضهم أن يفسر التطور الصوتي بقوانين « مندل » في الوراثة ، والرد عل هذا من الأمور الهينة ، وقد استعاروا طريقة تشارلز داروِن العالم الانكليزي في التطور وهو ما يدعى بـ المذهب الطبيعي قال داروِن في كتابه « أصل الانواع The Origin of Species » عسألة تنازع البقاء وظهور صفات خاصة في بعض الافراد وانتقال هـــذه الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشيوع هذه الصفات وكثرتها بحث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعاً مختلفاً عمن لم يرثها وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هـــذه النظريات على اللغة فقرر : « ان الانواع في الطبيعة ، واللغات في التاريخ تتغير تبعاً لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي وكما يحصل في الانواع يحصل كذلك في اللغات ايضاً نتائج عظيمة لتجمع اسباب عديدة صغيرة لا قيمة لها في حـــد ذاتها كادخال عبارات أجنبية وكثرة الخطباء والكتبة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللغة »[1]

---

(١) من المقالة الثانية من كتاب « فلســـفة النشوء والارتقاء » لشبلي شميل (مطبعة المقتطف مصر ١٩١٠) ص ١٢٠ — ١٢١ .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليخر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيـه « ان مبادىء دارون تنطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع لغات اوربا يكاد يكون لها أصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع أولاً ثم تفرع من هذه الفروع فروع أخرى

على أن تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن إلا مجرد آراء أخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه اليها

غير انه من الثابت ان التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها وأعني بذلك الالفاظ التي تبنى منها اللغة هـــذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية Semamtique جديدة يستدعيها الزمان والمكان وليست العربية بدعاً بين اللغات ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية أبعدها الاستعمال عن أصلها بعداً قليلا او كثيراً وليست العربية بنجوة من هذا الذي يطرأ على غيرها من اللغات

وعلى هذا يتحم على الباحثين والدارسين أن يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيراً من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث ان « المصطلح الفني » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التي انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب

فلا بد أن يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الالفاظ التي جدت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية ، وربما تنكر أصحاب المعجمات الحديثة الى هذا النوع من المولد الجديد وليس عجيباً ان يكون نفر من هؤلاء ما زال يعتبر الجديد المولد غير فصيح وان اقتضاه عصرنا

وجرى عليه الاستعمال ، وشاع وقيد في النصوص والوثائق . وهذا النظر وان تمسك به جماعة من اللغويين في عصرنا فان المعربين كافة أخذوا انفسهم باستعمال الجديد ، وقد بحث الاوربيون في هذه الناحية وألفوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا [1]

واذا عدنا الى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات من الالفاظ الجديدة المولدة والمعربة وقد اخذت طريقها الى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى. غير ان اللغويين مع ذلك ما زالوا مترددين في عدّ هذا الجديد من الفصيح

أقول : من الواجب علينا ان نفسح لهذا الجديد الذي قذف به المستعملون مكاناً في كتبنا اللغوية لانه صار من مادة هذه اللغة وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ولم أرد من ذكرها إلا أن تكون أمثلة على النهج الذي أشرت اليه من ذي قبل وهذه أشتات جمعتها من هنا وهناك ولم اتبع في جمعي هذا منهجاً خاصاً فنها ما شاع في لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على ألسنة المذيعين ، ومنها ما هو مستعمل في لغة الكتابة الخاصة وأعني بالخاصة لغة الكتابة غير الادبية كالالفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك

لعل أحداً يقول : ان هذه الالفاظ ينبغي أن تصنف في مجموعات حسب الاختصاص الذي تنسب اليه كأن يكون لالفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا في سائر الاختصاصات وهذا صحيح غير أن العربية ما زالت مفتقرة اليه

على ان هذا لا يعني إغفال هذه الالفاظ الجديدة في المعجم اللغوي ، ذلك أنها معان جديدة ينبغي أن يشار اليها بايجاز في معجم لغوي حديث [2] .

---

(١) من هؤلاء A Darmestetev في كتابه « حياة الكلمات » « La Vie des ots »
ومنهم Whiteney في كتابه « حياة اللغة » « La Vie du Langage »
ومنهم Richard و Ogden في كتابها « The Meaning of Meaning »

(٢) أغفل المعجم الوسيط الكثير من هذه الالفاظ الحديدة كما أغفل غيرها انظر مجلة المجمع العلمي العربي المجلدات الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين والاربعين (نظرات في المعجم الوسيط لعدنان الخطيب)

ودونك شيئاً من هذه المولدات والمعربات :

(١) الامبريالية لفظة أعجمية الأصل عربت على هيأة المصـــدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة في العربية أفيد منها كثيراً في التوصل إلى كثير من المصطلحات العلمية.

والـكلمة تعريب Imperialisme وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياســي المتصف بالسيطرة والتوسع وعلى هذا فالامبريالية درجة عليا من درجات الاستعمار والوصف منها « امبريالي » هذا مقابل لـ Imperial والاصل الاعجمي القديم الذي بنيت منه الـكلمة الغربية هو الـكلمة اللاتينية التي ترجع إلى العصور المتأخرة Imperialis وهو من « Imperium » ، وهـذه الاخيرة تعني emplre وهي التي عربوها بـ « الامبراطورية » أو « الانبراطورية »

والامبريالية كلمة يستعملها صنف كبير من الـكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر في كتاباتهم للتعبير عن مصطلح أعجمي لا بد من توفيره في العربية وهي كسابقتها « الامبراطورية » من الشيوع والاستعمال

وبعد فليس من الحق إلا يذكر المعجمي شيئاً يسيراً عن هده المعربات

ومن الناحية التأريخية ان الوصف بـ « الامبريالي » Imperialiste كان قد عرف في سنة ١٥٤٦ بمعنى المتعصب والمنحاز للامبراطورية الالمانية . وفي القرن التاسع عشر كان الوصف يعنى من يتعصب للاسرة النابوليونية ثم صار يعنى من يتعصب ويميل للامبراطورية البريطانية التوسعية

(٢) الانتاجية : مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد ويريدون به « قابلية الانتاج » Productivitê . وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي وعندي ان المصطلح من كلمة واحدة خير منه إن كان مركباً من كلمتين أو أ كثر

(٣) الانتهازية : كلمة تشيع في كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط في الاخلاق غير

مستحب ، فالانتهازي عندهم هو النهّاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هـذا فالانتهازي من لا يؤتمن ، والكلمة مما ينبز بها في عصرنا والانتهازية الخلق الذي يتصف به الانتهازي والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme وهي معروفة عند الكتاب السياسيين مستعملة في كتاباتهم والانتهازي من الساسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لمصلحته

فاذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب ان لا تحضر في معجم لغوى حديث للعربية

(٤) الانهزامية : كلمة أخرى تشيع في كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية وهي نموذج من الخلق خاص ، فالانهزامي هو الذي لا يتحمل مواجهة الامور الصعبة والظروف الدقيقة وانما يفضل الابتعاد عن هذه المواطن . والكلمة ترجمة للكلمة الأعجمية « Dèfaitisme »

وأظن من المناسب أن يشار الى مثل هذه المولدات الجديدة في معجم جديد للعربية

٥ — البرجوارية . مصطلح جديد بني على المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطى كما يذهب أصحاب علم الاجتماع على ان الكلمة قد تكون وصفاً فيقال : المفاهيم البرجوازية أي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها .

والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية Bourgeojsie

والأصل فيها كلمة .Bourg وتعني المدينة فكأن « البورجوازي » في الأصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت في الاستعمال عبر العصور فصار البورجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة يمليها عليه سكنى المدن ، ثم صارت تعني الرجل المرفّه المترف ، ثم هي عند العمال تعني ربّ العمل أو السيد المطاع وربما أفادت الكلمة من هنا المعنى السلبي الذي اتصفت به في بعض الأحيان ذلك ان البورجوازي عند هؤلاء العمال في بداية عصر التحول

الصناعي ، انسان غير محبوب ، واذا كان غير محبوب فالكلمة تشير الى النبز من هـذه الناحيـة

وهي في كتابات علماء الاجتماع والسياسيين صارت تعني طبقة من الناس لها أفكارها ولها أخلاقها ، ثم اندست معربة في العربية بهذه الخصوصية المعنوية وعلى هذا فمن المفيد أن يشار اليها في معجمنا الحديث

(٦) التقدمية ، مصطلح جديد يفيد طريقة في التفكير واسلوب في العمل وفلسفة تجنح الى التقدم والعزوف عن الجمود وهي كلمة جديدة شاعت في كتابات السياسيين وعلماء الاجتماع

في مطلع هذا القرن ولا سيما في كتابات الاشتراكيين وأنصار مذاهب « اليسار » و « التقدمي » هو القائل بالتقدمية والسالك في نهجها والآخذ بفلسفتها

وهي من غير شك ترجمة لـ Progressisme والتقدمي هو Progressiste

ومن المفيـد أن نشير ان الكلمـة حين استعملت في العربية أوشكت أن تكون مرادفة للاشتراكية حيناً أو للشيوعيـة حيناً آخر في نظر طائفة من النـاس ثم توسع في استخدامها حتى استقرت في مكانها الصحيح

ومن المفيد أن يشار الى هذه في معجمنا اللغوي ولو كان ذلك بايجاز لا يخل بالفائدة المطلوبـة

(٧) الثورية مصطلح جديد يفيد النزعة الى الثورة والاندفاع اليها و« الثوري » هو المتصف بهذه النزعة وهذا الاندفاع والكلمة ترجمة لـ Révolutionnaire

(٨) الجمهورية نظام معروف في الحكم ولا نرى حاجة للقول ان الكلمة لابد أن يشار اليها في معجم لغوي للعربية لشيوعها واستعمالها

(٩) الديمقراطية ولا أرى حاجة للاسهاب في شرح هذا المصطلح الذي صار من

الشيوع بحيث صار مفهوماً لدى المختص وغيره وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة وأجروها على المصدر الصناعي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما أخذتها أمم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلا بد أن نشير اليها في معاجمنا اشارة كافية

(١٠) الديماكوجية وهذه كلمة جديدة أخذت سبيلها في كتابات المعاصرين من أصحاب علم الاجتماع والسياسة وهي معربة على هذا النحو والأصل هو « Démagogie » وهذه تعني في السياسة الطريقة التي يتملق بها الجمهور والعامة .

والكلمة من مادة اغريقيـة هي « Démagogia » والمتمذهب بهـذا المذهب هو « Dèmgogue » أي الديماكوجي . ومن المفيد أن أشير إلى أن هذه الكلمة قد استعملها الكتبة اللبنانيون المعاصرون على هذا النحو من التعريب

غير انه لا بد من الإشارة الى أن آخرين قد اسـتعملوا هذه الكلمة بعد ترجمتها بـ « الغوغائية » نسبة الى « الغوغاء » للتعبير عن المعنى نفسه .

ولا بد أن يشار في معجمنا العربي الحديث الى هذه الكلمات عملاً بالنهج العلمي الذي يؤرخ الألفاظ في علم المعجمية الحديثة « Loxicographie »

(١١) الرأسمالية مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصـاد الحديث والكلمة مركبة منحوتة ، فان « رأسمال » بالهمز أو « راسمال » بالتسهيل كلمة جـديدة وكأن تركيبها قد أغفل فصارت تجمع جمع تـكسير على « رساميل » . على أن تركيبها ما زال معروفاً في جمعها على « رؤوس أموال » والعامية قـد صنعت فعلاً من هذه الكلمة هو « رسمل » واستعمالها يفيد أن البضاعة المبيعة أحرزت « رأسمالها » فلم تخسر ولم تربح

(١٢) الرائد وهي كلمة معجمية قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجعـة وطلب الكلأ ، وفي حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في صفة أصحابه : يدخلون روّاداً ويخرجون أدلة أي يدخلون طالبين للعلم ملتمسين للحلم ويخرجون هـداة للناس .

وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ وساقط الغيث

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الأقدمين ، أما الاستعمال للحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي أن يشار اليه ولا يكتفي بتخطئته فيقال : « الزعيم الرائد » في الكلام على الرئيس جمال عبد الناصر مثلاً ، أو يقال : الصحيفة الرائدة وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل اليه بشيء من اللطف في فهم التشبيه والمجاز

(١٣) الرجعية مصدر جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو الميل للأفكار القديمة وعدم الاقبال على الجديد من الفكر والعمل ووصف نفر من الناس بالرجعية نبز لهم ولا يصفهم بذلك إلا أهل أنصار الجديد وأصحاب التقدمية

والكلمة ترجمة للكلمة الأعجمية « Rèaction » . وصاحب هذه الصفات « رجعي » « Rèactionnaire » . وقد تلصق هذه النعوت بشيء كثير من التساهل والتجوز

وعلى هذا فهذه معان جديدة استفيدت من هذه الكلمه المترجمة لا ينبغى ان تغفل في عربيتنا الحديثة ذلك أنها تؤلف هي وغيرها مادة مهمة في لغةالصحافة والوثائق وغير ذلك .

(١٤) العملاء وهي من كلمات النبز والشتم الجديدة والكلمة جمع مفردها « عميل» والمراد منه أنه العامل لجهة أجنبية ضد مصلحة وطنه ولا يوجد في العربيـــة صفة على « فعيل » من هذه المادة فالكلمة في صورتها الاشتقاقية جديدة ومعناها جديد أيضاً وهي تقابل « Agent » الأعجميه ، والكلمة من الشيوع بحيث يجب أن ينص عليها إذا ما أريد تسجيل العربية تسجيلاً تاريخياً

(١٥) الفوضوية وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والغوغاء . وهو مذهب له أنصار في المجتمعات الغربية الحديثة وهؤلاء الأنصار نفر يحلو له أن يفكر تفكيراً غريباً مثل القول بالفوضوية والكلمة ترجمة لـ Anarchisme وقد بنيت الكلمة الجديدة على كلمة « فوضى » المعروفة وينبغي أن نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في

لاستعمال ، فالمعروف أن « فوضى » جمع على « فَعلى » وهي من غير شك « فضّى » جمع فضيض ثم عرض لها الابدال ، وكثيراً ما يعرض هذا النوع من الابدال ، ثم ان المعنى يدل على هذا الأصل ، فكلمة « فوضى » تعني « المتفرقين والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

أقول : ان هذه الكلمه أصابها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان فوضى في لغتنا الحديثة تعني « عدم النظام » وما أبعد هذا عن المعنى القديم وفي هذا عرض للتطور الذي يعتور اللغة .

(١٦) الكولونيالية وهذا مصطلح جديد معرب على هذه الطريقة قذف به المعربون في كتاباتهم السياسية ولاسيما الكتاب اللبنانيون في عصرنا والمراد به « الاستعمار » وكأن هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تحديده المراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب وعند هؤلاء أن « الكولونيالية » الصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من « Colonialisme »

ولا ندري أيكتب لهذه الكلمة المعربة الشيوع والبقاء أم يطويها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك

(١٧) مؤتمر : هذه كلمة اصطلاحية جديدة يراد منها أن تكون مقابلاً لـ« Congres » وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في أمر ما والائتمار والاستئمار المشاورة وكذلك التآمر وكذلك المؤامرة وعلى هذا فان التآمر والمؤامرة بمعناها الحديث وهو المكيدة والغدر والخديعة لم يكن معروفاً ، ولم يرد شيئاً من هذا المعنى إلا في « الائتمار » ففي التنزيل : « ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » قال أبو عبيدة : أي يتشاورون عليك ليقتلوك وعلى هذا فان هذه الكلمات : « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعني المشار إليه في أعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد

الذي ينبغي أن ينص عليه .

(١٨) المحسوبية : كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها أن يكون لبعضهم من أصحاب الأمر جماعة يحسبون له ، فهو يقدمهم ويسالمهم ويؤثرهم على غيره وليس في ذلك مراعاة للحق والمصلحة العامة وهذه الخصوصيات المعنوية شيء جديد اكتسبته الكلمة في الاستعمال الذي صير منها مصطلحاً خاصاً .

(١٩) المسئولية : مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالأمر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمل الجاد بحيث ان صاحب المسئولية مسئول عما يقوم به وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه في كتب اللغة التي تعني بالجديد من المعاني

(٢٠) النضالية وهو كلمة جديدة مبنية على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعداد الطبيعي للعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالأعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلاً ومجيء الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي اشعار أن هذه الكلمة أصبحت مصطلحاً يفيد « القابلية على النضال »

(٢١) الوصولية من المصطلحات الجديدة التي يراد منها صفة من هو « وصولي » أي من لا يقف دون حاجته ومصلحته أي شيء فهو يرتكب ما يرتكب في سبيل هذه الحاجة

وهذا خلق رديء وعليه فالوصولية نبز وشتم وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا ولا بد من الاشارة الى هذا النوع من التوليد الجديد .

وهي من غير شك تقابل «Arrivisme»

وبعد فهذا عرض لجملة من الألفاظ والمصطلحات الجديدة التي اقتضاها التطور اللغوي الذي تمليه حاجة من الحاجات ، لجدير باللغوي أن يشير اليها وينبه على استعمالها

ابراهيم السامرائي

السيد علي آل طاووس

٥٨٩ — ٦٦٤ هـ

حياته — مؤلفاته — خزانة كتبه

الشيخ محمد حسن آل ياسين

— تتمة —

٧٤ — الأوراق ـ للصولي

٧٥ — الأوصياء وذكر الوصايا ـ لعلي بن محمد بن زياد الصيمري، نسخة عتيقة، ووُجد هذا الكتاب في خزانة مصنفه بعد وفاته سنة ٢٨٠ هـ [١]

٧٦ — الايضاح في شرح المقامات ـ لناصر بن أبي المكارم المطرّزي الخوارزمي

— حرف الباء —

٧٧ — برء الساعة ـ ويسمى الكناش ـ لابن زكريا [٢]

---

(١) مهج الدعوات — ٣٤١، وذكره فيه أيضاً ٢٤٣ وفي فرج المهموم : ٣٦

(٢) أورده بنصه وكماله في الأمان : ١٤٤ ـ ١٥١

٧٨ — البرهان في أسباب نزول القرآن ـ لمحمد بن المازندراني

٧٩ — بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ـ لمحمد بن أبي القاسم الطبري

٨٠ — البصائر — لأبي حيان التوحيدي

٨١ — البلغة ـ للثعلبي

٨٢ — البهار ـ للحسين بن سعيد الأهوازي ، والنسخة منقولة عن نسخة كان على ظهرها قراءة واجازة في صفر سنة ٤٣٩ (١)

— حرف التاء —

٨٣ — تاريخ القرآن — (بالجيم) المنسوب إلى علي بن عيسى بن داوود بن الجراح .

٨٤ — تاريخ ابن الأثير

٨٥ — « [ابن] أعثم

٨٦ — « أبي بكر الجرجاني

٨٧ — « أهل البيت من آل رسول الله (ص) — لنصر بن [علي] الجهضمي

٨٨ — « بغداد — للخطيب .

٨٩ — « البلاذري

٩٠ — « ثابت بن سنان

٩١ — « الروحي الفقيه

٩٢ — « الطبري

٩٣ — « العباس بن عبد الرحيم المروزي (٢)

---

(١) اليقين : ٩٤

(٢) هكذا ورد الاسم في كشف المحجة : ٦٩ — ٧ ، ولعل الناسخ أو الطابع قد أخطأ في قراءة الاسم ، وان المعني به في الواقع (أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي) المذكور في فهرست ابن النديم : ٢١٤

٩٤ — التاريخ المعروف بـ (العباسي) [١].

٩٥ — » لمحمد بن عبدوس الجهشياري

٩٦ — » لمحمد بن عبد الملك الهمداني

٩٧ — تاريخ مواليد ووفيات أهل البيت وأين دُفنوا — لعبد الله بن أحمد بن الخشاب.

٩٨ — » نيشابور — للحاكم النيشابوري

٩٩ — التاريخ — لهلال بن المحسّن بن ابراهيم الصابي ، نسخة عتيقـــة عليها قراءة قديمة ، لعلها بخط ولد المصنف [٢]

١٠٠ — تأسيس التقديس — لمحمد بن عمر الرازي

١٠١ — تأويل آياتٍ تعلّق بها أهل الضلال — لعبد الرشـــيد بن الحسين بن محمد الاسترابادي ، ناقص الأول

١٠٢ — تأويل مانزل من القرآن الكريم في النبي وآله — لأبي عبد الله محمد بن العباس ابن علي بن مروان المعروف بالحجـام ، (والنسـخة التي عنـدنا الآن قالب نصف الورقة ، مجلدان ضخمان ، قد نُسِخَت من أصلٍ عليه خط أحمد بن الحاجب الخراساني في اجازةٍ تاريخها في صفر ســـنة ٣٣٨ هـ ، واجازة بخط الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وتاريخها في جمادى الآخرة ســـنة ٤٣٣ هـ) [٣]

١٠٣ — التبر المسبوك في نصيحة الملوك — لأبي حامد الغزالي .

---

(١) الظاهر انه التاريخ العباسي الذي ألفــه أحمد بن اسماعيل بن عبد الله البجلي في أخبار الدولة العباسية وذكره النجاشي في كتاب رجاله : ٧١

(٢) سعد السعود : ١٨٣ وذكره في فرج المهموم : ١ ٢

(٣) اليقين — ٧٩ ، وذكره فيه أيضاً : ١٧٦ و ١٨٩ وفي سعد الســعود ٧٢ — ٧٣ و٩٠ و ١٠٢ ومحاسبة النفس ٨ — ٩

١٠٤ — التبيان في تفسير القرآن — لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، قالبه نصف الورقة الكبيرة

١٠٥ — تبيين سيرة الخلفاء المصريّين

١٠٦ — تجارب الأمم ـ لأحمد بن مسكويه

١٠٧ — تجزئة القرآن ـ تلخيص أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله المنادى نسخة عتيقة بخط المصنف [(١)]

١٠٨ — التجمل في التراجم ، نسخة عتيقة ، تاريخ مقابلته يوم الأربعاء لسبع بقين من شعبان سنة ٢٣٨ هـ وهي سنة كتابته [(٢)]

١٠٩ — التحفة — لمحمد بن علي الحلواني

١١٠ — التحقيق لما احتج به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ على النجباء من الصحابة يوم الشورى — للقاضي بفرغانة ، نسخة ظاهرها انها كتبت في حياة مصنفها ، عليها جملة (أدام الله عزه) ، آخرها : فرغ [منها] أبو القاسم الليث ابن محمد السنجري الكاتب بكورة باب أحد أعمال فرغانة عشيّة يوم الجمعة الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٣٧٢ هـ غفر الله له ذنوبه [(٣)]

١١١ — تدبير الأبدان في السفر ـ لقسطا بن لوقا ، الذي صنفه لأبي محمد الحسن بن مخلد [(٤)]

١١٢ — التذييل ـ لصدقة بن الحسين أو الحسن

١١٣ — ترتيب حساب دساتر الكواكب السبعة ـ لأبي القاسم علي بن القاسم القصري

---

(١) سعد السعود ٢٣٧

(٢) فرج المهموم — ٢ و ٢٤ و ٩٩ و ١٠٠ ومهج الدعوات — ٤٥ و ٤٤٩

(٣) اليقين ٢٨

(٤) نقله بنصه في الأمان : ١٠٣ — ١٨٠

١١٤ — الترهيب والترغيب ـ لأبي القاسم الأصفهاني

١١٥ — تشجير تهذيب الأنساب ـ لشيخ الشرف ، نقله صاحب المكتبة من نسخة خط المؤلف

١١٦ — تعبير (تفسير) الرؤيا ـ للكليني

١١٧ — التعريف ـ لمحمد بن أحمد بن [عبد الله] الصفواني ، وهو رسالة منه الى ولده ، نسخة عتيقة تاريخها ذو الحجة سنة ٤١٢ (١)

١١٨ — تعليق معاني القرآن ـ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النجاشي

١١٩ — تفسير أبي اسحق ابراهيم بن أحمد القزويني ، وهو مجلد واحد

١٢٠ — تفسير ابن جريج ، نسخة جيدة

١٢١ — تفسير أهل البيت عليهم السلام ـ سقط أوله وآخره ، خطه عتيق دقيق ، فيه روايات غريبة ، قالبه طالبي ، نحو عشرين كراساً أو أكثر (٢) .

١٢٢ — تفسير القرآن عن أهل بيت رسول الله (ص) لأبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة ، مجلد واحد ، قالب الربع

١٢٣ — تفسير الثمرة لبطليموس ـ لأحمد بن يوسف بن ابراهيم المصري منجم آل طولون .

١٢٤ — تفسير الجبائي أبي علي محمد بن عبد الوهاب ، عشر مجلدات ، والنسخة عتيقة لعلها كتبت في حياة المؤلف أو قرب وفاته (٣)

١٢٥ — تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم ، أربعة أجزاء في مجلدين

١٢٦ — تفسير علي بن عيسى النحوي الرماني ، أجزاء متفرقة منه

١٢٧ — تفسير غريب القرآن ـ لعبد الرحمن بن محمد بن هاني

١٢٨ — تفسير غريب القرآن ـ على حروف المعجم : لمحمد بن عزيز السجستاني ، نسخة عتيقة .

---

(١) الاقبال ١١ (٢) سعد السعود ١٢٠ (٣) سعد السعود ١٨٣ .

١٢٩ — نسخة أخرى منه

١٣٠ — تفسيرٌ للقرآن ، مجلد عتيق ، عليه مكتوب : (كتاب تفسير القرآن وتأويله وتنزيله و ناسخه ومنسوخه واحكامه ومتشابهه وزيادات حروفه وفضائله وثوابه)

١٣١ — مجلد في تفسير القرآن ، مجهول المؤلف

١٣٢ — مجلد آخر في تفسير القرآن ، مجهول المؤلف

١٣٣ — مجلد آخر قالب الربع في تفسير القرآن ، مجهول المؤلف .

١٣٤ — تفسير قصيدة الشاعر محمد بن عبد الله المعروف بالسلامي التي مدح بها مولانا علياً (ع) ـ للشريف أبي يعلى الأقسامي ، من نسخةٍ تاريخها شهر رمضان سنة ٤٣٣ هـ [1]

١٣٥ — تفسير ما ذهب اليه الملحدون من معاني القرآن ـ لقطرب ، نسخة عتيقة تاريخها سنة ٤٠٩ هـ [2] .

١٣٦ — مجلد قالب الثمن ، عتيق ، عليه مكتوب : (الأول من تفسير أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع)

١٣٧ — تفسير محمد بن السائب الكلبي ، مجلد فيه الأجزاء ١١ ـ ١٩ ، وآخر فيه الأجزاء ١٨ ـ ٢٤

١٣٨ — تفسير القرآن ـ لمحمد بن مسعود بن عياش

١٣٩ — تفسير الحافظ محمد بن مؤمن النيشابوري

١٤٠ — التفسير الوسيط ـ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي

١٤١ — التنزيل ـ لمحمد بن أحمد بن أبي الثلج ، نسخة عتيقة عسى أن تكون كتابتها في حياة مؤلفها [3]

---

(١) اليقين ١٥٤ .　(٢) سعد السعود ٢٧٠　(٣) اليقين ٤٥

١٤٢ — تنزيه القرآن من المطاعن ـ لعبد الجبار بن أحمد

١٤٣ — التهجد ـ لابن أبي قرة .

١٤٤ — تهذيب الأحكام ـ لمحمد بن الحسن الطوسي

١٤٥ — التواريخ الشرعية ـ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان ، نسخة كتبت في حياته [١]

١٤٦ — التواقيع من أصول الأخبار ـ رواية عبد الله بن الصلت

١٤٧ — التوراة ـ وقد نسخها صاحب الخزانة عن نسخة عتيقة مفسّرة بالعربية في خزانة كتب أخواله أولاد ورام بن أبي فراس [٢]

١٤٨ — التوقيعات ـ لعبد الله بن جعفر الحميري .

— حرف الثاء —

١٤٩ — ثواب الأعمال ـ لابن بابويه الصدوق

١٥٠ — ثواب القرآن وفضائله ـ لأحمد بن شعيب بن علي السامي .

— حرف الجيم —

١٥١ — الجامع [٣] ـ لابن بابويه الصدوق

١٥٢ — الجامع ـ لمحمد بن الحسن بن الوليد القمي .

١٥٣ — الجامع الصغير ـ لأبي هاشم شيخ المعتزلة

١٥٤ — الجامع الصغير ـ ليونس بن عبد الرحمن

١٥٥ — جامع علم القرآن ـ لعبد الله بن أحمد بن محمد المعروف بأبي القاسم البلخي

١٥٦ — جداول تقريبات الميل ـ للحسين بن أحمد الصوفي

---

(١) الاقبال — ١٧٣ .　　(٢) سعد السعود — ٤٠ .

(٣) لابن بابويه عدة كتب باسم (الجامع) كما في المجلد الخامس من الذريعة

١٥٧ — جزء عتيق عليه مكتوب : (في هذا الجزء حديث الرايات وخطبة أُبَيٍّ بن كعب) عليه سماعٌ تاريخه في جمادى الآخرة سنة ٤٠٢ هـ [١]

١٥٨ — جزء عن أبي عبد الله (ع) ، وهو من جملة مجلد فيه فرائد ، أوله مختصر فيه أدعية وعوذ ، والمختصر بخط محمد بن علي بن الحسين بن مهزيار ، و نَسَخَهُ في سنة ٤٤٨ هـ [٢]

١٥٩ — جزء فيه اثنى عشر حديثاً في فضل علي بن أبي طالب (ع) - تخريج أبي علي الحسن ابن علي بن الحسن بن علي بن عمار بروايته عن آبائه سماعا ، كاتب الجزء علي بن أحمد ابن أبي الحسن البواريحي ، منقول من خط مؤلفه [٣]

١٦٠ — جزء فيه عدد سور القرآن وعدد آياته وعدد كلماته وحروفه ونصفه وأثلاثه [وأرباعه] وأخماسه وأسداسه وأسباعه وأثمانه وأتساعه وأعشاره - لمحمد بن منصور بن يزيد المقرى .

١٦١ — جزء من فضائل مولانا علي (ع) - جمع أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة

١٦٢ — الجعفريات ، وهي ألف حديث باسناد واحد عظيم الشأن الى موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه (ع)

١٦٣ — الجليس الصالح والأنيس الناصح - للمعافى بن زكريا

١٦٤ — الجمع بين الصحاح الستة - لأبي الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري الروطي السرقسطي الأندلسي

١٦٥ — الجمع بين الصحيحين - للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ، نسخة

---

(١) اليقين ١٦٦ (٢) فرج المهموم ٢٢٥ (٣) اليقين ١٤١

عليها عدة سماعات واجازات تاريخ بعضها سنة ٥٤١ هـ [١]

١٦٦ — الجوابات الحاضرة ـ لأبي علي محمد بن عبد العزيز الهاشمي

١٦٧ — جوابات المسائل السلّارية ـ للمرتضى ، وهي ثمان مسائل

١٦٨ — جوامع الجامع في تفسير القرآن ـ لأبى علي الفضل بن الحسن الطبرسي

١٦٩ — جوامع علوم النجوم وأصول الحركات السماوية ـ لأحمد بن محمد بن كثير الفرغاني ، وهو ثلاثون فصلا

١٧٠ — الجواهر ـ لابراهيم أبي اسحق الصولي ، لعل تاريخه أكثر من مائتي سنة [٢] .

— حرف الحاء —

١٧١ — حجة التفضيل وشرح حذيفة بن اليمان ، نسخة عتيقة تاريخ كتابتها سنة ٤٦٩ هـ ، وعلى ظهرها بخط الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ثناء على المصنف بتاريخ رجب سنة ٤٧٢ هـ ، وعلى المجلد أيضاً خطوط ثلاثةٍ من العلماء بالثناء على المصنف [٣]

١٧٢ — حدائق الرياض وزهرة المرتاض ـ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان ، نسخة عتيقة لعلها كتبت في حياته [٤]

١٧٣ — الحذف والاضمار ـ لأحمد بن ناقة المقري

١٧٤ — الحُسنى ـ لجعفر بن محمد بن أحمد بن العباس بن محمد الدوريستي

١٧٥ — حقائق التفسير ـ لأبي عبد الرحمن السلمي ، لديه المجلد الأول منه

١٧٦ — الحلال والحرام ـ لأبي اسحق ابراهيم الثقفي ، نسخة عتيقة مليحة

١٧٧ — حلية الأولياء ـ لأبي نعيم الحافظ

---

(١) اليقين ٢٠٤ — (٢) الاقبال ١٧٠

(٣) اليقين ١٣٢ — (٤) الاقبال ٣٠٨

— حرف الخاء —

١٧٨ — الخرائج والجرائح ـ لابن الراوندي

١٧٩ — خريدة القصر في فضل فضلاء العصر

١٨٠ — خصائص الأئمة ـ للرضي محمد بن الحسين

١٨١ — الخصائص العلوية على جميع البرية ـ لأبي الفتح محمد بن علي الكاتب الأصفهاني النطنزي [١]

١٨٢ — الخصال ـ لابن بابويه الصدوق ، نسخة في عدة مجلدات

١٨٣ — نسخة أخرى منه في مجلدين

١٨٤ — خطب مولانا علي (ع) لعبد العزيز الجلودي ، نسخة عتيقة لعلها بخطه [٢]

١٨٥ — كتاب فيه خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأخبار حسان لأهل البيت (ع) نسخة عتيقة تاريخها سنة ٢٠٨ هـ [٣]

— حرف الدال —

١٨٦ — الدراية في حديث الولاية ـ لمسعود بن ناصر السجستاني ، ١٧ جزءاً في مجلد .

١٨٧ — درة الاكليل في تتمة التذييل ـ لأحمد بن محمد بن عمر بن الحسين بن [خلف] القطيعي [٤] .

١٨٨ — دستور المتذكرين ومنشور المتعبدين ـ لمحمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المدني الحافظ .

١٨٩ — الدعاء والذكر ـ للحسين بن سعيد الأهوازي .

(١) من الغريب ما جاء في ذيل كشف الظنون ١/٤٣٠ من وفاة النطنزي هذا سنة ٨٠٤

(٢) محاسبة النفس ١٥ (٣) اليقين ١٥٢ و ١٩٦

(٤) في فرج المهموم ٣٠ (محمد بن أحمد بن عمرو بن حسين بن القطيعي) والتصحيح من شذرات الذهب ٥/١٦٢ وهدية العارفين ١/٩٢

١٩٠ — دعاء الهداة الى أداء حق الموالاة ـ لعبيد الله بن عبد الله الحسكاني

١٩١ — دفع الهموم والأحزان ـ لأحمد بن داوود النعماني

١٩٢ - الدلائل ـ لعبد الله بن جعفر الحميري ، بخط الحسين بن عبيد الله الغضائري [١]

١٩٣ — الدلائل ـ للنعماني

١٩٤ — دلائل الامامة ـ لأبي جعفر محمد بن جرير بن رسم الطبري .

١٩٥ — دلائل القبلة ـ لأحمد بن أبي أحمد الفقيه .

١٩٦ — دلائل النبوة ـ لأبي بكر البيهقي

١٩٧ — دلائل النبوة ـ لأبي القاسم الحسين بن محمد السكوني [٢] ، نسخة عتيقة عليها سماع تاريخه يوم السبت ١٢ شهر رمضان سنة ٤٢٢ هـ ، و نُسِخَ من أصل مصنفه [٣]

١٩٨ — مجلد أوله كتـاب الديات لظريف بن ناصح ، وآخره أحاديث القاضي أبي بكر بن عبد الرحمن

١٩٩ — ديوان النسب ـ لعلي بن المرتضى ، ثلاث مجلدات ، ليس عند أحدٍ له نسخة ، وقد تضمّن شيئاً عظيماً من العجائب والمناقب والمثالب [٤]

ـ حرف الذال ـ

٢٠٠ — ذكر الروايات عن النبي (ص) انه قال لعلي ـ أنت مني بمنزلة هارون من موسى ... الخ ، وبيان طرقها واختلاف وجوهها ـ للقاضي أبي القاسم علي بن المحسّن التنوخي ، نسخة ثلاثون ورقة ، عتيقة ، عليها رواية تاريخها سنة ٤٤٥ هـ [٥] .

---

(١) فرج المهموم ٩٧

(٢) لعله الحسن بن الحسين السكوني المذكور في رجال النجاشي ـ ٣٨

(٣) فرج المهموم ٢٩

(٤) كشف المحجة ١٣٢

(٥) الطرائف ١٤

٢٠١ — ذكر ما نزل من القرآن في رسول الله (ص) وفي علي وأهل البيت (ع) وفي شيعتهم وتأويل ذلك، قالبه أكبر من الربع دون النصف، تاريخه في العشر الأول من المحرم سنة ٤٠٦ هـ، بخط وكاغد عتيق كأنه رق أو خراساني، مجهول المؤلف [١].

٢٠٢ — ذكر منقبة المطهّرين ـ جمع الحافظ أبي نعيم الأصفهاني

٢٠٣ — ذيل تاريخ بغداد ـ لابن النجار

ـ حرف الراء ـ

٢٠٤ — ربعة شريفة، ليست كاملة

٢٠٥ — جزء أيضاً من ربعة شريفة أخرى.

٢٠٦ — ربيع الأبرار ـ للزمخشري

٢٠٧ — رتبة أبي طالب في قريش ومراتب ولده في بني هاشم ـ لأبي الحسن النسابة، نسخة عتيقة ذكر في أبوابها ان تأليفها كان في شوال سنة ٣١٠ هـ [٢]

٢٠٨ — الرجال ـ لأبي العباس أحمد بن نصر بن سعد

٢٠٩ — الرجال ـ لمحمد بن الحسن الطوسي

٢١٠ — الرد على الجبرية والقدرية فيما تعلقوا به من متشابه القرآن ـ لأحمد بن محمد بن جعفر الخلال

٢١١ — الرد على الحرقوصية ـ للطبري صاحب التأريخ

٢١٢ — الرسائل ـ لمحمد بن يعقوب الكليني، نسخة قديمة يوشك أن تكون كتابتها في زمان حياة محمد بن يعقوب [٣].

---

(١) سعد السعود ١١١ (٢) اليقين ١٨٦ و ١٩٥

(٣) كشف المحجة ١٥٩

٢١٣ — الرسالة العزّيّة ـ للمفيد

٢١٤ — رسالة في علم النجوم ـ خمسة أجزاء ـ ليعقوب بن اسحاق الكندي

٢١٥ — مجلدة صغيرة القالب ، عليها مكتوب : (رسالة في مدح الأقل وذم الأكثر عن زيد بن علي بن الحسين (ع)

٢١٦ — رسالة في النجوم ـ لمحمد بن خطير المعروف بالتياني [١]

٢١٧ — الرّمي بالنشاب ، نسخة عتيقة مجهولة المؤلف

٢١٨ — رواية الأبناء عن الآباء من آل رسول الله (ص) ـ رواية ابي علي بن محمد بن الأشعث الكندي الكوفي

٢١٩ — مجلد عتيق ، أوله كتاب روح قدس النفوس ، وفي آخر المجلد كراريس توشك أن تكون مكتوبة من مائة من السنين [٢]

٢٢٠ — روضة العابدين وانس الراغبين ـ لابراهيم بن عمر بن فرج الواسطي

٢٢١ — ريحان المجالس وتحفة المؤانس ـ للرخجي أحمد بن الحسين

ـ حرف الزاي ـ

٢٢٢ — زاد العابدين ـ لأبي [عبد الله] الحسين [بن علي] بن خلف الكاشغري [٣]

٢٢٣ — زبور داوود ـ نسخة صغيرة قالبها ثمن الورقة الكبيرة

٢٢٤ — الزوائد وفوائد البصائر في وجوه القرآن والنظائر ـ للحسين بن محمد الدامغاني

٢٢٥ — الزواجر والمواعظ ـ لأبي أحمد العسكري ، جاء في الجزء الأول منه انه نُقِلَ من نسخة تاريخها ذو القعدة من سنة ٤٧٣ هـ [٤] .

٢٢٦ — زيادات حقائق التفسير ـ لأبي عبد الرحمن السلمي

---

(١) كذا في فرج المهموم ـ ٢٠٤ ولعله تصحيف محمد بن جابر البتاني

(٢) اليقين ١٦٠ (٣) الزيادة من اللباب ٣/٢٢ (٤) كشف المحجة ١٥٧ .

٢٢٧ — زيادات مصباح المتعبد

٢٢٨ — الزيارات ـ لأبي القاسم

٢٢٩ — الزيارات والفضائل ـ لمحمد بن [احمد بن] [١] داود القمي .

٢٣٠ — الزيج ـ لابن الأعلم

٢٣١ — الزيج ـ لأحمد بن عبد الله المعروف بحبيش [٢]

٢٣٢ — الزيج ـ لعبد الله بن أحمد بن أبي حبيش .

٢٣٣ — الزيج ـ ليحيى بن أبي منصور

٢٣٤ — الزيج المأموني ـ للحسين بن أحمد الصوفي الكرماني

٢٣٥ — الزيج المخترع ـ للحسين بن مصباح الحاسب

ـ حرف السين ـ

٢٣٦ — سر أنساب العلويين ـ لأبي نصر سهل بن عبد الله البخاري النسابة .

٢٣٧ — سنة الأربعين ـ لفضل الله بن علي الراوندي .

٢٣٨ — سنن ادريس ـ كتاب منفرد نحو اربع كراريس بقالب الثمن ، قال : إنه نقله عن نسخة وجدها في وقف المشهد المسمى بالطاهر بالكوفة ، عليه مكتوب « سنن ادريس » ، وهو بخطعيسى محرّره ، نقله من السرياني الى العربي عن ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن هارون الصابي الكاتب) [٣] .

٢٣٩ — سِنيُّ المواليد ـ لأبي سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السنجري

٢٤٠ — سيرة الفاطمي الذي ملك طبرستان الحسن بن علي المعروف بالناصر للحق : لاسفنديار بن مهرنوش النيشابوري ، نسخة عتيقة

٢٤١ — نسخة اخرى جديدة من الكتاب السالف الذكر

---

(١) الزيادة من معالم العلماء ٨٨ (٢) في الفهرست ٣٨٤ (حبش)

(٣) نقلنا العبارة بنصها عن سعد السعود ٣٩

- حرف الشين -

٢٤٢ — الشافي في الانساب - للعمري النسابة.

٢٤٣ — الشاهي - لأبي نصر منصور بن علي

٢٤٤ — شرح تأويل القرآن وتفسير معانيه - لأبي مسلم محمد بن بحر الاصفهاني .

٢٤٥ — شرح النهاية - لهبة الله بن الراوندي

٢٤٦ — الشريعة - لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري .

٢٤٧ — شفاء الصدور - لمحمد بن الحسن بن زياد المعروف بالنقاش

٢٤٨ — الشهاب - للقضاعي

- حرف الصاد -

٢٤٩ — صحائف ادريس-وقد نقل المؤلف نسخته عن(نسخةعتيقة يوشك أن يكون تاريخها من مائتين من السنين بخزانة كتب مشهد مولانا امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وقد ذهب أولها وآخرها ، فكان الموجود منها نحو سبعة [عشر] كراساً وقوائمه بقالب ربع الورقة الكبيرة) [١]

٢٥٠ — صحائف مولانا زين العابدين (ع)

٢٥١ — الصحاح في اللغة

٢٥٢ — صحيح البخاري

٢٥٣ — صحيح الترمذي

٢٥٤ — صحيح مسلم

٢٥٥ — الصحيفة المروية عن الرضا (ع)

---

(١) سعد السعود ٣٠

٢٥٦ — صفين ـ لعبد العزيز الجلودي

٢٥٧ — الصلاة ـ لمحمد بن علي بن محبوب

٢٥٨ — الصور ـ لأبي الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي ، منجم عضد الدولة

٢٥٩ — الصوم ـ لعلي بن الحسن بن فضال

٢٦٠ — الصيام والقيام ـ لأبي نعيم

— حرف الطاء —

٢٦١ — الطبقات ـ لابن سعد

٢٦٢ — طرائف اللطائف في تاريخ السوالف ـ لأبي الفرج ابن الجوزي

— حرف العين —

٢٦٣ — عتق النسمة ـ لأبي بشر أحمد بن ابراهيم العمي

٢٦٤ — العدّة ـ للطوسي محمد بن الحسن

٢٦٥ — العرائس ـ للثعالبي

٢٦٦ — عرائس المجالس ويواقيت التيجان في قصص القرآن ـ لأحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي .

٢٦٧ — عصمة الأنبياء ـ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان

٢٦٨ — عقاب الأعمال ـ لابن بابويه الصدوق

٢٦٩ — العقد ـ لابن عبد ربه

٢٧٠ — العلل ـ لأبى الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم القمي ، في مجلدٍ فيه عدّة مصنفات أكثرها بخط الصفي محمد بن معد الموسوي ، وعليه تعليقات للناسخ [١]

٢٧١ — علل الشريعة [٢] ـ للقزويني علي بن [ابي] حاتم

---

(١) فرج المهموم ٥٥ (٢) أسماه في معالم العلماء ٦١ « علل الفقه »

٢٧٢ — العلل ـ للصدوق

٢٧٣ — عمل ذي الحجة ـ لأبي علي الحسن بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن اشناس البزاز ، نسخة بخطه تاريخها سنة ٤٣٧ هـ [١]

٢٧٤ — عمل رجب وشعبان وشهر رمضان ـ لأحمد بن محمد بن عبد الله بن عباس [٢]

٢٧٥ — عمل شهر رمضان ـ لعلي بن عبد الواحد النهدى

٢٧٦ — عمل شهر رمضان ـ لمحمد [بن علي] بن ابي قرة

٢٧٧ — عمل يوم الجمعة ـ للكراجكي

٢٧٨ — عوارف المعارف [٣]

٢٧٩ — العيون والمحاسن [٤] .

٢٨٠ — عيون الأخبار ـ لابن قتيبة .

٢٨١ — عيون أخبار بني هاشم ـ لمحمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ، صنّفه للوزير علي بن عيسى بن الجراح ، نسخة عتيقة ظاهر حالها انها كتبت في حياته [٥]

٢٨٢ — عيون أخبار الرضا ـ لابن بابويه

٢٨٣ — عيون الجواهر ـ لابن بابويه

— حرف الغين —

٢٨٤ — غريب القرآن ـ لعبد الله بن أبي محمد اليزيدي

٢٨٥ — غريب القرآن بشواهد الشعر ـ لعبد الرحمن بن محمد الأزدي .

---

(١) الاقبال ٣١٧ و ١٩٦

(٢) روى النجاشي في رجاله ٦٢ ان اسمه أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عباس

(٣) لعله عوارف السهروردي

(٤) للمفيد محمد بن محمد بن النعمان

(٥) الملاحم والفتن ٨٠ ـ ٨١

٢٨٦ — كتاب غريبي القرآن والسنة ـ لأحمد بن محمد [بن محمد] [١] بن ابي عبيد العبدي [صاحب] [١] الأزهري ، خمس مجلدات

٢٨٧ — الغيبة ـ للطوسي نسخة تاريخ كتابتها سنة ٤٧١ هـ [٢]

٢٨٨ — الغيبة للنعماني

— حرف الفاء —

٢٨٩ — الفائق في الاصول ـ للزمخشري ، نسخة عليها خطه [٣]

٢٩٠ — الفاخر المختصر من كتاب تحبير الاحكام الشرعية ـ لمحمد بن أحمد الجعفي .

٢٩١ — فرائد القرآن ـ لعبد الجبار بن أحمد الهمداني قاضي القضاة .

٢٩٢ — الفرج بعد الشدة ـ للتنوخي

٢٩٣ — الفردوس ـ لابن شيرويه الديلمي ، مجلدان

٢٩٤ — الفرق ـ لابن بابويه

٢٩٥ — الفرق بين الفرق ـ لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي

٢٩٦ — فضائح المعتزلة ـ لأبي منصور السالف الذكر

٢٩٧ — الفضائل ـ لـ [الحسن بن] [٤] محمد بن الصباح الزعفراني

٢٩٨ — الفضائل ـ للسمعاني

٢٩٩ — فضائل علي ـ لعثمان بن أحمد المعروف بأبي عمران السمّاك ، نسخة عتيقة ، وعلى بعض اجزائها خطه ، وتاريخه ذو الحجة سنة ٣٤٠ هـ [٥]

٣٠٠ — فضائل علي (ع) ـ رواية أحمد بن محمد الطبري المعروف بالخليلي ، قال في آخره :

---

(١) الزيادة من كشف الظنون ٢/١ ١٢ — ١٢٠٩

(٢) مهج الدعوات ٣٤٢

(٣) فرج المهموم ٢١٤

(٤) الزيادة من الكنى والألقاب ٢/٢٦٧

(٥) اليقين ٢ و ١٨٠

(كان الفراغ من نسخه في ربيع الآخر سنة ٤١١ هـ بالقاهرة المعزية [1]

٣٠١ — فضائل علي بن أبي طالب ومراتب امير المؤمنين ، جاء في آخره ما نصه : (كتاب مراتب امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من املاء الشيخ الامام أبي القاسم اسماعيل بن أحمد البستي رحمه الله ، انتسخ هذه النسخة من نسخة مصححة طالعها الكبار من العلماء ، وتلك النسخة موضوعة في دار الكتب التي بناها في المسجد الجامع العتيق بهمدان الصدرُ السعيدُ الكبيرُ ضياءُ الدين أبو محمد عبد الملك بن محمد [2]

٣٠٢ — (فضل) الدعاء ـ لسعد بن عبد الله

٣٠٣ — فضل الدعاء ـ لمحمد بن الحسن الصفار

٣٠٤ — فضل زيارة الحسين (ع) ـ لعبد الله بن حماد الأنصاري [3]

٣٠٥ — فضل العقيق والتختم به ـ لقريش بن السبيع بن مهنا العلوي المدني

٣٠٦ — فقه القرآن ـ لسعيد بن هبة الله أبي الحسين الراوندي

٣٠٧ — الفهرست ـ لابن النديم

٣٠٨ — الفهرست ـ لجابر بن حيان

٣٠٩ — فهرست أسماء مصنفي الشيعة ـ للنجاشي

٣١٠ — فهرست اسماء المصنفين من الشيعة ـ للشيخ الطوسي

— حرف القاف —

٣١١ — القرانات والدول ـ لمحمد بن عبد الله بن عمر [بن] البازيار

٣١٢ — القرانات والكسوفات ـ لمحمد بن جابر بن سنان .

---

(١) اليقين ٩٧ (٢) اليقين ٩٧

(٣) في الاقبال ٥٦٨ (لأبي عبد الله بن حماد) وصوابه ما ذكرناه

٣١٣ — قرب الاسناد ـ لمحمد بن عبد الله الحميري

٣١٤ — قصص الأنبياء ـ للسعيد بن هبة الله أبي الحسين الراوندي

٣١٥ — قصص الأنبياء — لمحمد بن خالد البرقي

٣١٦ — قصص القرآن ـ للنيسابوري

٣١٧ — قصص القرآن بأسباب نزول آيات القرآن ـ للقيصم بن محمد القيصم النيسابوري

— حرف الكاف —

٣١٨ — الكافي ـ للكليني

٣١٩ — كتاب ـ ابراهيم الخرّاز [١] .

٣٢٠ — كتاب ـ ابراهيم بن محمد الأشعري

٣٢١ — كتاب ـ أبي عبد الله محمد بن أحمد الصفواني

٣٢٢ — كتاب ـ أبي عمر الزاهد صاحب ثعلب ، نسخة عتيقة ظاهر حالها أنها كتبت في حياته ، وقد كانت في خزانة الخليفة بمصر [٢]

٣٢٣ — كتاب ـ أبي نعيم المحدث الذي استخرجه من كتاب الاستيعاب .

٣٢٤ — كتاب ـ اخوان الصفا

٣٢٥ — كتاب ـ جعفر بن سليمان

٣٢٦ — كتاب ـ دانيال المختصر من كتاب الملاحم

٣٢٧ — كتاب ـ الربيع بن المستكين

٣٢٨ — كتاب ـ عبد الله بن بكير

٣٢٩ — كتاب ـ عبد الله بن حماد الأنصاري من اصحاب الامام الكاظم (ع) ، وقد قرئ

---

(١) في سعد السعود ٨ (الجزار) والتصحيح من الذريعة ١٣٦/٢

(٢) محاسبة النفس ١٦

الأصل على الشيخ الصدوق وهارون بن موسى التلعكبري تاريخه سنة٣٧٦ هـ [(١)]

٣٣٠ — كتاب عتيق ـ في آخره : (وكتب الحسين بن علي بن هندو بخطه في شوال سنة ٣٩٦) [(٢)]

٣٣١ — كتاب عتيق ـ يتضمن طوالعَ خلقٍ عظيم من الخلفاء والوزراء والملوك والفقهاء والعلماء

٣٣٢ — كتاب في علم الاسطرلاب ـ لأبي الحسين البزاز الاصفهاني

٣٣٣ — كتاب في علم الاسطرلاب ـ لعلي بن عيسى

٣٣٤ — كتاب في المسائل وابتداء الأعمال المعروف بالسجل ـ للفضل ابي سهل بن نوبخت.

٣٣٥ — كتاب فيـــه ذكر الآيات التي نزلت في امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وتفسير معناها ، مجهول المؤلف

٣٣٦ — كتاب (فيه مقرؤ رسول الله (ص) وعلي بن ابي طالب والحسن والحسين وعلي ابن الحسين ومحمد وزيد ابني علي بن الحسين وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر (ع) مجلد قالب الثمن عتيق

٣٣٧ — كتاب فيه مواليد الخلفاء والملوك وكثير من العلماء

٣٣٨ — كتاب ـ القاضي أبي الحسن علي بن محمد القزويني

٣٣٩ — كتاب قالبه نصف الثمن يشتمل على عدة كتب أولها ـ كتاب التنبيه لمن يتفكر فيه.

٣٤٠ — كتاب قالبه نصف ثمن الورقة ـ بخط ابن الباقلاني المتكلم النحوي

٣٤١ — كتاب ـ محمد بن علي بن محمد الطرازي

٣٤٢ — كتاب ـ محمد بن مؤمن الشيرازي الذي استخرجه من تفاسير الثقات الاثنى عشر

٣٤٣ — كتاب ـ المفضل بن عمر الذي رواه عن الصادق في معرفة وجوه الحكمة في انشاء

---

(١) كشف المحجة ١٨ . (٢) مهج الدعوات ٢٣٧ و ٢٤٤ .

العالم السفلي واظهار اسراره

٣٤٤ — كتاب مكتوب عليه : (كتاب جميع ما استخرجتُه من آراء العلماء في ممازجة الكواكب وأعمالها ـ للفضل بن يحيي

٣٤٥ — كتاب ـ موسى بن القاسم البجلي

٣٤٦ — كتاب ـ النعمان المؤرخ لفضائل الخلفاء المصريين المنسوبين الى اسماعيل بن مولانا الصادق (ع)

٣٤٧ — كتاب ـ يحيي بن زياد المعروف بالفراء [١] ، رواية سلمة بن عاصم عن ثعلب ، مجلد فيه سبعة أجزاء ، عليه اجازة تاريخها سنة ٤٠٩ هـ [٢]

٣٤٨ — كتاب ـ يعقوب بن نعيم ، نسخة عتيقة لعلها كتبت في حياته ، عليها خط السعيد الراوندي [٣]

٣٤٩ — كراس لقطب الدين الراوندي ذكر فيه نحو ٩٥ مسألة وقع الاختلاف فيها بين المفيد والشريف المرتضى

٣٥٠ — الكشاف عن حقائق التنزيل ـ للزمخشري

٣٥١ — الكشف والبيان في تفسير القرآن ـ لأبي اسحاق الثعلبي

٣٥٢ — كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ـ للكنجي الشافعي

٣٥٣ — كمال الدين وتمام النعمة ـ لابن بابويه الصدوق

٣٥٤ — كمال الزيارات ـ لمحمد بن أحمد بن داوود

٣٥٥ — كنز الفوائد ـ للكراجكي

٣٥٦ — كنز اليواقيت ـ للهرَوي

---

(١) يعني به كتاب (معانى القرآن) الذي نشرت دار الكتب المصرية مجلده الأول

(٢) سعد السعود ٢٦ (٣) الملاحم والفتن ١٠١

— حرف اللام —

٣٥٧ — لطائف المعارف ـ لعبد الله بن محمد بن طاهر .

٣٥٨ — لمح البرهان ـ للمفيد

— حر الميم —

٣٥٩ — المأثورمن العمل فيالشهور ـ لعلي بن عبد الواحد بن علي بنجعفرالنهدي الحميري.

٣٦٠ — ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) رواية أبي أحمد عبد العزيز بن يحيي بن أحمد الجلودي ، في مجلدٍ فيه تصانيفُ لغيره .

٣٦١ — المباهلة لأبي المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني .

٣٦٢ — المبتدأ لمحمد بن خالد البرقي

٣٦٣ — المبتدأ ـ لوهب بن منبه .

٣٦٤ — المبعث وغزوات النبي (ص) ـ لعلي بن ابراهيم بن هاشم ، نسخة عتيقة تاريخها سنة ٤٠٠ هـ [١]

٣٦٥ — متشابه القرآن ـ لأبي عمر أحمد بن محمد البصري الجلال

٣٦٦ — متشابه القرآن ـ لعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وكأن النسخة كتبت في حياة مؤلفها .

٣٦٧ — المثالب ـ لأبى المنذر هشام بن محمد بن السايب الكلبي .

٣٦٨ — مجاز القرآن ـ لأبي عبيدة معمر بن المثنى

٣٦٩ — مجلدٌ جاء في خطبته : هـــذا كتابٌ جمعتُ فيه ما استفدتهُ في مجلس الشيخ أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد المقري

٣٧٠ — مجلدٌ كبير فيه مسائل وتصانيف للمفيد والمرتضى

---

(١) الأمان ٥٢ و ٨٢

٣٧١ — مجموعٌ بخط ابي الحسين محمد بن هارون التلعكبري

٣٧٢ — مجموعٌ لأحمد بن الحسين بن سليمان

٣٧٣ — مجموعٌ لمحمد بن الحسين المرزبان

٣٧٤ — مجموعٌ عتيق

٣٧٥ — مجموعٌ عتيق ، قالبه أكبر من الربع

٣٧٦ — مجموعٌ قديم ذكر ناسخه وهو مصنفه ان اسمه محمد بن محمد بن عبدالله بن قاطر .

٣٧٧ — المجموع اللطيف ـ لوَرّام بن أبي فراس

٣٧٨ — المحاسن ـ لأحمد بن محمد البرقي .

٣٧٩ — المحبر ـ لمحمد بن حبيب النحوي .

٣٨٠ — مختصر الأربعين في مناقب أهل البيت الطاهرين : تخريج الشيخ يوسف بن أحمد ابن ابراهيم البغدادي

٣٨١ — مُختَصر تفسير الثعلبي

٣٨٢ — مختصر تهذيب الشيعة ـ لمحمد بن [أحمد بن] [1] الجنيد .

٣٨٣ — مختصر كتاب محمد بن العباس بن علي بن مروان ، مجلد واحد ، قالب الربع ، مجهول المؤلف .

٣٨٤ — مختصر المعارف ـ لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني ، نسخة صحيحة تاريخ كتابتها جمادى الاولى سنة ٥٢٣ هـ [2] .

٣٨٥ — المختصر من المنتخب ـ مجهول المؤلف .

٣٨٦ — المدخل ـ للنقاش .

٣٨٧ — المدخل في علم النجوم ـ لنصر بن الحسن القمي .

---

(١) الزيادة من معالم العلماء ٨٧ .

(٢) الطرائف ٤٧

٣٨٨ — مراتب العلوم وترتيب السعادات ـ لابن مسكويه

٣٨٩ — المرشد ـ لابن بابويه ، نسخة عليها خط الفقيه قريش بن السبيع [بن] مهنا العلوي .

٣٩٠ — المرشد الى التوحيد والمنقذ من التقليد ـ لسديد الدين محمود بن علي الحمصي ، وقد يسمى أيضاً (التعليق العراقي) ألفه مؤلفه لما قدم الى العراق في طريقه الى الحجوم بالحلة ، فالزمه ورّام بن ابي فراس ـ جد صاحب الخزانة ـ بالاقامة هناك فمكث سنة كاملة أنجز فيها مؤلفه هذا ، وعلى النسخة خط مؤلفها المتضمن قراءتها عليه [١] فرغ من تأليفه سنة ٥٨١ هـ

٣٩١ — مرقاة الشعر ـ للمرزباني

٣٩٢ — مروج الذهب ـ للمسعودي

٣٩٣ — المسائل وأجوبتها من الأئمة

٣٩٤ — مسائل الرجال ـ لمولانا أبي الحسن علي بن محمد الهادي (ع)

٣٩٥ — مسائل الصباح بن نضر الهندي لعلي بن موسى الرضا (ع) ، رواية أبي العباس ابن نوح وأبي عبد الله محمد بن أحمد الصفواني ، نسخة عتيقة ربما كانت كتبت في حياتهما [٢] .

٣٩٦ — كتاب المستغيثين

٣٩٧ — مشايخ الشيعة ـ لأبي العباس أحمد بن عقدة

٣٩٨ — المشكل ـ لابن قتيبة [٣]

٣٩٩ — المشيخة ـ للحسن بن محبوب

٤٠٠ — المصابيح ـ لأحمد بن ابراهيم الحسيني

---

(١) فرج المهموم ٧٥ — ٨٠

(٢) فرج المهموم ٩٤ (٣) لعله (مشكلات القرآن)

٤٠١ — مصابيح النور ـ للمفيد

٤٠٢ — مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة ـ عن الصادق (ع)

٤٠٣ — » المتهجد ـ المصباح الكبير ـ لمحمد بن الحسن الطوسي

٤٠٤ — مصحف خاتم ، قطع الثلث ، واضح الخط

٤٠٥ — » » ، ثمن الورقة الكبيرة ، عتيق

٤٠٦ — » » ، قالبه ربع الورقة ، جديد

٤٠٧ — » معظم مكمل ، أربعة أجزاء

٤٠٨ — » معظم تام ، أربعة أجزاء .

٤٠٩ — » لطيف ، يصلح للتقليد

٤١٠ — » لطيف ، يصلح للتقليد أيضاً

٤١١ — » لطيف قلّده لولده محمد لما انحدر معه الى (سورا) .

٤١٢ — » وهبه لولده محمد وهو في المهد ، وذلك قبل وقف المكتبة

٤١٣ — » وقفه على ولده علي ، يصلح للتقليد

٤١٤ — » قديم ، يقال انه قرأه (قراءة) عبد الله بن مسعود

٤١٥ — » لطيف للتقليد

٤١٦ — » لطيف للتقليد أيضاً

٤١٧ — مطالب السؤول في مناقب (آل) الرسول ـ لمحمد بن طلحة الحلبي

٤١٨ — معالم الدين ـ لأبي طاهر محمد بن الحسن النرسي

٤١٩ — معالم العلماء ـ لابن شهراشوب

٤٢٠ — معاني الأخبار ـ للحسن [بن عبد الله] بن سعيد العسكري صاحب كتاب

المواعظ والزّواجر ، تاريخ الفراغ من نُسْخِهِ سنة ٣٣١ هـ [١]

٤٢١ — معاني القرآن ـ لعلي بن سليمان الأخفش .

٤٢٢ — معاني القرآن — لمحمد بن جعفر المروزي

٤٢٣ — المعجزات ـ [لابن] هبة الله الراوندي

٤٢٤ — معجم البلدان ـ لياقوت الحموي

٤٢٥ — المعرفة ـ لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي ، الذي انتقل من الكوفة الى اصفهان لأجل كتابه هذا ، أربعة أجزاء ، كتبت على الظاهر في حياة المؤلف[٢] .

٤٢٦ — المعرفة ـ لابن مندة .

٤٢٧ — المعرفة ـ لأبي سعيد عباد بن يعقوب الرواجني

٤٢٨ — مقاتل الطالبيين ـ لأبي الفرج الأصفهاني

٤٢٩ — مقتضب الأثر في امامة الاثنى عشر ـ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عباس، وهو نحو أربعين ورقة

٤٣٠ — مقتل الحسين ـ لمعمر بن المثنى

٤٣١ — مقدمات علم القرآن ـ لمحمد بن بحر الرهني

٤٣٢ — المقنع ـ لابن بابويه ، نسخة كتبت في زمانه [٣]

٤٣٣ — المقنعة ـ للمفيد

٤٣٤ — الملاحم ـ لابن المنادى .

٤٣٥ — الملخّص ـ لمحمد بن عمر الرازي ، ومات الرازي وهو مُسوّدة بخطّه نحو ثلاثين كراساً .

---

(١) الطرائف ١٢٧ . (٢) سعد السعود : ٧٠ واليقين : ٣٨

(٣) الاقبال ٦٦٨ .

٤٣٦ — ملل الاسلام وقصص الأنبياء ـ لمحمد بن جرير الطبري

٤٣٧ — مَنْ قَدّمه علمه ـ لهلال بن المحسّن الصابي

٤٣٨ — مَنْ لا يحضره الفقيه ـ لابن بابويه الصدوق

٤٣٩ — المنار في علم مواقيت الليل والنهار ـ للمبارك بن الحسين بن طراد المارديني

٤٤٠ — مناسك الزيارات للمفيد ، نسخة كتبت في حياة المؤلف ، وفي آخرها ورقة عليها تعاليق [1] .

٤٤١ — المناقب ـ لابن شهر اشوب

٤٤٢ — المناقب ـ للحافظ أحمد بن موسى بن مردويه

٤٤٣ — المناقب ـ لأبي الحسن علي بن محمد [بن] الطيّب المعروف بابن المغازلي

٤٤٤ — المناقب لأهل البيت (ع) ـ لمحمد بن جرير الطبري ، رتبه أبواباً على حروف المعجم

٤٤٥ — المناقب ـ لموفق بن أحمد الخوارزمي

٤٤٦ — مناقب الإمام الهاشمي أبي الحسن علي بن أبي طالب (ع) ـ رواية أبي عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي صاحب ثعلب ، وربما كانت النسخة في حياة أبي عمر الزاهد الراوي لها [2]

٤٤٧ — مناقب علي بن أبي طالب (ع) وفضائل بني هاشم ، نسخة عتيقة يقارب تاريخها ثلاثمائة سنة ، رواية محمد بن يوسف المقري [3]

٤٤٨ — المنبئ عن زهد النبي (ص) ، عليه خط ورّام بن أبي فراس [4]

٤٤٩ — المنتخب

---

(١) محاسبة النفس ٢٢

(٢) الملاحم والفتن ١١ .

(٣) اليقين ٢ .

(٤) الأمان ٩٢

٤٥٠ — المنتظم ـ لأبي الفرج ابن الجوزي

٤٥١ — كتاب المنجمين ـ لمحمود بن محمد بن الفضل

٤٥٢ — منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ لقطب الدين الراوندي

٤٥٣ — منية الداعي وغنية الواعي ـ لعلي بن محمد بن علي بن الحسين بن عبد الصمد التميمي.

٤٥٤ — مواليد الأئمة ـ لنصر بن علي الجهضمي

٤٥٥ — المواليد ـ لعمر بن فرحان العبدي [(١)]

٤٥٦ — المواليد والاختيارات ـ لأبي الحسن علي بن أحمد العمراني

٤٥٧ — المواليد ـ لأبي علي المعروف بالخياط

٤٥٨ — مولد أمير المؤمنين (ع) ـ لأبي العلا الهمداني

٤٥٩ — مولد علي بالبيت ـ لابن بابويه الصدوق

٤٦٠ — مولد النبي والأوصياء ـ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان، وهو غير الارشاد [(٢)]

٤٦١ — المولى (الموالي) ـ لمحمد بن معيَّة

— حرف النون —

٤٦٢ — الناسخ والمنسوخ ـ [لهبة الله بن سلامة بن] [(٣)] نصر بن علي البغدادي

٤٦٣ — النبوة ـ دلائل النبوة ـ لابن بابويه الصدوق

٤٦٤ — الندا الصيني، الذي عمله كيشتا ملك الهند وذكر فيه دلالة النجوم على نبوة محمد (ص)

---

(١) كذا في فرج المهموم ـ ٢٠٤، وأظنه من أخطاء النسخ، وصوابه ـ عمر بن حفص بن فرخان البغدادي

(٢) فرج المهموم ٢٢٤ والملهوف ٢٨ والاقبال ٥٩٨

(٣) الزيادة من كشف الظنون ٢/١٩٢١

٤٦٥ — نزهة الكرام و بستان العوام ـ لمحمد [بن عمر] بن الحسين الرازي ـ بالفارسية ـ.

٤٦٦ — ترجمة الكتاب السابق الى العربية

٤٦٧ — نسب الخيل ـ لمحمد بن صالح مولى جعفر بن سليمان

٤٦٨ — النشر والطيّ

٤٦٩ — نشوار المحاضرة ـ للتنوخي

٤٧٠ — النكت في اعجاز القرآن ـ لعلي بن عيسى الرّماني

٤٧١ — نسخة أخرى منه

٤٧٢ — نسخة أخرى منه

٤٧٣ — النهاية ـ لمحمد بن الحسن الطوسي ، عليها اجازة بخط محمد بن نما [١] .

٤٧٤ — نهاية المطلب وغاية السـؤول في مناقب آل الرسول ـ لابراهيم بن علي بن محمد الدينوري

٤٧٥ — نهج البلاغة ـ للامام علي بن أبي طالب (ع)

٤٧٦ — نهج الحق ـ للمفيد

٤٧٧ — نهج النجاة في فضائل أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من ذريته ـ للحسين بن محمد الحلواني ، نسخة تاريخ كتابتها جمادى الأولى سنة ٣٧٥ هـ ، وظاهر حالها أنها قد كتبت في زمان مصنفها ، ولعلها بخطه [٢]

٤٧٨ — نوادر الحكمة ـ لمحمد بن أحمد [بن يحيي بن عمران] [٣] بن عبد الله القمي

---

(١) كشف المحجة ١٣

(٢) اليقين ١٤

(٣) الزيادة من رجال النجاشي ٢٤٠

- حرف الواو -

٤٧٩ — الواحدة - لمحمد [بن الحسن] [١] بن جمهور القمي .

٤٨٠ — الوجيز في شرح آراء القراء الثمانية المشـــهورين - للحسن بن علي بن ابراهيم الأهوازي

٤٨١ — الوزراء - لعلي بن عبد الله

٤٨٢ — الوزراء - لمحمد بن يحيي الصولي [٢] .

٤٨٣ — الوسيلة الى نيل الفضيلة

٤٨٤ — الولاية - للحافظ أبي العباس أحمد المعروف بابن عقدة ، نسخة كتبت في زمان المؤلف تاريخها سنة ٣٣٠ هـ ، صحيحة النقل ، عليها خط الطوسي وجماعة من شيوخ الاسلام [٣]

٤٨٥ — الولاية - لمحمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ

- حرف الياء -

٤٨٦ — الياقوت الأحمر - لأحمد بن الحسين الأهوازي

٤٨٧ — ياقوتة الصراط ، مجلد لطيف ، ثمن القالب

٤٨٨ — يتيمة الدهر - للثعالبي

* * *

والى هنا ينتهي ما أردتُ اثباتـه في هذا الصدد ، آملاً أن يكون ذلك دليـلاً صادقاً يأخذ بأيدي الباحثين الى معرفة السيد علي آل طاووس وما كانت تضمّه خزانة كتبه من

---

(١) الزيادة من معالم العلماء ٩٢

(٢) في فرج المهموم ١٩٣ (يحي بن محمد) ، والتصحيح من الكنى والألقاب : ٣٩١/٢

(٣) الاقبال ٤٥٣ .

نوادر الـكتب و نفائس التراث الفكري العربي وآخِرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(ملحق البحث)

ذكر السيد علي آل طاووس في اثناء مؤلفاته كتباً كان قد شاهدها أو استعارها من المـكتبات العامة القائمة في عصره نذكرها في أدناه :

١ — الأربعين ـ لأحمد بن اسماعيل بن يوسف القزويني في مدرسـة أمّ الخليفة الناصر (١)

٢ — الأربعين ـ جمع الشيخ العالم الصالح أبي عبد الله محمد بن مسلم بن أبي الفوارس الرازي في الخزانة النظامية العتيقة (٢)

٣ — الرسالة الموضحة ـ تأليف المظفر بن جعفر بن الحسين ، بخط مصنفها ، في الخزانة العتيقة النظامية (٣)

٤ — كتاب قالبه نصف الورقة ، عتيق ، يتضمن فضائل أمير المؤمنين علي ـ تأليف أبي القاسم علي بن عبد العزيز بن محمد النيشابوري (٤) في خزانة مولانا علي (ع) بالنجف الأشرف

٥ — كتابٌ ـ تأليف أبي جعفر محمد بن حبيب ، تاريخ كتابته ما هذا لفظه : (وكتب عمر بن ثابت في شهر رمضان سنة ٢٧٣ هـ) بالمدرسة المستنصرية (٥)

٦ — كتاب الفتن ـ لأبي يحي زكريا بن يحي بن الحارث البزاز ، تاريخ كتابته سلخ شهر ربيع الأول سنة ٣٩١ هـ استعرته من وقف النظامية (٦)

٧ — كتاب الفتن ـ للسليلي بن أحمـد بن عيسى بن شيخ الحسـائي (كذا) ، تاريخ

---

(١) اليقين ١٩٢ (٢) اليقين ٦٣ (٣) اليقين ١٢٥

(٤) فرج المهموم ٩٢ (٥) الاقبال ٣٠٦

(٦) الملاحم والفتن ٣ و ١١٣ ، ونقل منه نصوصاً وافية في كتاب الملاحم ١١٣ — ١٣٤

كتابته سبع وثلاثمائة ، بخط مصنفه ، في المدرسة المعروفة بالمزكي (التركي) بالجانب الغربي من واسط [1]

٨ — مجموع عتيق لعل تاريخ نسخه منذ مائتين من السنين خاص بالخزانة الظافرية[2].

٩ — كتاب الملاحم ـ للبطائني، نسخة عتيقة ، بخزانة مشهد الكاظم عليه السلام [3]

كشاف مراجع البحث والتصحيح

١ ـ أمل الآمل ـ لمحمد بن الحسن الحر العاملي — طهران ١٣٠٤ هـ

٢ ـ البحار ـ لمحمد باقر المجلسي (الجزء الخامس والعشرون) — طهران ١٣١٥ هـ

٣ ـ بغداد قديماً وحديثاً ـ لمصطفى جواد وأحمد سوسه — بغداد ١٩٥٨ م

٤ ـ تاريخ الفخري ـ لابن الطقطقى — القاهرة ١٩٣٨ م

٥ ـ الحوادث الجامعة ـ المنسوب لابن الفوطي — بغداد ١٣٥١ هـ

٦ ـ خزائن الكتب القديمة في العراق ـ لكوركيس عواد — بغداد ١٩٤٨ م

٧ ـ الذريعة ـ لآقا بزرك الطهراني — النجف وطهران ١٣٥٥ هـ ومابعدها

٨ ـ ذيل كشف الظنون ـ لاسماعيل باشا البغدادي — استانبول ١٩٤٥ م

٩ ـ الرجال ـ لأبي العباس النجاشي — الهند ١٣١٧ هـ

١٠ ـ شذرات الذهب ـ لأبي الفلاح الحنبلي — القاهرة ١٣٥٠ هـ

١١ ـ عمدة الطالب ـ لابن عنبة الداوودي — النجف ١٣٣٧ هـ

١٢ ـ الفوائد الرضوية ـ لعباس القمي — طهران ١٣٢٧ هش

---

(١) الملاحم والفتن ٧٠ ، ونقل منه نصوصاً أو نقله بأجمعه في كتاب الملاحم نفسه : ٧١ ـ ١١٢

(٢) اليقين ١٤٢ (٣) الاقبال ٥٩٩

١٣ ـ الفهرست ـ لابن النديم — القاهرة ١٣٤٨ هـ
١٤ ـ كشف الظنون ـ لحاجي خليفة — استانبول ١٩٤١ م
١٥ ـ الكنى والألقاب ـ لعباس القمي — صيدا ١٣٥٨ هـ
١٦ ـ اللباب ـ لابن الأثير — القاهرة ١٣٥٧ هـ
١٧ ـ معالم العلماء ـ لابن شهر اشوب — طهران ١٣٥٣ هـ
١٨ ـ مؤرخ العراق ابن الفوطي ـ لمحمد رضا الشبيبي (الجزء الثاني) — بغداد ١٩٥٨ م
١٩ ـ مؤلفات السيد علي آل طاووس
٢٠ ـ هدية العارفين ـ لاسماعيل البغدادي — استانبول ١٩٥١ م

الشيخ محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

مقدمــة

المؤنثات السماعية

بقلم : محمد الخال

الأصل في الاسماء التذكير والتأنيث ثان له ، فمن ثَم إذا انضم إلى التأنيث في الأعلام التعريف لم ينصرف نحو إمرأة سميت بقدم أو زينب ، وإذا انضم إلى التذكير انصرف نحو رجل سمى بحجر أو جعفر

الاسم إما مذكر وإما مؤنث ، والمؤنث هو اللفظ الدال على الانثى ، وعلامات التأنيث ثلاث : التاء المتحركة : نحو امرأة ونعمة والألف المقصورة نحو : حُبْلَى وفُضْلَى والألف الممدودة نحو : بيضاء وحمراء

والمؤنث إما لفظي أو معنوي أو هما معاً ، والأول ما ظهرت فيه علامة التأنيث وان لم يراع مقتضى العلامة من تأنيث الضمير لأجلها سواء دل على ذكور كحمزة وطلحة وزكرياء أم لا كخشبة وصحراء ، والثاني ما دل على إناث وليس فيه علامة التأنيث كريم وزينب ، وأم ، والثالث ما كان مؤنثاً حقيقياً وفيه العلامة مثل فاطمة ، على أن هناك الفاظاً عدها العرب

مؤنثات وليست فيها علامة التأنيث كعين وشمس ، وهذه تسمى مؤنثات سماعيات ، وهي أما ان تكون على ثلاثة أحرف أو أكثر ، فالأول إذا صغِّر لحقته هاء التأنيث في التصغير كأُذَيْنَة وعُيَيْنَة وسُوَيقة ودُوَيْرَة في تصغير أذُن وعينٍ وسوق ودار لأنه يردُّ ما كان ينبغي أن يكون في بناء المكبر كما رد اللام في يد ودم ، إلا ما شذ كحرب وقوس ودرع وعُرْس وعرب ، والثاني لا تلحقه التاء كقولهم في عَناق وعُقاب وعَقرب : عُنَيِّق وعُقَيِّب وعُقَيْرب ، كأنهم جعلوا الحرف الزائد على الثلاثة - وان كان أصلاً - بمنزلة الزيادة التي هي التاء

والمؤنث السماعي على ضربين ما يكون واجب التأنيث وما يكون جائز التذكير والتأنيث، وهي بقسميها كثيرة لم تدخل تحت الضوابط ، لذا حاول كثير من العلماء جمعها والاحاطة بها منذ أكثر من الف سنة ، فأول من جمعها ابن قتيبة[1] في أدب الكاتب ، ثم ابن سيده[2] في المخصص ، ثم بديع الزمان[3] النطنزي في دستور اللغة ، ثم ابن الحاجب[4] وابن

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (دينور بلدة قريبة من سنندج في ولاية أردلان ينسب اليها جماعة من الاعاظم ويضاف اليها الصوفية ، وهي الآن بليدة تعتز بجامعها العتيق) ، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين ولد سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م له تآليف كثيرة منها « أدب الكاتب » .

(٢) هو علي بن اسماعيل أبو الحسن المعروف بابن سيده : امام في اللغة وآدابها ، ولد بمرسية (في شرقي الاندلس) سنة ٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ م ، وانتقل الى دانيه فتوفي بها سنة ٤٥٨ = ١٠٦٦ م ، كان ضريراً (وكذلك ابوه ، واشتغل بنظم الشعر مدة ، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها ، فصنف « المخصص » في سبعة عشر جزء وكتباً أخرى كثيرة ومهمة

(٣) هو حسين ابن ابراهيم النطنزي المتوفى سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٦ م ، له كتاب الدستور في اللغة ، وهو ينقسم الى ثمانية وعشرين كتاباً اورد في كل كتاب اثنى عشر باباً ، يترجم تارة بالعربي واخرى بالفارسي روما للاختصار ، وهو على وجازته حاو لغالب الكلمات المستعملة

(٤) هو عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس أبو عمرو ، جمال الدين ابن الحاجب : فقيه مالكي من العلماء بالعربية ، كردي الاصل ، ولد في اسنا (من صعيد مصر) سنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م ، ونشأ في القاهرة وسكن دمشق ، ومات بالاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٩ م ، وكان أبوه حاجباً فعرف به ، له تصانيف كثيرة منها « الكافية » في النحو و « الشافية » في الصرف

مالك[1] في منظومتيها المخصوصتين بالمؤنثات السماعية، ثم صاحب مختصر العين، ثم جلال الدين السيوطي[2] في المزهر ، وأخيراً الشيخ عبد الله البيتوشي[3] في منظومته والملا محمد باقر الشريف[4] في أواخر جامع الشواهد ، غير ان كل واحد منهم ذكر منها جانباً وأهمل جانباً كبيراً ، على أني عثرت على أعداد أخرى منها لم يُذكر في الكتب والمنظومات السالفة الذكر ، بل ذكرها الملا محمد الشهير بابن الحاج[5] أستاذ الشيخ عبد الله البيتوشي رحمهما الله في بعض

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ، أبو عبد الله ، جمال الدين : أحد الائمة في علوم العربية ، ولد في جيان (بالاندلس) سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م ، وانتقل الى دمشق فتوفي فيها سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٤ م ، له تصانيف كثيرة منها ألفيته في النحو

(٢) هو عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، جلال الدين : إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف، ولد سنة ٨٣٧هـ = ١٤٣٣م ، وتوفي سنة ٨٩٣هـ=١٤٨٨م.

(٣) هو الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عز الدين الشافعي الكردي البيتوشي : (وبيتوش قرية في منحدر الجبل المشرف على نهر الزاب الصغير وتقع شمالي بلدة السليمانية) ، ولد سنة ١١٣٠ و ١١٤٠ هـ ، قرأ العلوم العربية والاسلامية على أجلاء علماء الاكراد ، حتى القي اليه زمام الاساليب الادبية ، له اشعار رقيقة ، ومنظومات لطيفة ، وتآليف عديدة ، توفي في البصرة سنة ١٢١١ هـ ولنا كتاب في حياته باللغة العربية تحت عنوان « البيتوشي » في ٣٠٤ صفحات ، طبع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م

(٤) هو ابن علي الرضا صاحب كتاب الشواهد الكبرى المشتملة على ذكر الاشعار المذكورة في الكتب المصنفة في علوم النحو والصرف والبلاغة ، صنفها في بلدة يزد مع ذكر تمام قصائدها وأسماء شعرائها وبيان شاهدها وغيرها من وجوه احتمالاتها وقد طبعت مراراً عديدة آخرها في سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م

(٥) هو الملا محمد بن الحاج حسن من اهالي قرية سنجوى الواقعة بين مدينة السليمانية وقصبة (سردشت) الايرانية ، كان محدثاً وفقيهاً ، له مصنفات كثيرة منها « رفع الخفا ، على ذات الشفا » في السيرة النبوية و « نظم محاسن الغرر » في المحاسن النبوية ، و « شرح نظم محاسن الغرر » وتعليقاته على « البهجة المرضية ، في شرح الالفية » في النحو ، و « إيقاد الضرام ، على من لم يوتم طلاق العوام » ، ورسالة في بيان « المقصور والممدود » نظم منها الباب الاول ثم عاقه عائق فاكملها نثراً ، ورسالة في تحقيق معنى الاكراه ، ورسالة في نكاح المتعة ، ثم انتقل الى مدرسة (هزار مرد) الواقعة على =

تعليقاته ، فرأيت من الأفيد بل من الألزم جمعها وترتيبها على حروف الهجاء وشرحها والتعليق عليها عند الحاجة بما يميط اللثام ، ثم الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث نبوي أو شعر أو مثل عربي على كل ما ورد فيه شيء من هذه الدلائل أو الشهادات قدر المستطاع ، مع بيان اختلاف العلماء وآرائهم فيها ، ولقد بذلت الجهد المستطاع في هذا السبيل ، فهاك رسالة جامعة مصححة منقحة بقدر الامكان واقتطف ما فيها من الفوائد التي هي أغلى من الدر النظيم

باب الألف

(الآل) : السراب الذي يلمع بالضحى ، في جامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس والدستور ومنظومة البيتوشي ويذكر والتذكير أجود ، قال الشاعر في التذكير:

أَتْبَعْتُهُمْ بَصَري والآلُ يرفعُهُمْ   حتى اسْمَدَرَّ بطرْفِ العين إتْآرى[1]

وحكى بعض اللغويين أنه قال في الآل الذي هو الأهل انه يذكر ويؤنث ، أما الآل بمعنى الشخص أو عَمَد الخيمة فذكر ، وقيل إنه جمع آلة فاذا كان كذلك فهو يذكر على اللفظ ويؤنث على المعنى

(الإبْطُ) : باطن المنكب ، في المخصص وجامع الشواهد مؤنثة ، ومنه قول بعضهم : رفع السوط حتى برقت إبطُهُ ، وفي القاموس والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن مالك والمنجد ويذكر ، وكذلك ابط الرمل أعني ما استَرقَّ منه

(الإِبِل) بكسرتين الجمال ، في القاموس واحد يقع على الجمع ليس بجمع ولا اسم جمع ،

= مقربة من السليمانية ، وكانت مدرسته عامرة بطلاب اذكياء نبهاء امثال الشيخ عبد الله البيتوشي والشيخ معروف النودهي ، ولد في حوالي سنة ١١١٥ هـ = ١٧٠٣ م وتوفي في (هزار ميرد) في حدود سنة ١١٩٠ هـ = ١٧٨١ م

(١) سمدر : تحير إتآرى : من أتأرته البصر أتبعته إياه

والجمع آبال ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت »

(الإِبهام) : بالموحدة كسْواكٍ أكبر أصابع اليد والرجل ، في الدستور ومقطوعة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس ومقطوعة ابن مالك والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، والتذكير اعلى ، جمعها أباهم وأباهيم

(أَجأ) : كفرسٍ جبل لطي ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة، وفي القاموس ويذكر

(الأُذن) : عضو السماع ، وفيها لغتان أُذُنٌ وأُذْنٌ ، في المخصص والقاموس والدستور ومختصر العين ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، وفي التنزيل « أُذنٌ واعية » جمعها آذان ، قال الفارسي [1] : وكذلك اذن الكوز والدلو ، قال وأنشد أبو زيد [2] في وصف دلو :

لها عِناجان وست آذان [3]

وأما الاذن بمعنى الرجل الذي يُصدِّقُ بما يسمعُ فمذكر كقوله تعالى « وقُلْ هو أُذُنُ خيرٌ لكم » ، وقال الشاعر :

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ، أحد الائمة في علم العربية ولد بمدينة فسا (من اعمال فارس) سنة ٢٨٨ هـ = ٩٠١ م وطلب العلم ببغداد فبلغ في النحو مرتبة الامامة ، ثم أقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان ، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مناظرات ، وله تصانيف كثيرة ومهمة ، توفي في سنة ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م ببغداد ، له شعر قليل ، من كتبه « التذكرة » في علوم العربية ، عشرون مجلداً

(٢) هو سعيد بن أوس الانصاري وكنيته أبو زيد ، كان علما من اعلام اللغة والادب والرواية ، أخذ عنه الاصمعي وأخذ عن المفضل الضبي ، وتوفي في خلافة المأمون عليه الرحمة

(٣) العناج : حبل يشد في اسفل الدلو العظيمة .

خير اخوانك المشارك في المرِّ　　وأين الشريك في المرِّ أينا
للذي انشهدت دانك في الحي　　وإن غبت كان أُذناً وعينا

والجمع آذان

(الأرضُ) كفلسٍ الكرة السيارة التي نحن عليها ، في المخصص وأدب الكاتب والقاموس والدستور والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وإذا الأرضُ مدّتْ وألقت ما فيها وتخلت » ، وقال البيتوشي :

ورزين حلم لو حوته الأرض ما　　خفنا عليها من طروق زلازل

والجمع أرَضُونَ وأروضٌ وأراضٌ وأراض

(الأرنب) : كجعفر حيوان معروف ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وجمعه أرانب

(الأُرْوِيَّةُ) : بضم الألف وكسرها ضأن الجبل ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، جمعها أراوِيّ وأراوٍ وأرْوَى

(الإزارُ) : ككتاب كل ما سترك ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد ويذكر ، قال أبو ذؤيب[1] في التأنيث :

تبرأ من دم القتيل وبزّه　　وقد علقت دم القتيل إزارها

(ألأَزْيَبُ) : كجعفر النشاط ، يقال مرَّ فلان وله أزيب منكرة ، في المخصص

---

(١) هو خويلد بن خالد بن محرث ، أبو ذؤيب ، من بني هذيل بن مدركة ، من مضر : شاعر فحل مخضرم ، ادرك الجاهلية والاسلام ، وفد على النبي صلي الله عليه وسلم ليلة وفاته فادركه وهو مسجى وشهد دفنه ، وسكن المدينة ، وشارك في الغزو والفتوح وعاش الى ايام عثمان ، ثم مات بمصر ، أشهر شعره عينيته التي رثى بها خمسة ابناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد ، والتي مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع　　والدهر ليس بمعتب من يجزع

والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

(الإِسْتُ) : كَجِبْرِ العَجُزُ أو حلقة الدبر ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة

(الأَشُدُّ) من قولك بلغ الرجل أَشُدَّهُ ، يقال هي الأشد وهو الأشد ، وقداختلف ما هي من الانسان فقيل هي أربعون ، وقد بلغ أشده اي منهى شبابه وقونه من قبل أن يأخذ في النقصان ، وقيل خمسة وعشرون عاماً ، ويؤيده قوله تعالى « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة »

(الأُصْبعُ) مثلثة الهمزة مع كل حركة يثلث الباء تسع لغات والعاشرة أُصبوع بالضم عضو مستطيل يتشعب من طرف الكف والقدم ، في المخصص ومختصر العين والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي القاموس والمنجد وجامع الشواهد وقد يذكر ، والجمع أصابع

وكذلك الإصبع الأثر الحسن من الرجل على عمل عمله فاحسن عمله أو معروف أسداه إلى قوم يرى أثره عليهم ويقال ما أحسن إصبع فلان على ماله ، قال الراعي (١)

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس إصبعا

(الاضحى) : يوم النحر ، في المخصص وادب الكاتب والمزهر والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشاعر في التأنيث :

---

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري ، أبو جندل : شاعر من فحول المحدثين ، كان من جلة قومه ، ولقب بالراعي لرعيه الابل ، من أهل بادية البصرة ، عاصر جريراً والفرزدق ، ومن بديع ما أورده المبرد من شعره :

قتلوا الخليفة ابن عفان محرماً ودعا ، فلم نر مثله مخذولا
فتفرقت من بعد ذاك عصاهم شققاً واصبح سيفهم مفلولا

توفي سنة ٩٠ هـ = ٧٠٩ م

ألا ليت شعري هل تعودنّ بعدها على الناس اضحى تجمع الناس أو فطر

وقال الشاعر في التذكير :

رأيتكم بني الخذواء لما دنا الأضحى وصللت اللحام [1]

(اعداد المؤنث من ثلاث إلى عشر) يقال : ثلاث بنات واربع نسوة وخمس شجرات وست غرف وسبع بقرات وثمان ابل وتسع غنم وعشر نساء على ما قاله العلامة محمد الشهير بابن الحاج [2] في بعض تعليقاته

(الأفعى) : الحية الخبيثة ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، والجمع أفاع ، وفيه أنها مؤنثة بالالف المقصورة

(الامام) : كسحاب القدام ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي القاموس وجامع الشواهد وقد يذكر

(الإنجيل) : كنديل كتاب عيسى عليه السلام ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ، جمعه اناجيل

(الإنس) : كحبر البشر ، الواحد إنسى ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ » جمعه أناس وأناسيُّ

باب الباء

(البِئْرُ) : كحبر حُفرة في الارض عميقة يستقى منها الماء ، في المخصص والقاموس والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل

---

(١) صللت : انتنت اللحام : جمع لحم

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٢

« وبِئرٍ مُعَطَّلَةٍ » ، والجمع آبار وأبْآر قال الفارسي [1]

وأما قول الراجز :

يا بِئْرُ يا بِئْرَ بنى عَدِيّ لَأَنْزَحَنْ قَعْرَكِ بالدُّلِيّ

حتى تَعُودي أَقْطَعَ الوَلِيّ

فانه أراد حتى تعودي قليبا اقطع الولي ، لان القليب يذكر ويؤنث فَذَكَّره على ارادة القليب اذا ذُكِّرَ

(البَاعُ) : قدر مد اليدين ، في جامع الشواهد ، والجمع أبواع وباعات وبيعات

(البَتُّ) : بالفتح وتشديد المثلثة الحال ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث

(البَدْرُ) : كفَلْسٍ موضع بين الحرمين ، في القاموس وجامع الشواهد مؤنثة ويذكر

(البُسْرُ) : كقُفْلِ التمر اذا تَلَوَّنَ ولم ينضج ، جمعه بُسار ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث

(البَطْنُ) : خلاف الظهر ، في الصحاح وجامع الشواهد مذكر وقد يؤنث في لغة والجمع بطون وابطن

(البَقَرُ) : كفَرَسٍ ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة وفي التنزيل « انَّ البَقَرَ تَشَابَهَتْ عَلَيْنَا » في قراءة ، والجمع بقرات وبُقُرٌ وأبقُرٌ وابْقَارٌ وأباقِرُ وأباقير

(البِنْصر) : كزِبْرِجِ الاصبع بين الوسطى والخنصر ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، والجمع بناصر

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٤

باب التاء

(التِّبْراكُ) : كقِرْطَاسِ السِكِّينُ ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

(التَّمْرُ) : اليابس من ثمر النخل ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ، والجمع تمور وتمرانٌ وتمراتٌ

باب الثاء

(الثَّدْيُ) : غدة في صدر المرأة او عام ، في القاموس والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، والجمع ثُدِيٌّ وثِدِيٌّ وأثْدٍ

(الثُّعْبَانُ) : كعُفْرَان الحيَّة ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ، والجمع ثعابين

(الثَّعْلَبُ) : كجعفر حيوان معروف ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، والجمع ثعالب وثعالٍ

(الثُّمَامُ) : كغرابٍ نبت ضعيف يصنع منه الحصير ، في جامع الشواهد مؤنثة

(الثَّوْلُ) : النحل ، في المخصص مؤنثة ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي (١)

فما برح الأسباب حتى وضعنه لدى الثَّولِ ينفي جثَّها ويؤومها (٢)

باب الجيم

(الجَامُ) : إناء من فضة ، في جامع الشواهد مؤنثة ، جمعه جامات وأجوام وأجؤم وجوم

---

(١) هو ابن بني كعب بن كاهل ، بن سعد الهذلي : شاعر مخضرم . ادرك الجاهلية والاسلام أسلم وليست له صحبة قال الآمدي : شعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة له ديوان شعر مطبوع

(٢) جثها : غثاؤها وما كان على عسلها من جناح او فرخ من فراخها ويؤومها : يدخن عليها والايام : الدخان

(الجَحِيمُ) : كامير جهم وكل نار في مهواة شديـدة التأجج ، في أدب الـكاتب والدستور والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهـد والمنجد مؤنثة وفي المخصص ويذ كر ، وفي التنزيل « وإذَا الجَحِيمُ سُعِرت »

(الجَرَادُ) : كسحابٍ معروفـة ، في الدســتور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

(الجَزوُرُ) : كصبورٍ ما يجزر من النوق والغنم ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، في اسرار البلاغة للزمخشري [1] : ويسروا الجزور : قسموها ، وتياسروها تقاسموها » ، والجمع جزر وجزورات وجزائر

(الجِعار) : ككتابٍ حَبْلٌ يشـد به المستقى وسطه لئلا يقع في البئر حين ينزل فيها ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

(جُمادى) : كحبارى اسم للشهر الخامس والسادس من الشهور العربية ، في المخصص والدستور ومنظوســة البيتوشي مؤنثة ، فان سمعت في شعر تذكيرها فانما يذهب به إلى ارادة الشهر ، جمعها جماديات ، وفيه أنها مؤنثة بالالف المقصورة

(الجِنُّ) : خلاف الانس والواحد جني ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « تَبَيَّنَـتِ الجِنُّ » .

(جَهَنَّمُ) : دار العقاب الابدية بعد الموت ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتي يُكَذِّبُ بِهَا المُجْرِمُون »

---

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم : من ائمة العلم بالدين والتفسير واللغة والادب ، ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م ، وتوفي في جرجان سنة ٥٣٨ هـ = ١١٤٤ م ، أشهر كتبه « الـكشاف » في تفسير القرآن و« اساس البلاغة » و « المفصل » .

(الجَيْأَل) : الضبع ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

باب الحاء

(الحَائِلُ) : كفاعل الأنثى من أولاد الابل ساعة توضع ، في جامع الشواهد مؤنثة وفيه أنها مؤنثة حقيقية لا تحتاج إلى السماع

(الحَالُ) : صفة الشيء وهيئته وكيفيته ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي مؤنثة وقد يذكر ، يقال نَطَقَتِ الحالُ والحالُ ناطقة بكذا ، والجمع أحوال وأحوِلَةٌ

(الحانوتُ) : كهاروت الخمر ، فيالدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص والمنجد ويذكر ، اما الحانوت بمعنى الخمّار نفسه فمذكر ، قال الشاعر :

عمّي بيننا حانوت خمرٍ من الخرسِ الصراصرة القطاط

والجمع حوانيت

(الحُدُورُ) : المكان الذي ينحدر منه ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

(الحَرْبُ) : المقاتلة والمنازلة ، في المخصص وادب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، يقال في تصغيرها حُرَيْبٌ بغير هاء ، وفي المنجد وجامع الشواهد وقد يذكر ، وفي التنزيل « حتى تَضَعَ الحَرْبُ أوْزَارَهَا » وقال الشاعر :

وحربٍ عوانٍ بها ناخسٌ مَرَيتُ برمحي فدرَّت عِساسا (١)

والجمع حروب

---

(١) الحرب العوان : اشد الحروب الناخس : جرب يصيب البعير عند ذنبه مريت : من مرى الناقة يمريها مسح ضرعها درت عساسا : أي كرهاً

(الحَرْفُ) : أي مطلقاً سواء كانت حرف مبنىً وهي من الالف إلى الياء ، أو حرف معنى وهي من غير المشترك ثلاث وسبعون ، جمعها البيتوشي في سبعة ابيات بقوله :

ألِفُ ، باءٍ ، تاءُ همز ، سينُ　　فاءٌ وكافٌ ، لامُ ، ميمٍ نونُ

هاءٌ وواو وياءُ ، ءا ، أمْ ، إنْ ، وأنْ

أوْ ، أي وبَلْ ، عَنْ ، في وقدْ ، كيْ ، لم ولنْ

وما ومُذ ومِنْ وها وهلْ و لا　　وواووي ، يا ، لوْ ومعْ وألْ على

وإي ، أجلْ ، إذنْ ، إلى ، أما ، ألا　　إنَّ ، أيا ، أنَّ ، بلى ، جيْرِ ، خلا

سوفَ ، متى ، رُبَّ ، عدا ، وليْتا　　ثم ، نعم ، هيا ، كذلك حتى

إلا وحاشا وكأنَّ ، كلا　　لَما وأمّا ولَعلَّ ، ألا

لولا وهلا مِثلُ لوما ، إما　　لكن ، ذا نظم الحروف تمَّا

في الدستور ومنظومة البيتوشي يذكر ويؤنث ، والجمع حروف وأحرفٌ

(الَحرورُ) : كصبور الريح الحارة بالليل ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

(الَحضاجِرُ) : كمساجد اسم للضبع أو لولدها ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة

(حَضَارِ) : كقطام بالبناء على الكسر نجمٌ ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، يقال طلعت حضارِ والوزنُ ، وهما كوكبان

(الَحفِثُ) : ككتف القِبَّةُ ، في المخصص مؤنثة

(حَلاقِ) : كقطامِ بالبناء على الكسر معدولة عن حالقة : المنية ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الشاعر :

لَحِقتْ حلاقِ بهم على أكسائهمْ ضربَ الرِّقابِ ولا يهمُّ المغنمُ[1]

(الحَمامُ) : كسحابٍ طائر ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشيخ عبد الله البيتوشي

هاجك البرق أم نسيم يمـاني أم حَمامٌ رقت على الأغصانِ

والجمع حمائم وحمامات

(الحَمْصُ) كفلس كورة بالشام ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي القاموس وجامع الشواهد وقد يذكر .

باب الخاء

(الخِرْنِقُ) : كزِبْرِجٍ ولد الأرنب ، في جامع الشواهد يذكر ويؤنث ، والجمع خَرانق

(الخَصِينُ) : كأمير فأس ذات خَلْفٍ واحد ، في المخصص والقاموس يذكر ويؤنث والجمع أخْصنٌ وخُصُنٌ

(الخَلُّ) الطريق الذي ينفُذُ في الرمل ، في القاموس وجامع الشواهد يذكر ويؤنث.

(الخمرُ) : كفلسٍ كل ما أسكر من عصير العنب وغيره ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس والمنجد وجامع الشواهد وقد يذكر ، وكذلك جميع أسمائها وصفاتها كالراح [2] والمدام [3] والرحيق [4] والشمول [5]

---

(١) الاكساء المآخير واحدها كسء ، يقال أتينا في اكساء الشهر أي في أواخره

(٢) التي يرتاح شاربها بها ، ويقال بل هي التي يستطيب الشارب ريحها ، ويقال بل هي التي يجد شاربها روحا ، وقد جمع ابن الرومي هذه المعاني في قوله :

والله ما أدري لايـة علة يدعونهـا في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتيـاح نديمهـا المرتاح

(٣) التي أديمت في مكانها حتى سكنت حركتها وعتقت

(٤) التي هي صفوة الخمر التي ليس فيها غش (٥) التي تشمل بريحها القوم

والمشمول [١] والخندريس [٢] والحميّا [٣] والقرقف [٤] والعقار [٥] والكُمَيْتِ [٦] والشموسِ [٧] والسلافِ [٨] والطلاء [٩] والقهوة [١٠] والباذقِ [١١] والخرطوم [١٢] والعاتق [١٣] والمصطارِ [١٤]

(الخِنْصِرُ) : كقنبر وزبرج الاصبع الصغرى ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، يقال هي الخنصر ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر

(الخيلُ) : جماعة الافرس لا واحدة لها ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « والخيلِ المسوَّمةِ » قال البيتوشي :

يا ليتنا فُزْنا بلثْم سنابك الـ خيلِ التي جاءت بكم يا ليتنا

(١) التي أبرزت للشمال فبردت .

(٢) القديمة منها

(٣) الشديدة منها

(٤) التي تقرقف شاربها إذا أدمنها أي ترعشه

(٥) التي عاقرت الدن زماناً أي لازمته

(٦) الحمراء الى الكلفة ، فاذا اشتدت حمرتها حتى تضرب الى السواد فهي كلفاء

(٧) التي تجمح بصاحبها

(٨) التي تحلب عصيرها من غير عصر باليد ولا دوس بالرجل .

(٩) التي قد طبخت حتى ذهبت ثلثاها

(١٠) التي تقهي صاحبها أي تذهب بشهوة طعامه

(١١) معربة ، وهي أن يطبخ العصير بعض الطبخ وتطرح طفاحته ويطيب ويخمر

(١٢) أول ما يخرج من الدن اذا بزل أي صفي ، ويقال بل هي التي اذا أخذها الشارب قطب لها فكأنها أخذت بخرطومه

(١٣) القديمة

(١٤) الحديثة وهي إلى أن تكون حلوة أقرب ، قال عدي بن الرقاع :

مصطارة ذهبت في الرأس نشوتها كأن شاربها مما بـه لمم

باب الدال

(الدارُ) : المحل والمسكن ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي القاموس والمنجد وقد يذكر على اعتبار المكان ، وفي التنزيل « تلك الدارُ الآخرةُ نجعلها » قال البيتوشي :

يا أخت سعد سقى داراً حللت بها   مزنٌ يزجيه إبراقٌ وإرعاد

والجمع دور

(الدُّبُرُ) : كعنق نقيض القُبُلِ ، في الدستور وجامع الشواهد مؤنثة

(الدرْعُ) : كحِبْرٍ أي التي تنسج من الحديد وتلبس لدفع السلاح ، والجمع دروع وأدرعٌ ودِراع ، في أدب الكاتب والمزهر ومنظومة ابن الحاجب مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس والدستور ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد وقد يذكر اما درع المرأة ــ وهو قميصها ــ فذكر ، قال البطليوسي [1] في شرح الفصيح : كان بعض أشياخنا يقول : إنما ذكّر درع المرأة وأنّث درع الرجل لأن المرأة لباس الرجل وهي أنثى ، فوجب أن يكون درعه مؤنثة ، والرجل لباس المرأة وهو مذكر فوجب أن يكون درعها مذكراً ، وكان يحتج على ذلك بقوله تعالى ــ هن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن » .

(الدلْوُ) : كفلسٍ ما يستقى بـه ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد وجامع الشواهد ويذكر ، قال الشاعر في التأنيث :

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن السيد ، أبو محمد ، من العلماء باللغة والأدب ، ولد ونشأ في بطليوس في الاندلس سنة ٤٤٤ هـ = ١٠٥٢ م ، وانتقل الى بلنسية فسكنها وتوفي بها سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م ، له تآليف كثيرة ومهمة منها « الاقتضاب » لشرح أدب الكتاب » لابن قتيبة وشرح الموطأ وغير ذلك

لا عَلاءِ الدَّلوَ وعرِّقْ فيهـا [1]

وقال أيضاً في التذكير :

يمشي بدلو مـكرب العَـراقِيَ [2]

والدَّوْلُ : لغة في الدلو ، والقول فيها كالقول في الدلو

باب الذال

(الذراعُ) : ككتاب من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوســطى ، في المخصص وأدب الـكاتب والدستور والقـاموس ومنظومتي البيتوشي وابن مالك وجامع الشواهد مؤنثة وقد تذكر ، والجمع أذرع .

(ذُكاءُ) : كدعاء الشمس ، في المخصص والدستور وجامع الشواهد مؤنثة ، يقال : طَلَعَتْ ذُكاء على وزن فُعال ممدود معرفة بغير ألف ولام ، قال الشاعر يذكر نعامتين :

فتذكرا ثقلا رثيـدا بعد ما ألقت ذُكاءُ يمينها في كافِرِ [3]

(الذَّنوبُ) : كصبور الدلو العظيمة ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وتهذيب التبريزي [4] تذكر وتؤنث قال الراجز [5] في التذكير :

---

(١) عرق : من عرق الاناء : جعل فيه ماء قليلا

(٢) العراقي : جمع عرقاة وهي خشبة معروضة على الدلو

(٣) الثقل : متاع المسافر ، يقال : للمسافر ثقل كثير الرثيد : المتراكم ، والمراد بكافر الليل .

(٤) هو يحيي بن علي بن محمد الشيباني التبريزي أبو زكريا : من أئمة اللغة والأدب ، ولد في تبريز سنة ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م ، ونشأ ببغداد ورحل الى بلاد الشام ، فقرأ « تهذيب اللغة » للأزهري على أبي العلاء المعري ، ثم دخل مصر ثم عاد الى بغداد فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية الى أن توفي سنة ٥٠٢ هـ = ١١٠٩ م ، له تآليف كثيرة منها « شرح ديوان الحماسة » لأبي تمام ، و« تهذيب الألفاظ » لابن السكيت و « شرح سقط الزند » للمعري وغيرها

(٥) هودكين بن رجاء الفقيمي : راجز ، اشتهر في العصر الأموي ، مدح عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ، وله رجز في مدح مصعب بن الزبير ، توفي سنة ١٠٥ هـ = ٧٢٣ م

فرِّعْ لهـا من قرقر ذنوبا إن الذنوب ينفع المغلوبا (١)

وقال آخر في التأنيث :

على حين من تلبث عليه ذنوبه يجد فقدها وفي المقام تدابر

والجمع ذنائِب وذِئاب واذنبة ، أما الذنوب الذي هو النصيب فمذكر ، وفي التنزيل « فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم » والمراد ان لهم حصة من العذاب

(الذَّوْدُ) : قطعة إبل بين الثلاث الى العشر لا واحد لها من لفظها ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وتصغيرها ذُوَيْد بغير هاء ، وفي الحديث الشريف « ليس فيما دون خمس ذود من ابل صدقة » ، والجمع أذْواد .

(الذهبُ) : التبر ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس والمنجد ويذكر ، وفي التنزيل « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها » أي كل واحدة منها ، والجمع أذهاب وذُهوب وذهبان .

باب الراء

(الرِّجْلُ) : كجِبرِ القدم والقطعة العظيمة من الجراد ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة بالمعنيين المذكورين ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، قال الشيخ عبد الله البيتوشي للشيخ أحمد الأنصاري (٢) :

---

(٤) القرقر : الارض المطمئنة

(١) هو الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن علي ، أبو سعود ، من ذرية أبي أيوب الانصاري النجاري الخزرجي ، كان مستشاراً أول لحاكم الاحساء الشيخ عرعر بن دجين الخالدي ثم لابنه سعدون بن عرعر ، كان شاعراً وناثراً وأديباً واسع المعرفة بالأساليب الأدبية ، وقدجرى بينه وبين الشيخ عبد الله البيتوشي أشعار وأبيات رقراقة ، تتلمس منها شدة الاتصال بين هذين الأديبين ذكرناها في كتابنا : « البيتوشي »

إن رِجْلاً تشكو أذاها لأهلٌ ان تفدى بموضع التيجان

وقال آخر :

وكنت كذى رِجْلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلّت

ويقال : أتته بأولاد على رجل واحـدة وساق واحدة اذا كانوا يشبه بعضهم بعضاً ، فالرِّجْل بهذا المعنى أيضاً مؤنثة ، وكذلك الرجـل من قولهم كان ذلك على رجل فلان أي على يده ، يروى عن سعيد بن المسيب [1] انه قال : « لا أعلم نبياً هلك على رجله من الجبابرة ما هلك على رجل موسى[2] عليه الصلاة والسـلام » ، قال ابن الانباري [3] : ان رجل الجرادِ مذكر لأنه بمنزلة السرب

(الرَّحِمُ) : ككتف مستودع الجنين في أحشـاء الحبلى ، في أدب الـكاتب والمزهر والدستور ومنظومة البيتوشي والمنجد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك وجامع الشواهد ويذكر ، وكذلك الرحم بمعنى القرابة ، قال الله تعـالى في الحديث القـدسي : « أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ، والجمع أرحام .

---

(١) هو أبو محمد سـعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السـبعة بالمدينة ، وكان سيد التابعين من الطراز الاول جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ، توفي بالمدينة سنة ٩١ هـ = ٧١٠ م

(٢) هوموسى بن عمران بن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، صاحب الدين الموسوي واحد المرسلين العظام ، قام بأمرين خطيرين وهما تخليص أمته من سلطة الفراعنة الجبارين وتحليتها بدين وشريعة ، ولد في سنة ٢٥٠ بعد وفاة ابراهيم وعاش ١٢٠ سـنة ، صلوات الله وسلامه عليه

(٣) هو أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة ابن قطن بن دعامة الانباري النحوى صاحب التصـانيف : المشهورة كان فريد عصره في الأدب واللغة وأكثر رجالها حفظاً لها ولد سنة ٢٧١ هـ = ٩٠٠ م وتوفي سنة ٣٢٧ هـ = ٩٦٦ م

(الرَّحى) : كفتى الطاحونة ، في المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، قال العلامة مفتي الزهاوي [1] :

فكري دقيق في العلوم لأنه دارت عليه رحى الجدال سنينا

والجمع أرحاء وأرحية وأرْح

(الرَّخِلُ) : ككتف الأنثى من أولاد الضأن ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفيه أنها مؤنثة حقيقية

(الرَّكِيُّ) : بفتح الراء وكسر الكاف والياء المشددة البئر ذات الماء ، الواحدة ركية ، في الدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وقد يذكر عند الفراء [2] ويقول : رأيت بعض تميم ـ وقد سقط له ابن في بئر ـ فقال : والله ما أخطأ الركي

(الروح) : كقفل مابه حياة الأنفس ، في الدستور وجامع الشواهد مؤنثة وفي

---

(١) هو محمد فيضي بن الملا احمد بن حسن بن رستم بن كي خسرو بن أمير بابا سليمان بن قتي أحمد الدارشماني جد الامرة البابانية الشهيرة ، ولد في مدينة السليمانية سنة ١٢٠٨ هـ = ١٧٩٣ م ، ونشأ فيها ، وأخذ العلوم والآداب عن أكابر علمائها ، ثم عين مدرساً فيها ، ثم انتقل الى مدينة كركوك وعين مدرساً في جامع (المسلم) ، وفي سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م عين مدرساً رسمياً في المدرسة العلية ببغداد وفي سنة ١٢٦٦ هـ = ١٨٤٩ م صار رئيساً للمدرسين فيها ، وفي سنة ١٢٧٠ هـ = ١٨٥٣ م وجه اليه منصب الافتاء بالزوراء ، وبقي في هذا المنصب الى أن توفي رحمه الله في ليلة الاثنين ثالثة جادى الاولى سنة ١٣٠٨ هـ = ١٨٦٠ م كان رحمه الله شاعراً في اللغات الكردية والفارسية والعربية والتركية ، وله أشعار باللغات المذكورة ، كتبنا في حياته كتاباً باللغة الكردية في ١٤٤ صفحة وطبع في بغداد سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م ، ثم اقتطفنا منه مقالا نشر في المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م ،

(٢) هو يحي بن زياد بن عبد الله ويعد عند أهل اللغة المعلم الأول لأنه جمع اللغة وضبطها حتى قيل : لولا الفراء لضاعت لغة العرب ، أوهبه المأمون حجرة في دار الخلافة وأحضر له الوراقين والنساخ والخدم وأمر أن يعطى ما هو بحاجة اليه من المال ، ولد في سنة ١٤٤ هـ = ٧٦١ م ، وتوفي في سنة ٢٠٧ هـ = ٨٢٢ م ،

القاموس ومنظومتي البيتوشي وابن مالك والمنجد ويذكر ، أما الذي بمعنى المهجة أي الدم فذكر ، والجمع أرواح

(الريح) : كحِبْرٍ الهواء ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن مالك والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وكذلك جميع أسماء الرياح من الشمال [١] والجنوب [٢] والقبول [٣] والدبور [٤] والصبا [٥] والنسيم والعقيم [٧] والبليل [٨] والحرور [٩] والسموم [١٠] والهجوم [١١] والصرصر [١٢] والعاصف [١٣] والحاصب [١٤] والهوْجاء [١٥] والحَرْجفِ [١٦] والهيفِ والهوْف [١٧] والخريقِ [١٨] والحنونِ [١٩]

---

(١) الريح التي تهب بين مطلع الشمس وبنات النعش ، ومن أسماء الشمال (نسع ومسع)

(٢) التي تخالف الشمال ، ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا

(٣) ريح الصبا لأنها تقابل الدبور ، ولأنها تقابل باب الكعبة أو لان النفس تقبلها

(٤) التي تقابل الصبا

(٥) التي مهبها من مطلع الثريا إلى بنات النعش

(٦) التي جاءت بنفس ضعيف وروح ،

(٧) التي لا تلقح شجراً ولا تنشيء سحاباً ولا مطراً ،وفي التنزيل « وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم »

(٨) التي فيها برد وندى

(٩) الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار

(١٠) الريح الحارة تكون غالباً بالنهار

(١١) الريح الشديدة بحيث تقلع الخيام

(١٢) الريح الباردة ، وفي التنزيل « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية »

(١٣) الشديدة ، وفي التنزيل « جاءتها ريح عاصف »

(١٤) التي تحمل التراب وكذلك ما تناثر من دقيق البرد والثلج ، وفي التنزيل « إنا أرسلنا عليهم حاصباً » أي ريحاً حاملة للحجارة

(١٥) المتداركة الهبوب

(١٦) الريح الباردة

(١٧) الحارة بين الجنوب والدبور

(١٨) الباردة الشديدة بحيث تخرق الثوب

(١٩) التي لها حنون مثل حنون الإبل

والدروج[1] والنئوج[2] والهيج[3] والسهوك[3] والسهوج والسيهوج[4] والخزرج[5] والزعزع والزعزاع والزعزوع والزعزعان[6] والجفل[7] والهبوة[8] والحجوج[9] والزويع والزويعة[10] والهلاب[11] والقاصف[12] والسهام[13] والبوارح[14] وغيرها ، والجمع أرياح وأرواح ورياح وريح

أما الإعصار فذكر ، في التنزيل « إعصارٌ فيه نارٌ »

باب الزاي

(الزُقاقُ) : كغراب السكة والطريق الضيق ، في القاموس والصحاح والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث

(والزَندُ) : كفلس موصل الذراع في الكف ، في الدستور ومنظومة البيتوشي

---

(١) التي درجت حتى ترى لها ذيلا كالرسن في الرمل .

(٢) الريح الشديدة المرور

(٣) الشديدة

(٤) التي هبت هبوبا دائماً وسهجت الارض تشرت وجهها

(٥) ريح الجنوب وقيل الشديدة وقيل هي الريح الباردة ، قال ابو ذؤيب :

غدون عجالى واشتحتهن خزرج مقفية آثارهن هدوج

(٦) الريح الشديدة بحيث تحرك الاغصان تحريكا شديداً وتقام الاشجار

(٧) الريح السريعة

(٨) التي هبت بالغبرة

(٩) التي تحج في هبوبها اي تلتوي

(١٠) التي تثير الغبار وتديره في الارض حتى ترفعه في الهواء

(١١) الريح مع المطر

(١٢) الريح الكاسرة ، وفي التنزيل « فيرسل عليكم قاصفاً من الريح »

(١٣) الريح الحارة والواحد والجمع فيها سواء

(١٤) التي تحمل التراب

وجامع الشواهد ومختصر العين مؤنثة

(الزوجُ) : كفَلْسٍ البعلُ والزوجةُ ، في الدستور ومنظومة البيتوشى وجامع الشواهد مؤنثة ، أقول إنها تدل على انها مؤنثة وان أريد به البعل وهو ليس كذلك وفي المخصص ويذكر يقال فلان زوج فلانة وفلانة زوج فلان ، هذا قول أهل الحجاز وعليه القرآن في قوله تعالى « أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ » ، وأهل نجد يقولون فلانة زوجة فلان ، فمن قال زوجة قال في الجمع زوجات ، ومن قال زوج قال في الجمع ازواج كما قال الله تعالى « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين »

باب السين

(الساقُ) : ما بين الكعب والركبة ، في المخصص والدستور ومختصر العين ومنظومتي البيتوشى وابن الحاجب وجامع الشواهد والمنجد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك ويذكر ، وفي التنزيل « والتَفَّتِ الساقُ بالساقِ » وكذلك الساق من الشجر مؤنثة ، والجمع سوق وسيقان وأسواق

(السَّباط) : كقطام اسم من اسماء الحمى ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشى وجامع الشواهد مؤنثة ، قال الهذلي [١]

أجزْتُ بفتيةٍ بيض خفافٍ كأنَّهمُ علهُّمْ سَباط

(السبيلُ) : كأمير الطريق ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومة البيتوشى والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، وفي التنزيل « قُلْ هَذه سَبيلي » وفيه « وإن يروا سَبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » ، قال الاخفش [٢] : أهل

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٢١٥

(٢) هو علي بن سليمان بن الفضل ، أبو المحاسن : نحوي من العلماء من اهل بغداد أقام بمصر سنة ٢٨٧ ، ٣٠٠ هـ وخرج الى حلب ، ثم عاد الى بغداد وتوفي بها في سنة ٣١٥ هـ = ٩٢٧ م وهو ابن ٨٠ سنة له تصانيف كثيرة منها « شرح سيبويه » و « الانواء » و « المهذب »

الحجاز يؤنثون السبيل والجمع سُبلٌ وسُبُلٌ وأسْبُلٌ وأسبُلَة وسُبول

(السته) : كفلس وملح وفرس الإست ، في جامع الشواهد مؤنثة

(السَّرَاويلُ) : كمصابيح لباس يستر النصف الاسفل من الجسم ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب مؤنثة ، وفي المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمنجد وقد يذكر ، قال الشاعر في التأنيث :

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيسٍ والوفود شهود

وان لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عاديٍّ نمته ثمود

وقال الفرزدق [1] في التذكير :

سراويله ثلثا عشير مقدرٌ ... وسرباله أضعافه وهو خالص

وحكى ابن جني [2] أن أعرابياً قال لخياط أمره بخياطة سراويل : خَرفِجْ مُنطَّقها وجَدِّلْ مُسوَّقها أي وسع معظمها وضيّق مدخلها

قال سيبويه [3] السراويل فارسي معرب جاء بلفظ الجمع وهي واحدة ، أقول بل كردي معرب مأخوذ من « شروال » لا فارسي لان فارسيها « زير جامه » يعني ما تحت

---

(1) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أبو فراس ، الشهير بالفرزدق : شاعر من النبلاء من أهل البصرة ، عظيم الاثر في اللغة ، كان من شعراء الطبقة الاولى وهو صاحب الاخبار مع جرير والاخطل ، كان شريفاً في قومه ، عزيز الجانب ، وفي شرح نهج البلاغة : كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء إلا قاعداً ، وأراد سليمان بن عبد الملك ان يقيمه فثارت دائمة من تميم فأذن له بالجلوس ، توفي سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م

(2) هو عثمان بن جني الموصلي ، من أئمة الأدب والنحو ، وله شعر ، ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م ، وكان المتنبي يقول : ابن جني اعرف بشعري مني ، له تصانيف كثيرة

(3) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر الملقب سيبويه : امام النحاة ، وأول من بسط علم النحو ، ولد في احدى قرى شيراز سنة ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م وقدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد ففاقه ، وصنف كتابه المسمى « كتاب سيبويه » في النحو لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، ورحل الى بغداد فناظر الكسائي وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم ، وعاد الى الاهواز فتوفي بها سنة ١٨٠ هـ = ٧٩٦ م

القميص ، اللهم إلا أن يقال فارسي بالمعنى الأعم ، والسروال والشروال والسروالة والسرويل والسرابيل لغة في سراويل ، وفي التنزيل « سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم » .

(السُّرَى) : كهدى سير الليل يقال طالت سراهم ، في المقصور للقالي [١] والدستور مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس ومنظومة البيتوشي ويذكر

(السَّعير) : كامير لهب النار ، في الدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وأعدّ لهم سعيرا خالدين فيها أبدا »

(السِّقاية) : موضع السقي ، قال النحاس [٢] في شرح المعلقات : يذكر ويؤنث ، وفيه أنها مؤنثة بالتاء

(سَقَر) : كفرس علم لجهنم ، وفي المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرْ لا تُبقي ولا تَذَرْ »

(سِقْطُ النار) : بتثليث السين ما يسقط بين الزندين قبل استحكام الورى ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومة البيتوشي يذكر ويؤنث ، وفي جامع الشواهد مؤنثة ، وانشد الفارسي [٣]

---

(١) هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، أبو علي القالي : أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والادب ، ولد في منازجرد (بقرب من بحيرة وان) سنة ٢٨٨ هـ = ٩٠١م ورحل الى العراق فتعلم في بغداد ، ثم رحل الى المغرب فدخل قرطبة ومات فيها سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٧ م وأشهر تصانيفه « النوادر » ويسمى « أمالي القالي » في الاخبار والأشعار ، اما نسبة القالي قال « قالى قلا » بين طرابزون ومنازجرد

(٢) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر النحاس : مفسر أديب ولد في مصر وكان من نظراء نفطويه وابن الانباري ، توفي في مصر سنة ٣٣٨ هـ = ٩٥٠ م وله تآليف كثيرة منها شرح المعلقات السبع

(٣) سبقت ترجمته في الصفحه ٣١٤

وسقطٍ كعين الديك عاودت صحبتي　　　أباها وهيأنا لموضعها وكرا

وقال بعض الاعراب : إن السِّقط يحرق الحرجة بالتذكير ، والحرجة مجتمع الشجر اما سقط الولد أعني المخلوج وسقط الرمل أعني مُنقطعه فمذكر لا غير

(السِّكّينُ) : بالكسر والتشديد آلة للقطع والذبح ، والجمع سكاكين ، في المخصص وأدب الكاتب والقاموس والمزهر والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشاعر في التذكير :

يُرى ناصحا فيما بدا فاذا خلا　　　فذلك سِكّينٌ على الحلق حاذق

وقال آخر في التأنيث :

فعيَّثَ في السَّنام غداة قُرٍّ　　　بسكينٍ موثَّقَةِ النصاب [1]

(السلاح) : اسم جامع لآلات الحرب والقتال ، والجمع أسلحة وسلح وسلحان ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ؛ قال الفراء [2] سمعت بعض بني دبير يقول إنما سمي جدنا دبيرا لأن السلاح ادبرته أي تركت في ظهره دبرا ، ودبير تصغير أدبر ترخيا

(السلطان) : كغفران الحجة ، والجمع سلاطين ، في المخصص يذكر ويؤنث والتأنيث اكثر، وفي جامع الشواهد : السلطان الوالي مؤنثة لانه جمع سليط وهو الزيت كانه به يضيء الملك انتهى وفيه ان الجموع ليست مؤنثات سماعية وانما هي مؤنثات تأويلية ، وقد يذكر ذهابا إلى ارادة الدليل كما جاء في القرآن (أو ليأتيني بسلطان مبين) و « اجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا » كما يؤنث ذهاباً إلى ارادة الحجة

(السِّلمُ) : بالكسر الصلح وقد يفتح ، في جامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص

---

(١) عيث : طلب شيئاً باليد من غير أن يبصره . القر : البرد

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٩

وأدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومة البيتوشي والمنجد يذكر وأنشد الفارسي :

فان السلم زائدة نوالاً وان نوى المحارب لا يؤوب

وفي التنزيل « وان جنحوا للسلم فاجنح لها »

وقال زهير الشاعر [١] في التذكير :

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من القول نَسلمُ

(السَّلْمُ) : الدلو بعروة واحدة كدلو السقائين ، جمعه أسلمٌ وسلامٌ ، وفي المخصص والقاموس يذكر ويؤنث ، قال الراجز [٢] في التذكير :

سَلمٌ ترى الدَّالي منه أزورا إذا يعبُّ في السريّ هرهرا [٣]

(السُّلَّم) : المرقاة وهو ما يرتقى عليه سواء كان من خشب أو حجر أومدر، والجمع سلالم وسلاليم ، في المخصص والمنجد يذكر ويؤنث والتذكير أكثر كما في التنزيل « أم لهم سلم يستمعون فيه » ، وقال الشاعر في التأنيث :

لنا سلم في المجد لا يرتقونها وليس لهم في سورة المجد سلم

(السماءُ) : كسحاب التي تظل الأرض ، في أدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومة البيتوشي مؤنثة ، وفي المخصص والقاموس وجامع الشواهد وقد تذكر ، في التنزيل « والسماء وما بناها » ، وفيه أنها مؤنثة بالألف الممدودة

(السموم) : كصبور الريح الحارة ، جمعه سمائم ، في الدستور ومنظومة البيتوشي والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي المخصص وقد يذكر ، قال الراجز :

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني ، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية ، ولد في بلاد « مزينة » بنواحي المدينه ، اشهر شعره معلقته المشهورة ، مات سنة ١٣ ق هـ = ٦٠٩م

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٦

(٣) الازور : المائل يعب : يكرع السري : النهر هرهرا : حرك الماء ، يقال هرهر الشيء حركه

اليوم يوم باردٌ سمومـــه　　　من جزع اليوم فلا تلومه[1]

(السِّنُّ) : بالكسر والتشديد عظم نابت في فم الحيوان جمعها أسنان وأسنة وأُسنٌّ، في المخصص والدستور والقاموس ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد مؤنثة ، وفي مختصر العين ومنظومة ابن مالك ويذكر ، وكذلك السن بمعنى مقدار العمر يقال كبرت سني

(السنانُ) : نصل الرمح ، والجمع أسِنَّةٌ ، قال النحاس [2] في شرح المعلقات يذكر ويؤنث .

(السوق) : كقفل موضع مبيع البضائع والأمتعة ، في المخصص وأدب الكاتب والدستور والمزهر ومنظومتي البيتوشي وجامع الشواهـد والمنجد مؤنثة وقد يذكر ، قال الشاعر في التأنيث .

وركد السبُّ فقامت سوقه

وقال في التذكير :

بسوقٍ كثيرٍ ريحه وأعاصره

قال الأخفش[3] : أهل الحجاز يؤنثونَ السوقَ وبنو تميم يذكرونه ، والجمع أسواق

باب الشين

(الشامُ) : بلاد من مشأمة القبلة ، في القاموس وجامع الشواهد يذكر ويؤنث ، قال الشاعر في التأنيث :

ياصاحب اجتَنِـبَنَّ الشأم إن بها　　　حمى زعافا وحصبـات وطاعونا

---

(١) بارد : أي ثابت من قولهم برد عليه كذا أي ثبت ، وليس من البرد الذي هو ضد الحر

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ٧

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٢٨

وتأتي في شرح (واسط) زيادة إيضاح

(الشبا) : شبوة العقرب في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة .

(الشجر) : ما قام على ساق ، قال الملا محمد الشهير بابن الحاج [1] انها مؤنثة ، أقول ان عبارة القاموس في شرح (الهُدْبِ) حيث يقول : « وهَدِبَ الشجر كفرح طالت أغصانها » تؤيد التذكير والتأنيث على السواء ، والجمع أشجار وشجراء .

(شَعوب) : كصبور المنية ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي وجامع الشواهد مؤنثة ، وهي اسم غير منصرف

(الشعيب) المزادة ، في المخصص والدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة لاغير ، والجمع شُعُب .

(الشمال) : ككتاب ضد اليمين ، في المخصص والدستور ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب ومختصر العين والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي منظومة ابن مالك يذكر ويؤنث ، وفي الحديث الشريف : « لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه » والجمع أشمل وشمل وشمائل (بلفظ الواحد)

(شمام) : كسحاب اسم جبل ، في الدستور ومنظومة البيتوشي مؤنثة

(الشمس) : الكوكب النهاري المعروف ، والجمع شموس في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومتي البيتوشي وابن الحاجب والمنجد وجامع الشواهد مؤنثة ، وفي التنزيل « والشمس تجري لمستقر لها » قال مفتي الزهاوي في رثاء الملا

---

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣١٨

سليمان الخُضَري [1] :

ويشتاق أن لا تغرب الشمس صائماً ويكره في الإحياء ان لايطلع الفجر

أما الشمس الذي هو ضربٌ من الحُليِّ فذكر ، وكذلك الشمس للقلادة التي توضع في عنق الكلب .

باب الصاد

(الصاع) : المكيال والجمع أصواع وأْصوع واصؤع وصوع وصيعان ،في المخصص وأدب الكاتب والدستور والقاموس والمزهر ومنظومتي البيتوشي وشرح المعلقات للنحاس والمنجد يذكر ويؤنث ، وكذلك الصواع بالكسر والضم والصوع بالفتح والضم وفي التنزيل « نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير » وفيه « ثم استخرجها من وعاء أخيه » قال صاحب جامع الشواهد : الصاع : المطمئنة من الأرض وأربعة أمداد مؤنثة فيها

وقال أبو عبيدة [2] : أنا لا أدري التذكير والتأنيث اجتمعا في اسم الصواع ولكنها عندي إنما اجتمعا لأنه سمي بإسمين أحدهما ـ وهو الصاع ـ مذكر والآخر ـ وهو السقاية ـ

يتبع محمد الخال

---

(1) هو سليمان بن الملا احمد الخضري (وخضر قرية في ناحية شنكاو والتابعة لقضاء جمجمال في لواء كركوك ، ولد في حدود سنة ١١٧٠ هـ = ١٧٦١ م بالقرية المذكورة وأخذ العلوم العقلية والنقلية من أجلة العلماء ، وكان مدرساً بمدينة كركوك ، وكان مع ذلك تقياً نقياً زاهداً عابداً ورعاً وفي في سنة ١٢٦٠هـ = ١٨٤ م في كركوك ورثاه مفتي الزهاوي بقصيدة عربية نشرناها في مقالنا المنشور في المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م ومطلعها :

ألا إنما الدنيا سجيتها الغدر فليس لمغرور بزخرفها عذر

(2) هو معمر بن المثنى ، أبو عبيدة النحوي ، من أئمة العلم بالأدب واللغة ، ولد بالبصرة سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م ، وتوفي فيها سنة ٢٠٩ هـ = ٨٢٤ م ، قال الجاحظ : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، وله نحو مائتي مصنف

ساعات من القرن الرابع عشر في فاس [1]

للاستاذ : ديريك ج دي صولا برايس ـ جامة Yale كونيكتكوط : (امريكا)

عرّبه وعلق عليه :

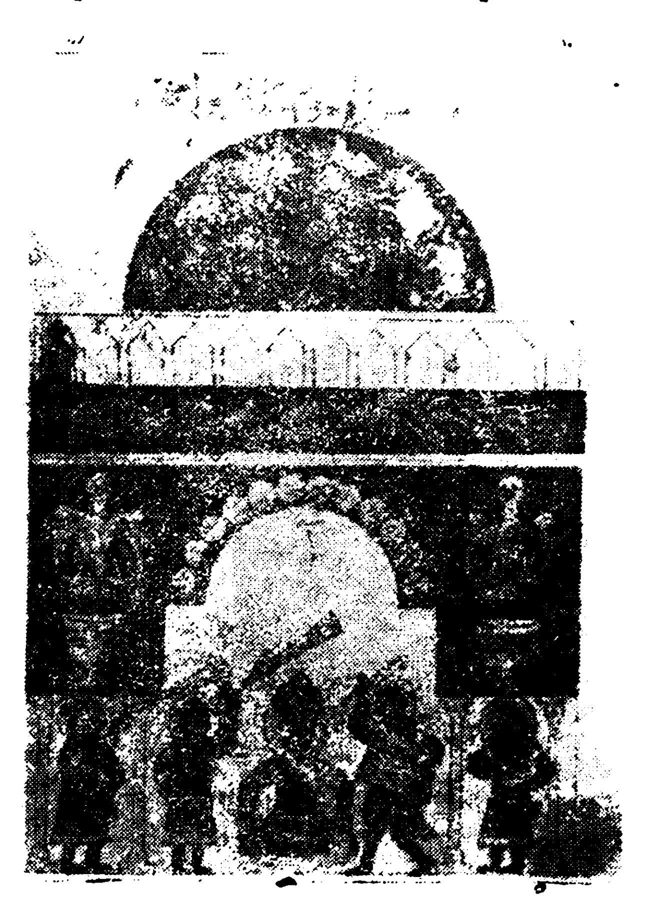
عبد الهادي التازي

تقديم

ورد على سفارة المغرب بواشنطن منذ (ماى ١٩٥٧) المستر ديريك برايس المستشار في تاريخ التنجيم والطبيعيات ، يسأل عن أمر ساعة مائية موجودة بمدينة فاس ، في جامعة القرويين بالذات ويطلب الدكتور صوراً فوتوغرافية للساعة المذكورة ، وقد عنيت سفارتنا ـ مشكورة ـ بالموضوع ، وطلبت معلومات عن الساعة ... وهكذا بعثت وزارة الشؤون الخارجية لوزارة التعليم والفنون الجميلة آنذاك تطلب اليها المساعدة ... وقد

(١) يقول السيد برايس في التعليق : انجز هذا البحث بتخويل من المجلس الامريكي للهيئات العلمية وقد تم طيلة شهر يونية ١٩٦١ وأريد أن أزف بالشكر بهذه المناسبة الى الحكومة المغربية وخاصة وزارة التربية والشؤون الخارجية على مساعدتها الثمينة والخاصة ، وأرى كذلك من واجبي بالاضافة الى ذلك أن أعبر عن تقديراتى الشخصية الحارة للعون الذي أسداه الي الاستاذ عبد الهادي التازي (قسم العلاقات الثقافية بوزارة التربية الوطنية) فلقد أذن لي بالاستفادة من العناصر التي يحتفظ بها لاعداد أطروحته حول تاريخ جامعة القروين وكذا للتشجيع الحار الذي لقيته من محمد بن أحمد الحبابي موقت القروين وآخر من يعنى (حسب علمى) بصناعة الاسطرلاب

عُهِدَ إليّ وقتها بالنظر في الجواب المحضر بتاريخ ٣ يوليه ١٩٥٧ لما كان يعلمه السيد الوزير من انشغالي بتاريخ جامعة القرويين ، نعم وما كنت اعتقد ان ذلك الجواب وتلك الوثائق التي صدرت إلى سفارتنا ستحظى با كثر من رسالة شكر لو كانت ! لـكنه تناهى الى ان الباحث في طريقه إلى المغرب وقد تم الاتصال ، وكان الهدف ينحصر في تطبيق النصوص التاريخية القديمة على ما يوجد حتى الآن بمنار القرويين .. وقد كان الاستاذ برايس يحاول ان يجد صلة بين هذه الساعة وبين الساعة التي وردت في مخطوطة الجزرى والتي سنتعرض لها في أحد



اللوحة رقم ـ ١ ـ
واجهة الساعة المائية التى وردت في مخطوطة الجزرى ، وهي مقتبسة من البحث الذي احال عليها في مجلة سومر

تعليقاتنا اليوم ... على ان برايس (وهو مولع بامر الاسطرلابات) ألحّ في زيارة سائر مظان الاسطرلابات : جامع الاندلس ، متحف فاس ، فاس الجديد

هذا وقد تفضل فبعث لي وانا في بغداد نتيجة ذلك اللقاء في المغرب فاحببت ان اقدمه للذين يعنون بالموضوع وقد نشرتْ له هذا البحث مجلة :

ITHACA 26 - VIII 1962 Paris HERMANN

وقد آثرت ان اعلق عليه بعض التعليقات المفيدة التي من شأنها ان توضح مقاماً ، أو تثير اهتماماً .. يقول الاستاذ :

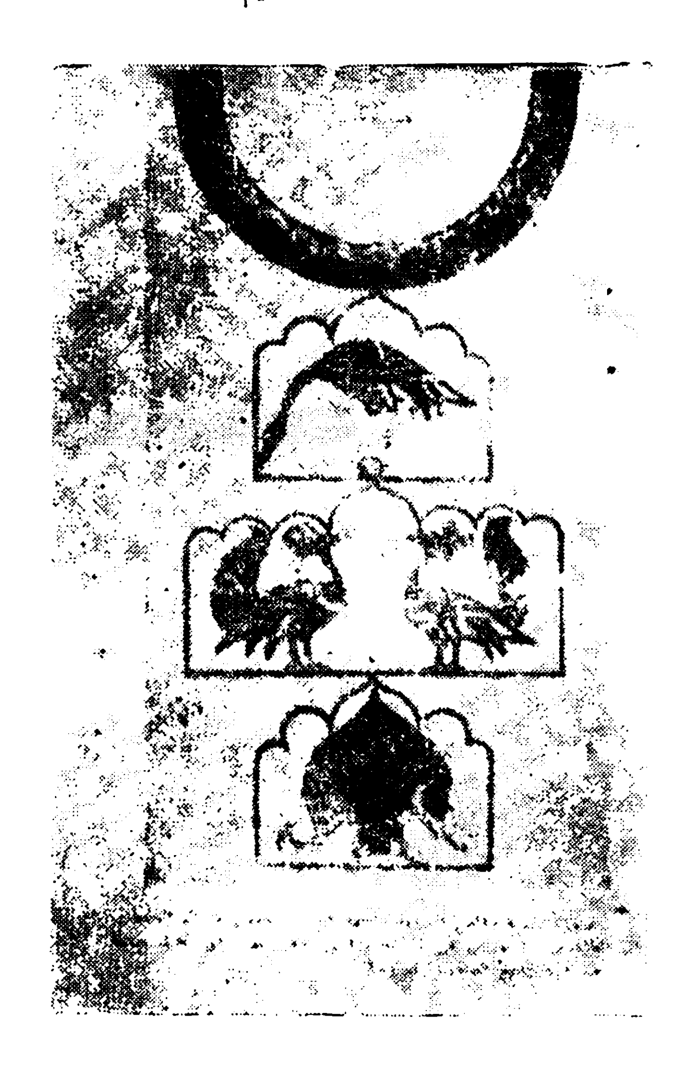
لا تزال في مدينة فاس ، عاصمة الغرب الاسلامي العلمية بقايا هامة قائمة لساعتين ميكانيكيتين انها البقية الباقية من التراث التقني (Technology) للعهدين البيزنطي والاسلامي من العصر الوسيط ان مثل هذه الساعات العظيمة ـ وقد اشتهرت في الشرق كله في يوم مّا [1] تعتبر على الوجه الجلي صورة لمثيلاتها في الغرب اللاتيني ، كما تعتبر اصلا للساعات الميكانيكية التي صنعت من بعدها لقد ظهرت تلك الساعات بادىء الأمر اثر التطور الاغريقي الروماني في ميدان الساعات المائية القديمة وفي ميدان الآلات الطريفة الفريدة التي تتحرك تلقائياً ، والتي لا ذكر لها اليوم إلا في النصوص التي خلفها الرياضي الاغريقي هيرون Heron وفي غضون المراجع المتناثرة التي تركها لنا المهندس الروماني

---

(١) يلمح الاستاذ برايس الى الساعات المائية التي كانت بالمشرق : دمشق وبغداد الخ ، ولكنه لمح بصفة خاصة للساعة التي ورد الحديث عنها في مخطوطة الجزري ، ومن الجدير بالملاحظة أن نذكر أنه توجد مخطوطة فريدة في خزانة متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطون ، ولاية massachusetts أمريكا بعنوان: كتاب في معرفة الحيل الهندسية ، وقد يسمى أيضاً : الكتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل ، تأليف بديع الزمان ابن العز اسماعيل ابن الرزاز الجزري ، صنفه سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) بأمر السلطان محمود بن محمد الأرتقي الذي حكم ديار بكر من سنة ٥٩٧ الى ٦١٩ هـ (١٢٠٠ـ١٢٢٢) ولهذا الكتاب نسخة خطية ثانية في خزانة أكسفورد

فيتر فيس Vitruvius وإلا بالوقوف على الشظايا المتناثرة القليلة المتخلفة من الآلات التي يظهر أن لها علاقة بالنصوص المذكورة

ولما كانت الساعة هذه تعتبر آلة نموذجية مهمة ، وتتبوأ موقع الصـدارة في تاريخ التقنية الآلية الدقيقة ، لذا كان من الاهمية بمكان عظيم ان تجود علينا ساعات مدينة فاس



اللوحة رقم ـ ٢ ـ

جانب من ساعة الجزرى وهي كذلك من مجلة سومر

بتفصيلات دقيقة عن البناء والتركيب بحيث يركن لها اكثر من الركون إلى أي سرد ادبي ان ساعات مدينة فاس وصفت بادىء الأمر من قبل كاتب عاش في العصور الوسطى هو أبو الحسن علي الجزنائي ، وذلك في مؤلفه حول تاريخ مدينة فاس المسمى (كتاب زهرة الآس في بناء مدينة فاس [1] : ومنذ ذلك التاريخ فان هذه الساعة لا تزال قائمة في شارع عام من المدينة يتصل بمدرسة أبي عنان (أو مسجد البو عنانية) ، وهي التي عرض لها بالذكر والوصف كثيراً [2] ، بيد أن الساعة الثانية التي توجد في الغرفة الفوقية من المنار القريب من جامعة القرويين [3] والتي يصعد اليها بسلم ذي اربع وعشرين درجـــة ، لم تنل إلا الذكر العابر في الـكراس الذي صدر بمناسبة ذكرى مرور احـد عشر قرناً على تأسيس جامعة القرويين سنة ١٩٦١ [4]

ويصح القول انه لم يتم إلى الآن فحص هذه الساعة أو وصفها على الوجه العلمي الدقيق. وعلى ما ورد في كتاب الجزنائي فان (الساعة البو عنانية) نصبت في مكانها الحالي من قبل أبي الحسن علي بن احمد التلمساني مؤقت الجامع وذلك في اليوم السادس من ماي سنة

---

(١) علق برايس على هذا بهذه المعلومات

لقد ترجم هذا الـكتاب من لدن الفريد بيل ، الجزائر ١٩٢٣ .Editions jules Carbonel

(٢) علق على هذا بالمعلومات التالية :

Henri Michel « Unservice de l'heure Millénaire », Ciel et Terre 69 (1952) P. P 3-7 Alfred Chapuis and Edmond Droz, Automata, trans. Alec Reid, Central Book Company, New York, 1958, P. 38, Pig 35

(٣) كان البروفسور برايس يعتقد ان الصومعة لاتقع في صميم المسجد ..

(٤) علق على هذا بالمعلومات التالية :

onze Siecles a l'Unversite Quaranyine Par Abdelhadi Tazi Minister de l'Education National L'Inpremerie de Fedala (Mohammadia) Maroc

(١٣٥٧) (١٤ جمادى الاولى ٧٥٨) [١]

وخلافا لما ورد في كتابات شابوى Chapuis لا يوجد أي اثر للاجهزة الداخلية الآلية



اللوحة رقم ـ ٣ ـ

جانب ثالث من الساعة وهو مأخوذ من بحث السيد Amanda في رسالته :

---

(١) علق الاستاذ برايس بهذه المعلومات توفرنا على تفصيلات بيوغرافية ومراجع شاملة حول هؤلاء وحول صناع مهرة آخرين وذلك من طرف :

L. A. Mayer, Islamic Astrolabists, Albert Kundig, Geneva 1956

في الساعة البوعنانية ، فلقد حمل كل شيء فيها ابان الترميم واعادة البناء الذي جرى قبل قرن ، ولا يستثنى من ذلك إلا الواجهة التي تضم الدعامات المزخرفة التي تحمل النواقيس وإلا النوافذ التي كانت بمثابة ميناء الساعة ان الدعامات المزخرفة التي اعيد اصلاحها اليوم من قبل وزارة الاشغال العمومية [١] تحتوي على صف من ثلاث عشر طاسة (ناقوساً) موضوعة على سنادات من خشب الارز ، وثمة اثنتا عشرة نافذة صغيرة مرتبة مباشرة فوق هذه الطاسات وهناك ٣١ [٢] من السنادات الفوقية تعلو هذه النوافذ وتوجد ثلاث عشر منها فوق الطاسات مباشرة ، انها مجوفة ولذلك كانت تصلح كانبوب تمر عبره كرات صغيرة ويكون من نتيجة ذلك ان تسقط الكرة على الطاسة فتحدث رنة وتكون اشارة لبداية كل ساعة من ساعات النهار [٣]

---

(١) يقصد مصلحة الآثار التابعة لوزارة التعليم والفنون الجميلة وقتئذ

(٢) لعله سبق قلم من الكاتب ، والصواب ست وعشرون ، ضعف ثلاثة عشر وقد يتساءل عن عدد الطاسات والمساند المسامتة لها ، لماذا كان ١٣ ولم يكن ١٢ على عدد الساعات ... والظاهر ان ثمة عملية تقتضي أعداد جهاز الساعة من جديد عند ما تنتهي (١٢ ساعة ، ولكي تبدأ هذه العملية من الجهة الاخرى يحتاج الامر الى بعض وقت ... فلهذا نعتقد ان الجرس ١٣ جرس احتياطي فقط هذا وقد فات البروفسور برايس أن يلاحظ ان وجود اثنتي عشر نافذة أخرى كانت موجودة أعلى ، أعني فوق المساند الستة والعشرين كما تشهد بذلك الصورة القديمة التي يستأثر بها البروفسور بيل في كتابه عن (تتوش فاس) تلك النوافذ التي يمكن ملاحظة آثار بكرات في وسطها .. راجع صفحة ٢٧١ من كتابه (بالفرنسية)

(٣) نظام وقوع الكرات على الطاسات هو نفسه الذي نقرأ عنه عند تتبعنا للحديث عن الساعات المائية التي كانت معروفة في العصر الوسيط وجدير بالذكر هنا أن نذكر شيئاً عن هذه الساعات سواء منها الذي تحدث عنه بالمغرب أو المشرق ، ونبدأ أولا بساعة جامع الكتبية (صنو جامعي حسان بالرباط واشبيلية) فعلى حسب ما ذكره العمري في المسالك يتأكد أن مكانة كانت توجد بمسجد الكتبية بمدينة مراكش منتصبة في الهواء على علو خمسين ذراعاً ، كانت تشتغل بحيث في كل ساعة من ساعات النهار يقع ثقل من مائة درهم ينزل على صنجة فيحدث رنة وهكذا تسمع من بعيد هذه الاصوات ، قال العمري بيد أن هذه الساعة عاطلة (٧٤٣ — ٧٠٠) (١٣٤٢ — ١٣٤٩)

ونذكر ثانية ان ابن جبير ذكر في رحلته حديثاً عن ساعة دمشق التي كان اعاد تشييدها محمد بن علي =

اما النوافذ فقــد كانت [1] تفتح بصفة آلية واحــدة تلو الأخرى وتبقى مفتوحة

=الخراساني سنة ٥٦٤ بعد احتراقها سنة ٥٦٢ والتي أصلحها ابنه فخر الدين رضوان بن محمد وقد ردد المقري في نفح الطيب حديث الساعة هذه وأفاد انه كان عن يمين الخارج من باب جيرون (جامع دمشق) هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر وقــد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار دبرت تدبيراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر في فى بازين مصورين من صفر قائمين على طاسي صفر تحت كل واحد منهما والطاسات مثقوبان فعند وقوع البندقتين فيها تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاسين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً وعند وقوع البندقتين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر ، لا يزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الســاعات ثم تعود الى حالها الأول ، ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطبقات المذكورة اثنتا عشرة دائرة من النحاس مخرمة ، وتعترض كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة ، مدبر ذلك كله خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها فلاحت للأبصار دائرة محمرة ، ثم انتقل ذلك الى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها .. وقــد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها يعيد فتح الأبواب وصرف الصنج الى مواضعها

وأخيراً نذكر ان المؤرخين والشعراء كذلك وصفوا ساعة مدرسة المستنصرية ببغداد والتي كانت من طرائف الآلات التي ابتدعها الأقدمون فقد بنى نور الدين علي بن تغلب الساعاتي سنة ٦٣٣ على الجدار دائرة وصور فيها صورة الفلك وجعل فيها طاقات لها أبواب لطيفة ، وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب وراءهما بندقتان من نحاس لا يدركهما الناظر فعنــد مضي كل ســاعة ينفتح فم البازين ويقع منهما البندقتان وكلما ســقطت بندقة أ تفتح باب من أبواب تلك الطاقات .. واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما ، ثم تطلع شموس من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية=

(١) لقد اجتهد الاستاذ بيل في استخراج آلية ساعة أبي عنان وهو يعتقد ان الاكر التى تنزل على الطاسات كانت مربوطة بخيط مر مع الاكر عبر المسانند الكبيرة ١٣ (أما المساند الصغيرة وعددها ١٣ كذلك فلأجل الزينة فقط) .. ويعتقد بيل ان الخيط الذي يحمل الاكر يتحرك بواسطة آلة توجد خلف الجدار ، وان هناك جبة خشبية تحمي الخيط اثناء مروره عبر الجدار بين النوافذ التحتية التى توجد وسطاً .. ويصعد الخيط في الوقت المعين في ثنايا الجدار عبر الجبة الخشبية ماراً بدون شك على عجلة وينزل من جديد عبر المساند ليسقط مع كرته على الطاسة المسامتة ، وهكذا دواليك ينزل منها ليصعد ... راجع بيل ص ٢٧٦ .

لمدة ساعة من الزمن حتى تتمكن المارة من معرفة الوقت [1] ، اما الكرة أو البندقة التي تنزل من خلال الثقب الكائن في اسفل كل طاسة وعبر التجويف في السنادات التحتية

=وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها ، كما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يبتدىء في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك أوقات الصلاة وقد آثرنا أن نسوق هذه النصوص ليستعين بها القارىء على معرفة آلية ساعات مدينة فاس التي ما تزال اثنتان منها وخاصة منها التي توجد بمنار جامع القرويين .

هذا وقد اندثرت جميع تلك الساعات كما علمت ، سواء منها التي كانت بالكتبية (بمراكش) أو بالمستنصرية (ببغداد) أو بجامع دمشق ... وهكذا صح القول بأن أقدم ساعة مائية موجودة في العالم هي التي توجد بمدينة فاس

عبد الهادي التازي أقدم ساعة مائية في العالم توجد بمنار القرويين جريدة « العلم » المغربية عدد ٢٧ — ١ — ١٩٥٨ ٢٨ — ١ — ١٩٥٨

أنظر : رحلة ابن جبير — ص٢٤٩ — ٢٥٠ ، المقرى : نفح الطيب ج ٣ — ص ١٤٧ — ١٤٨ ثم آثار بني العباس في العراق للدكتور مصطفى جواد (مجلة الهلال) ص (٨) السنة ٤١ يونية ١٩٣٣ ص ١٠٥٧ — ١٠٦٤ المدرسة المستنصرية للدكتور كوركيس عواد ، مجلة سومر العدد الأول يناير ١٩٤٥ بغداد ص ١٠٤ المدرسة المستنصرية للاستاذ حسين أمين ص ٤ — ٤١ عبد الهادي التازي : القرويين في احد عشر قرناً ص ٢٧ (المغرب)

Deverdun : Marrakech 1959 Page 193

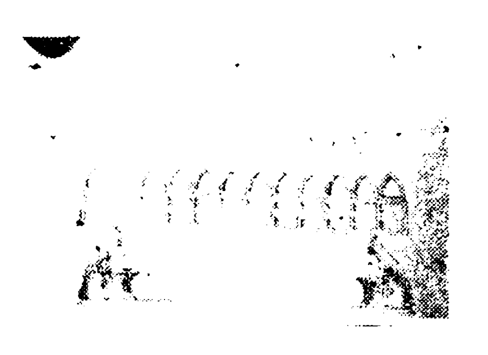
ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ١٩٥٩ — ص ٢٦٧

ليدي دراور : في بلاد الرافدين ، ترجمة وتعريب وتعليق الدكتور فؤاد جميل ص ١٢٧

ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام ، تعريب وتعليق الدكتور فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد ص ١٩٣ ناجي جواد الحامي : قصة الوقت ص ٢١

(١) وأدق من هذا أن نذكر انه عند ما تفتح النافذة الأولى يكون معنى ذلك ان الساعة في الواحدة ومن دون شك فانه والحالة هذه — يكون انفتاح النافذة على مصراعيها علامة بداية الساعة ويكون لانفتاحها على الربع علامة على ربع الساعة ، وعلى النصف علامة على نصف الساعة وهلم ، ثم ماذا يقول الأستاذ برايس عن النوافذ الاثنتي عشرة الموجودة أعلى المساند والتي تحتفظ بها صورة ووصف الاستاذ بيل ؟ نحن لا نستبعد أنها أي النوافذ الفوقية كانت ميناء كذلك لاثنتي عشرة ساعة أخرى ، وبهذا تكمل الأربع والعشرون ساعة ...

فانها تعود من داخل الرواق الذي يعتبر حجرة الساعة ، وذلك لتقوم بنفس الدور الذي قامت به من قبل [1] .



اللوحة رقم - ٤ -

منظر لساعة المدرسة المستنصرية (بغداد) كما تصوره الدكتور مصطفى جواد ويرى الدكتور كوركيس انه اقرب الى الحقيقة

يبلغ مقياس هذه الساعة طولا سبعة وثلاثين قدما (احد عشر ميتراً تقريباً) والى يسار الطاسات وعلى مستواها توجد آثار لنافذة كانت دون شك من مرافق حجرة الساعة الاساسية التي كانت تزود الساعة بالطاقة اللازمة لضبط سيرها وعلى الرغم من عدم وجود أي أثر لاجهزة الساعة الداخلية فمن الواضح ان الدقائق الفنية تشبه الى حد كبير مثيلاتها في الساعة الثانية التي احتفظت بشيء كبير من مقوماتها [2]

صنعت الســـاعة المائية الاولى في جامعة القرويين ، على ما اورده الجزنائى (صاحب

(١) في أغلب الظن ان هذا التحول كان يتم أيضاً بصفة آلية على التصعيد والتنزيل . ومن المؤكد أن هناك مختصين دائميين يقومون طيلة الوقت بمراقبة الابواب والبنادق ، مضمون لها قوتهم ومسكنهم ... وان بعض الحوالات الوقفية القديمة تنص على انه توجد منازل محبسة على الذين يتعهدون هذه الساعات على قرب منها تعرف هذه المنازل في حجج الوقف تلك بدار المكانة ... راجع التعليق رقم ١٠

(٢) يعني الساعة التي توجد بصومعة القرويين والتي سيتحدث عنها قريباً



اللوحة رقم ـ ٥ ـ

منظر حي لواجهة ساعة المدرسة البوعنانية (فاس) وترى الصنجات الاثنتا عشرة

كتاب زهرة الآس) ، من قبل أبي عبد الله محمد ابن الحباك التلمساني[1] وذلك سنة ١٢٨٦ - ١٢٨٧ (٦٨٥هـ) انه الموقت الذي بنى قبلة محراب مدرسة الصفارين سنة (٦٧٠ هـ) (١٢٧١ - ١٢٧٢) والظاهر ان هذه الساعة كانت من النوع الذي يمكن نقله وتحويله من جهة الى اخرى[2] ، وتتألف من قارورة كبيرة من الخزف وانبوب من نحاس وقد كانت محفوظة في الغرفة العليا من صومعة القرويين[3] (لا في غرفة الساعات الحالية الكائنة تحتها والتي اسست فقط بتاريخ ١٢٨٩)[4]

وهكذا فقد اختفت كل المعالم التي تتعلق بهذه الساعة خلافا لما ورد في تعليق[5] أورده الاستاذ بيل في كتابه (بالفرنسية) المسمى (نقوش فاس) المطبوع سنة ١٩١٩

(١) نعت برايس أبي الحباك بأنه تلمساني ، ولعله اعتمد في ذلك على هامش للاستاذ بيل « نقوش فاس ص ٣٦١) ولا ندري مصدر بيل ايضاً في ذلك النعت ، فلا زهرة الاس ص ٣٧٠ ولا صاحب الجذوة نعتاه بذلك ، أما صاحب القرطاس فلم يعرج على حديث الساعات هذا

(٢) ترى كيف يجسم البروفسور برايس أهمية هذه الساعة باعتبارها تطوراً عظيماً في تاريخ الساعات المائية عندنا ، انها مما يحمل Partable تذكروا ان التلفزيون الذي يمكن حمله يدل على تقدم في التقنية اكثر من التلفزيون الثابت ، وهكذا في سائر الجهازات

(٣) عبارة زهرة الآس : نصب بدن (عبارة الجذوة ص ٣ : قرن) من الفخار بالقبة العليا ، فيه الماء وجعل على وجه الماء تجرى (الجذوة : طست) من نحاس فيه خطوط وثقاب يخرج منه الماء وبقدر معلوم الى آن يصل الخطوط فيعلم بذلك أوقات الليل والنهار في أيام النيم ولياليها

(٤) كذا قال الأستاذ برايس ، ويظهر أنه سوقلم والصواب سنة ١٢٨٥ وهو ما يوافق سنة ٦٨٥هـ. أنظر زهرة الآس ص ٣٨ هذا وقد اشتهر النطق باسم الغرفة مصغراً هكذا : الغريفة

(٥) علق البروفسور بيل على ساعتين الأولى لابن الحباك ، والثانية لأبي عبد الله المزفي وهذه هي التى زارها بنفسه السلطان أبوعنان سنة ٧٤٩ (١٣٤٨ م) وقد نقل بيل عن عالم من فاس قال عنه : انه خبير بشؤون التاريخ ، نقل عنه : ان ساعة المزفي لم يبق إلا أبوابها وان تلك الابواب توجد مدفونة في جدار حجرة قريبة من البرج (صومعة الصفارين التى تنتصب جوار صومعة القرويين) بينما ذكر بيل نقلا عن ذلك العالم ان ساعة ابن الحباك توجد في غريفة صومعة القرويين بالرغم من أنها عاطلة فالاستاذ برايس يؤكد هنا انه لا أثر لساعة ابن الحباك في « الغريفة » اطلاقاً .



اللوحة رقم ـ ٦ ـ

منظر الاسطرلاب المتصل بالساعة المائية بصومعة القرويين ، لاحظوا البويبات

١٢ فوق ومثلها تحت

ص ٢٧٩ لقد كان يعتقد خطأ ان الساعة الموجودة الآن في الغرفة هي ساعة ابن الحباك .

وبمتابعة ما ورد في (زهرة الآس) نجد آن « المكانة » التي تلي هذه كانت قد نصبت من قبل أبي عبد الله محمد الصنهاجي سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧) وبتطوع من قبل بعض العارفين . وقد رسم مقاييسها أبو عبد الله محمد بن الصدينية القرسطوني واغفل الناس بمرور الزمن أمر هذه الساعة وتعطل استعمالها الى ان تقدم لاصلاحها أبو عبد الله محمد بن العربي [١] خلال الفترة الواقعة بين ١٣٤٦ ـ ١٣٤٨ واضاف اليها شبكة اسطرلاب [٢] وكان هناك اطار منقوش يحيط بشبكة الاسطرلاب في الساعة الحالية وقد سطت عليه الايدي فاختفى منذ زمن ، وهو يدل على تاريخ التجديد والاصلاح الذي تم في تاريخ لاحق اعني بعد تنصيب ساعة البوعنانية التي سبق ذكرها وساقتبس هذه الفقرات مترجمة من مذكرات الاستاذ التازي :

« صنع هذه المكانة السعيدة العبد الفقير إلى مولاه راجياً ثوابه عبد الرحمن بن سليمان اللجائي عن أمر مولانا أبي سالم بن مولانا أبي الحسن بن مولانا أبي سعيد بن مولانا أبي يوسف بن عبد الحق أيده الله . كملت يوم ٢١ محرم سنة ٧٦٣ هـ [٣] (١٣٦٢) ان

---

(١) عبارة ابن القاضي صاحب الجذوة العزفي أنظر ص ٣١

(٢) يتأكد ان هذا الاسطرلاب هو من وضع أبي زيد عبد الرحمن اللجائي (ت ٧٧١) الذي قال عنه تلميذه ابن القنفذ (ت ٨١) : « انه اخترع اسطرلاباً ملصوقاً في جدار والماء يدير شبكته على الصفيحة فيأتي الناظر فينظر الى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار ، وكذلك ينظر ارتفاع الكوكب بالليل » واضاف ابن القنفذ قوله : « وقد وقفت عليه زمان قراءتي بين يديه »

راجع القرويين في أحد عشر قرناً ، قسم اعلام القرويين

(٣) يلاحظ ان التاريخ مكتوب بالحروف الأبجدية ، هذا ومما ينبغي تذكره ان هذه الكلمات عثرت عليها بنصها في مخطوط لاستاذنا القاضي السائح رحمه الله ، حول تاريخ مدينة فاس وأما كون الجانب المختفي من الكلمات يحمل تاريخ الاصلاح فلا يعدو الافتراض هناك دائراً بالاسطرلاب أربع قطع تضيع منها واحدة يبدو ان الثلاثة الاخرى لا تلمح لتاريخ وانما تبتدىء — في خط غير واضح — بالآية الشريفة : « ان في خلق السموات والارض الى: وقنا عذاب النار » ثم صلاة ودعاء وتأتي بعد ذلك فيما أذكر ثلاث أبيات كافية القافية وتبتدىء بـ يا حاسبي ...

الذي صنع هذه الساعة معروف عن ما ورد في تاريخ جامعة القرويين على أنه تلميذ ابن البناء واستاذ ابن القنفذ ان الساعة في شكلها الحالي تتألف من شبه خزانة مستطيلة تعلو عن الارض بنحو ٢٤٢ سم وتربيعها ١٢٠ وهي تقوم في الزاوية الجنوبية الغربية من الغرفة

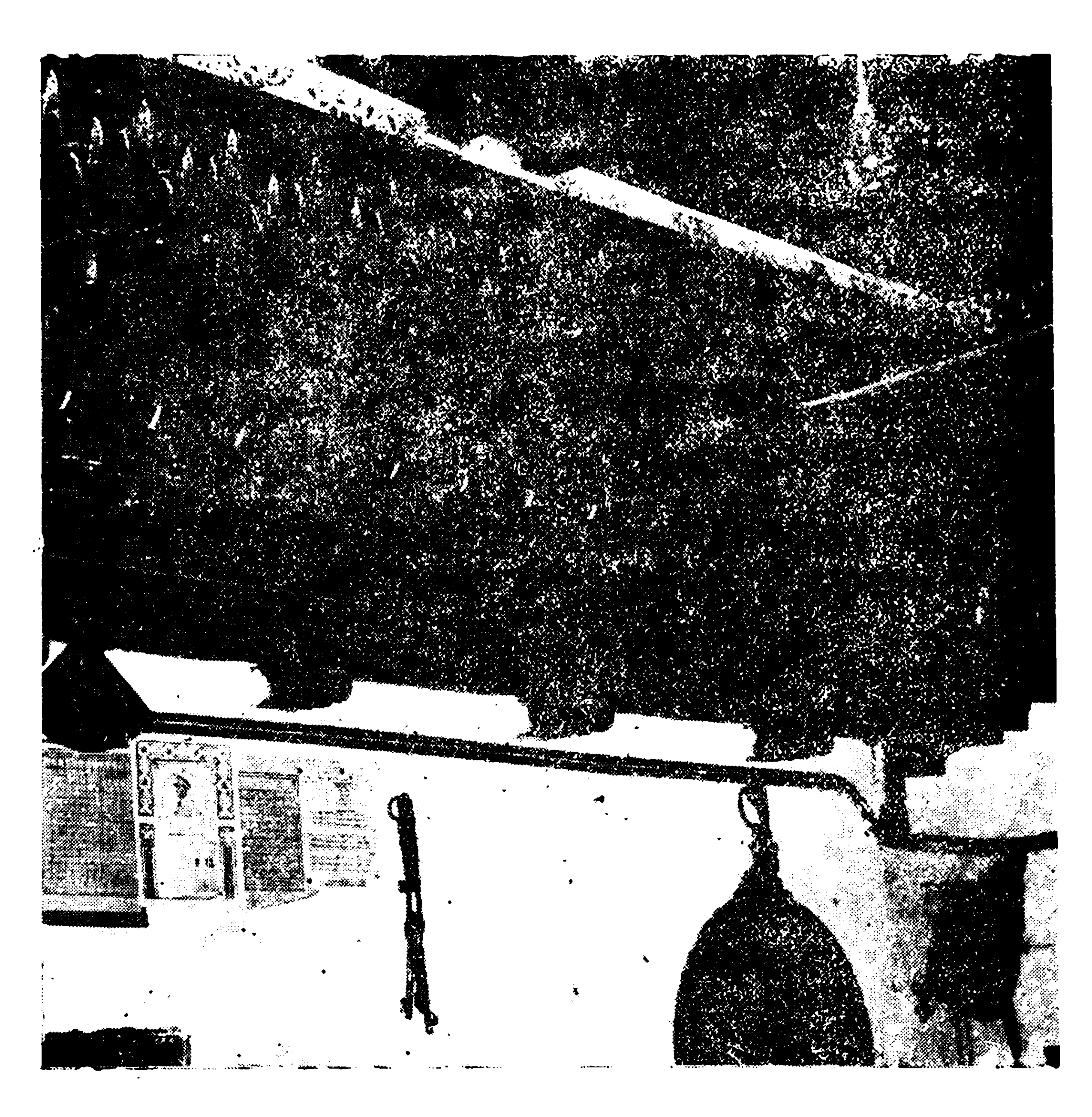


اللوحة رقم ـ ٧ ـ

بداية الابيات الشعرية المستعصية التى تحيط بالاسطرلاب

التي يوجد مدخلها (الفارغ) من الشمال وعلى وجهها الغربي يوجـد ميناء انيق تربيعه ٧١ سانتيما عليه اسطرلاب دائري قطره ٤٢ سانتيما ، يتصل بالساعة بواسطة نبلة مركزية والطرف الآخر من هذه النبلة ينفذ إلى داخل المِجَنّ وقد كان فيوقت ما متصلا بعجلة ، أو ببكرة على التحقيق يمر عليها حبل يصل غمازة الساعة برمانة الميزان فيها وفي الزاوية الشمالية [1] الغربية في « الغريفة » مربع صغير يوجد فيه أثر بسيط ولعله للصهاجي .

(١) كان الذي حدا بنا الى التنقيب في هذه الجهة بالذات ان الجزنائي في زهرة الاس وصف « ساعة الصنهاجي ــ القرسطوني ابن العربى » بانها في ركن الغرفة عن يســار المستقبل ، وقد ذكر انه أي القرسطوني جعل في ذلك الركن من الغرفة مجناً من خشب الارز وجعـــل في داخله بدنين كبيرين من فخار احدهما أعلى من الآخر وجعل الماء في الاعلى منهما وبأسفله أنبوب من نحاس محكم العمل يهبط منه الماء في البدن الاسفل بقدر معلوم وجعل في طرف الجنح منطساً ، وجعل في جانبي التنطيسة مرســوماً فيها أيضاً الساعات ودقائقها وأوقات الليل والنهار وجعل المسطرة معلقة في . . خارجاً من الجنح يجري في حفر التنطيسة طالعاً وهابطاً وجعل على وجه الماء الذي يجتمع في البدن الاسفل جسماً مجوفاً من نحاس على هيئة الاطرفة معلقاً في الطرف الداخلي على العلو فاذا طلع الجسم بطلوع الماء الذي يجتمع في البدن الاسفل طلع طرف.. =



اللوحة رقم ـ ٨ ـ

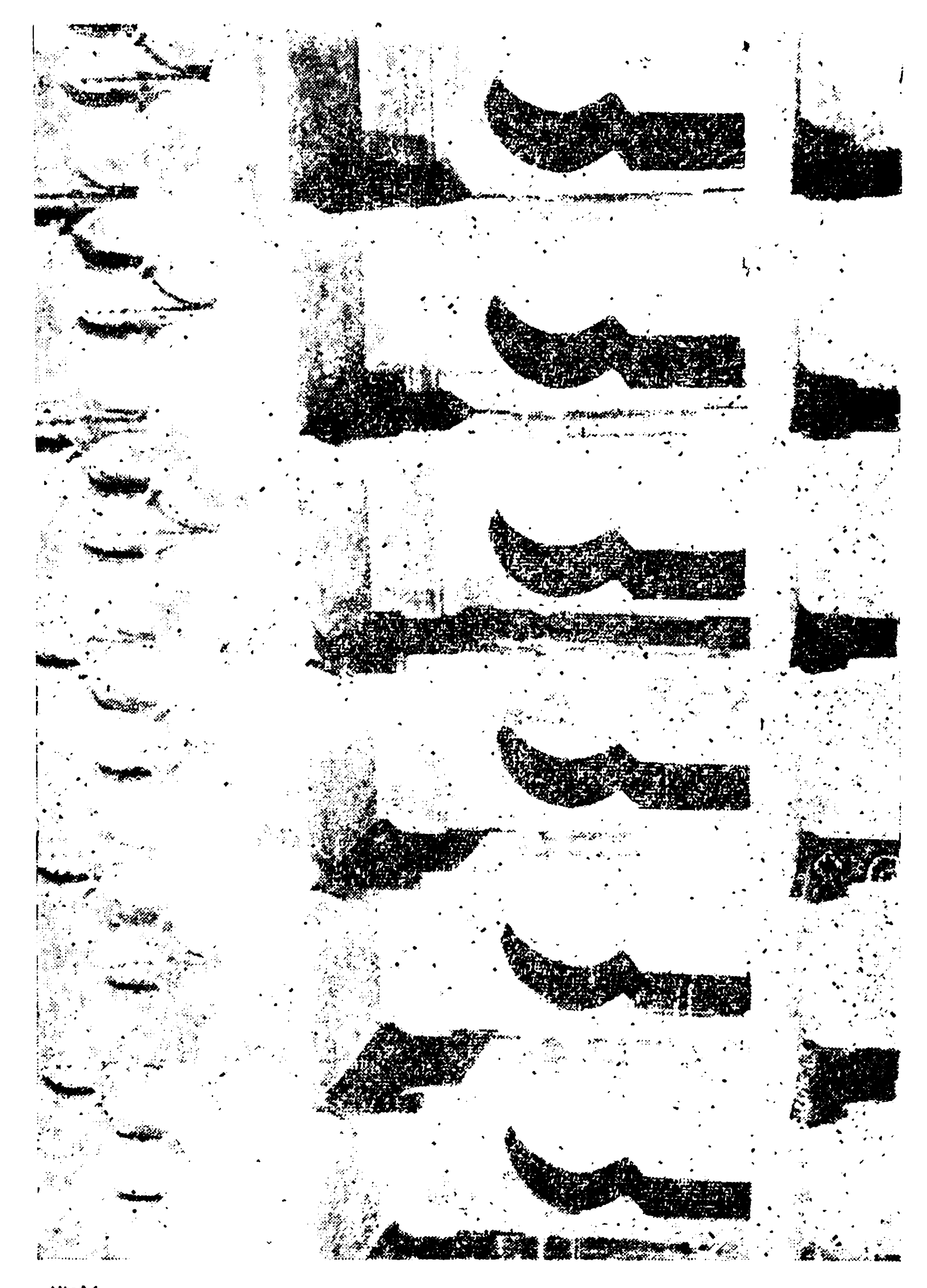
الخزانة المستطيلة (مرفع باللهجة المغربية) التى تكون الساعة المائية وتلاحظ البويبات الصغيرة متصافة

يتألف هذا الأثر من مقياس عمودي مؤشر على قطعة من نُحاس طولة ٦٧ سم وعرضه ٤ سم ، وهو مقسم ومرقم من الاسفل الى الاعلى على أساس اربعة وعشرين قسما مُتساوياً لعدد الساعات ، كل قسم منها مقسم الى خمسة عشر قسما صغيراً اما ميناء الاسطرلاب الذي يذكرنا تصميمه بتصميم اسطرلاب محمد بن فتوح الاشبيلي (حوالي القرن الثالث عشر) فهو محاط باربعة وعشرين من انصاف كرة فضية هذا الى أنه محدد من اعلاه واسفله باربعة وعشرين بابا صغيراً عدد كل منها ١٢ ثم ١٢ بيد أن الاجهزة الآلية لهذه الدوائر والابواب الصغيرة مفقودة كلياً

نعم تبرز على طول جدار الغرفة الجنوبي شبه خزانة مستطيلة (مَرْفع باللهجة المغربية) وعلى مستوى البصر يظهر بناء مزخرف يحمل صفاً مؤلفاً من ٢٤ بابا ، لها فواصل من خشب وامام كل باب توجد محلات مهيأة لطاسات (نواقيس) من البرنز هي الآن مفقودة تشبه ساعة المدرسة البوعنانية وفوق كل موضع من مواضع الطاسات جعبة مختفية في قطعة من خشب وقد رتب الجهاز بحيث يمكن للكرة ان تسقط فوق الجرس كل ساعة من الزمان ، وانه لمن الممتع جداً أن يعثر المرء حتى يوم الناس هذا على عدد من الاكر المختفية في الشقوق والانابيب غير تامة التكوير ومصنوعة من حجر ناري ، وقطر الواحدة منها خمسة سانتمترات ، وفي اعلى هذه المساند توجد لحسن الحظ بقايا القسم الاكبر من الجهاز الذي يساعد على دحرجة الاكر وعلى فتح الأبواب ويخفيه عن عين الناظر الافريز المزخرف وان العنصر الرئيسي في ذلك قناة طويلة مربعة متدرجة بوضوح ودقة[1]

=الخارج من التغطية وطامت بطلوعه المسطرة كما كانت ، قال الجزنائي : ثم غفل عنها وأهملت الخ ... هذا وما يزال الشك يلح بي في امر كون هذه الساعة كانت يسار المستقبل إذ كل القرائن الدالية تدل على أن كلمة « يسار المستقبل » ربما كانت خطأ في النسخة المخطوطة ولعل الصواب : يمين المستقبل فينبغي تتبع النسخة المخطوطة .

(١) لقد حلي الدكتور برايس بحثه بأربع صور أبرزها التي يقول عنها : ان العنصر الرئيسي يكمن=



وتمتد على طول هـــذا المسند . وهناك قطعة من خشب الأرز تستقر في الفلجة هذه وتسحب من طرف إلى الطرف الآخر بواسطة حبل ينطلق من غماز الساعة أوالبكرة المتصلة بها ان القطعة تمر من القنـاة راجعة الى البكرة في الطرف الآخر ثم تعود ثانيـة الى ثقالة الميزان الـكائنة في زاوية الغُرَيْـفَـة وعند ما تسير هذه القطعة على طريقها المعتاد في القناة فانها تضغط عند كل باب على رافعة مستورة ، لتسحب حبلاً فينفتح الباب وبترتيب مسبق محكم يمكن لـكرة واحدة فقط أن تمر عبر الجعبة الملاصقة ومنها تتدحرج الى الناقوس . ومن هنـاك أيضاً تنزل بواسطة ثقب كائن في أسفل الناقوس ، خلال انبـوب مستور وعلى سطح منحدر يدفع بها نحو المستودع المخصص لها في جهاز الساعة [١]

ومرد هذا التصميم الى العالم الاغريقي (هيرون) فقط ، ذلك انه يتحرك بواســطة رافعات وحبال وبدون اللجوء الى الدوائر المسننة أو أي جهاز آخر ، وفي الحق انه يتلاءم

= على طولها ، عبارة عن منظر للقناة التي فوق صف البويبات على طول القناة المجزء بالتساوي الى درجات وفوق كل جانب من جانبي القناة يمكن للمرء أن يرى آثار المواقع التي تمر بها خطوات الروافع التي تحرك الابواب والتي تطلق الاكر وان انحدار القناة الذي يمكن من جذب الاكر ما يزال أيضاً يرى من خلال الصورة (أنظر قسم الصور)

هذا وكنت انتظر من الاستاذ برايس أن يزود القراء بشيء آخر يساعد على تصور آلية الساعة وتصور أطرافها فالبكرات سواء منها القديمة أو الحديثة وكذلك المسطرة وثقالة الساعة ... وأجزاء الخشب وخاصة القطعة التي تمتد في طريقها عبر القناة ، كل هذا كان مما يدعو إلى تصوير أكثر دقة ... وعساه يعود الى الموضوع وعسى هواة آخرون يسهمون معنا لابراز هذا التراث الجليل بما يجب له من تقدير ، وأخيراً عسى أن تتجه الانظار لبعث هذه الساعة من جديد

(١) علق الاستاذ برايس على هذه الخاتمة محيلا لمن يريد الوقوف على معلومات أكثر حول هـــذه الفقرات الاخيرة على البحث الذي أخرجه هو :

« Automata and the origins of Mechanism and Mechanistic »
Technology and Culture V. Number I (1964) P. -9- 23

مع روح كثير من الساعات التي وصفت في المؤلف الطريف الذي كتبه الجزرى [1] ورضوان [2] سنة ١٢٠٠ الميلادية وهكذا فان لدينا اليوم نموذجان يسبقان بزمن قليل



اللوحة رقم ـ ١٠ ـ

صورة استأثر بها الاستاذ برايس ، ويلاحظ الانحدار ظاهر من اليمين إلى اليسار

---

(١) عني بنشر نبذ من كتاب الجزري ونشر صورة أحد الباحثين في رسالة له بالانجليزية :

Amanda K. Coomaraswamy : The Treatise of Al-Jazari on Automata Boston 1924.

مكتبة المتحف العراقي ببغداد رقم ١ ٢٧

راجع تعليقنا رقم ٢

(٢) ورد ذكر رضوان الساعاتي هذا في عدة مراجع وقد قل عنه ماير في كتابه

Islamic Astrolabists and their works (Geneva 1956 P. 62)

قال عنه في غضون ترجمته لابن محمد بن علي بن رستم : محمد بن علي أعاد في سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) تشييد الساعة الكبيرة في باب جيرون بالجامع الاموي في دمشق وكانت قد احترقت في سنة ٥٦٢ هـ =

زمن الساعات الاوربية الآلية التي ظهرت أول الأمر في شكلها الأنيق الذي « يمتع النفس » ويمتاز بتقنيته العلمية ويدل على التفوق التقليدي الذي ابتدأ بظهور الأجهزة الاغريقية التي تتحرك تلقائياً والتي انهت الى نماذج عديدة في ميدان التكنولوجية الدقيقة

=(١١٦٦—٧ م) ثم إن هذه الساعة أصبحت غير صالحة للعمل لاسباب مختلفة ، فقام ابنه فخر الدين رضوان بن محمد باصلاحها وتحسينها ولفخر الدين هذا مؤلف في الساعات الفلكية .

* * *

وبعد هذا نرى مما يجب التنويه به المحاولات المفيدة والهامة التي قام بها الاستاذ برايس في سبيل الوقوف على سر آلية الساعة المائية الموجودة في غرفة جامعة القرويين وكذا في سبيل التعريف بتراثنا لم يتمكنوا من الوقوف على معالم الحضارة التي تـكثر في هذه الجهة من الغرب الاسلامي

بغداد ٩/٩/ ١٩٦٥

عبد الهادي التازي

باب الكتب

مخطوط كتاب الفاضل في صفة الادب الكامل

لمحمد بن احمد بن اسحاق المعروف بالوشاء

يوسف يعقوب مسكوني

١ - الوشاء :

الوشاء من رجال القرن الثالث والرابع الهجريين ومن مؤرخي وأدباء القرنين المذكورين ناهيك عن كونه من النحاة البارزين ، له صولات وجولات في التاريخ والأدب والنحو ، إذ ترك لنا تراثاً خالداً ، عتاز بالدقة والذوق في التأليف إلا أنه ويا للأسف لم يصل إلى أيدينا كل ما خلفه لنا من تراث وأثر ، في هذه الميادين من العلم والمعرفة ، فلم يصل إلى أيدينا من مخلفاته إلا النزر اليسير ، وقد ضاع معظم ذلك التراث الغني بالمعلومات التأريخية والأدبية ، وقد عني العلماء من شرقيين وغربيين في هذا القليل الذي وصل إلى أيدينا ، وقد ترجمه عدة أدباء ومؤرخين كابن النديم صاحب الفهرست وابن الجوزي صاحب المنتظم وياقوت الحموي في إرشاد الاريب إلى معرفة الأديب ، أي معجم الأدباء

وابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ثم نقل عنهم كثيرون كالسيوطي في بغية الوعاة ، والزركلي في الاعلام وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ويوسف اليان سركيس في معجم المطبوعات والمستشرق الالماني بروكلمان وغيرهم وغيرهم ، وأوسع من تدرج في ترجمته ياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء حيث قال بالنص : « محمد بن أحمد بن أسحاق بن يحيي الوشاء أبو الطيب النحوي : من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف ، أخباري وقال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تأريخه : مات أبو الطيب الوشاء سنة ٣٢٥ هـ وله ابن يعرف بابن الوشاء حدّث الوشاء عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن أسامة وثعلب والمبرد قال الخطيب : روت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد قال ابن النديم وكان نحوياً معلماً لمكتب العامة وكان يعرف بالأعرابي وله من الكتب : كتاب مختصر في النحو ، وكتاب الجامع في النحو ، وكتاب في المقصور والممدود ، وكتاب المذكر والمؤنث ، وكتاب الفرق ، وكتاب خلق الانسان ، وكتاب خلق الفرس ، وكتاب المثلث، وكتاب اخبار صاحب الزنج ، وكتاب الزاهر في الأنوار والزهر ، وعلق مرغليوث في الحاشية من طبعته : إن القفطي سماه (كتاب الزاهر والازهار) كما ذكر له كتاباً آخر سماه (زهرة الرياض) وقال : هو كبير في عدة مجلدات ملكت نسخة قيل إنها بخطه في عشر مجلدات تشتمل على أنواع وأبواب من المنظوم والمنثور في حسن اختيار ، تدل على كثرة الاطلاع والبحث ، وكتاب السلوان وكتاب المذهب ، وكتاب الموشح ، وكتاب سلسلة الذهب ، وكتاب أخبار المتظرفات ، وكتاب الحنين إلى الاوطان ، وكتاب حدود الطرف الكبير ، وعلق مرغليوث في طبعته لمعجم الأدباء له (الظرف) وفي إنباه الرواة (كتاب الطب الكبير) ورواية الفهرست ص ٨٥ (الطرف) وكتاب الموشا (كذا) « أي الموشى » ثم قال ياقوت : « نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاني أنشدني

الشافعي أحمد بن محمد انشدني أحمد بن محمد بن حفص أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه :

لا صبر لي عنك سوى أنني أرضى من الدهر بما يقدر
من كان ذا صبر فلا صبر لي مثلي عن مثلك لا يصبر

ومن خطه واسناده للوشاء :

يا من يقوم مقام الروح في الجسد لا تحسبني خلي البال من سهد
حاشاك من أرقي حاشاك من قلقي حاشاك من طول ما ألقى من الكمد
حزني عليك جديد لا نفاد له أوهى فؤادي وأوهى عقدة الجلد
والصبر عنك قليل مضرم قلقا بين الضلوع كصبر الأم عن ولد

(معجم الأدباء لياقوت الحموي ط مرغليوث ج ٦ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ سنة ١٩٣٠)

أما السيوطي في بغية الوعاة فلم يزد على ياقوت شيئاً سوى أنه ذكر للوشاء كتاب خلق العرش ولعله محرف كتاب خلق الفرس المذكور آنفاً وبعد أن أورد البيتين الأولين الآنفي الذكر زاد أنه روى عن عبد الله بن أسعد الوراق وطبقته (بغية الوعاة للسيوطي ص ٧ ـ ٨ مطبعة السعادة) اما ابن الأنباري فلم يذكر له أي كتاب بل اكتفى بترجمة مختصرة للغاية ، ومثله فعل صاحب هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المعاصرين إسماعيل باشا البغدادي إلا أنه ذكر معظم تصانيفه (ج ٢ ص ٢٤ ـ ٢٥ طبعة استانبول سنة ١٩٥٥) وذكر له الزركلي صاحب الاعلام في ترجمته أنه من أهل بغداد ولا يعرف مولده ، وانما يذكر وفاته فقط سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٧ م) وذكر له كتاب الفاضل من الأدب الكامل وهو مخطوط ، وهو الكتاب الذي نحن بصدده والذي نحتفظ به في خزانتنا في جزأين كما سيأتي ذكره وتفصيله ، كما انه ذكر ورود اسمه في تأريخ بغداد للخطيب البغدادي أنه محمد بن اسحاق (ج ١ ص ٢٥٣) وكذلك ذكر كتاب الموشى المطبوع عدة طبعات بأن ناشره أضاف إليه كلمة « في الظرف والظرفاء » ثم قال : إنه

كان يعرف بابن الوشاء (الاعلام ج ٦ ص ١٩٩) وبروكلمان نموذج ٧٩ و Brock. S. I : 189

ومثلهم فعل صاحب معجم المطبوعات يوسف إليان سركيس وقال : له من التصانيف ما يقارب العشرين كتاباً منها زهرة الرياض ، عشرة مجلدات تشتمل على أنواع ، وأبواب من المنظوم والمنثور في حسن اختيار تدل على كثرة الاطلاع والبحث ثم ذكر كتاب الموشى وهو الكتاب المطبوع عدة طبعات أشهرها وهي المفهرسة نسخة ليدن المطبوعة سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٦ م) باعتناء رودلف برونو وطبعات أخرى مصرية قديمة وحديثة (معجم المطبوعات ص ١٩١٩)

وممن ذكر كتاب الفاضل هذا كتاب كشف الظنون ولكنه ذكر بعنوان محرف ولم نعثر عليه إلا أن ناسخ هذه المخطوطة قد دون على أول صفحة من المخطوطة أن ذكره قد وقد ورد في كشف الظنون للحاج خليفة المعروف بكاتب جلبي كما ذكر الناسخ أيضاً اسم كتاب آخر للمؤلف الوشاء في نفس الصفحة بقوله من خطه : « لمؤلف هـذا الكتاب كتاب آخر اسمه كتاب (الابتهاج في الصبر المؤدي إلى جميل الراحة والانفراج) وذكرت مجلة لغة العرب التي كان يصدرها الأب انستاس ماري الكرملي ببغداد في المجلد التاسع لسنة ١٩٣١ وهو المجلد الاخير لصدورها هذه المخطوطة دون معرفة مؤلفها بعنوان (كتاب نفيس في البلاغة مجهول المؤلف) وبعد سرد البحث فيه وعن ابوابه قالت المجلة : (هل من مطلع بصير يفيدنا عن اسم مؤلف هذا الكتاب الجليل ؟) ... وقـد أجاب الدكتور مصطفى جواد بانه للوشاء بقوله : « بعد أن طالعنا كتباً عديدة لنتبين اسم صاحب هـذا الكتاب اصبنا انه محمد بن اسحاق بن يحيي النحوي المعروف بالوشاء)

— راجع لغة العرب ج ٩ ص ٢٨٢ ، ٣٧٧ ، ٦٨٤ —

أما معنى الوشاء فقد جاء في كتاب سفينة البحار في مدنية الحكم والآثار للمحدث المحقق الشيخ عباس القمى في جزئه الثاني في باب الواو بعد الشين وفي ترجمة الحسن بن

علي الوشاء ص ٦٥٦ ما نصه : « ... أقول : الوشاء بالشد والمد بياع الثوب الوشي أي المنقوش أو هو الناقش والمراد منه الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي الكوفي من أصحاب الرضا (ع) ... إلى آخر الحكاية » وقد يكون الوشاء ممن امهنوا هذه المهنة ولعله سمى كتابه (الموشى) بهذا العنوان تخليداً لمهنته هذه والوشي والتطريز والنقش من الفنون المعروفة إلى الآن

٢ ـ المخطوطة :

تحتوي هذه المخطوطة على ثلاثة كتب مستقلة قائمة بذاتها أولها كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل بحسب ما ذكر الناسخ في ختام الجزء الثاني منه ، وهو في جزأين منفصلين أما الكتاب الثاني فهو بعنوان (كتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان ابن هود النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو في ثلاثة أجزاء والثالث (كتاب حرب البسوس بين بكر وتغلب) وهو في ثلاثة أجزاء وملحق في آخر المخطوطة كتاب في جزء واحد عنوانه : (خبر الحقة ابنة النعمان واستجارها ببني شيبان) ، والمخطوطة كلها من خط يد واحدة وتنسيق واحد ، وخطها واضح جداً وعناوين الفصول والمواضيع مكتوبة بالخط الأحمر ، والكتابة بالحبر الاسود الثابت الجيد وجاء في نهاية الجزء الأول من الفاضل هذه العبارة : تم الجزء الأول من جزئين من كتاب الفاضل بتوفيق الله وعونه ولطفه ويتلوه الجزء الثاني من جزئين من كتاب الفاضل والحمد لله » : وجاء في نهاية الجزء الثاني هذه العبارة : تم الجزء الثاني من جزئين من كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل : وجاء في ختام الجزء الثالث من كتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود صلى الله عليه وسلم هذه العبارة : وبه تمام الكتاب وذلك وقت الضحى من يوم الاربعاء السادس عشر من شهر شوال المكرم لسنة احدعشر (كذا) ومائتين بعد الألف من الهجرة

النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، بخط محمود بن عثمان الشهير بخطيب النعمانية عفى الله عنه ورزقه زيارة أشرف البرية وسائر المسلمين من الأمة المحمدية آمين يا رب العالمين : ثم دون في أسفل هذه الصفحة هذه العبارة : « قد بلغ المقابلة بقدر الطاقة بمطالعة أفقر الورا (كذا) لعفو ربه تعالى محمد كاتب يكجيريان بغداد وفي نهاية المخطوطة أي في نهاية ملحق حرب البسوس وردت هذه العبارة وهي : « تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه سنة ١٢١١ » وهي لا شك أنها سنة ١٢١١ هـ الموافقة سنة ١٧٩٦ — ١٧٩٧ م قلت وجامع النعمانية جامع صغير يلاصق الاعدادية المركزية ويقابل البريد المركزي ببغداد اليوم اما مساحة المخطوط فهي ٢٤ سنتيمترا طولا و ١٥ سنتيمترا عرضاً وعدد سطور كل صفحة خمسة وعشرون سطراً بالخط الواضح الجيد

مقدمة كتاب الفاضل

قال المؤلف بعد البسملة : « أطال الله في ظل أفياء السلامة بقاك ، وحجب عن غير نوايب الدهر نعماك ، وجعلك لمتوخى سبوغ النعم معقلاً ، ولآمال مؤمل الافضال موئلاً ، ومتعك بوفاء عهود أودائك ، وبلغك الغاية من تأميل ذوي المودة من أوليائك قرأت متعك الله بالسلامة ، وحباك بالزلفة والكرامة ، ما كنت تشكوه إلينا من قلة الثقة بأصحابك ، وما تحمل من معاناة تلون الصديق ، وسرعة ملل الرفيق ، وتفه رذالة الحميم ، وشراسة خلق النديم ، وسألت أن أختار لك نديماً ، متندياً كريماً ، تستعين به على طوارق غمومك ، وتنفي به متكاثف همومك ، وتفزع إليه من سهرك ، وتدعو به عند ضجرك ، وتعتمد عليه في أمورك ، وتستعده لسرورك ، فرأيت استفراغ المجهود في طلب ذلك عذراً ، ووجدان من ارتضى خلايقه لمنادمتك عسراً ، وأحببت أن أحبوك بنديم يروقك منظره ، ويسرك مخبره ، وتطيب مشاهده ، وتكثر محامده ، وتقل ذنوبه ، وتفتقد عيوبه ، إذا

دعوته أسرع ، وإذا حدثك أمتع ، وإذا سألته أجاب ، وإذا تكلم أصاب ، وإذا استرفقته رفق، وإذا استنطقته نطق ، لا يرهقك عسراً ، ولا يحملك صبراً ، يلقي عنك مؤنة الحشمة، أميناً على المال والحرمة ، أستدعي به منك دوام الاخاء ، وأجيب به عليك جميل الثناء ، فصنعت لك كتاباً في البلاغة والايجاز والبراعة ، ضمنتــــه موجزات الخطب ، ومنتخب بلاغات العرب، مما حفظ من ملح كلامها ، ومختصر ألفاظها ، وموجز خطبها ، وبراعة أدبها، ونادر خطابها ، ومسرع جوابها ، ومعجب قرايحها ، ومعجز بدايهها ، إلى شيء من بلاغة البلغاء ، وفصاحة الفصحاء ، وجواب الأدباء ، وايجاز الخطباء ، ومحاورة الخلفاء ، وبهادي الظرفاء ، ومكاتبة الأمراء ، ونوادر الشعراء ، وحصافة ذوي الألباب ، وثقافة أذهان الـكتاب ، ورصافـة عقول النساء ، وتـكامل أدب الإماء ـ أي فطانة أذبهن ـ ونظمته بما انتظم ، من الحـكم المحفوظة عن حكماء العجم ، ووصايا المحتضرين ، وحكم المجانين ، وقدمت ذكر براعة العرب على غيرها من الناس ، لتقدمها في الفضل على سائر الأجناس ، ولأن الله تعالى قد شرفها برسوله ، وفضلهـا بتنزيله ، وخصها بالخطـاب المعجز ، واللفظ الموجز ، والسؤال الشافي ، والجواب الـكافي ، فهم أمراء الـكلام ، ومعادن العلوم والأحكام ، منهم ترد البلاغـة ، واليهم ترجع البراعة ، وعنهم تؤخـذ الفصاحة ، والناس بلغتهم مقتدون ، ولآثارهم متبعون ، وترجمته بكتاب الفاضل لفضله على كل كتاب كامل ، فأرسلت بـه اليك لا ممتناً به عليك ، لتجعله بدلاً من الجليس ، وخلفاً من الأنيس وقد صـــدرت أمام ما ضمنت لك من ذلك فصلاً ضمنته كلاماً جزلاً ، في صفة أنسية البلاغة ، وفضل الفصاحة والبراعة ، فقف على ما فيه من فضله ، وبينت من معرفة مقادير نيله ، لتعـــلم إذا أنعمت الاختيار ، أني أحسنت لك الاختيار إن شاء الله تعالى

هذه هي مقدمة الـكتاب ومن قراءتها نستدل على الغاية التي وضع المؤلف من أجلها الـكتاب ، وهو كتاب الفاضل في صفة الأدب الـكامل وهو ليس كتاب الفاضل للعلامة

المبرد الذي سبق أن حققه وطبعه الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني صاحب التحقيقات من المخطوطات العديدة الذي زار العراق سنة ١٩٥٨ م في طريق عودته من بلاد المغرب وتونس ومصر الى بلدته كراجي في باكستان

أما أبواب وفصول الجزء الأول من الكتاب فعناوينها كما يأتي : ـ

١ ـ باب في صفة البلاغة وفضل الفصاحة والبراعة

٢ ـ « البلاغة في الخطابة من أهل الفصاحة والدراية

٣ ـ « من أدركه الحصر في خطبته فأحسن العبارة في حجته

٤ ـ « بلاغات الوفود في حسن البديهة والتسديد ،

٥ ـ « البلاغة في احتجاج الأسارى وحسن قول الموثقين والحيارى .

٦ ـ « « من ذوي الرجاحة في حسن البيان والفصاحة .

٧ ـ « « من ذوي الألباب في حسن المعارضات في الجواب .

٨ ـ « « من الأدباء في مخاطبة الخلفاء ومحاورة الأمراء

٩ ـ « « في حسن الاعتذار وتجاوز ذوي المقدرة عن الاحرار .

١٠ ـ « « من البلغاء اللسن وطعنهم على النوكي اللكن

١١ ـ « « في مكاتبات ذوي الألباب وتوقيعات السلطان وهادى الكتاب

١٢ ـ « « من الحكماء والصفح من أهل المقدرة عن السفهاء

١٣ ـ « « من الخلائف الاموية ومأثوريهم المرضية

١٤ ـ « « « خلفاء بني هاشم والمأثور عنهم من الآداب والمكارم .

١٥ ـ « « « ذوي المآرب في حسن التعزية عن المصائب

١٦ ـ « « ممن جمع بين تهنئة بعطية وبين تعزية برزية

١٧ ـ « « فيمن يعزى عن مصيبته وحسن صبره في رزيته

١٨ ـ باب البلاغة من وصايا المحتضرين ذوي الآراء والعقل الرصين

١٩ ـ » » » العلماء في وصايا الأمراء

هذه هي أبواب الجزء الأول من كتاب الفاضل ولبيان فائدة الكتاب أنقل الباب الثالث من هذا الجزء لاطلاع القراء على مزية هذا السفر الجليل وعلو كعبه في البلاغة والفصاحة اللتين تضمنهما لغتنا أم الضاد العربية مع العلم بأن هذا الباب من أقصر الأبواب في الكتاب المذكور

الباب الثالث

— باب من أدركه الحصر في خطبته فأحسن العبارة في حجته —

روى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه فقال : أيها الناس سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي بياناًوانكم الى أمير فعّال أحوج منكم الى امام قوال . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم واخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى ان خالد بن عبدالله القشيري ـ واظنه تصحيف «القسري» ـ صعد المنبر فارتج عليه فقال : أيها الناس ان هذا القول يجيء أحياناً ويذهب أحياناً فيتسبب عند مجيئه سببه ويعزب عند غروبه طلبه وربما كوثر فأبى وعولج فعصى والترك لأبيه أفضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره أولى من طلبه عند تبرجه — أي بهوره — فقد يختلج على الجرى جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل عن منبره وهو أخطب من رأينا ونمي إليّ ان ابا العباس امير المؤمنين القائم صعد المنبر فلما قال الحمد لله ارتج عليه فنزل ثم رقي المنبر فقال ايها الناس انما اللسان بضعة من الانسان يكل بكلاله إذا كلّ وينفسح بانفساحه إذا أنفسح نحن امراء الكلام ومنا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه — أي تدلت — ونزل فبلغ ذلك أبا جعفر المنصور فقال : لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر

لكان اخطب العرب ووَلي يزيد بن المهلب مولاه ثابت بن قطنة بعض الكور — وهي جمع المداين — فلما صعد المنبر ارتج عليه فنزل وهو يقول : فالا اكن خطيباً فانني ضروب بماضي الشفرتين صقيل ـ والشفرة بالفتح السكين العظيم ـ فبلغ ذلك يزيد فقال : لو قالها على المنبر لكان اخطب الناس. وبعض ما مرّ في هذا الباب ينفعك فأقنع ان شاء الله تعالى ».

وهذه أبواب وفصول الجزء الثاني من كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل .

١٧ ـ باب البلاغة من الأعراب الأتقياء في حسن الابتهال والدعاء
١٨ ـ » » » النساء ذوات الدراية والفصاحة .
١٩ ـ » » » » المتأدبات في حسن وصايا البنين والبنات
٢٠ ـ » » » » » في وفاتهن .
٢١ ـ » » » الاماء المتظرفات ومداعبتهن في الخلوات
٢٢ ـ » » » الغلمان ونادر براعة الصبيان .
٢٣ ـ » » » الأكاسرة وحكماء الفرس والأساورة
٢٤ ـ » » » العجم وما يؤثر عنهم من سائر الحكم
٢٥ ـ » » » المجانين ومأثور حكم الموسوسين

فيكون مجموع أبواب الجزئين (٤٤) بابا في مختلف المواضيع من البلاغة ونماذج الفصاحة من حكم وأقوال ومواعظ وارشادات وخطب وأشعار مما يفيد المطالع والقاريء والدارس والمتتبع والباحث في التأريخ والأدب واتماماً لتنوير المطلع والقـاريء انقل الباب الأول من الجزء الثاني من كتاب الفاضل هذا فهو خير نموذج على محتوى هذا الـكتاب النفيس في ضروب البلاغة وأنواع الفصاحة في القول والموعظة

الباب الأول من الجزء الثاني

— باب البلاغة من ذوى الرشاد في حسن وصاية الأولاد —

قال هشام بن الـكلبي : جمع عبد الملك بن مروان بني امية فقال : يا بني امية ابذلوا نداكم وكفوا أذاكم واعفوا اذا قدرتم فانما العفو بعدالقدرة والثناء بعدالخبرة ولا تلحفوا ـ أي لا تلحوا ـ اذا سألتم ولا تبخلوا اذا سئلتم فان خير المال مال أفاد حمدا ونفى ذما ولا تقولوا كما يقول اللئام كان حجتهم اذا سئلوا أبداً بمن تعول انما الناس عيال الله وقد تكفل بأرزاقهم وجعل رزق بعضهم من بعض فمن ضيق ضيق الله عليه ومن أعطى خلف الله له

يا بني مروان أحسابكم أحسابكم فما ضر قوم قيل فيهم بعد قول زهير ووددت أن البيت قيل في قومي :ـ

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

وما نفع قوما مدحوا به بعد قول الأعشى ما يسرني أنه قيل في قومي وان الدنيا لي بأسرها :ـ

يبيتون في المشتاء ملأ بطونهم وجاراتهم غرثا (كذا) يبتن خمايصا ـ غرثى جياعا ـ

وقال الأصمعي : اخبرني ابن الزياد عن هشام بن عروة قال أوصى بنيه فقال : لا يهدين أحدكم الى ربه ما يستحيي أن يهديه الى كريمه فان الله أكرم الأكرمين وأحق من اختير له . يا بني تعلموا فان تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار آخرين وإذا رأيتم من رجل خلة رايعة من خير فلا تقطعوا أملكم منه وان كان عند الناس رجل سوء فان لها عنده أخوات واذا رأيتم من رجل خلة رايعة من شر فاحذروه وان كان عند الناس رجل صدق فان لها عنده أخوات ثم قال ان الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وقال سعد القصير لابنه : يا بني أوصيك بوصية ان لم تحفظها مني كنت جديراً أن تحفظها من غيري يا بني أظهر اليأس فانه غنى واياك وطلب الحاجات فانه فقر حاضر وإذا صليت صلوة فصل صلوة مودع وأنت ترى أن لا تصلي بعدها أبداً وان استطعت أن تكون غداً خيراً منك اليوم واليوم خيراً منك امس فافعل واياك وكل شيء يعتذر منه فانه لا يعتذر إلا من شر وإياك أن تحزن على شيء آتاك الله خيراً منه وقال ابن المقفع لابنه يا بني الصبر على كلمة تسمعها خير من الف كلمة تطلب التخليص منها فاكرم نفسك عما الخير في غيره . وقال منذر بن مالك لبنيه :ـ يا بني ألزموا الاناءة تفز بقد حكم واغتنموا الفرصة تدركوا طلبتكم وأنشد :ـ

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما فات بعض القوم أمرهم مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وأوصى عمرو بن كلثوم بنيه فقال : يا بني ما عيرت أحداً قط بشيء الا عيرت بمثله إن حقاً فحقاً وأن باطلاً فباطلاً من سبّ سب كفوا عن الشم فانه أسلم للأعراض أحسنوا جواركم بحسن ثنائكم وامنعوا ضيم الغريب والقريب فانك تذل على قريبك ولا تحمل بك ذل غريبك واذا حدثتم فعوا واذا حدثتم فأوجزوا فان مع الاكثار يكون الاهذار ـ أي سقط الكلام ـ ولا خير فيمن لا روية له مع الغضب ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب وشر الناس من لا يرجى خيره ولا يتقي ضره وقال المدايني : أراد ابن الاعرابية سفراً فقالت له أمه : يا بني انك تجاور الغرباء وترحل عن الأصدقاء ولعلك لا تلقى غير الأعداء فخالط الناس بالسير واتق الله في السر واستودعك الله وعليك السلام وقال العتبي سمعت إعرابياً يوصي ابناً له وهو يقول يا بني ان لحقتك صعوبة امر فاستصعب له تنل مراكبه وتلن جوانبه وقارع الدهر عن أحداثه وأصبر لنوايبه لتعلم أنك من أقرانه وسمعت اعرابياً يوصي ابناً له فقال : أي بني ان صحبة الرجال ذل وذل الصحبة أيسر من مضاضة الحلة فان دعتك اليها حاجة فاستكرم الصاحب وان صحبتك ولا محالة وأصارك الدهر الى مكروه ذلك فاحتجب بالصبر واستزد بالشكر وأوصى إعرابي بنيه فقال : يا بني عاشروا الناس معاشرة ان غبتم عنهم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وهذا باب قد ذكرته في كتاب جليل وكلام طويل فاغنى ذلك عن التطويل فاعرفه ان شاء الله تعالى » اه

هذا غيض من فيض وقطر من بحر من هذا الأدب الراقي الجم الحافل بالمثل العليا والأقوال المثلى النافعة مما لا يستغنى عنه كل محب ومغرم في الأدب العربي ومكنوناته الفياضة وملحه الممتعة وبراعته الفائقة من حكماء العرب وشعرائهم وأدبائهم وناطقيهم سعة من هذه اللغة المضمخة بعطور الألفاظ وحسن التعبير وبلاغة الايجاز فبذت كل لغة في العالم بحلتها القشيبة وبيانها المعطار وحسها الفتان .

يوسف يعقوب مسكوني

بقية الادارسة بمصر

للدكتور مصطفى جواد

نشر الدكتور المحقق الفاضل حسين مؤنس في المجلد الحادي عشر من هذه المجلة [1] مقالة بارعة في إدارسة صقليّة ، أشملها تمهيداً ونظرة عامة في تاريخ الادارسة وسيرة الشريف الادريسي العالم الجغرافي المشهور ، وأدارسة صقليّة وختمها بقوله : « وفي عضون هذه الاضطرابات اختفى بنو حمود [الادارسة] فلم نعد نسمع لهم ذكراً ، وقد يكونون غادروا الجزيرة عندما استبانت لهم استحالة المقام وضياع الأمن وانقطاع الآمال في الصلاح . قد يكونون غادروا الجزيرة في صمت وحلّوا في أي بلد من بلاد الاسلام كما دخلوا صقلية واستقرّوا فيها في سكون ولسان حالهم يردّد هذه الابيات الجميلة التي تنسب إلى أعظم من نزل منهم صقلية وهو الشريف الادريسي .. » وذكر أبياتاً رائية خمسة

وقد خطرت ببالي معلومات تخص أولئك الأدارسة لم يحتوها البحث النفيس المقدم ذكره ، من ذلك ما ذكره عبد الملك بن بدرون ، قال : « والقاسم بن علي بن حمود [الادريسي] قتله ابن أخيه إدريس [2] » وقد ذكر ابن عنبة « إدريس بن عبدالله المحض » الذي نسب اليه الادارسة وعقبه حتى انتهى إلى « حمود » وقال : « ومنهم حمود وهو ابن

---

(١) « مج ١١ ص ٨٨ — ١١٧ » سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م

(٢) شرح البسامة قصيدة ابن عبدون « ص ٢٧٤ طبعة مطبعة السعادة بمصر »

ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر » وأنهى قوله بهذه الجملة التامّة « وبنو إدريس كثيرون وهم في نسب القطع يحتاج مَن يُعزى اليهم إلى زيادة وضوح في حجّته لبعدهم عنّا وعدم وقوفنا على أحوالهم » وذكر فيمن ذكر منهم شاعراً قال : « ومنهم الشيخ الشاعر الضرير بمصر الحسن بن يحيى [بن] القاسم كنون بن ابراهيم بن محمد بن القاسم المذكور [1] »

وذكر القلقشندي « بني حمود » في كتابه في أنساب العرب قال : « بنو حمُّود بطن من الادارسة من بني الحسن السبط من بني هاشم من العدنانية وهم بنو حمود بن يعقوب [2] ابن أحمد بن علي بن عمرو بن إدريس .. وأول من ملك منهم علي بن حمود بن ميمون ثم أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمأمون ثم يحيى المعتلي بن علي بن حمود ثم الموفق إدريس بن يحيى بن صنوان ثم إدريس المتأيد بالله ثم المأمون القاسم بن حمود ثم ابنه المعتصم محمد ثم ابنه الواثق القاسم » وعمرو المذكور في النسب هو تصحيف عمر

وذكر ابن الفوطي خلفاء منهم — أعني الادارسة — قال : « المأمون أبو محمد القاسم ابن حمُّود بن أبي العيش ميمون الحسني الخليفة بالأندلس ، [هو] القاسم بن حمّود بن أبي العيش ميمون بن حمّود بن علي بن عبد الله ابن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ ، لما قتل أخوه الناصر [3] علي بن حمود بويع لأخيه

---

(1) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ١٣٨ ـ ١٤٠ طبعة بمبي ١٣١٨ هـ »

(2) كذا هو في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب طبعة مطبعة الرياض ببغداد « ص ٢٠٠ » وطبعة مطبعة النجاح وقد تقدم أنه « ميمون » وسيؤيده القلقشندي نفسه في كلامه التالي لذاك

(3) قال ابن عنبة : « أعقب حمود من رجلين القاسم الملقب بالمأمون وعلي الملقب بالناصر لدين الله ملك الأندلس وقامع بني مروان عنها وأعقب علي الناصر لدين الله ملك الأندلس يحيى الملقب بالمعتلي وادريس الملقب بالمتأيد وليا الخلافة بالمغرب فأعقب يحيى المعتلي إدريس الملقب بالعالي والحسن الملقب بالمستنصر ، دعي لهما بالخلافة هناك ، وأعقب القاسم المأمون بن أحمد حمود بن ميمون ـ وكان قد ولي بعد أخيه ـ محمداً =

القاسم ولقب المأمون فما غيّر على الناس عادة ولا مذهباً ، فبقي المأمون إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، فقام عليه ابن أخيه يحيى بن الناصر فهرب المأمون من قرطبة بلا قتال وصار باشبيلية (كذا) ثم اجتمع للمأمون جماعة وأخرجوا يحيى من قرطبة إلى مالقة ، وقتل المأمون خنقاً سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، ومدة ولايته ستة اعوام ، وبقي محبوساً عند ابن أخيه المعتلي يحيى بن علي ست عشرة سنة ومات [خنقاً] وله ثمانون سنة [1] »

وقال ابن الفوطي : « المتأيد بالله أبو أحمد (وأبو) منصور إدريس بن علي بن الناصر ابن حمّود العلويّ الحسني الخليفة بالاندلس ، قال صاحب تاريخ الأندلس : لما قتل المعتلي بالله يحيى بن عبد الله في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة رجع أبو جعفر أحمد بن أبي موسى بن بقية ونجا الخادم الصقلّي وهما مدبّرا دولة الحسنيين فأتيا مالقة وكان أخوه إدريس بن علي بسبتة فاستدعياه إلى مالقة وبايعاه بالخلافة وتلقب بالمتأيد بالله ، فبقي كذلك إلى سنة ثلاثين [وأربعمائة] وحدث القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد نفسه بالتغلب على البلاد وكان المتأيد محب الأدب ولم يزل مطاع الأمر إلى أن توفي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وكانت مدته أربع سنين [2] »

وقال : « المعتلي بالله أبو اسحاق يحيى بن علي بن حمود العلوي الحسني نزيل الأندلس الخليفة بالمغرب ، أمه لبونة بنت محمد بن الحسن بن فنون مولده في سنة أربع

= الملقب بالمهتدي ملك الجزيرة الخضراء بالمغرب » ، « ص ١٣٩ » وجاء في حاشية الكتاب « وكانت وفاة الناصر لدين الله علي بن حمود سنة ثمان وأربعمائة ، وكانت وفاة يحيى المعتلي بالله سنة سبع وعشرين وأربعمائة ووفاة أخيه المتأيد بالله سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة قيل إن إدريس العالي مات سنة ست وأربعين وأربعمائة وكانت وفاة الحسن المستنصر بالله سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

(١) مجمع الآداب في معجم الألقاب « الترجمة ٤٤ من الميم » من طبعة لاهور « ج ٥ »

(٢) مجمع الآداب « الترجمة ٩٠ من الميم من طبعة لاهور ج ٥ » .

وثمانين وثلاثمائة وكان أعين أكحل بويع له بالخلافة بقرطبة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ثم هرب إلى مالقة سنه أربع عشرة ثم سعى قوم من المفسدين في رد دعوته إلى قرطبة سنة ست عشرة [وأربعمائة] إلا أنه تأخرعن دخولها ، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطاف اليفرني ، وكان عبيده وأصحابه يدخلون إلى الاسواق يأخذون أموال التجار ، وبقي الأمر إلى سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ثم قطعت خطبته عن قرطبة وأطاعه جماعة من البربر وأقام بقرمونة وقتل يوم الخميس النصف من المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة (1) »

وقال : « المستعلي بالله أبو عبد الله محمد بن المعالي إدريس بن يحيي [بن] حمود العلوي الحسني الخليفة بالمغرب ذكره الغرناطي في تاريخه وقال : لما توفي المعالي سنة ست وأربعين وأربعمائة ، قام بأمره بعده ولده محمد وتلقب بالمستعلي ولم يخطب له بالخلافة ، وعلى يده كان انقراض دولة الفاطميين من آل حمود بالمغرب وفي سنة سبع وأربعين [وأربعمائة] تغلب عليه باديس بن حبوش صاحب غرناطة وأخرجه من مالقة فجملة دولة الفاطميين بالأندلس سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، والباقي من هذا إنما هو تغلب وفتنة (2) »

وترجم ابن الفوطي في معجمه للالقاب « الموفق أبا علي إدريس بن يحيي بن حمود العلوي الحسني الخليفة » ولكن ترجمته ضاعت فيما ضاع من ألفاق أوراق هذا الجزء المطبوع في لاهور أعني الجزء الخامس وبقي اسمه فقط (3)

هذه معلومات لم تكن مجموعة ولا منقولة في كتب هذا العصر قدمنها بين يدي البحث عن « بقية الادارسة »

---

(1) المرجع المذكور « الترجمة ١٣٠٨ من الميم من طبعة لاهور ج ٥ »

(2) » » » « الترجمة ١٠٨١ من الميم من طبعة لاهور ج ٥ »

(3) » » » « الترجمة ١٩٠٩ من الميم من الطبعة المذكور

بان لي من أثناء مطالعتي لـكتب التراجم والأدب أن من الادارسة المذكورين آنفاً من انتقل إلى مصر ودخل في غمار العامة إلا أنه حافظ على نسبه ، وقد صرّح ياقوت الحمويّ بنسب بعضهم غير مرة في كتابه إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، قال ياقوت في ترجمة أبي الفتح عثمان بن عيسى البلطيّ : « لم يذكر العماد وفاته وإنما أخبرني بوفاته وما بعده الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن الحسن بن إدريس ابن يحيي العالي بن المعتلي وهو الخارج بالمغرب والمستولي على بلاد الأندلس ابن حمّود بن ميمون بن أحمد بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب — عليه السلام — وأخبرني الشريف المذكور وكان من تلامـذته قال : كان البلطيّ رجلاً طوالاً جسيما طويل اللحية واسع الجبهة أحمر اللون [1] »

وكان ياقوت قد ذكر هذا الشريف في أوائل كتابه ولم يبسط نسبه هذا البسط ، قال في ترجمة ابن الزبير أحمد بن علي الغسّاني : « وكان السبب في تقدمه في الدولة المصرية في أول أمره ما حـدثني به الشريف أبو عبد الله [2] محمد بن أبي محمد عبد العزيز الادريسيّ الحسني الصعيدي [3] .. » وقال في ترجمة الظهير الحسن بن الخطير النعماني : « حـدثني بجميع ما أورده عنه هاهنا من خبره ووفاته تلميذه الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الادريسيّ الحسني الصعيدي بالقاهرة سنة ٦١٢ هـ قال : كان الظهير يكتب على كتبه في فتاويه (الحسن النعماني) فسألته عن هذه النسبة فقال : أنا نعماني أنا من ولد النعمان بن المنذر ومولدي بقرية تعرف بالنعمانية [4] ... »

---

(١) معجم الأدباء « ٥ : ٣ ٤ » طبعة مرغليوث الأولى »

(٢) كناه بأبي جعفر في المواضع الأخرى وقد تقدمت موضعاً منها

(٣) معجم الأدباء « ١ : ٤١٨ من الطبعة المذكورة »

(٤) المرجع المذكور « ٣ : ١٥ » .

وله ترجمة في لسان الميزان قال مؤلفه : « محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم بن عمر بن سليمان الشريف الادريسيّ المقرىء الأجلح القاوي المولد نزيل القاهرة ، قدم أبوه فولد له هذا بواد من صعيد مصر ، في رمضان سنة ثمان وستين [وخمسمائة] ونشأ بمصر وسمع من البوصيري وابن ياسين والأرتاحي وعبد المجيب بن زهير وفاطمة بنت سعد الخير في عدد كثير ، وسمع بالاسكندرية وغيرها ، وتصدّر بالعمرية بالقاهرة ، أخذ عنه الدمياطي والشريف الحسيني وأحمد يوسف الإربلي وأبو صادق بن الرشيد العطار وآخرون ، قال القطب [1] : كان إماماً عالماً ومحدثاً حافظاً عارفاً بالتاريخ والأدب والحديث والنسب وله كتاب (المفيد في ذكر من دخل الصعيد) وكتاب في الأهرام جيّد ، وذكره ابن مسدي في معجمه وقال : ذكر لي أنه من ولد إدريس بن إدريس الحسني ، ورأيت المطاعن عليه بمصر في ذلك ، وكان متسامحاً في باب الرواية ، متساهلاً فيه إلى الغاية ، وقد سمعت منه فوائد من أصل سماعه وربما حسن حاله بأَخَرة في تصانيفه ، وأنشد له :

ولم أر علماً كالحديث [2] فنونه ... تطول إذا عددتهنّ وتكثر

ويحسب قوم أنه النقل وحده ... ونقلُ شرورى [3] منه عندي أكثر

وشرورى [3] بفتح المعجمة والراء وسكون الواو بعدها زاي مقصورة جبل معروف وكانت وفاة المذكور سنة أربع وأربعين وستمائة [4] »

وذكره السيوطي في حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة في المؤرخين قال : « محمد

---

(١) قال مصطفى جواد كاتب هذا التعقيب : مراد الذهبي بالقطب « قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور » الحلبي الأصل مؤرخ مصر

(٢) في اللسان المطبوع « في الحديث » وهو ضد مراد القائل

(٣) في المطبوع « شروزى » وهو تصحيف وشرورى كما في معجم البلدان جبل مطل على تبوك في قول دلبني سليم في قول آخر

(٤) لسان الميزان « ٤ : ٢٦٢ »

ابن عبد العزيز الادريسي الشريف الغاوي ، كان من فضلاء المحدثين وأعيانهم سمع الكثير وألف (المفيد في أخبار الصعيد) ولد في رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وتوفي بالقاهرة في صفرسنة تسع وأربعين وستمائة [1] » وذكره استطراداً في بغية الوعاة في ترجمة سليمان بن بنين المصري الدقيقي ، قال : « قال اليغموري في تذكرته بعد سردها : هذا آخر ما وجد من تصانيفه بخط وجيه الدين الصبان وقد نقله من خطه الشريف الادريسي أبو عبد الله [2] محمد بن عبد العزيز [3] ... »

وذكر أبو شامة إدريسياً آخر لم أعرف له صلة نسب بأبي جعفر المذكور ، نقلاً من تاريخ يحيى بن أبي طي الحلبي في سيرة صلاح الدين قال يحيى في حوادث سنة ٥٦٤ : « حدثني الشريف الادريسي نزيل حلب قال : كنت بالاسكندرية يومئذ [4] ... » .

ثم قال : « قال الادريسي : كنت في جملة من خرج في المراكب فلما وصلنا إلى ميناء عكا أخذنا واعتقلنا في معصرة القصب [5] .. »

وتاريخ الأهرام الذي ألفه الشريف أبو جعفر محمد الادريسي هو « أنوار علو الأجرام الكشف عن أسرار الأهرام » ومنه نسخة بدار الكتب الوطنية بباريس أرقامها « ٢٢٧٤ » جاء في أولها « تأليف السيد الشريف الشيخ جمال الدين محمد بن عبد العزيز بن القاسم (كذا) بن عمر بن سليمان الادريسي ، نفع الله تعالى به ... » وفي كشف الظنون « أنوار علو الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام للشريف جمال الدين أبي جعفر محمد بن عبدالعزيز الادريسي ، مختصر أوله الحمد الذي جعل ما أبقاه الخ ذكر أنه ألفه للملك الكامل محمد بن خليل (كذا) سنة ٦٢٣ » ، والصواب « محمد بن خليل أمير المؤمنين العادل » الأيوبي

ومن الكتاب نسخ أخرى في خزائن أخرى ، وقال الشيخ إبراهيم الدروبي في كتاب

---

(١) حسن المحاضرة « ١ : ٢٣٨ طبعة المطبعة الشرفية »

(٢) في المطبوع « أبي عبد الله بن محمد » وهو خطأ (٣) بغية الوعاة « ص ٢٦١ »

(٤) كتاب الروضتين « ١ : ١٦٨ طبعة مطبعة وادي النيل » (٥) المرجع المذكور ١ : ١٦٩ .

بعث به إلي سنة ١٩٤٣ : « تحية واحتراماً وبعد فقد عثرت في أحد بيوتات بغداد القديمة على كتاب معنون بكتاب (المقصد الحرام في عجائب الاهرام) للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ، يشتمل هذا الكتاب على عشرة فصول ، يحتوي على مائة وسبع وعشرين صفحة ، كل صفحة على واحد وعشرين سطراً إن الناظر إلى مؤلف الكتاب يذهل لأول وهلة إلى أنه صاحب خزانة الأدب ، والحال أن الكتاب مخطوط في ١١ شوال سنة ١٠٢٠ لا يخفى على سعادتكم أن صاحب الخزانة ولد سنة ١٠٣١ ﻫ فما هذا التفاوت والتناقض في التاريخين فيما إذا قطعنا أنه لصاحب الخزانة ؟ يشير المؤلف المشار اليه في الفصل الرابع من هذا الكتاب ما هذه نصه حرفياً (ويوم شروعنا في هذا الكتاب في شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة ، الخ البحث فيرجى التفضل بارشادي عن صاحب الكتاب وعن التناقض في التاريخين مع بيان ماهية الكتاب هذا واقبلوا مني فائق الاحترام والامتنان سيدي العزيز ، ٢٧ حزيران سنة ١٩٤٣ م »

واذكر أني اجبته بالحقيقة وهي أن الكتاب للشريف محمد بن عبد العزيز الادريسي وأن عبد القادر بن عمر البغدادي الأديب النحوي المشهور استخرجه من درج قديم ، فقد جاء في أول نسخة باريس ما هذا نصه « هذا الكتاب استخرجه من درج قديم الشيخ الفاضل عبد القادر بن عمر البغدادي النحوي وكان أديباً فاضلاً مبرزاً في اللغة العربية والفارسية قرأ على الشهاب الخفاجي المصري والشيخ إبراهيم الميموني والشيخ ياسين الشامي والحريري وقرأ الصحيحين على الشيخ أحمد العجمي المصري وصنف كتباً منها شرح شواهد شرح الكافية للرضي الاستراباذي ، وشرح شواهد الشافية له أيضاً وله حاشية على المغنى لابن هشام وحاشية على شرح الوردية وحاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام ومشكلات لغة المنهاج وغيرها توفي بمصر سنة اثنتين وتسعين بعد الألف »

مصطفى جواد

النبوغ المغربي في الأدب العربي

تأليف

الاستاذ عبدالله كنون

بقلم

اللواء الركن : محمود شيت خطّاب

سمعت بالأستاذ الجليل عبد الله كنون منـذ زمن بعيد ، فقد اخترقت شهرتـه العلمية والأدبيّـة بلاد المغرب الى المشرق ، وعرف بأصالة بحوثه وأمانته العلمية

ولاقيته لأول مرة في مؤتمر المجمعين : مجمع اللغة العربية ، والمجمع العلمي العراقي ، الذي انعقد في بغداد من ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٥ لغاية ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، فصدق الخَـبَر الخُبْر بل زاد عليه ، ولمست فيه إســتقامة وورعاً وإيماناً عميقاً ، وحرصاً شديداً على مبادىء القرآن الكريم ولغةالقرآن الكريم ، فكانت معرفتي له من أثمن ما جنيته من مؤتمر المجمعين الموقرين

للمؤلف الفاضل كتب كثيرة مطبوعة ، لعلّ من أهمها : (١) التعاشيب ، (٢) واحة الفكر ، (٣) خل وبقل ، (٤) شرح مقصورة المكودي ، (٥) شرح الشمقمقيّة ، (٦) المنتخب من شعر ابن زاكور ، (٧) مفاهيم إسلامية

ولكنّ أهم مؤلفاته هو كتابه القيّم : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، لأنه كتاب سدّ ثغرة كبيرة واسعة في المكتبة العربية ، وعرّف الأدب المغربي للأدباء ، فأصبح هذا

الكتاب بحق مصدراً من أهم مصادر الأدب المغربي على الأطلاق

ولم يكن المؤلف يهدف بكتابه إلى تمييز أدب المغرب بميزة ليست في الأدب العربي العام ، ولا إلى تخصيصه ببحث مستقل يجعله في نظر المغاربة أو غيرهم كتاباً خاصاً بأدب قطر خاص من أقطار العرب على حدته ، وإنما كان مقصود المؤلف هو بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي التي تعاونت على بنائه أقطار العروبة كلها ، وذكر الأدباء المغاربة الذين لم يقصروا عن إخوانهم من المشارقة ومغاربة بقية أقطار المغرب العربي في العمل على ازدهار الأدب العربي

فقد رأى المؤلف إهمال أدباء المغرب في كتب الأدب وكتب تاريخ الأدب ، حتى لتذكر تونس والجزائر ، وبالحرى القيروان وتلمسان فضلاً عن قرطبة واشبيلية ، ولا تذكر فاس ومراكش بحال من الأحوال

وعكف المؤلف الفاضل باحثاً ومنقباً ، فوجد كنوزاً عظيمة من أدب لا يقصر في مادته عن أدب أي قطر من أقطار العرب ، وشخصيات أدبية وعلمية لها في مجال الانتاج والتفكير مقامٌ رفيع . وتتبع المؤلف جميع ما وصلت اليه يده من آثار أدبية مغربية ، وأخبار عن علماء المغرب وأدبائه ، فوفق الى ما أراد أي توفيق ، حتى قال في هذا الكتاب المرحوم شكيب أرسلان : « إن من لم يقرأه ، فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي »، وصار بروكلمان يعتمده في ملحقات كتابه عن تاريخ الأدب العربي كما أثنى عليه العالم الايطالي جيوفاني بلانكي في مقال له بمجلة الشرق الحديث فقال : «بإبرازه للمساهمة التي أبداها المغرب في الآداب العربية ، تلك المساهمة التي أهملت حتى اليوم ، ولم تقدَّر كما كان ينبغي » ، وكان هذا العالم الايطالي قد اطلع على الترجمة الاسبانية للكتاب.

جمع هذا الكتاب العلم والتاريخ والسياسة ، وتصوير الحياة الفكرية في المغرب من الفتح الاسلامي حتى العصر الحديث ، وقد مزج المؤلف في كتابه بين الحركات الفكرية

والحركات السياسية مزجاً عجيباً ، حقّق فيه الصلة الطبيعية التي لا تكاد تنفكّ في كل دور من أدوار الأمم بين العلم والسياسة ، بحيث لا يرقى الواحد منها إلا إذا رقى الآخر برقيّه كاللّازم والملزوم

عالج المؤلف في الجزء الأول من كتابه الرائع : عصر الفتوح ، وتحدّث عن الفاتحين الحقيقيين ، وذكر كيف انتشر الاسلام في المغرب ، واستعراب المغاربة ، والصراع بين العرب والمغاربة ، والوسط الفكري في عصر الفتوح

ثم انتقل إلى عصر المرابطين ، وسياسة الجامعة الاسلامية التي عمل من أجلها المرابطون ، وأوضح العلاقة المشرّفة بين يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عبّاد بشكل واضح جليّ ، ثم عرّج على الحياة الفكرية في هذا العصر ورعاية المرابطين للعلم والأدب ، وأورد تراجم بعض الشخصيات العلمية والأدبية من هذا العصر

وسار على هذا المنهاج العلمي الدقيق في بحوثه عن عصر الموحّدين وعصر المرينيين وعصر السعديين وعصر العلويين

وأورد في الجزء الثاني من كتابه نماذج رائعة من التحميد والصلاة ، ومن الخطب ، ومن المناظرات ، ومن الرسائل ، ومن المقامات ، ومن المحاضرات ، ومن المقالات

أما في الجزء الثالث من هذا الكتاب ، فقد أورد المؤلف منتخبات أدبية من المنظوم ، فأورد نماذج حيّة من الحماسة والفخر ، ومن الغزل والشوق ، ومن الوصف ، ومن الآداب والوصايا والحكم ، ومن الملح والطرف، ومن الرثاء وذكر الموت ، ومن الموشّحات والأزجال ... وبذلك انتهى الكتاب بثلاثة أجزاء بلغت عدد صفحاته ألف صفحة من القطع المتوسط

ولعلّ من أصعب الأمور على الذين يتحدّثون عن هذا الكتاب ، هو انتقاء نماذج مما ورد فيه من نظم ونثر للدلالة على قيمته

إنّ كل ما ورد من نماذج رائعة في الكتاب تُخرج أعناقها مدّعية الفضل والسموّ والبيان، فكيف يستطيع المتحدِّث عن الكتاب أن يفاضل بينها ، ولكل واحد منها شهود عدول ؟

وسأفتح الكتاب عفواً ، وانتخب أول ما يقع عليه البصر

قيل لأبي علي الحرّالي المراكشي : كيف أصبحت ؟ فأنشد :

أصبحتُ ألطفَ من مَرِّ النسيم إذا ... سرى على الرّوض ، كاد الوهم يؤلمني

من كل معنىً لطيف أجتلي قدحاً ... وكلّ ناطقة في الكون تطربني

وكان بعض تلاميذه مؤلعاً بالشراب ، فعكف ليلة على الشرب حتى سقط على زجاجة فجرح في وجهه ، فلما أصبح صار الى الشيخ وأثر الزجاجة ظاهر عليه ، فأنشده :

لا تسفكنّ دم الزجاجة بعدها ... إن الجروح كما علمت قِصاص

فخجل التلميذ ، وكان ذلك سبب توبته [1]

وللعلامة المكُودي من مقصورته في السيرة النبوية :

أرّقني بارق نجدٍ إذ سرى ... يُومِضُ ما بين فرادى وثُنى

أهبّني إذ هبّ منه موهِناً[2] ... ما سدَّ ما بين الثريا والثرى

شممت من أرجائه إذ شِمْتُهُ ... ريحَ صباً أضوع من ريح الكبا [3]

فيا له من بارقٍ ذكّرني ... من الهوى ما كنت عنه في غِنى [4]

---

(١) أنظر ص (٤٨٤) من الكتاب

(٢) الموهن : كالوهن ، نحو منتصف الليل

(٣) الكبا : عود البخور

(٤) انظر القصيدة في ص (٨١٠ — ٨١٧) من الكتاب .

وفي آخرها يقول :

مقصورة لكنها مقصورة على امتداح المصطفى خير الورى

فقت علاء كل ذي مقصورة وإن هم نالوا الأيادي واللها

فحازم قد عد غير حازم وابن دريد لم يفده ما درى

ما شبنها بمدح خلق غيره لرتبة أحظى بها ولا جدا (١)

ولعبدالله بن محمد العلوي الشنقيطي في الرثاء :

هو الموت عضب لا تخون مضاربه وحوض زعاف كل من عاش شاربه

وما الناس إلا واردوه فسابق اليه ومسبوق تخب نجائبه (٢)

والخلاصة ، إن الداخل في حديقة غناء ، وهو يحب الورد ويتمناه ويشتاق الى عبيره يحتار من أي عبير يشم وأي زهر يقطف

إن أهمية هذا الكتاب تتلخص فيما يلي :

اولاً إنه أثبت بشكل قاطع أن في المغرب علماء وأدباء لا يقلون شأناً عن إخوانهم في أقطار العرب الأخرى

ثانياً إنه أبرز أصالة الأدب المغربي وروعته وعلوه ومتانته

ثالثاً إنه نشر أدباً ممتازاً كاد النسيان يطويه

رابعاً إنه أضاف الى الأدب العربي ثروة من فنون الأدب لا تقدر بقيمة

خامساً إنه أعطى صورة واضحة للتاريخ السياسي المغربي تفيد مؤرخ الأدب كما تفيد مؤرخ المغرب سياسياً

---

(١) راجع ص (٨١٦) من الكتاب

(٢) انظر القصيدة في ص (٩٥٢ — ٩٠٤) .

فهو كتاب يفيد الأديب ومؤرخ الأدب والمؤرخ السياسي والاستاذ والطالب ، لأنه كتاب بعيد عن ابتذال الرأي وضعف القول ، وهو عصارة ذكية لخزائن كاملة من الكتب النادرة كما ان الكتاب عمل وطني لا غبار عليه : يذكي الهمم ، ويذكر بالماضي المشرف ، ويستخلص العبرة المفيدة ، ويوجه الى الخير ، ويدل الى طريق المجد الطارف والتالد لذلك صدر قرار عسكري بمنع رواج الكتاب ، ، ومعاقبة من تضبط عنده نسخة منه وذلك في أيام الاحتلال الفرنسي البغيض للمغرب الحبيب [1].

وإذا كان لهذا القرار دلالة ، فهي تأكيده لكون الكتاب عملاً وطنياً فوق كونه عملاً أدبياً ، ولذلك استحق أن يحظى من الاستعمار الفرنسي الغاشم ، بهذا الجزاء الظالم .

لقد استمتعت بهذا الكتاب استمتاعاً فيه فائدة وفيه لذة ، وأفدت منه في دراستي لقادة فتح المغرب العربي [2] فائدة اختصرت علي كثيراً من الجهد وكثيراً من العناء ، فالمؤلف ثبت أمين فوق الشبهات ، وهو أعرف بموطنه ، وأهل مكة أعرف بشعابها

وعلى الرغم من أن المطابع في العصر الحديث لفظت أكداساً ضخمة من الكتب والمؤلفات ، فإن الذي سيخلد من تلك الكتب قليل قليل ...

ويوم تموت الكتب والمؤلفات التي لا قيمة لها لأنها غثاء كغثاء السيل ، سيكتب لكتاب : النبوغ المغربي في الأدب العربي البقاء والخلود

ذلك لأن مؤلفه رجل عالم ، يقدر أمانة العلم ، ويعتبره عبادة ورسالة لاسلعة وتجارة ،

---

(١) نص ما كتبته جريدة السعادة لسان حال حكومة الحماية بعددها رقم ٤٥٩٢ في هذا الصدد تحت عنوان : بلاغ عسكري : « أصدر سعادة الجنرال خليفة سعادة القائد الأعلى للجنود بالنيابة أمراً يقضي بمنع الكتاب المعنون بالنبوغ المغربي في الأدب العربي الصادر باللغة العربية في تطوان من الدخول الى المنطقة الفرنسية بالمغرب الأقصى ، وكذلك بيعه وعرضه وتوزيعه ، ومن خالف ذلك يعاقب بمقتضى القوانين المقررة »

(٢) كتاب من سلسلة : قادة الفتح الاسلامي سيصدر قريباً

ويزن الكلام ويمحّصه ، ويقول الحق ولو كان مُرّا ، ويريد للناس الخير بما يكتب قبل أن يريد الخير لنفسه

إنه كاتب نظيف القلم ، نظيف الماضي ، نظيف الحاضر

تحية إكبار للاستاذ الجليل عبدالله كنون ليست لشخصه فقط بقدر ما هي لكل كاتب نظيف القلم ، نظيف السيرة ، يعمل باخلاص لخدمة مبادىء القرآن ولغة القرآن ، ويسهر الليالي ويحرق أعصابه ويطفىء نور عينيه ، ليفيد وطنه وأمته بما يخرجه للناس من علم نافع وأدب أصيل

الأعظمية في ٢٧ / شوّال / ١٣٨٥ محمود شيت خطّاب

الشيخ محمد رضا الشبيبي

ننعى بمزيد الأسى والأسف الاستاذ الجليل الشيخ محمد رضا الشبيبي عضو المجمع العلمي العراقي ورئيسه السابق — تغمده الله برحمته ورضوانه —

كان رحمه الله من قادة الحياة الفكرية والأدبية ، وكان مضافاً إلى صفاته العلمية ذا خلق عال واسع الصدر لطيف العشرة ولد في مدينة النجف عام ١٣٠٦ للهجرة وتعلم فيها علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة على كبار الأساتذة ومشايخ العلوم فيها ، وهو من أوائل الذين طرقوا الموضوعات الاجتماعية في شعره وقد كانت المجلات والجرائد العربية تنشر له قصائده الغر في مختلف بقاع الدنيا العربية

وديوان شعره زاخر بالحكمة والفلسفة وقد ارتفع بشعره الى مستوى خلقي عالٍ وله ـ رحمه الله ـ دراسات وبحوث في التاريخ والأدب والسياسة وهو عضو في المجمع اللغوي في القاهرة منذ خمس عشرة سنة وقد نشرت كلماته وآراؤه في محاضر الدورات

وكان من أوائل المطالبين بإنشاء حكومة دستورية يرأسها ملك عربي في العراق تعبيراً عن رغبات أحرار العراق وقد نُدب عن العراق للذهاب إلى الحكومة العربية في مكة لهذا الغرض تقلد الشبيبي وزارة المعارف خمس مرات أولاها في سنة ١٩٢٤ واختير سنة ١٩٣٥ عضواً في مجلس الأعيان ثم انتخب رئيساً له سنة ١٩٣٧ وعضواً في مجلس النواب غير مرة ورئيساً للمجلس النيابي سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٤ .

هـــذا ومن ينعم النظر في سيرته الرسمية أو سيرته السياسية منذ نشأت الدولة العراقية سنة ١٩٢١ إلى يوم وفاته تبدوله ظاهرة النشاط والحيوية في المشاركة في أكثر الفترات السياسية وجلة الأعمال الأدبية

كان عضواً في نادي القلم العراقي ورئيساً له نحواً من عشرين سنة ومنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعـة القاهرة وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٣ وعضواً في مجمع اللغة العربيـة في القـــاهرة ورئيساً للمجمع العلمي العراقي منذ تطبيق قانونه الأخير

رحم الله الشبيبي فقد كان جم النشاط واسع الصدر كريم الخلق طويل الأناة .

جلسة تأبين :

وفي الجلسة التي عقدها مجلس المجمع العلمي العراقي مساء يوم الاثنين ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٦٥ طلب نائب الرئيس الاستاذ الدكتور سليم النعيمي وقف الجلسة دقيقتين حـــداداً على الفقيد ، وأبنه باعـلان أســـاه واسى السادة اعضـاء المجمع لفقد علم من اعلام الفكر والأدب اثر في النهضـة الأدبية والعلمية آثاراً ستذكرها له الاجيال ويخلدها التأريخ نسأل الله ان يلهمنـا الصبر والعزاء

وقد ابنه أيضاً الدكتور عبد الرزاق محي الدين فقال :

ان مصاب المجمع العلمي العراقي لجلل وان فقد استاذنا الشبيبي لخسارة ليس لهـــذا المجمع فحسب وانما هي خسارة للمجامع اللغوية في الاقطار العربية جميعاً واستأذنكم ايها السادة الافاضل ان اتحدث عن انطباعاتي عن شيخنا الشبيبي خارج هذا المجمع وعن معرفتي له معرفة بنوة وتلمذة وزمالة

لعـــل اول شعر ارهفت اذني الى سمـاعـــه كان شـعر الشيخ الشبيبي واول اديب انفتحت عيني على ادبه كان شخص الشيخ الشبيبي ولقد لازمتـه منذ مطلع

حياتي حتى الأسابيع الاخيرة من حياته الطويلة فما ازددت قرباً منه الا ازددت اكباراً لشخصه واعجاباً بسيرته ولقد كان المثل الاعلى والصورة المشرقة لي كلما وصلت بين اديب وسيرته وبين نهجه في الحياة وآثاره ولا اتحاشى ابداً ازعم انني لا اعرف في القديم ولا في الحديث اديباً كان ادبه صورة من مسلكه ومسلكه صورة من ادبه كالشبيبي السلوك الرفيع والخلق العالي الحكيم وعفة اللسان واليدُ الجارحة نراها متمثلة اصدق التمثيل في فكرته المصطفاة وعبارته المنتقاة وكلمته العفة . انني مدين للفقيد باكثر ما أعتز به انساناً واديباً وصاحب مسلك في الحياة تغمده الله برحمته واجزل له قدر مااجزل للادب وأهله

ثم قال السيد محمد تقي الحكيم مؤبناً :

ان خسارتنا في الشيخ الشبيبي اعظم من ان استطيع ذكرها واستيفاء الحديث فيها نظراً لعظم شخصية الفقيد الذي اعتبره استاذاً لي بل استاذ الجيل بالجملة واذا كان لابد من ان اضيف الى ماذكره الاخوان الذين سبقوني في التأبين فالذي احب ان أؤكد على ذكره من عناصر شخصيته هو خلقه الذي يمثل منه مدرسة قل نظيرها وقد أفدت من خلقه وسلوكه ما لم افده من اي استاذ آخر وفي ادارته لجلسات المجمع الذي شاهده الاخوان خير مثل على ذلك رحم الله الفقيد الكبير والى روحه الفاتحة

وتحدث الدكتور عبد العزيز الدوري :

عن كريم خلقه وحميد سيرته واشاد بسيرته الجميلة وتذكر اول اتصال مباشر بالفقيد بعد عودته من الدراسة حين دعي للحديث في ذكري ابى العلاء في دار الفقيد وما لاحظه لديه من طيب ونادرة ورغبة في التشجيع وجو علمي رائق وبين ان الفقيد الغالي كان مدرسة مفتوحة للادب والفكر وتحدث عن الناحية التاريخية في نشاطه الفكري وان

آثاره في التاريخ تنطوي على استقصاء وتمحيص وان كتـابته وبحوثه التاريخية تعطي مثلا حسناً في اسلوبها واستيفائها للمصادر وفيما تتضمنه من تحليل وآراء وخير ما يتركه المرء اثر ينتفع به ، واثر يسار على هديه وحديث طيب كما قال الشاعر :

وإنما المرء حـديث بعـده فـكن حديثاً حسناً لمن وعى

وسيرة الأستاذ الشبيبي حديث بعده

وقال الدكتور يوسف عز الدين :

رحم الله أبا سعد : كان علماً من أعـلام الأدب ومدرسة من مدارس الشعر عاش عليها جيل كان يترنم بحلاوة شعره ويستفيد من جزالة لفظه ويستنير بسمو معانيه

لئن ذهب أبو أسعد لقد ترك وراءه ذكراً خالداً باقياً بقاء الأدب العربي وخلود المعاني السامية رحم الله أبا أسعد فقد كان عفيف اللفظ ســامي العبارة ما وجدنا في ديوانه إلا السمو والعفة وقـد درسته دراسة طالب أدب وحاضرت عنـه وما كنت أتورع عن تلاوة شعره أو أخجل من انشاد قصيده في كل ناد

وقد امتاز رحمه الله بالخلق العالي والمجاملة الرقيقة حتى على حساب صحته فما سمعته آذى إنساناً بعبـارة أو نال شخصاً بسوء . انما كان يشجع الأدباء ويدفعهـم نحو الإجادة والإحسان وقد امتاز رحمه الله بسعة الصدر فهو يجول ويصول ولـكن برقة ، وقلما يمكن أن يزحزح عن رأي رآه أو فـكرة اعتقدها فهو يحاول باللفظ الجميل والعبارة الآسرة أن يأخذ محاجه معه إلى رأيه ويستميله إلى جانبه، وخلال اتصالي به في المجمع ومعرفتي الطويلة به تعلمت منه أشياء ما تعلمتها من سواه وأرجو الله أن يوفقني لتخليده في دراستي له التي كتبتها ، وحق الشاعر الجليل أن يخلد والسـلام عليكم وإلى روحه الفاتحة

أنباء وآراء

الدورة الثانية والثلاثون

لمجمع اللغة العربية في مؤتمر بغداد

تلبية لدعوة المجمع العلمي العراقي عقد مجمع اللغة العربية دورته الثانية والثلاثين في بغداد من ٢٠ تشرين الثاني إلى ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٥ م الموافق (٢٦ رجب — إلى ٥ شعبان ١٣٨٥ هـ) عقد خلالها عشر جلسات، خمساً منها في قاعة الشعب قصرت على المحاضرات العامة وحفلتي الافتتاح والختام، وخمساً في قاعة المجلس الوطني ألقيت فيها البحوث والمحاضرات التي أعدّها أعضاء المجمعين ودار خلالها تبادل الآراء والمناقشات الهادفة وقصرت على اعضاء المجمعين

حفلة الافتتاح :

أقيمت حفلة الافتتاح وحضرها جمهرة كبيرة من أعلام الفكر والأدب واللغة والشخصيات الرسمية المسؤولة، وشارك فيها نيابة عن السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف الاستاذ عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء

افتتح الحفل بتلاوة من آي الذكر الحكيم، ثم بكلمة السيد رئيس الوزراء نيابة عن السيد رئيس الجمهورية وفيها حيّا المؤتمرين من اعضاء المجمعين ورحب بهم باسم الرئيس

والشعب والحكومة ونوّه بفضل المجامع اللغوية وأثرها البالغ في حياة الأمة وبقاء كيانها

ونص الخطاب في الكتاب الذي ينشره المجمع العلمي العراقي عن المؤتمر

ثم اعقبه الدكتور سليم النعيمي النائب الأول لرئيس المجمع العلمي العراقي فألقى كلمة شكر فيها باسم المجمع العلمي العراقي السيد رئيس الجمهورية لتفضله برعاية المؤتمر كما حيا السيد رئيس الوزراء بصفته ممثلا لرئيس الجمهورية وشكر اعضاء مجمع اللغة العربية لتفضلهم باستجابة دعوة المجمع العلمي العراقي ، وعقد دورتهم في بغداد وأشاد بدور مجمع اللغة العربية في خدمة اللغة والادب واعلن ان المجمع العلمي العراقي يضع يده فى يد العاملين لخدمة هذه اللغة ، وتمنى للمؤتمر النجاح والتوفيق ونص الخطاب فى كتاب المؤتمر

ثم اعقبه الدكتور ابراهيم بيومي مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية فقال في افتتاح هذه الكلمة (هذه أول مرة يجتمع فيها مؤتمر مجمع اللغة العربية خارج القاهرة ، وليس بغريب أن يتم ذلك في بغداد ، حاضرة الدنيا ، وملتقى الثقافات العالمية الكبرى في صدر الدولة العباسية)

وبعد أن أفاض الدكتور مدكور في فضل بغداد على الفكر العربي والانساني تكلم على مجمع اللغة العربية وعن أعماله وأعضائه وتكوينه ثم اتصاله بالمجامع العربية لخدمة اللغة العربية وتراثها ثم تكلم على فكرة المجمع الموحد فقال (أما فكرة المجمع الموحد أو المشترك ففيها ما يستأهل النظر قليلاً ، فان أريد بها مجمعاً على غرار القاهرة فيبدو لي أن لاغبار عليه ولكن هل هناك ما يدعو إلى التكرار والازدواج في وقت نرى فيه ضرورة التلاقي والاتحاد ، ولا سيما وفي مجمع القاهرة عشرون مقعداً لممثلي البلاد العربية لم يملأ منها حتى الآن إلا أربعة عشر) ثم تابع كلامه قائلاً (وان أريد بفكرة المجمع الموحد

هيئة أدبية ولغوية عليا تقضي وتبرم ، وتحلل وتحرم ، وتفصل وحدها في شؤون اللغة على اختلافها ، فهذا ما لا يتفق وطبيعة البحث والدراسة ولا يلائم سير العلوم وتقدمها) ومن ثم تكلم على المصطلحات ورأى ان خير وسيلة لنشرها هو نشــر الكتاب العربي وتداوله واعتبر اجتماع المجمعين وسيلة مهمة لنشر المصطلحات وصورة من صور اتحاد المجامع الذي دعي اليه منذ عشر سنوات وبعد ذلك استعرض ما عانته اللغة العربية من صعاب خرجت منها ظافرة منتصرة هذا ما كانت عليه بالأمس وأما اليوم فان مجمع اللغة العربية يبذل الجهود لتذليل الصعاب التي تعترض اللغة العربية والناطقين بها فقال (وتصادفنا اليوم بعض الصعاب اللغوية ، ونحن ننشر العلم ونريد بالناس جميعاً أن يكتبوا ويقرؤوا ، وأخصها كتابة العربية ورسم حروفها ، ومرونة متنها ووفاؤها بحاجات العلم والحضارة) وقد أفاض في هذه الناحية ومايتصل بالطباعة منها وما يتصل بالألفاظ الجديدة فلابد للغة من ابتكار لسد الحاجة وقد عبر عن هذا الابتكار بقوله (وهذا الابتكار هو ما يسمى بالوضع ، وسبيله بوجه خاص الاشتقاق والقياس والتعريب، والعربية لغة اشتقاقية ، وفي الاشتقاق ما أكسبها مرونة ومناعة في آن واحد ، فسمح لها بخلق الفاظ جديدة ، وحافظ على ثروتها ، وحماها من الشطط)

وبعد كل ذلك أوضح الدكتور مدكور في كلامه حول مؤتمر بغداد أنه في الواقع مؤتمر مجمعين وان أعضاء المجمع العلمي العراقي سيجدون نماذج من أعمال مجمع اللغة العربية في المعجمات والمصطلحات والأصول اللغوية واختتم كلمته قائلاً (ولم يبق لي إلا أن اتجه باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغــة جميعاً بخالص الشكر إلى السادة أعضاء المجمع العلمي العراقي على كريم دعوتهم وبالغ حفاوتهم ، وإنهم ليلمسون عظيم تقديرنا ، ويحسون بمدى اغتباطنا وسيبقى اجتماعنا هذا رمزاً صادقاً للتعاون والاخاء ، وأثراً خالداً في سجل الخالدين)

ثم اعقبه الأســـتاذ عبد الله كنون نيابة عن اعضاء مجمع اللغة العربية من البـــلاد العربية فقال :

أحييكم باسم المغرب والبلاد العربيــة عموماً تحية العروبة الخالدة والأخــوة الصادقة والإيمان المشترك بالأهداف العليا لأمتنا العربية الناهضة) ثم شكر المجمع العلمي العراقي لعقد هذه الدورة في بغـــداد وقد أشاد بدور بغداد في الحضارة الانسانية وقد أبان عن إكبار أعضاء مجمع اللغة العربية لهذا البلد وأهله واختتمها بقوله : (واننا لنأمل أن تعود للأمة العربية تلك العصور المجيدة ، فتصبح وهي موحدة الكلمة ، موحدة الصف، رافعة علم النهضة العلمية ، مؤدية للانسانية أعظم الخدمات في ميدان الخير والمعرفة،والتطور المنشود ، وما ذلك على همم قادها الأبرار وأبنائها الأحرار بعزيز ، والسلام) . وكان عريف الحفل الدكتور صالح أحمد العلي وفي ختام الاحتفال القى الاستاذ الشاعر عزيز أباظة قصيدة في تحية بغداد مستعرضاً تاريخ بغداد وأمجادها

اعمال المؤتمر :

وكان منهاج المؤتمر حافلاً بالدراسات التي أعدها اعضاء المجمعين وقد القى قسم منها في جلسات عامة وقسم في جلسات قصرت على اعضاء المجمعين

ويمكن ان نقسم الدراسات التى توفر عليها الى اقسام (١) المعجمات (٢) المصطلحات العلمية (٣) الاصول اللغوية (٤) البحوث والتحقيقات المختلفة

١ — المعجمات :

قام مجمع اللغة العربيــة بعرض نموذج منها لقسم من (المعجم الـكبير) الذي باشـر في تهيئته منذ عدة سنوات وقد اطلع المؤتمر على ما بذل من جهد في هذا المعجم واعجبوا بــه وتمنوا ان ينجز في أقرب وقت .

٢ — المصطلحات العلمية :

قدمت مصطلحات في الفلسفة والطب أما المصطلحات الفلسفية فهي جزء من معجم فلسفي كان قد بدأ فيه مجمع اللغة العربية منذ زمن وهو يتابع السير فيه .. واما المصطلحات الطبية فهي نواة لمعجم طبي

وقد عرض من الجانب العراقي مصطلحات عسكرية اعدها العضو الحاج محمود شيت خطاب ومصطلحات طبية اعدها العضوان الدكتور عبد اللطيف البدري والدكتور محمود الجليلي نوقشت من المؤتمرين

٣ — الاصول اللغوية :

وكان هذا الموضوع مثار نقاش كبير دار حول موضوعين الاول ـ صيغة فعلان وجواز تأنيثها بالتاء وجمعها جمع تصحيح جرياً على لغة بني أسد والثاني افعل التفضيل وجعل شروطه اربعة بدلاً من عشرة وهي (ان يكون الفعل ثلاثي الأصول ، متصرفاً مثبتاً ، قابلاً للتفاضل) وقد اقر مجمع اللغة العربية ذلك

٤ — البحوث والتحقيقات المختلفة :

عرضت جملة من التحقيقات والبحوث القيمة سواء منها ما تقدم به اعضاء مجمع اللغة العربية او ما قدمه اعضاء المجمع العلمي العراقي،وقد تم القاء معظمها في الجلسات الخاصة او الجلسات العامة وستنشر البقية الباقية مع ما ينشر من موضوعات المؤتمر واعماله

الجلسة الختامية :

وفي الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين ٥ رجب ١٣٨٥ هـ الموافق

٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥ م عقدت الجلسة العاشرة وكانت الجلسة الختامية في قاعة الشعب وكانت دعوة عامة حضرها جمهرة كبيرة من رجال العلم والأدب

وقـد القى فيها الدكتور ابراهيم بيومي مدكور الامين العام لمجمع اللغة العربية كلمة اوضح فيها ما دار في المؤتمر وما عرض عليه من موضوعات وبعد ذلك تلا توصيات المؤتمر وأجملها بما يلي :

١ — العمل على وضع خطة ثابتة لمثل هـذا الالتقاء بحيث يصبح منظماً ودورياً في المستقبل وتنسيق جهود المجامع اللغوية لاحياء التراث وخاصة بين مجمعي بغداد والقاهرة

٢ — دعوة جميع الباحثين والدارسين عامة إلى تقديم آرائهم الخاصة واقتراحاتهم التي تساعد على تطوير اللغة والنهوض بها

٣ — الدعوة الى تنشيط اللجان العلمية والفنية التابعة لجامعة الدول العربية لتوحيد المصطلحات الحديثة والعمل على الاستزادة منها على ان تـكون ممثلة لـكافة الاقطار العربية جهد المستطاع متعاونة مع مجمع اللغة العربية .

٤ — الدعوة الى تشكيل لجنة من المختصين باشراف الجامعة العربية والقيادة العربية الموحدة لتوحيد المصطلحات العسكرية بمعاونة من اللغويين

وقد توجه بالشكر باسمه واسماء اعضاء مجمع اللغة العربية وهيئة مكتب الامين العام الى العراق حكومة وشعباً على مالقوه من رعاية واهتمام وتقدير

ثم القى الاستاذ عبدالفتاح الصعيدي قصيدة وتلاه الدكتور اسحاق موسى الحسيني فالقى كلمة عبر فيها عن طيب مشاعره ازاء اعضاء المجمع العلمي العراقي وحيا العراق حكومة وشعباً على ما قوبلوا به من عناية واكبار ثم تقدم الدكتور سليم النعيمي فالقى كلمة الختام حيّافيها اعضاء مجمع اللغة العربية وتمنى لهم التوفيق لخدمة اللغة العربية وتراثها معبراً عما يكنه لهم من تقدير هو واخوانه اعضاء المجمع العلمي العراقي

المشاركون في الدورة :

وقد شارك في هذه الدورة اعضاء مجمع اللغة العربية من الجمهورية العربية المتحدة ولبنان والمغرب واليمن وليبيا وهم :

١ ـ الدكتور ابراهيم انيس
٢ ـ الدكتور ابراهيم مدكور
٣ ـ الدكتور احمد زكي
٤ ـ الاستاذ احمد علي عقبان
٥ ـ الدكتور اسحاق موسى الحسيني
٦ ـ الاستاذ امين الخولي
٧ ـ الدكتور عبدالحليم منتصر
٨ ـ الاستاذ عبدالفتاح الصعيدي
٩ ـ الاستاذ عبدالله كنون
١٠ ـ الاستاذ عزيز اباظه
١١ ـ الاستاذ علي الفقيه حسن
١٢ ـ الدكتور عمر فروخ
١٣ ـ الدكتور محمد احمد سليمان
١٤ ـ الاستاذ محمد خلف الله احمد
١٥ ـ الاستاذ الشيخ محمد علي النجار
١٦ ـ الدكتور مراد كامل
١٧ ـ الدكتور مهدي علام

وقد رافق الوفد هيئة فنية لضبط الاعمال برياسة الاستاذ ابراهيم عبدالرحمن خليل المدير العام وهم :

١ ـ الاستاذ محمد شوقي امين
٢ ـ الاستاذ مصطفى عوضين حجازي
٣ ـ الاستاذ سعيد زايد
٤ ـ الاستاذ ابراهيم الاسيوطي
٥ ـ الاستاذ ابراهيم احمد محمد علي
٦ ـ الاستاذ محمد عزالدين غريب

واما اعضاء المجمع العلمي العراقي الذين شاركوا في هذه الدورة فهم :

١ ـ الدكتور ابراهيم شوكة
٢ ـ الدكتور جميل سعيد
٣ ـ الدكتور جميل الملائكة
٤ ـ الدكتور سليم النعيمي
٥ ـ الدكتور صالح احمد العلي
٦ ـ الدكتور فاضل الطائي
٧ ـ الاستاذ كوركيس عواد
٨ ـ الدكتور عبدالرزاق محيي الدين

٩ ـ الدكتور عبدالعزيز البسام
١٠ ـ الدكتور عبدالعزيز الدوري
١١ ـ الدكتور عبداللطيف البدري
١٢ ـ الاستاذ محمد تقي الحكيم
١٣ ـ الاستاذ محمد شفيق العاني
١٤ ـ الدكتور محمود الجليلي
١٥ ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب
١٦ ـ الدكتور مصطفى جواد
١٧ ـ الدكتور يوسف عز الدين

* * *

بحوث المؤتمر :

وقد قدمت الى المؤتمر البحوث التالية :

سيرة ابن اسحاق ـ للدكتور عبدالعزيز الدوري

قصيدتان توأمان ـ للدكتور اسحق موسى الحسيني

ابن قتيبة والتوجيه اللغوي للكتاب ـ للاستاذ محمد خلف الله أحمد

ابن النفيس ـ للدكتور محمود الجليلي

دراسة بعض صيغ اللغة ـ للدكتور ابراهيم انيس

المستدرك على المعجمات ـ للدكتور مصطفى جواد

المذهب الكوفي ـ للاستاذ عبدالحميد حسن

المصطلحات العسكرية في القرآن ـ للحاج محمود شيت خطاب

المصطلحات الطبية ـ للدكتور عبداللطيف البدري والدكتور محمود الجليلي

لغة الشاعر ـ للاستاذ عزيز اباظه

ميزان البند ومكانه في تراثنا الادبي ـ للدكتور جميل الملائكة

النهضة العلمية والادبية في ليبيا ـ للاستاذ علي الفقيه حسن

ترجمة الواعظ البغدادي ـ للاستاذ عبدالله كنون

الطرماح بن حكيم ـ للدكتور سليم النعيمي

بحوث لغوية تطورت على ايدي علماء الاصول ـ الاستاذ محمد تقي الحكيم

انتخال الالفاظ المولدة ـ للامير مصطفى الشهابي
توحيد المصطلحات القانونية ـ للاستاذ محمد شفيق العاني
آلات الجراحة عند العرب ـ للدكتور عبداللطيف البدري
اللغة القرآنية ـ للاستاذ محمد عزة دروزه
أثر الفكر في الأدب الحديث ـ للدكتور يوسف عز الدين
كتاب التفاحة في النحو ـ للأستاذ كوركيس عواد
العربية وتدريس العلوم ـ للدكتور فاضل الطائي
حاجة العلم العربي الى لغة عربية سهلة ـ للدكتور مراد كامل

مكتب الامين العام للمجمع العلمي العراقي :

وقد قامت الامانة العامة للمجمع العلمي العراقي بالعمل على مايضمن سير اعمال المؤتمر على الوجه المطلوب من الناحية الادارية والمالية فشكلت هيئة من المشرفين موزعين في قاعة الشعب وقاعة المجلس الوطني وخصصت لجنة طبية وهيئة مالية وادارية ومكتب استعلامات في الفنادق التي نزل فيها الضيوف

وبذلت كل ما في وسعها لتأمين راحة اعضاء مجمع اللغة العربية ومكتب هيئة الامين العام لمجمع اللغة العربية سواء فيجلسات المؤتمر الخاصة والعامة أو في تنقلاتهم للاطلاع على معالم بغداد أو المدن والآثار العراقية

صحيفة المؤتمر :

وقد تشكلت لجنة من الدكتور مصطفى جواد والدكتور يوسف عز الدين (من اعضاء المجمع العلمي العراقي) ومن السادة نعمان ماهر الكنعاني وعبدالجبار محمود العمر وعبدالحميد العلوجي (من وزارة الثقافة والارشاد) لاصدار صحيفة تعنى بوقائع المؤتمر وأخباره وقداصدرت تسعة اعداد باربعة اجزاء

خلاصة أعمال المجمع

١٩٦٤ - ١٩٦٥

بقلم الدكتور يوسف عز الدين

هذه هي الدورة الثانية من دورات المجمع العلمي العراقي بعد تنفيذ قانونه ، فقد اجتمع مجلس المجمع عشرين اجتماعاً بحث فيها مختلف القضايا التي عرضت عليه ونهض جاهداً بالأعباء الملقاة على عاتقه برغم ان ميزانية المجمع لم تزد على ما كانت عليه في السنة الماضية

لجانه المجمع :

رأى مجلس المجمع إعادة النظر في لجانه وقسمها بحسب المعارف المجمعية واختصاص الأعضاء فألف اللجان التالية :

لجنة العلوم — من الدكتور فاضل الطائي والدكتور جميل الملائكة والدكتور عبدالعزيز البسام (مقرراً)

لجنة الطب — من الدكتور عبد اللطيف البدري والدكتور محمود الجليلي (مقرراً)

لجنة الحضارة — من الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح أحمد العلي والاستاذ كوركيس عواد والحاج محمود شيث خطاب (مقرراً)

لجنة الشريعة — الاستاذ محمد رضا الشبيبي والاستاذ محمد شفيق العاني والاستاذ محمد تقي الحكيم (مقرراً)

لجنة الآداب — الدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور سليم النعيمي والدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد والدكتور يوسف عزالدين (مقرراً) .

لجنة الجغرافية — الدكتور صالح أحمد العلي والدكتور ابراهيم شوكة (مقرراً)

وقد خولت اللجان اختيار من ترى ان تستعين به من غير أعضاء المجمع لمساعدتها والاستعانة برأيه اما الاجان التي ألفها المجمع في السنة الماضية وما تزال قائمة فهي :

لجنة المكتبة — وتتألف من الأستاذ كوركيس عواد والدكتور عبداللطيف البدري والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور يوسف عزالدين والدكتور صالح أحمد العلي (مقرراً)

لجنة المجلة — الاستاذ محمد رضا الشبيبي والدكتور مصطفى جواد والدكتور عبدالرزاق محيي الدين والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور يوسف عزالدين (مقرراً)

اللجان الموقتة : والف المجلس لجاناً للنظر في بعض الشؤون المجمعية الآنية وهي لجنة لترجمة قانون المجمع العلمي العراقي الى الانكليزية من السادة الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور جميل الملائكة والدكتور صالح أحمد العلي

لجنة الحسابات — وتألفت لجنة لأعداد نظام لحسابات المجمع من الدكتور يوسف عزالدين والاستاذ فؤاد زكو الأمين العام لخزانة جامعة بغداد وخالد عبد الحليم رئيس ملاحظي المجمع

لجنة وضع الاسس لاختيار الاعضاء — ألف المجلس لجنة من السادة الاستاذ محمد رضا الشبيبي والدكتور عبدالرزاق محيي الدين والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور محمود الجليلي لوضع أسس يسير على هديها المجمع في اختيار الاعضاء

لجنة الاستشارات — وردت من جهات مختلفة استشارات علمية ولغوية وأدبية وتاريخية فألفت لجنة موقتة من السادة محمد رضا الشبيبي والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح احمد العلي والدكتور ابراهيم شوكة للنظر في هذه الطلبات والاجابة عن هذه الاستشارات

لجنة تسعير كتب المجمع — وجد المجلس ان بعض مطبوعات المجمع لم تسعر فألف المجلس لتسعير مطبوعاته لجنة من الاستاذ محمد رضا الشبيبي والاستاذ كوركيس عواد

والدكتور جميل الملائكة

مصطلحات وزارة الشؤون وكلية الهندسة — وألفت لجنة من السادة الدكتور مصطفى جواد والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور جميل الملائكة لدراسة مصطلحات المهن الشائعة في صناعة الغزل والنسيج في العراق التي أرسلتها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية والنظر في مصطلحات الهندسة الوصفية وهندسة اسالة الماء وفحص المواد في انشاء المباني، المرسلة من كلية الهندسة

مصطلحات للموسيقى : والفت لجنة من السادة الدكتور مصطفى جواد والدكتور سليم النعيمي والاستاذ كوركيس عواد والدكتور جميل الملائكة لدراسة مصطلحات الموسيقى المرسلة من وزارة الثقافة والارشاد

لجنة إهداء المطبوعات — وبغية تنظيم طريقة لاهداء مطبوعات المجمع ووضعها على أسس واضحة ألفت لجنة من السادة الدكتور عبد العزيز البسام والدكتور صالح أحمد العلي والاستاذ كوركيس عواد

مساعدات المجمع للمؤلفين :

وردت إلى المجمع جملة مؤلفات طالب مؤلفوها بالمساعدة على نشرها، وقد اختار المجمع منها ما وجده جديراً بالنشر وما يخدم اغراضه العلمية وهي :

١ — فيضانات بغداد ج ٢ للدكتور أحمد سوسة (نشر)

٢ — التعاون العسكري العربي للعميد الركن المتقاعد حسن مصطفى (نشر)

٣ — المستدرك على الكشاف ـ لعبد الله الجبوري (نشر)

٤ — فهارس البدء والتاريخ للمطهر المقدسي ـ عبد الله الجبوري (نشر)

٥ — العين للخليل الفراهيدي ج ١ ـ تحقيق الدكتور عبد الله درويش (تحت الطبع)

٦ — أعلام من الأدب التركي ـ وحيد الدين بهاء الدين (نشر)

٧ — تقويم اللسان لأبي الفرج الجوزي ـ تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر (تحت الطبع).

وما تزال بعض الكتب الأخرى تدرس للنظر في أمر مساعدتها مالياً
وقد رأى المجمع أن يطبع بنفقته الكتب التالية :

١ ـ الدرهم الاسلامي في المتحف العراقي ـ تأليف المرحوم ناصر النقشبندي
٢ ـ تاريخ التفسير ـ للمرحوم الشيخ قاسم القيسي (تحت الطبع)
٣ ـ تاريخ ابن الدبيثي جـ ٢ ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد « نشر »
٤ ـ كتاب الخط العربي ـ للمهندس ناجي زين الدين (تحت الطبع)
٥ ـ خريدة القصر وجريدة أهل العصر جـ ٢ ـ تحقيق الاستاذ محمد بهجة الأثري « نشر »

شراء بعض المطبوعات :

وساهم المجمع مساهمة رمزية في شراء نسخ من المطبوعات التالية :

١ ـ ديوان السيد حيدر الحلي ـ تحقيق علي الخاقاني
٢ ـ المعجم الزولوجي ـ محمد كاظم المكي
٣ ـ القنصل ـ داود محمود رامز
٤ ـ دوحة الوزراء ـ ترجمة موسى كاظم نورس
٥ ـ سطح الأرض ـ للدكتور وفيق الخشاب وعبد الوهاب الدباغ
٦ ـ فنون الأدب الشعبي ـ علي الخاقاني
٧ ـ ديوان الحويزي ـ جمع حميد مجيد هدو
٨ ـ اقبال ـ تأليف حميد مجيد هدو
٩ ـ الأنساب والأسر ـ تأليف عبد المنعم الغلامي
١٠ ـ المملكة العربية السعودية ـ تأليف أمين المميز
١١ ـ الأسرار الخفية ـ تأليف عبد الرزاق الحسني
١٢ ـ العراق في العصر الأموي ـ تأليف ثابت اسماعيل الراوي
١٣ ـ معجم رجال الفكر والأدب ـ تأليف محمد هادي الأميني
١٤ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي ـ تحقيق محمد حسن آل ياسين

١٥ ـ نفائس المخطوطات ـ تحقيق محمد حسن آل ياسين

١٦ ـ نهاية الأرب ـ تحقيق علي الخاقاني

١٧ ـ تلخيص الشافي ـ تأليف حسين بحر العلوم

١٨ ـ الفن الاسلامي ـ تأليف الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق

١٩ ـ ديوان صالح الكواز ـ جمع محمد علي اليعقوبي

٢٠ ـ الفروسية ـ تأليف نوري حمودي القيسي

٢١ ـ ديوان جابر الكاظمي ـ جمع محمد حسن آل ياسين

٢٢ ـ المشهد الكاظمي ـ تأليف » » » »

٢٣ ـ عراقيات الكاظمي ـ تأليف الدكتور حسين محفوظ

٢٤ ـ فضولي البغدادي ـ » » » »

٢٥ ـ الأدوار ـ » » » »

٢٦ ـ المتنبي وسعدي بقسمين » » » »

٢٧ ـ الهداية والضلالة » » » »

٢٨ ـ البرامكة والعلويون ـ تأليف جاسم الكلكاوي

٢٩ ـ الباثولوجي — الدكتور شوكة الزهاوي

٣٠ ـ الكاظمي في ذكراه الثلاثين — تأليف عبد الرحيم محمد علي

٣١ ـ الخطر المحيط بالاسلام — ترجمة وهبي عزالدين

٣٢ ـ ديوان المزرد بن ضرار — جمع خليل ابراهيم العطية

٣٣ ـ نقد وتعريف — تأليف عبد الله الجبوري

٣٤ ـ شاعرية أبي المحاسن — تأليف خضر عباس الصالحي

٣٥ ـ ضباب الحرمان شعر » » » »

٣٦ ـ التعاون ومستقبل الحركة التعاونية في العراق تأليف سعيد عبد الخالق

٣٧ ـ الجاحظ والحاضرة العباسية — تأليف الدكتورة وديعة طه النجم

٣٨ ـ دور الأدب في معركة التحرر والبناء بجزئين — وهو كتاب مؤتمر الأدباء العرب الخامس — طبع مطبعة العاني

٣٩ ـ گلزار (حدائق الورود) — تأليف حسيب جلال الطالباني

٤٠ ـ العقد المنير — تأليف موسى الحسيني المازندراني

٤١ ـ بحوث أدبية — تأليف عبد الصاحب شكر

٤٢ ـ القاموس الجغرافي والجيولوجي — تأليف عبد الوهاب الدباغ

٤٣ ـ صلح الحسن — الشيخ راضي آل ياسين

جوائز للطلاب النابهين :

وقد عني المجمع بتشجيع طلاب جامعة بغـــداد النابهين فخصص ست جوائز نقدية بالطلبة الأوائل في كلية الآداب والتربية من قسمي التاريخ واللغة العربية ، وأهدى بعض مطبوعاته لطلبة معهد المعلمين بالأعظمية

المطبوعات المهداة :

وقد اهدى المجمع عدداً من مطبوعاته إلى المؤسسات الرسمية وسفارات الجمهورية العراقية في البلاد العربية وأوربا والمكتبات العامة وأعضاء المجامع العلمية والسفارات العربية والاجنبية والمستشرقين ومن زاره من أعلام الفكر وقادة الرأي ووزارات الثقافة والارشاد وبعض المتاحف والمعاهد العربية والاجنبية والكليات والمدارس العربية والاجنبية وبعض الملحقيات الثقافية فبلغ مجموع ما أهدى من هذه المطبوعات على اختلاف أنواعها ١٥٢٤ مطبوعاً

مكتبة المجمع :

١ ـ المجموع النهائي لما أضيف إلى مكتبة المجمع من كتب مطبوعة ومخطوطة اعتباراً من شهر آب ١٩٦٤ الى شهر آب ١٩٦٥ هو ٩٤٨ كتاباً بضمنها زهاء خمسين مخطوطاً مصوراً

٢ ـ دخلت إلى مكتبة المجمع في الفترة المذكورة آنفاً (٣٥) مجلة عن طريق الاهداء أو المشاركة

صلات المجمع الثقافية :

وللمجمع صلات ثقافية ومبادلة للمطبوعات بكثير من المجامع العلمية واللغوية العربية والاوربية ذات الصلة بشؤون المجمع

شؤون الأعضاء :

تم انتخاب الدكتور جميل سعيد والدكتور جميل الملائكة عضوين عاملين وتم انتخاب الاستاذ سعيد الديوه‌جي عضواً مؤازراً.

خدمات ثقافية :

وفي المجمع شعبة فنية تساعد الباحثين والجهات الثقافية في تصوير بعض المخطوطات الموجودة في العراق بالرقوق أو التصوير بمختلف أنواعه

مخطوطات المجمع :

وقد أضيف الى مكتبة المجمع زهاء خمسين مخطوطة مصورة بمختلف الحجوم وبمختلف وسائل التصوير الحديثة من عدة مكتبات مثل مكتبة الآثار والمكتبة الوطنية بباريس ودار الكتب المصرية والمكتبة الوطنية ببغداد ومكتبة الفاتيكان والمكتبة الوطنية في تونس والمتحف البريطاني ومكتبات استانبول وانقرة وايران وبعض المكتبات الخاصة فمن ذلك :

١ ـ شرح أدب القاضي : ألّفه أبو بكر أحمد بن عمر الخصاف

٢ ـ كتاب الخواص : جابر بن حيان

٣ ـ كتاب الخواص الكبير : جابر بن حيان

٤ ـ كتاب الجوارح وعلم البزدرة لابى بكر حسن بن يوسف القاسمي

٥ ـ مناهج السرور في الصيد والسباق والرمي والجهاد تأليف عبدالقادر بن علي الفاكهي

٦ ـ القربة في احكام الحسبة لمحمد بن محمد بن أحمد القرشى (ابن الاخوة)

٧ ـ الروض النضر في ترجمة ادباء العصر : تأليف عصام الدين عثمان بن علي بن العمري الموصلي

٨ ـ في الرد على النصارى : تأليف محمد امين العمري

٩ ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة : محمد بن أحمد بن بسام المحتسب

١٠ ـ نصاب الاحتساب : عمر بن محمد ابن عوض الشامي

١١ ـ ديوان محمد امين (بك) بن ابراهيم بن يونس بن ياسين

١٢ ـ كتاب الامثال : ابن قيم الجوزية

١٣ ـ الجواهر الثمينة في محاسن المدينة : كبريت محمد

١٤ ـ كتاب الخراج : الحافظ أبو الفرج

١٥ ـ رسالة من الرصافي إلى الدفتري : معروف الرصافي

١٦ ـ امثال العوام في مدينة السلام : محمود شكري الآلوسى

١٧ ـ حكومتنا الانتدابية : معروف الرصافي

١٨ ـ ديوان السيد علي خان بن نظام الدين أحمد الحسيني المعروف بابن معصوم .

١٩ ـ حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين محمود تأليف عبد الفتاح الشواف

٢٠ ـ فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتب الخراج : للرحبي عبد العزيز ابن أحمد بن الشيخ محمد

٢١ ـ كتاب الصيدنة : أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني

٢٢ ـ ديوان الصوري : محمد بن عبد المحسن بن غالب بن غلبون الصوري

٢٣ ـ مختصر التاريخ من اقرب الزمان إلى منتهى دولة بني العباس : ظهير الدين الـكازروني — الشيخ

٢٤ ـ آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان : ابن الحسين اسحاق ـ الشيخ

٢٥ ـ مختصر في الطب : ابقراط

٢٦ ـ المعجم المشتمل في ذكر اسماء الشيوخ النبل : ابن هبة الله ابي علي بن الحسن الشافعي

٢٧ ـ شرح لامية العرب : الزمخشري

٢٨ ـ حور عيون الحور : أبو الهدى عيسى صفاء الدين النقشبندي

٢٩ ـ المقتنى في سرد الـكنى ويليه نزهة الالباب : مجد الدين العسقلاني الذهبي

٣٠ ـ التفهيم لاوائل علوم التنجيم : أبو الريحان البيروني

٣١ ـ الروض النضر في تراجم فضلاء العصر : عثمان الدفتري العمري

٣٢ ـ كتاب السموم : شاناق الهندي وزنطاح الحكيم

٣٣ ـ نزهة الدنيا فيما ورد من المدائح على الوزير يحيي : العمري عبد الباقي بن سليمان الموصلي

٣٤ ـ المستقصى من امثال العرب : ابو القاسم محمود الزمخشري

٣٥ ـ ربيع الابرار جـ ١ وجـ ٣ وجـ ٤ : الزمخشري

٣٦ ـ رسالة من المرحوم الرصافي إلى المرحوم طه الراوي

٣٧ ـ البرهان في اسرار علم الميزان : أيدمر بن علي الجلدكي

٣٩ ـ التقريب في اسرار التركيب : « « « «

٤٠ ـ درر الانوار في اسرار الاحجار في الـكيمياء : أيدمر بن علي الجلدكي

٤١ ـ شرح المـكتسب في زراعة الذهب المجلد الأول : أيدمر بن علي الجلدكي

٤٢ ـ شرح المـكتسب في زراعة الذهب المجلد الثاني : أيدمر بن علي الجلدكي

٤٣ ـ ديوان الشيخ باقر الشبيبي

٤٤ ـ سيرة الشيخ جواد الشبيبي : تأليف محمد رضا الشبيبي

٤٥ ـ حديقة الزوراء : السويدي

٤٦ ـ ادب القاضي (بخط مغربي) : أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم

٤٧ ـ الجواهر المضيئة : ابن العربي

٤٨ ـ كتاب التراجم : الشيخ الاكبر

٤٩ ـ ديوان الصرصري : جمال الدين أبو زكريا يحيي بن يوسف الصرصري

٥٠ ـ حديقة الزوراء في سيرة الوزراء : السويدي

٥١ ـ وثائق مختلفة : خيري الهنداوي .

٥٢ ـ ديوان المتنبي شرح ابن جني

٥٣ ـ الانفاس الروحانية شرح الديلمي

٥٤ ـ الاشتقاق عن أبي سعيد عبد الملك الاصمعي

قواعد اختيار الاعضاء :

وضع المجمع قواعد علمية لسد حاجته ومزايا يتوفر عليها المرشحون لعضويته فاقر القواعد التالية :

١ ـ يراعى تمثيل مختلف فروع المعرفة في المجمع العلمي العراقي

٢ ـ يرشح عدد واف من المختصين في الفرع الواحد

٣ ـ يراعى في اختيار المرشح للعضوية أن تكون له دراسة جامعية منظمة اعقبها

دراسة اختصاصية ادت إلى شهادات عالية أو أن تكون له مؤهلات تكافيء ما يتوفر في الاساتذة الجامعيين

٤ ـ ان تكون له مشاركات ثقافية كالندوات والمؤتمرات العلمية

٥ ـ ان تكون له آثار قيمة منشورة في مجال اختصاصه

٦ ـ يفضل من يجيد لغة اجنبية مضافاً إلى اتقانه اللغة العربية ويرجح من يحسن اكثر من واحدة من اللغات الاجنبية الحية

٧ ـ يكون موعد الانتخاب في موسمين : في النصف الثاني من كانون الثاني وفي النصف الثاني من مايس

٨ ـ تقدم المعلومات الكاملة عن المرشح للانتخاب وتوزع مقدماً بين الاعضاء لدراسها قبل موعد الانتخاب بشهر في الاقل

٩ ـ يعين مجلس المجمع عدد الاعضاء المراد انتخابهم ويعلن ذلك قبل موعد الانتخاب بشهر في الاقل مع مراعاة ما جاء في المادة الرابعة من قانون المجمع العلمي

وقد قرر المجمع ترشيح ثلاثة اعضاء في هذه السنة من المختصين باللغة العربية وآدابها والرياضيات والعلوم الهندسية

اجازات الاعضاء :

اجاز المجمع الدكتور عبدالعزيز البسام في شأن المساهمة في مؤتمر اليونسكو ضمن الوفد الرسمي ، واجاز الدكتور يوسف عزالدين للسفر إلى القاهرة لالقاء محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بناء على الدعوة الموجهة له كما أجاز الأستاذ محمد شفيق العاني للغرض نفسه وأجاز سفر الدكتور محمود الجليلي لالقاء محاضرات في جامعة الاسكندرية وأجاز الدكتور يوسف عز الدين أيضاً للمساهمة في مؤتمر الكتاب العالمي الذي عقد في فايمار وبرلين

شؤون المجمع الأخرى :

١ ـ وقد وافقت الجهات المختصة على فصل ميزانية المجمع عن ميزانية وزارة التربيه وبذلك نيطت الصلاحيات المالية بمجلس المجمع

٢ ـ ما تزال المخابرات تجري مع الجهات المختصة في شأن البناية الجديدة ونرجو أن تسرع في انجازها خلال العام القابل إذ إن ضيق البناية اثر في مكتبة المجمع وحال دون تنميها حسب الحاجة الطبيعية لاعمال المجمع [1]

يوسف عز الدين

---

(١) خلال طبع هذه الخلاصة اعلن انشاء بناية المجمع في المناقصة في الجرائد

النظام الداخلي

فرغ مجلس المجمع العلمي العراقي من تشريع النظام الداخلي له تنفيذاً للمادة الثالثة والعشرين من قانون المجمع رقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣ ونشر في جريدة الوقائع العراقية بعدد (١١٥٨) وتاريخ ٢٦ آب سنة ١٩٦٥ وكانت مواده كما يأتي :

المادة الاولى — يقوم ديوان الرئاسة المعين بالمادة الثالثة عشرة من القانون بالواجبات الآتية :

١ ـ يضع تخمينات الميزانية ويقدمها إلى مجلس المجمع للبت فيها

٢ ـ ديوان الرئاسة مسؤول عن تنفيذ الميزانية وله تخويل صلاحيته كلها أو بعضها للرئيس أو أحد نائبيه بقرار منه

٣ ـ لديوان الرئاسة ان يقترح ويقدم لمجلس المجمع ما يراه لتحقيق اهدافه

٤ ـ يمارس الصلاحيات التي يخولها اياه مجلس المجمع

٥ ـ ترسل نسخ من محاضر جلسات ديوان الرئاسة إلى اعضاء المجمع

٦ ـ يضع ديوان الرئاسة تعليمات مفصلة باعمال شعب المجمع الادارية

المادة الثانية — يجتمع ديوان الرئاسة مرتين في الشهر على الاقل وينظم الامين العام جدولا باعمال المجمع ويعد ما يتعلق بها

المادة الثالثة — يتولى المجمع تملك الكتب والخارطات المؤلفة والمترجمة والمحققة أو مساعدتها على وفق تعليمات خاصة يصدرها .

المادة الرابعة — أ ـ يكوّن المجمع اللجان الدائمة التالية :

١ ـ لجنة المجلة ٢ ـ لجنة المكتبة ٣ ـ لجنة أو أكثر للمصطلحات

ب ـ للمجمع أن يكوّن لجاناً دائمة أخرى أو لجاناً مؤقتة حسب حاجته

جـ ـ للجان أن تستعين بمن تشاء من الخبراء من غير اعضاء المجمع بعد أخذ موافقة المجلس.

المادة الخامسة — أ — يؤلف ديوان الرئاسة لجنة انضباط قوامها رئيس وعضوان يعينون من بين موظفي الديوان

ب ـ يؤلف ديوان الرئاسة لجنة دائمة تنظر في ترفيع الموظفين وتتبع في خطواتها القوانين المرعية

المادة السادسة — يضمن الموظف أو المستخدم الأضرار التي تصيب المجمع في أمواله وممتلكاته بسبب اهماله أو تقصيره بموجب أحكام القوانين والأنظمة المرعية

المادة السابعة — أ — يقر مجلس المجمع ميزانيته السنوية ويقسمها على المواد والفصول الضامنة لتدوير أعماله وله حق المناقلة في حدود منحته السنوية وارداته ثم يزود وزارة المالية بنسخة منها

ب ـ يصادق مجلس المجمع على ملاكات الموظفين والمستخدمين وله أن يعدل فيها ويقرر الحذف والاحداث وتخبر وزارة المالية بذلك

جـ ـ ينظر مجلس المجمع في مقترحات الأعضاء المتعلقة بأمور المجمع الادارية والمالية ويتخذ قراراً بها

المادة الثامنة — تكون مدلولات الميزانية والسنة المالية والدورة الحسابية وآذار النهائي بالنسبة للمجمع كمدلولاتها بالنسبة لمختلف دوائر الدولة

المادة التاسعة — لديوان الرئاسة صلاحية اجراء المناقلة بين اعتمادات المواد داخل الفصل الواحد أما المناقلة من اعتمادات الفصول فيجب أن تقترن بمصادقة مجلس المجمع

المادة العاشرة — يجوز أن يرصد في الميزانية اعتماد بأغراض معينة تصرف في أكثر من سنة مالية واحدة على شرط عدم تجاوز المخصص بكل سنة ويجوز تدوير المبالغ الباقية في أي سنة الى اعتماد السنة التي تليها

المادة الحادية عشرة — أ — لرئيس المجمع الدخول بتعهدات أو عقود مالية ضمن الاعتمادات المصادق عليها في الميزانية لغاية الف دينار أما ما زاد على ذلك فيكون بمصادقة من مجلس المجمع

ب ـ لرئيس المجمع أن يصدر الأمر بالصرف بطريقة الأمانة ضمن حدود مبلغ الف دينار

المادة الثانية عشرة — تجري التسوية النهائية للمبالغ التي استحصلت أو دفعت فعلاً في أية سنة مالية خلال الدورة الحسابية لتلك السنة وإذا تأخر اجراء تسويتها لسبب ما فيجب اضافة تلك المبالغ إلى حسابات آذار النهائي

المادة الثالثة عشرة — الواردات الخاصة بسنة مالية التي يتم قبضها في السنين التالية وكذلك المبالغ التي وجب صرفها لقاء خدمات أو أعمال كملت في سنة مالية ولم يتم صرفها خلال تلك السنة لأسباب اضطرارية غير أسباب قلة الاعتماد تقيد وارداً أو مصرفاً على ميزانية السنة المالية التي تم القبض أو الصرف فعلاً مع مراعاة احكام القوانين والأنظمة المرعية

المادة الرابعة عشرة — يعين مجلس المجمع أجور الخدمات وغيرها من الأجور ومكافأة الخبراء وكذلك يحدد الأجور وأثمان مطبوعاته ، كما يعين مكافآت للخبراء ويحدد الأجور مع مراعاة أحكام القوانين المرعية

المادة الخامسة عشرة — تقيد جميع الواردات بما فيها التبرعات والهبات وارداً في الحسابات وتقيد مصاريف التحصيل والادارة وجميع مايتفرع عن ذلك من النفقات مصرفاً في الحسابات ولايجوز تنزيل جزء من المصروفات أو كلها من أصل الواردات وتقييد الصافي وارداً

المادة السادسة عشرة — لا يجوز اجراء أي صرف ما لم يستند إلى أمر بالصرف صادر من رئيس المجمع أو من يخوله ذلك وينص في أمر الصرف على المادة والفصل اللذين يبوب عوجبها الصرف كما يجب تعزيز معاملات الصرف بالمستندات الأصولية

المادة السابعة عشرة — موظفو الحسابات مسؤولون عن اعداد مستندات الصـرف والصكوك بالمبالغ التي يدفعها المجمع وعن صحبها ووجود اعتماد لها في الميزانية

المادة الثامنة عشرة — لرئيس المجمع ان يشطب ما يفقد أوما يتلف من أموال المجمع (عدا النقدية منها) اذا كان ثمنها لا يزيد على (١٠٠) دينار ولمجلس المجمع بناء على اقتراح من الرئيس ان يشطب ما يفقد أوما يتلف من تلك الأموال أوالممتلكات لغاية خمسمائة دينار وما زاد على ذلك فيتبع في شأنه الأصول المرعية

المادة التاسعة عشرة — الموظفون المكلفون بحفظ النقود المودعة عندهم أو ما يقوم مقامها مسؤولون عن فقدانها سواء فقدت عن عمد أو إهمال

المادة العشرون — يتولى مجلس المجمع اصدار التعليمات الحسابية التي يتطلبها تنفيذ هذا النظام وله ان يعين اشكال ونماذج مستندات القبض والصرف والسجلات والدفاتر الحسابية التي يجب ان تمسك

المادة الحادية والعشرون — لمجلس المجمع أن يسلف أعضاءه والموظفين الاداريين والمستخدمين على الملاك الدائم سلفاً ضمن اعتمادات الميزانية وعلى وفق تعليمات خاصة يضعها في هذا الشأن

البردة :

يقول ابن منظور « البردة كساء ملتحف به وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب فهي بردة ، وفي حديث ابن عمر انه كان عليه يوم الفتح بردة فلوب صغيرة ، قال شمر رأيت اعرابياً بخزيمية وعليه شبه منديل من صوف قد أتزر به فقلت ما تسميه ، قال بردة .. قال الازهري وجمعها بُرَد ، وهي الشملة المخططة ، قال الليث : واما البردة فكساء مربع اسود فيه صفر تلبسه الاعراب » (لسان ٤/٥٣)

ويروي البخاري عن سهل بن سعد « جاءت امرأة ببردة ، قال أتدرون ما البردة ؟ فقيل له نعم هي الشملة منسوج في حاشيها ، فقالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي اكسوكها ، فاخذها النبي (ص) محتاج اليها ، فخرج الينا وانها ازار » (البخاري : كتاب البيوع باب النساج) وقد ورد في الاغاني ذكر « بردة من برد الاعراب (الاغاني ٢/١٣) .

ولا بد من الاشارة إلى وجوب تمييز البردة عن البرود ، وهي انسجة يمانية تنسب إلى اماكن مختلفة من اليمن كانت تعرف بصناعها ، وقد نشرت النصوص التي وردت فيها في مقال لي عن مراكز الانسجة في القرن الاول الهجري في مجلة الابحاث

الشملة :

يتبين من الحديث النبوي الذي رواه البخاري وأوردنا نصه عند الكلام عن البردة ، ان البردة هي شملة منسوج في حاشيها ، ومن كلام الازهري انها الشملة المخططة

فاما الشملة فيقول ابن منظور « المشمل ثوب يشتمل به ، واشتمل بالثوب إذا اداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده .. والشملة الصماء التي ليس تحتها قميص ولا سراويل قال أبو عبيد اشتمال الصماء هو ان يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده ولا يرفع منه جانباً

فيكون فيه فرجة تخرج منها يده وهو التلفع ، وربما اضطجع فيه على هذه الحالة ، قال أبو عبيدة : واما تفسير الفقهاء فانهم يقولون هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فتبدو منه فرجة ، قال والفقهاء اعلم بالتأويل في هـــذا الباب ، وذلك أصح في الكلام الجوهري اشتمال الصماء ان يجلل جسده كله بالكساء أو بالازار .. والشملة كساء دون القطيفة يشتمل به .. قال أبو منصور : الشملة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به فاذا لفق لفقين فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل .. والمشملة ملحفة يشتمل بها الليث المشملة والمشمل كساء له خمل متفرق يلتحف به دون القطيفة .. وفي الحـديث ولا تشتمل اشتمال اليهود هو افتعال من الشملة وهو كساء يتغطى به ويتلفف فيه ، والمنهى عنه هو التجلل بالثوب واسباله من غير أن يرفع طرفه .. » لسان ١٣/٣٩١ـ٢)

وقد ورد ذكر الشملة في عدة احاديث (انظرها في معجم فنسنك مادة شملة) وورد ذكر استعمالها في الكتب فيروي الاغاني انه « كان العرجى يستقي على ابله في شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار (اغاني ١/ ٣٩)

الطيلسان :

يقول ابن منظور « الطيلسان ضرب من الاكسية ويقال للثوب الاسود الوسخ اطلس » (لسان ٧ / ٤٣١)

وقـد ذكر انه كان لرسول الله جبـة طيالسة (حنبل ٦/ ٣٤٨ ، ٣٥٤) ، « واتى النبي اعرابي عليه جبة من طيالسة (حنبل ٣ / ٢٢٥)

واستعمال الطيلسان من مظاهر الارستقراطية فقد روى حكيم بن حكيم انه راى ابا جعفر متكئاً على طيلسان ، وقد علق الواقدي على ذلك قائلاً « ولم يزل ذلك من فعل الاشراف واهل المروءة عندنا : الذين يلزمون المسجد يتكئون على طيالسة مطوية سوى طيلسانه وردائه الذي عليه » (سعد ٥ / ٢٣٧)

وقد ذكر الطيلسان المزرر بالديباج ، استعمله عروة بن الزبير (سعد ٥ ـ ١٠٤) وسعيد بن المسيب (سعد ٥ ـ ٣ ١) وكريب (سعد ٥ ـ ٢١٦) وابي ميسرة واصحابه (سعد ٦ ـ ٧٢) انظر ايضاً سعد ٦ ـ ٨١

ويلبس الطيلسان مع الجبة : كما فعل الحكم بن ابي العاص (اليعقوبي ٢ ـ ١٨٩) وكانت للنبي جبة من طيالسة ((ابن حنبل ٦ ـ ٣٤٧)

كما كان يلبس مع الازار ، كما فعل سعيد بن المسيب (سعد ٥ ـ ١٠٢)

وقد تردد ذكر الطيالسة الكردية ولبسها عدد من المسلمين (انظر ابن سعد ٥ ـ ١٦١ ، ٤ ـ ٢ ـ ١٢١)

الساج :

يقول ابن منظور « .. ابن الاعرابي : السيجان الطيالسة السود واحدها ساج ، وفي حديث ابن عباس (رض) ان النبي كان يلبس في الحرب من القلانس ما يكون من السيجان الخضر جمع ساج وهو الطيلسان الاخضر وقيل الطيلسان المقور ينسج كذلك كانت القلانس تعمل منها او من نوعها .. ومنه حديثه الآخر انه زر ساجاً عليه وهو محرم فافتدى ، وحديث ابي هريرة اصحاب الدجال عليهم السيجان ، وفي رواية كلهم ذو سيف محلى وساج وفي حديث جابر فقام في ساجة .. وهو ضرب من الملاحف منسوجة » (لسان ٣ ـ ١٢٦) ويذكر ابن سيده « (قال) ابو عبيد : البت ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان صاحب

العين : وهو الذي يسمى الساج ، غيره الساج الطيلسان ، كل طيلسان اخضر ساج .. ابن دريد : الساج هو الطيلسان وقيل الساج الطيلسان الغليظ الضخم » (المخصص ٤ ـ ٧٩)

يتبين من النص الذي نقلناه عن ابن منظور ان الساج ورد ذكره في الاحاديث (انظر ابن حنبل ٣ ـ ١٧٠ ـ ٣٩٢ ، ٤ ـ ٢١٦)

وقد ذكر مالك « والصوف كذلك منه ما يخرج منه السيجان العراقية وما اشبهها من الاسوانية ، ومن الصوف ما لايكون منه هذه السيجان ابداً لاختلافه » (مدونه ١١ـ٢١)
وقد ذكر ابن سعد « على ابي هريرة ساجاً مزرراً بديباج » (سعد ٤ ـ ٢ ـ ٥٨)

البت :

يقول ابن سيده « البت ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان صاحب العين وهو الذي يسمى الساج .. ابن السكيت البت كساء اخضر مهلهل تلتحف به المرأة فيغيبها » (المخصص ٤ ـ ٧٩)

ويقول ابن منظور « البت كساء غليظ مهلهل مربع اخضر ، وقيل هو من وبر وصوف.. التهذيب : البت ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ اخضر والجمع بتوت الجوهري : البت الطيلسان من خز ونحوه .. وفي حديث دار الندوة وتشاورهم في امر النبي(ص)فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل عليه بت» اي كساء غليظ مربع، وقيل طيلسان من خز ، وفي حديث عليّ عليه السلام ان طائفة جاءت اليه فقال لقنبر بتتهم اي اعطهم البتوت وفي حديث الحسن عليه السلام : اين الذين طرحوا الخزوز والحبرات ولبسوا البتوت والنمرات ، وفي حديث سفيان: اجد قلبي بين بتوت وعباء » (لسان ٢ ـ ٣١٣).

وبالاضافة الى ما ذكره ابن منظور ، فقد ورد ذكر البت في حديث روته عائشة عن صلاة الرسول (ص) حيث قال « وما رأيته يلقى على الارض بشيء قط الا اني اذكر ان يوم مطر القينا تحته بتاً .. » (حنبل ٦ ـ ٥٨)

البجاد :

يقول ابن منظور « البجاد كساء مخطط من اكسية الاعراب ، وقيل اذا غزل الصوف بسرة ونسج بالصيصة فهو بجاد .. ومنه ذوالبجادي، وهو دليل النبي (ص)، وهوعنبسه بن نهم المزني ، قال ابن سيده اراه كان يلبسه في سفره مع سيدنا رسول الله (ص) ، وقيل سماه رسول الله ص بذلك لانه حين اراد المصير اليه قطعت امه بجاداً قطعتين فارتدى احداها واتزر بالاخرى » (لسان ٤ ـ ٤٣)

ويقول جابر بن عبدالله ان الرسول جاءه مرة « ثم دنوت به الى خيمة لي فبسطت له بجاداً من شعر » حنبل ٣ ـ ٢٩٥)

العمائم :

وللاعراب عمائم خاصة فيروى الطبري « لما حمل بنو حسن كان محمد وابراهيم ياتيان معتمين كهيئة الاعراب فيسايران اباهما ويسائلانه ويستأذنانه في الخروج »(طبري٣ ـ ١٧٦)
لقد كانت العمائم معروفة في الجاهلية وقد قيل « تيجان العرب العمائم، فكما قيل في العجم توج من التاج قيل في العرب عمم .. والعرب تقول للرجل اذا سود قد عمم ، وكانوا اذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء ، ومنه قول الشاعر :

رأيتك هريت العمامة بعدما　　رأيتك دهراً فاصعاً لا تعصب

(لسان ١٥ ـ ٢١٩)

اكثر العمائم شيوعاً هي السوداء ، فقد استعملها علي (سعد ٣ قسم ١ ـ ١٨) وعبدالرحمن بن عوف (سعد ٣ قسم ١ ـ ٩٣) وسعيد بن المسيب (سعد ٥ ـ ١٠٢) وعمر (عيون ٣ ـ ٤٦) ومعاوية (يعقوبي ٢ ـ ٢٧٤ سعد ٤ قسم ١ ـ ٨٣) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥ ـ ٨٤) وعبدالرحمن بن زيد (سعد ٦ ـ ٨٣) والاسود بن يزيد

(سعد ٦ ـ ٤٩) وكانت العمائم التي رفعها .. في عرفة سنة ١٢٩ هـ سوداء حرقانيه (ط ٣ ـ ١٩٨١)

غير ان عدداً من الصحابة كان يستعمل العمائم البيضاء ومنهم سالم بن عبد الله (سعد ٥/١٤٦) والقاسم بن محمد (سعد ٥/١٤٣) وسعيد بن المسيب (سعد ٥/١٠٢) ونافع بن جبير (سعد ٥/١٥٢) وخارجه بن زيد (سعد ٥/١٩٤) وعلي بن الحسين (سعد ٥/١٦١) والشعبي (سعد ٦/١٧٦) وسعيد بن جبير (سعد ٦/١٨٦) وأبو هريرة (سعد ٤ قسم ٢ ـ ٥٨) والفرزدق (أغاني ١٩/٥١) والحميري (أغاني ٧ ـ ٢٥٠)

وقد ذكر أن الشعبي كانت له عمامة حمراء (سعد ٦ ـ ١٧٦) وكانت عمامة سعيد بن العاص بيضاء لها علم أحمر (سعد ٥ ـ ٢ ١) ومحمد بن علي له عمامة لها علم ، (سعد ٥ ـ ٢٣٧)

وقد تكون العمامة رفيعة كعمامة الحسن بن علي (سعد ٥ ـ ٢٤١) ويروى الكليني « ان الرسول عمم علياً بيده فسدلها من بين يديه وقصرها من خلفه قد اربع اصابع » (الكافي ٦ / ٤٦١)

وكانت العمامة ترخى أحياناً من الخلف كما كان أحياناً يفعل الإمام علي (سعد ٣ قسم ١ ص ١٩) وسعيد بن المسيب (سعد ٥ ـ ١٠٢) وعمر (سعد ٤ قسم ١ ص ١٢٨ـ٩) ومحمد ابن علي بن الحسين (سعد ٥ ـ ٢٣٦) وعلي بن الحسين (سعد ٥ـ١٦١) وسالم بن عبد الله (سعد ٥ ـ ١٤٦) وشريح (سعد ٦ ـ ٩٦) والأسود بن يزيد (سعد ٦ ـ ٤٩) وابراهيم النخعي (سعد ٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٧) وعبيد الله بن عبد الله (سعد ٥ ـ ١٥٠) والقاسم بن محمد (سعد ٥ ـ ١٤٣) وسعيد بن جبير (سعد ٦ـ١٨٢)

وقد ترخى العمامة من الامام والخلف ، فيروي (رأيت علياً متعصباً بعصابة سوداء ما أدري أي طرفيها أطول الذي قدامه أو الذي خلفه يعني عمامه (سعد ٣ قسم ١ ص ١٨)

ويروى «اطلع عمر في بئر بالابواء فأصابته لقوة فاعلم بعمامة سوداء وسدلها على الشق الذي

أصيب به » (عيون ٣ ـ ٤٦) ويقـول « رأيت معاوية على المنبر معتماً بعمامة سوداء فسدلها على فيه (يعقوبي ٢ ـ ٢٨٤) ولما خرج محمد النفس الزكية كان عليه عمامة قد شدبها حقويه (طبري ٣ـ١٩٦) وكان على عبد الرحمن بن يزيد « عمامة غليظة الكور » (سعد ٦ ـ ٨٣) ويقول ابن أبي خالد « رأيت شريحاً معتماً بكور واحد (سعد ٦ـ٩٦) وقد يلبس عليها برنس (سعد ٥ ـ ٢ ١)

وكانت السادة من العرب تلتمس العمائم المهراة وهي الصفر وأنشد الشاعر :

رأيتك هريت العمامة بعدما عمرت زماناً حاسراً لم تعمم

الثعالبي : فقه اللغة ٢٤٢

وبعض العمائم من الخز كعمامة العجاج (أغاني ١٠ ـ ١٥٢) وقد تكون حرقانية كعمامة عبد الله بن عمرو (سعد ٤ قسم ٢ ـ ١١) ومحمد بن الحنفية (سعد ٥ ـ ٨٤)

القلنسوة :

يذكر الكليني ان الرسول كان « يلبس القلانس اليمنه والبيضاء والمضربة وذات الاذنين في الحرب » وانه « كان رسول الله يلبس قلنسوة بيضاء مضربة وكان يلبس في الحرب قلنسوة لها اذنان » ويذكر عن جعفر الصادق انه قال لرجل « اعمل لي قلانس بيضاء ولا تكسرها فان السيد مثلي لا يلبس المكسر » وفي رواية اخرى « ولا تجعلها مصمته فان السيد مثلي لا يلبسها » (الكافي ٦ / ٤٦٢)

قد تكون القلنسوة من جلود الثعالب فيروى ابن سعد عدة روايات تذكر ان ابراهيم النخعي كان يلبس قلنسوة ثعالب ، وقلنسوة من طيالسه في مقدمها جلد ثعلب ، أو قلنسوة ثعالب أو مبطنة بثعالب أو مكفوفة من ثعالب (سعد ٦ ـ ١٩٦) ويروي رجل انه رأى على الضحاك بن مزاحم قلنسوة ثعالب (سعد ٦ ـ ٢٩٠)

وقد تكون القلنسوة من خز فكانت للشعبي « قلنسوة خز أخضر » (سعد٦ـ١٧٦)

وكذلك للقاسم بن محمد (سعد ٤ ـ ١٤٠ ـ ١٤١

والقلنسوة قد تكون بيضاء كقلنسوة سعد بن عبد الله (سعد ٥ ـ ١٤٦) وقلنسوة علي بن الحسين (سعد ٥ ـ ١٦١) وعبيد الله بن عبد الله (سعد ٥ ـ ١٥٠) والقاسم بن محمد (سعد ٥ ـ ١٤٢) أو سوداء كقلنسوة حمزة بن أبي سلالة (أغاني ٢١ ـ ٣٥) أو أسماطاً كقلنسوة نافع بن جبير (سعد ٥ ـ ١٥٢) أو صفراء مصرية كقلنسوة محمد النفس الزكية (طبري ٣ ـ ١٩٦ اغاني ١٨ ـ ٤) ولسعيد بن المسيب « قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء لها علم أحمر » (سعد ٥ ـ ١٠٢) وقد تكون من وشي مذهبة كقلنسوة الوليد بن يزيد (اغاني ٧ ـ ٩١)

وقد استعملت القلانس الطوال منذ زمن الامويين فقد « حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامر له وعليه قلنسية طويلة » (اغاني ٢ ـ ٣٤٢) ثم عممها أبو جعفر المنصور فيروي الاصبهاني « كان أبو جعفر قد امر اصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها وان يعلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم فسيكفيكهم الله والله السميع العليم » (اغاني ١٠ ـ ٢٣٦)

ويبدو ان القلانس الطويلة كانت سمة التجار فيروي الفضل بن دكين « كنت اذا رأيت داود الطائي (مات سنة ١٦٥) لا يشبه القراء عليه قلنسوة سوداء طويلة مما يلبس التجار » (سعد ٦ ـ ٢٥٥) كما كانت سمة الفقهاء حيث يذكر أبو الفرج الاصبهاني

وكان ابن جامع يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسياً في زي أهل الحجاز .. أقبل يوسف بأصحابه أهل القلانس » (أغاني٦ـ٢٩١) ويروي الأصبهاني أيضاً « ان سلمة بن عباد ولي القضاء بالبصرة فأتى بابه (باب سليمان بن علي) ليلاً فدق عليه ومعه جماعة من اصحابه أصحاب القلانس » (اغاني ٣ ـ ٣٠٣)

صالح احمد العلي

بعض مطبوعات المجمع العلمي العراقي خلال دورة مجمع اللغة العربية في بغداد

	فلس	دينار
١ — صحيفة دورة مجمع اللغة العربية العدد الاول ٢ — » » » » » » الثاني ٣ — » » » » » » الثالث ٤ — » » » » » » الاعداد ٤ — ٩	١٥٠	—
٥ — عقبة بن نافع الفهري تأليف اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب	١٢٠	—
٦ — المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين تأليف الاستاذ كوركيس عواد	٢٥٠	—
٧ — المجمع العلمي العراقي نشأته اعضاؤه اعماله تأليف السيد عبدالله الجبوري	٢٥٠	—
٨ — ميزان البند تأليف الدكتور جميل الملائكة	٧٥	—
٩ — التفاحة في النحو تأليف ابي جعفر النحاس النحوي تحقيق الاستاذ كوركيس عواد	٧٥	—
١٠ — الوضع ، تحديده ، تقسيماته ، مصادر العلم به تأليف الاستاذ محمد تقي الحكيم	٧٥	—
١١ — دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق تأليف الدكتور عبدالعزيز الدوري	٧٥	—
١٢ — تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص تأليف المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي	١٢٠	—

« فهرس المجلد الثالث عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

باب الكتب

الصفحة

أنباء وآراء

